دار الكتاب الحديث

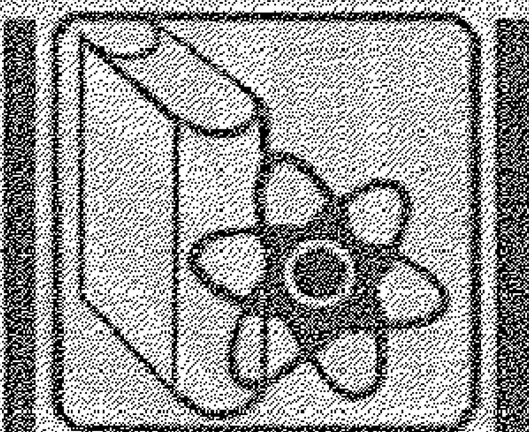
د. حمزة سالم أحمد آل دبج الشهري

العراق

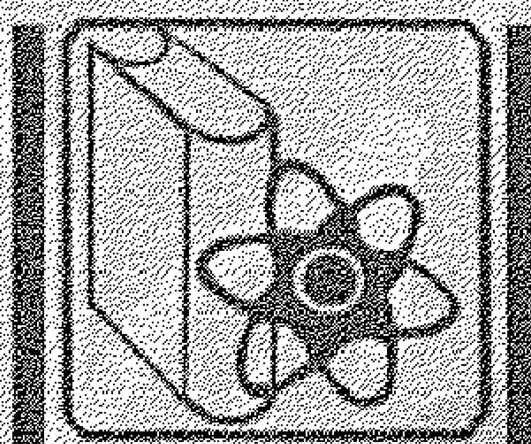
أرض الحضارات

منذ 6500 ق م - إلى ما بعد الغزو الأمريكي

علاء الخضري



دار الكتاب الحديث



دار الكتاب الحديث

العراق أرض الحضارات

ما بين الماضي والحاضر

أرض الفتن التي لا انقطاع لها

دراسة تاريخية منذ أقدم العصور

منذ 6500 ق م - إلى ما بعد الغزو الأمريكي

- **الحضارات القديمة**
  - السومارية
  - البابلية
  - الكنعانية
  - الكلدانية
  - الأشورية
- **العصور الوسطى**
  - بغداد والخلافة العباسية
- **العصر الحديث والمعاصر**
  - الحكم الملكي
  - حزب البعث
- **عصر صدام حسين والصراع مع إيران**
- **مشكلة الكويت**
- **الغزو الأمريكي**

إعداد الدكتور

حمزة سالم أحمد آل دبج الشهري

دار الكتاب الحديث

الشهرى، حمزة سالم أحمد آل دبج .	
العراق أرض الحضارات : مابين الماضى والحاضر منذ 6500 ق م – إلى ما بعد الغزو الأمريكى/ حمزة سالم أحمد آل دبج الشهرى	
ـ ط 1. ـ القاهرة: دار الكتاب الحديث ، 2011 .	
412 ص ؛ 24سم .	
تدمك 9 391 350 977 978	
1- العراق القديم - تاريخ . 2- العراق – تاريخ .	
أ - العنوان.	
935	

رقم الإيداع 8475 /2011

دار الكتاب الحديث

القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 22752990 (202 00) فاكس رقم : 22752992 (202 00) بريد الكتروني : dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي . برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria B. P. No 061 – Draria dk.hadith@yahoo.fr Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 E-mail

إهداء

أهدى هذا الكتاب إلى الوالدين العزيزين وإلى الزوجة الغالية التى كانت سنداً لى وراء قيامى بهذا البحث وإلى أخوانى وأخواتى وبالأخص محمد بن سالم (أبو أنس) وإلى أعمامى وأخوالى وإلى جميع أفراد قبيلة آل صميد وإلى من يشرع فى قراءة هذا الكتاب.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له والصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبعد:

فى العقدين الأخيرين تعرض بلد عربى عريق لعدة حروب مما أدهش الناس وأثار استغرابهم مع العلم أن هذا البلد وهو العراق قد فاقت حضارته جميع البلدان فلو ذكرنا أى مدينة فى العراق فإن اسمها يدل على حضارة قديمة كانت تمتلكها هذه المدينة مما دفعنى إلى البحث عن تاريخ هذا البلد العريق من الزمان الأول حتى هذا الزمان متطرقاً إلى الحضارات التى واكبها والحروب التى عاصرها وما جرى فيها من أحداث.

وقد قُسم هذا الكتاب إلى أربعة أبواب، كل باب مكون من فصلين، الباب الأول تحدث فصله الأول عن العراق قبل ميلاد المسيح عليه السلام وبعد ميلاده وفى العصر الجاهلى والفصل الثانى تحدث عن العراق فى العهد الإسلامى وعهد الخلفاء الراشدين، الباب الثانى تحدث فصله الأول عن العراق فى العصر الأموى والعباسى وفصله الثانى تحدث عن العراق بعد سقوط الخلافة العباسية وفى عهد العصر العثمانى، الباب الثالث تحدث فصله الأول عن الحكم الملكى للعراق وفصله الثانى تحدث عن سيطرة الضباط الأحرار بعد سقوط العهد الملكى وعودة الشيوعيين ثم ظهور البعثيين، أما الباب الرابع فكان مقتصراً على سلطة صدام حسين، فصله الأول تحدث عن حرب الخليج الأولى والثانية والفصل الثانى تحدث عن سنوات الحصار وحرب الخليج الثالثة التى انتهت بسقوط بغداد فى يوم الأربعاء الموافق 9أبريل 2003م (7 صفر 1424هـ) على يد القوات الأمريكية وانتهاء نظام البعث فى العراق.

نسأل الله العظيم التوفيق والسداد لإتمام بحث هذا الكتاب حتى يستفيد منه غيرنا... والله الموفق "

الباب الأول

العراق قبل المسيح عليه السلام وحتى عصر الخلفاء الراشدين

الفصل الأول: العراق قبل المسيح عليه السلام وبعده فى العصر الجاهلى

الفصل الثانى: العراق فى صدر الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين



خريطة العراق

الفصل الأول

العراق قبل الميلاد وبعد الميلاد فى العصر الجاهلي

سكان بلاد الرافدين (العراق) الأوائل

5800 -6500 ق.م

حضارة جرمو:(1)

سكن بلاد الرافدين سكان جرمو، وأنشأوا حضارة عُرفت بحضارة جرمو فى شرق بلاد الرافدين (شرق كركوك حالياً) وكانوا يصنعون أدواتهم من الأحجار ويبنون بيوتهم من الطين، وكانوا مهتمين بالزراعة وتربية المواشى، ويتبين اهتمامهم بالزراعة والرعى وجود أثار للفأس الحجرى وأدوات زراعة أخرى وبقايا عظام حيوانات مع عظام البشر.

5000- 6000 ق.م:

حضارة حسونة(2)***:***

سميت بهذا الاسم نسبة إلى موقعها فى تل حسونة حالياً جنوب الموصل فى شمال بلاد الرافدين، وتمتد حضارة حسونة من جبل سنجار فى الغرب وحتى نهر الزاب الأصغر فى الشرق ونهر الزاب الأكبر فى الجنوب.

اهتم سكان حضارة حسونة بالزراعة والرعى وسكنوا فى بيوت من الطين والحجر، وتقدموا فى صناعة الفخار حيث استطاعوا إتقان فن الزخرفة اقتباساً من ألوان الحيوانات، ومع وجود الفائض فى الحبوب، أدى ذلك إلى نشوء التجارة مع المناطق البعيدة التى تعتمد على المبادلة (مثلاً يتاجر سكان حسونة بالحبوب ويحصلون بالمقابل على القطع الفنية). الديانة: الآلهة الأم.

---

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الثالث حضارات عصور ما قبل التاريخ صفحة 21.

(2) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الثالث حضارات عصور ما قبل التاريخ صفحة 23.

حضارة سامراء:[1]

سميت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة سامراء الحالية، نشأت حضارة سامراء من الموصل شمالاً وحتى بغداد جنوباً، ومن سفوح جبال زاغروس شرقاً وحتى الفرات الأوسط غرباً اهتم سكان حضارة سامراء بالزراعة والرعى وصناعة الفخار المزخرف وعلى أشكال هندسية مختلفة، وقاموا ولأول مرة فى بلاد الرافدين بإحاطة القرى والمزارع بخنادق وأسوار وأبراج للدفاع عنها.

الديانة: الآلهة الأم.

حضارة حلف:[2]

سميت بهذا الاسم نسبة إلى تل حلف الواقع شمال شرق سوريا حالياً وبقيت مستمرة فى منطقة صغيرة فى تل حلف.

اهتم أهلها بالزراعة والرعى وأحرزت تقدماً فى صناعة الفخار على الرغم من صغر مساحتها، وكانوا يسكنون فى بيوت من الطين.

. تقدمت الصناعة لديهم حتى وصلت إلى صناعة الأختام المسطحة من الحجر والفخار وبدءوا بصناعة أدوات الزينة من النحاس والرصاص.

مع ذلك الفن البديع انتشرت لديهم أعمال التجارة مع المناطق المجاورة ومن كثرة إبداعهم قاموا بصناعة دمى من الحجر والطين تجسيداً لآلهتهم الأم.

الديانة: الآلهة الأم.

---

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الثالث حضارات عصور ما قبل التاريخ صفحة 24.

(2) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الثالث حضارات عصور ما قبل التاريخ صفحة 25.

4000 - 5000ق.م

حضارة العُبيد:[1]

سميت بهذا الاسم نسبة إلى تل العبيد الواقع على بعد 6 كلم غرب مدينة أور (المقير حالياً)، وتقع فى جنوب بلاد الرافدين امتدت حضارة العبيد على أربع مراحل:

المرحلة الأولى والثانية مقتصرة على جنوب بلاد الرافدين وانتشروا فيها بعد إلى الشمال.

المرحلة الثالثة والرابعة شملت بلاد الرافدين وشمال سوريا حتى سواحل البحر المتوسط.

سكن أهلها فى بيوت من طين واهتموا بالزراعة بطريقة أحدث وهى استخدام المحراث والأبقار، وقاموا بصناعة الفخار والأختام المسطحة من الأحجار والعظام والطين، وتميزوا بتقدم فى مجال بناء الأبنية والمعابد الدينية.

الديانة: الآلهة الأم.

فى نهاية الألف الخامس (4000 -4100ق.م) قامت بعض القبائل البدوية السامية (نسبة إلى سام بن نوح عليهما السلام) بالهجرة من شبه الجزيرة العربية وبادية الشام إلى بلاد الرافدين، واندمجوا مع سكان الحضارة العبيدية فاختلطت الأنساب.

استمرت حضارة العُبيد حتى 3500 ق.م حيث أصابها تدمير وتخريب لم يذكر التاريخ سببه.

---

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539 ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الثالث حضارات عصور ما قبل التاريخ صفحة 25.

3000 -4000 ق.م

حضارة الوركاء:[1]

سميت بهذا الاسم نسبة إلى موقع الوركاء الحالى (مدينة أوروك القديمة) فى جنوب بلاد الرافدين.

اهتم أهلها بالزراعة وشاع استخدام المحراث فى الزراعة، وحقق أهلها ازدهاراً باختراع الكتابة فى 3200 ق.م على شكل إشارات وصور على لوحات طينية للتعبير أفكار معينة، ومع اختراع الكتابة تواصلت إنجازاتهم باختراع الختم الإسطوانى المصنوع من الخشب والعظام والكلس الذى يمثل الملكية الخاصة، وكانوا يقومون بدحرجته على الألواح الطينية الطرية ليترك طبعة بمثابة توثيق للشى المدحرج عليه، زيادة على التقدم فى مجال الكتابة، فقد اهتم السكان أيضاً بتشييد أسوار حول المدن للدفاع عنها، واهتموا ببناء المعابد الدينية على شكل نماذج ضخمة يقف على رأسها الكاهن الأكبر الذى بين السلطتين الدينية والمدينة.

حضارة جمدة نصر:[2]

- سميت بهذا الاسم نسبة إلى موقع جمدة نصر،40 كلم شمال شرق بابل فى جنوب بلاد الرافدين.

اهتم أهلها بالزراعة والتجارة، وتطورت حضارتهم تبعاً لحضارة الوركاء بعد اكتشافهم للكتابة، وساد عصر جمدة نصر استخدام الأختام الإسطوانية،استمرت حضارتهم حتى عام 2900 ق.م.

---

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الثالث حضارات عصور ما قبل التاريخ صفحة 27.

(2) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الثالث حضارات عصور ما قبل التاريخ صفحة 29.

عصر الحضارة السومرية

2000 – 3000 ق.م

تميز هذا العصر بسيادة السومريين سياسياً وحضارياً فى أقصى جنوب بلاد الرافدين، والنظريات حول أصول السومريين متظاربة ومتعددة، فالبعض يذكر أن أصولهم من مناطق آسيا الوسطى، والبعض يقول أنهم من وادى السند أو من مناطق أخرى.

ازدهرت حضارة سومر منذ عام 3500 ق.م خاصة بعد سقوط الحضارة العبيدية، وتميزت حضارتهم بأنها مقسمة إلى العديد من دويلات المدن التى تتصارع فيما بينها للسيطرة على المناطق ومن أشهرها: كيش، وأور، وأوروك، ولاجاش وأوما، بينما مدينة نيبور اعتبرت مدينة دينية.

اهتم أهل سومر بالزراعة والتجارة وصناعة الحلى من الذهب والفضة، وحفر القنوات المائية، ووضعوا أنظمة دقيقة للقياس والكيل والوزن، وقسموا السنة إلى أشهر والأشهر إلى أيام، وكان لكل مدينة إلهها الخاص، ولكن هناك آلهة لكل بلاد سومر فمثلاً:

أن: إله السماء، الإلة الكبير وحامى النظام الكونى ورمزه التاج ذى القرون وحيوانه المقدس الثور.

إنليل: إله سومر الرئيسى ومالك ألواح القضاء، خالق ومدمر فى آن واحد، وهو ابن الإلة أن.

إنكى: آله الأرض والماء العذب والحكمة والشفاء.

حضارة كيش:(1)

تقع مدينة كيش على بعد 88 كلم جنوب شرق بغداد و20 كلم شرق بابل، كانت حضارة كيش موجودة منذ عام 3500 ق.م، لكن فى عهد ملكها الأول "إتانا" حققت

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الرابع عصر السلالات الباكرة صفحة 33.

السيادة والنفوذ نحو 2900 -3000 ق.م، قام الملك "إتانا" بوضع أسطورة لنفسه مجازها (الراعى الذى صعد إلى السماء، الذى وطد الاستقرار فى كل البلاد الأجنبية)، الأسطورة تصف صعوده إلى السماء على ظهر نسر فى سبيل الحصول على نبته الولادة لكى يضمن وريثاً له على عرش كيش، وتدل أيضاً على سيطرته على الكثير من البلدان الأجنبية.

من أعظم ملوك كيش الملك "ميبا راجزي" (نحو 267 ق.م) والملك "ميساليم" (نحو 2600ق.م)، الملك ميبا راجزى قام بغزو بلاد عيلام (جنوب غرب إيران حالياً) وسلب أسلحتها، والملك ميساليم يعد من القبائل السامية التى هاجرت فى 4100 ق.م من شبه الجزيرة العربية وبادية الشام، سيطر الملك "ميساليم" حتى وصل إلى سوريا، وأطلق على نفسه لقب "ملك كيش" "شاركيش" وقام بصنع مقبض صولجان منحوت من الحجر الكلسى منقوش عليه "ميساليم، ملك كيش"، وقام أيضاً ببناء معبد الإله نينجرسو (إله الخصب والحرب كما يعتقدون).

حضارة أوروك:[1]

تقع مدينة أوروك على مدينة بعد نحو 160 كلم جنوب شرق مدينة كيش، وتاريخ نشأتها يعود إلى نحو (2700 _2800ق.م)، بعد الضعف الذى أصاب مدينة كيش بعد وفاة ملكها "أتانا" ظهرت حضارة جديدة فى مدينة أوروك قادها الملك " ميسكيا جاشير" وكان ملكاً قوياً يعتبر مؤسس أوروك الأولى.

تميزت حضارة أوروك فى بدايتها بملوكها الأقوياء الذين أُلهوا بعد وفاتهم مثل "دوموزي" بعد وفاته أطلقوا عليه حبيب الإله إنانا (عشتار) وزوجها، ثم عُرف بعد ذلك باسم تموز، الذى سُمى شهر من أشهر السنة باسمه.

ومن أشهر ملوكها الملك "جلجاميش" الذى حكم فى نحو 2700ق.م، حاول "جلجاميش" فترة ملكه بالبحث عن الخلود.

حاول "جلجاميش" البحث عن نبتة الخلود وفى طريقه للبحث عنها نزل فى بركة ماء للاستحمام بها، وفى هذه البركة غرق ومات، وأيضاً كان قد قام "جلجاميش" لحماية نفسه

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عبد مرعى، الفصل الرابع عصر السلالات الباكرة صفحة 34.

من الموت ببناء أسوار دفاعية من الطوب ومجهزة بأبراج دفاعية يبلغ طولها لمسافات طويلة، وجعل عليها الحراس يتولون حمايتها ليلاً ونهاراً.

فشل "جلجاميش" فى الحصول على الحياة الدائمة ولكن أسطورته بقيت خالدة التى قاد فيها حملته المشهورة بـ " ملحمة جلجا ميش "(1)

توالى بعد "جلجاميش" اثنا عشر ملكاً اتصفوا بالضعف مما أتاح الفرصة لبروز مدينة أخرى وهى "مدينة أور".

حضارة اور:(2)

تقع مدينة أور فى الجنوب الشرقى من مدينة الناصرية حالياً بالقرب من نهر الفرات، ويعود تاريخ نشأتها إلى نحو 2500 ق.م.

ازدهرت فى عهد ملكها "ميزانيبادا" نحو 2475 ق.م، بعد أن أعطاه "أنليل" سيد مجمع الآلة السومرية، حكم مدينة أور، وخلفه ابنه " أنيبادا" الذى بنا معبداً للإله الأم "نينخور ساج" فى موقع تل العبيد الواقع على بعد نحو6 كلم شمال غرب أور.

توالى عدة ملوك على أور، وفى النهاية تأثروا بالحضارة الأكادية، امتازت أور بأنها كانت مركزاً لعبادة "نانا" (إله القمر السومرى) واحتوت على المعبد "إى أنا" (بيت السماء).

حضارة لاجاش واوما:(3)

نشأت حضارة لاجاش نحو 2520 ق.م، فى البداية كانت لاجاش خاضعة لمدينة أور، ثم أخذت قوتها بالصعود فى عهد حاكمها "أورنانشي" الذى استقل عن "أور" وأطلق على نفسه "ملك لاجاش" وخاض معارك ضد ملك أور وملك أوما، وانتصر عليهما فى

---

(1) للمزيد عن أسطورة جلجاميش راجع كتاب " أشهر الأساطير فى التاريخ " لمجدى كامل، جلجاميش ص 103.

(2) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الرابع عصر السلالات الباكرة صفحة 35.

(3) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الرابع عصر السلالات الباكرة صفحة 35.

معارك منفصلة، وبعدها صارت لاجاش مملكة مستقلة، وبعدها بدأ الملك "أورنانشي" يركز اهتمامه على بناء حضارة للاجاش، فقام ببناء معبد بجارا (معبد نينجرسو وهو إله الخصب والحرب كما يعتقدون) وقام ببناء معبد نانشى ومعبد جيرسو ومعبد جاتومدو، ثم أكمل حضارته ببناء سور لاجاش لحمايتها.

بلغت لاجاش أوج عظمتها فى عهد "إياناتوم" نحو 2470ق.م، حفيد أورنانشى، حيث قام "إياناتوم" بخوض معارك ضد أور وأوروك وكيش، وانتصر عليهم جميعاً، وأخضع جميع بلاد سومر لسيادته، ولم يكتف بذلك، بل خاض معركة ضد بلاد عيلام (جنوب غرب إيران) وانتصر عليهم.

أما مدينة أوما، فقد قام حاكمها باحتلال منطقة "حوادينا" التى تعتبر من ممتلكات "الإله نينجرسو"، بعدها هبّ الملك "إيانا توم" لمقاومته، واستطاع هزيمته وبعدها أقسم "حاكم أوما" بعدم الاعتداء على حوإدينا، وفى حال حنثه بقسمه، فإن الآلهة ستعاقب أوما بشدة.

خلف "إياناتوم" ابنه "إنتيميا" (2430 ق.م) الذى حارب وانتصر على حاكم أوما بسبب نقضه المعاهدة واعتدائه على حدود لاجاش.

بعد وفاة "إنتيميا" أخذت قوة لاجاش بالضعف، وبدأت تصغر سيطرتها على بلاد سومر، ولم يبق فى يد حضارة لاجاش إلا مدينة لاجاش وحدها، فعندما رأى حاكم أوما "أوروإنميجينا" أنها الفرصة المناسبة للثأر من لاجاش، فقام بمهاجمته واستطاع الانتصار عليها، ثم نصب نفسه ملكاً على أوما ولاجاش بعد أن قام بخلع حاكم لاجاش "لوجالاندا".

قام "أوروإنمجينا" بعدة إصلاحات اجتماعية فى لاجاش وأوما عندما رأى الوضع الاجتماعى مضطرباً بسبب سوء أحوال الطبقات الفقيرة، من جراء الظلم وتعديات الأمراء والمواطنين والكهان، وقام بتدوين الإصلاحات على ثلاثة مخاريط طينية ولوح حجرى نصّ على منع تسخير ممتلكات المعابد لصالح الأثرياء والموظفين، وضبط تصرفات الموظفين فى

جباية الضرائب، وقام بخفض الضرائب المفروضة من قبل الكهان على عمليات دفن الموتى، وبمنع إجبار الناس البسطاء على بيع ممتلكاتهم، وأُلغيّ زواج المرأة برجلين.

أثناء انشغال "أوروأنميجينا" بإصلاحاته فى لاجاش، ظهرت شخصية قوية فى مدينة أوما هو "لوجال زاجيزي" الذى استولى على السلطة فى أوما نحو 2350ق.م، وكان يعمل كاهناً للإله نيسابا (إله أوما)، على عكس "أوروأنميجيا" الذى كان يعتقد بالإله نينجرسو (إله لاجاش)، قام لوجال زاجيزى بالهجوم على مدينة لاجاش واحتلها ودمرها وأحرق معابدها بعد أن نهب كنوزها.

اعتبر "أوروإنميجيا" هجوم "لوجال زاجيزي" على لاجاش إثماً كبيراً وحمل المسئولية نيسابا (إله مدينة أوما).

بعد سيطرة "لوجال زاجيزي" على مدينة لاجاش جعلها القاعدة الأولية لفتوحاته التالية، فاستولى على أوروك واتخذها عاصمة لدولته، وقام باحتلال الكثير من البلدان السومرية حتى مدينة نيبور، عاصمة سومر الدينية، وأطلق على نفسه "ملك أوروك وملك بلاد سومر" استطاع " لوجال زاجيزي" توسيع مملكته حتى شملت أواسط بلاد الرافدين وجنوبها، وربما امتد نفوذه إلى مناطق أبعد من ذلك واستمرت حضارته قائمة حتى جاء رجل اسمه "شاروكين الأكادي" حيث تمكن من القضاء على الحضارة السومرية (3000- 2000 ق.م) وقام بتأسيس أول إمبراطورية فى الشرق الأدنى القديم فى 2350 ق.م.

الإمبراطورية الأكادية (2159 -2350 ق.م)[1]

يعتبر الأكاديون من القبائل السامية التى سبق وأن هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين، واندمجت مع الحضارة السومرية وتأثرت بها، وعاشت فى ظل الحضارة السومرية، إلى أن تمكن قائدهم المخضرم "شاروكين" من إسقاط الدولة السومرية ليبدأ بتأسيس حضارة جديدة عُرفت بالحضارة الأكادية.

---

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الخامس: الإمبراطورية الأكادية صفحة 45.

كان شاروكين يعمل ساقياً للملك "أورزبابا" من سلالة كيش الثالثة، وبعد خسارة "أورزبابا" فى إحدى المعارك، ثار عليه "شاروكين" واستطاع السيطرة على كيش وجعلها منطلقاً لفتوحاته حيث استطاع السيطرة على شمال بلاد بابل (حسب موقعها حالياً وإلا فإن بابل لم تكن موجودة فى ذلك الوقت)، وبنى هناك مدينة سماها مدينة أكاد، وجعلها عاصمة لدولته، وأطلق "شاروكين" على نفسه "ملك أكاد وملك كيش"، بعدها قام شاروكين بتنظيم جيش جديد ومزود بأسلحة متطورة مقارنة بسابقيهم، كالقوس والنبالات، واستخدم خطط عسكرية جديدة، ثم اتجه بعد ذلك جنوباً إلى مملكة الملك السومرى "لوجال زاجيزي"، ونشبت بين الطرفين ملحمة، انتهت بانتصار "شاروكين" وهزيمة "لوجال زاجيزي" وقوعه فى الأسر (نحو 2350 ق.م) وبعد هذا الانتصار العظيم صار شاروكين ملكاً لبلاد سومر بالكامل أوروك وأور ولاجاش حتى شواطئ البحر (الخليج العربى حالياً).

بعد أن بسط "شاروكين" سيطرته على بلاد سومر، اتجه بأنظاره شمالاً نحو المناطق المجاورة، فخاض معارك استطاع الانتصار فيها والسيطرة على أبلا[1] (شمال سوريا)، وواصل انتصاراته حتى وصل إلى جبال طوروس (جنوب تركيا حالياً وكانت تسمى جبال الأرز) واجتازها حتى وصل إلى الأناضول (هضبة الأناضول فى منتصف تركيا حالياً)، وبالتالى استطاع "شاروكين" أن يأسس إمبراطورية واسعة شملت بلاد الرافدين وسوريا حتى الأناضول، وهى أول إمبراطورية فى الشرق الأدنى القديم.

بعدها قام "شاروكين" بحملات عسكرية باتجاه الجنوب الشرقى ضد بلاد عيلام، واستطاع الانتصار عليهم ثم باتجاه الشمال الشرقى ضد قبائل اللولوبية فى المناطق الجبلية (جبال زاغروس) وهزمهم واحتل بلدة سوبارتو (آشور فيما بعد).

حكم "شاروكين" أكثر من ستين سنة (2350- 228ع4 ق.م)، أطلق على نفسه ملك الجهات الأربعة، واهتم خلال فترة ملكه أيضاً بالعمران، فبنى لنفسه قصراً فى العاصمة أكاد ومعبداً لزبابا (إله الحب والحرب) وأنشأ ميناء فى العاصمة أكاد يربطها بالخليج عن طريق نهر الفرات.

---

(1) أبلا: مملكة قديمة سادت فى سوريا فى 4500ق.م، واكتشفت آثارها فى حلب.

تسلم عرش أكاد بعد "شاروكين" ابنه "ريموش" (2275-2284ق.م) قامت ضده ثورات عديدة هدفها الاستقلال والتخلص من الحكم الأكادى، ولكن "ريموش" استطاع القضاء عليها، وحاولت بلاد عيلام التمرد ولكن "ريموش" أسكتها بسرعة، بعدها سقط "ريموش" نحو 2275ق.م ضحية مؤامرة أودت بحياته، فخلفه أخوه الأكبر "مانيشتوسو" (2275-2260ق.م) ولم يكن اسعد حظاً من أخيه فقد واجهته تمردات استطاع القضاء عليها والمحافظة على حدود إمبراطوريته.

بعد وفاة " مانيشتوسو " (2260ق.م) اعتلى عرش أكاد ابنه "نارام سين"(2260 -2223ق.م) الذى حكم لمدة سبع وثلاثين سنة واجه فيها تمردات عديدة ومتفرقة فى أوقات مختلفة شاركت فيها كيش وأوما ونيبور وأوروك ومراد وسيبار، وبلاد ماجان فى الجنوب وعيلام فى الجنوب الشرقى، ونامارا وأبيشال فى الشمال ومارى فى الغرب، واستطاع "نارام سين" أن يسيطر على الأوضاع الداخلية، ثم انصرف إلى مواجهة الأخطار الخارجية التى تهدد إمبراطوريته، فقام بحملة ضد قبائل اللولوبيين الجبلية التى تقطن جبال زاغروس فى شمال شرق بلاد الرافدين، وخلد كل تلك الانتصارات بنصب النصر (نصب نارام سين)[1] أقامه فى سيبار مدينة شماش (إله الشمس).

بعدها قام "نارام سين" بحملة نحو الشمال فاحتل مارى وسوبارتو (آشور فيما بعد)، ثم اتجه بعد ذلك غرباً نحو سوريا فاحتل أرمان وأبلا واجتاز جبال الأمانوس وجبال طوروس حتى وصل البحر الأعلى (البحر الأسود المتوسط)، وأطلق على نفسه ملك الجهات الأربعة واستطاع أن يوصل الإمبراطورية الأكادية إلى أقصى اتساعها، ولكنه فى أواخر أيامه اضطر إلى عقد اتفاقية مع ملك عيلام بسبب عجزه على ما يبدو من إخضاعه.

اعتلى عرش أكاد بعد "نارام سين" ابنه " شاركالى شاري"(2198-2223ق.م) فى عهده واجهت الإمبراطورية الأكادية أخطاراً عديدة، فكان يحارب على عدة جهات للمحافظة على إمبراطوريته، فقد حاولت أوروك التخلص من الحكم الأكادى ونجحت وحصلت عيلام على استقلالها وأيضاً حاول الأموريون الهجوم على بلاد الرافدين قادمين

---

(1) نصب نارام سين موجود حالياً فى متحف اللوفر فى باريس.

من بادية الشام، لكن "شاركالى شاري" هزمهم فى معركة قرب تدمر وتصدى لهجوم آخر من الشرق قام به الغوتيون.

بعد موت "شاركالى شاري" عصفت الاضطرابات بالإمبراطورية الأكادية فترة تقارب ثلاث سنوات (2195-2198ق.م) تصارع خلالها أربعة متنافسين على السلطة، وفى النهاية استطاع شخص يدعى "دودو" أن يستولى على السلطة وأن يحكم نحو 21سنة (2174-2195ق.م) أعاد خلالها النظام إلى البلاد وبعض القوة الأكادية، ثم خلفه ابنه "شودورول" (2159-2174ق.م) الذى حدث فى عهده الضعف الشديد للإمبراطورية الأكادية مما أتاح الفرصة للمدن الرافدية أن تستعيد حريتها واستقلالها وانحصرت أكاد فى منطقة صغيرة ومن المدن التى استقلت مدينة لاجاش (2164ق.م) فى عهد الأمير أورببابا الذى أعاد لاجاش للعصر السومرى.

فى نهاية حكم "شودورول" حدث الغزو الغوتى من الشرق لبلاد أكاد مما أدى إلى إسقاطها آخر معقل للإمبراطورية الأكادية.

العصر الغوتى (2116-2159ق.م)[1]

بعد الاحتلال الغوتى لمدينة أكاد، قام الغوتيون القادمون من الشرق بتدمير كل شيء فى المدينة حتى المعابد المقدسة قاموا بتدميرها، وحطموا التماثيل، وعاثوا فى المدينة فساداً ولم يرحموا لا امرأة ولا طفل، ومع ذلك الخراب والدمار و الفوضى التى قام بها الغوتيون توقفت أعمال الزراعة وساد الفقر بين الناس.

كان الغوتيون متخلفين حضارياً همجيين، لم يبنوا حضارة مما سبب فى اندثار تاريخهم وعدم توفر أحداث واكبتهم فى عصرهم.

عصر سلالة لاجاش الثانية[2]

ذكرنا أن مدينة لاجاش كانت تحت السيطرة الأكادية ولكن فى عهد الملك الأكادى الأخير "شودورول" انفصلت ونالت حريتها فى عهد أميرها "أوروبابا" (2124 -2164ق.م)

---

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل السادس: العصر الغوتى صفحة 55.

(2) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل السابع: عصر الأحياء السومرى صفحة 57.

بتوسيع منطقته لتشمل أجزاء كبيرة من بلاد سومر فى الجنوب، وبعد الاحتلال الغوتى لمدينة أكاد، اتخذ "أوروبابا" جميع الاحتياطات الدفاعية، فلم يجرؤ الغوتيون على مهاجمتها.

خلـف "أوروبابـا" عـلى عرش لاجـاش صهـره "جوديـا" (2124-2143ق.م) الـذى كرّس جهـوده لاحتكار التجارة، فقـام بعقد صفقات تجارية مع الغوتيين للسـماح لبعثاتـه التجارية بالمرور مقابل دفع ضريبة معينة، واهتم أيضاً ببناء المعابد وحفر القنوات المائيـة.

خلـف "جوديـا" عـدد من الحـكام الذين ضعفت لاجـاش فى عهدهـم، وأتاحت الفرصـة لحاكم أوروك "أوتوخينجال" لاحتلالها بعد هزيمته للغوتيين لتظهر مملكة جديدة وهى مملكة أور الثالثة.

عصر سلالة أور الثالثة[1]

قام حاكم أوروك السومرى "أوتوخينجال" (2110-2116ق.م) بقيادة معركة ضد الغوتيين فى مدينة أكاد، وتمكن من هزيمتهم وأسر ملكهم "تيريجان" وقادة جيشه، وحرر البلاد من سيطرتهم الهمجية، كان "أوتوخينجال" سومرياً ولكنه متأثراً بالتقاليد الأكادية.

قام "أوتوخينجال" بتعيين "أورنامو" حاكماً على أور، فاستغل "أورنامو" هذا المنصب فقام بقيادة تمرد على سيدة "أوتوخينجال"، استطاع بذلك التمرد أن يسقط سلطة "أوتوخينجال" ويقوم بتأسيس سلطة جديدة وهى سلطة أور الثالثة (2110-2094ق.م)، بعدها سيطر "أورنامو" على جميع المدن السومرية فى الجنوب، ولقب نفسه بملك سومر وأكاد، فهذا يدل على وجود مجموعتين ساكنتين فى مملكة "أورنامو" وهما السومريون والأكاديون.

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل السابع: عصر الأحياء السومرى صفحة 59.

قام "أورنامو" بوضع قانون عُرف "بقانون أورنامو" يتألف من عدة قوانين تنص على تحقيق العدل فى البلاد وحماية الفقراء وبخاصة الأيتام والأرامل من ظلم الأقوياء واستغلالهم، وتوحيد المقاييس والمكاييل، وكانت مواد القانون قد صيغت بشكل شرطى (وإذا فعل إنسان كذا.... تكون عقوبته كذا.....)

"قانون أورنامو" عالج الكثير من القضايا الاقتصادية والاجتماعية، ويعتبر أول قانون عُرف فى بلاد الرافدين.

خلف "أورنامو" ابنه "شولجي" (2046-2039ق.م) الذى استطاع خلال فترة حكمه الطويلة أن يوسع حدود مملكته وأن يوصلها إلى مناطق بعيدة، حيث استطاع أن يسيطر على عيلام فى الشرق وآشور فى الشمال، وشمل نفوذه شمال سوريا، بعدها أطلق "شولجي" على نفسه "ملك الجهات الأربعة".

واصل شولجى حملاته التى اتجه بها إلى الشمال الشرقى من نهر دجلة لإيقاف توغل الحوريون نحو الجنوب، كان الحوريون قد ظهروا فى تلك المنطقة كمستوطن منذ أواخر عهد الإمبراطورية الأكادية، ثم حاولوا فيها بعد توسيع منطقتهم لكن "شولجي" صدهم وأسر الكثير منهم وقادهم إلى بلاد سومر واستخدمهم كعبيد فى الأعمال الزراعية.

اهتم "شولجي" بالعمران وبناء المعابد وإقامة مشروعات الرى وحفر القنوات، ثم خلفه ابنه "أمارسين" (2037-2045ق.م) وبقيت مملكته قوية لم تطرأ عليها تغيرات ثم خلفه ابنه "شوسين" (2028-2036ق.م) الذى قام ببناء سور فى منطقة الفرات الأوسط (جدار مارتو) لإيقاف دخول البدو الأموريون من بادية الشام إلى بلاد الرافدين.

من هم الأموريون الذين بدءوا يهددون مملكة أور الثالثة؟

الأموريون جماعات بدوية سكنت بادية الشام منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وهى مأخوذة من الكلمة الأكادية أمرروم وتعنى جهة الغرب ولا تحمل معنىً عرقياً، وقد دخلت هذه الجماعات منذ وقت مبكر إلى بلاد الرافدين، وفى العصر الأكادى وخاصة فى عهد الملك "شاركلى شاري" بدأت تكبر شوكتهم وبدءوا بمهاجمة الدولة الأكادية من الغرب، لكن الملك "شاركالى شارلي" هزمهم فى معركة قرب مدينة تدمر عند جبل بسار.

خلف "شوسين" "إبى سين" (2003-2027ق.م) على مملكة أور الثالثة، وكان عهده عهد اضطرابات، انفصلت مدن وظهرت دول جديدة، وفى السنة الثالثة من حكم "إبى سين" انفصلت مدينة إشنونا الواقعة على نهر ديالى فى الشمال الشرقى لبلاد الرافدين، وفى السنة الرابعة انفصلت مدينة لاجاش، وفى السنة السابعة انفصلت مدينة أوما.

بعد هذه الانفصالات المتعددة، خاطب حاكم إسين "إشبى إرار" الملك "إبى سين" بأن يعطيه تفويض ليعمل على وقف زحف الأموريين من الغرب الذين اخترقوا سور مارتو، وبدأ باحتلال القلاع فى دولة أور الثالثة، لكن "إبى سين" رفض هذا العرض، فعندما أعلن "إشبى إرار" استقلال مدينة إسين وجعل نفسه حاكماً عليها فى السنة العاشرة أو الحادية عشرة من حكم "إبى سين"، ثم قام بعد ذلك باحتلال مدينة نيبور.

حافظ "إبى سين" على ما تبقى من مملكته حوالى ثلاثة عشر أو أربعة عشر عاماً، حتى جاءت نهاية مملكة أور الثالثة على يد العيلاميين الذين ساروا بحملة مدمرة وساعدهم على ذلك جماعات السو من جبال زاغروس.

دمر العيلاميون المدينة وأسروا "إبى سين" واقتادوه إلى سوزة عاصمتهم، وبقيت أور تحت سيطرتهم لمدة ست أو سبع سنوات، إلى أن جاء "شوإليشو" حاكم إسين بحملته ليطرد العيلاميين ويضم أور إلى مملكة إسين.

دولة إسين (2017-1793ق.م)[1]

أسسها القائد العسكرى "إشبى إرا" (1985-2017ق.م) وهو من أصل أمورى، وجعل من مدينة إسين (الواقعة على بعد نحو 30كلم جنوب مدينة نيبور) عاصمة له، استقلت مدينة إسين فى عهد ملك أور الثالثة "إبى سين" ثم قام "إشبى إرا" باحتلال مدينة نيبور الدينية ثم قام بتحصينات لمنع خطر البدو الأموريين والعيلاميين الذين احتلوا مدينة أور.

---

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الثامن: بلاد الرافدين بعد سقوط مملكة أور الثالثة صفحة 69.

خلف "إشبى إرا" ابنه "شوإليشو" (1975-1984ق.م) الذى استطاع أن يسترد مدينة أور من العيلاميين، ثم خلفه "إدين داجان" (1954-1974ق.م) ومن بعده "إشمى داجان" (1935-1953ق.م)، اهتم هؤلاء الحكام بإعادة إعمار مدينة أور التى دمرها العيلاميون.

خلف "إشمى داجان" ابنه "ليبيت عشتار" (1924-1934ق.م)، اشتهر هذا الملك من خلال قانونه الذى وضعه وهو "قانون ليبيت عشتار".[1]

قانون ليبيت عشتار عالج الكثير من القضايا الاقتصادية والاجتماعية، كُتب باللغة السومرية، وكان مؤلفاً من مقدمة وخاتمة، شمل تحرير أبناء وبنات نيبور وأور وسومر وأكاد الذين وضُعت العبودية على عاتقهم، وشمل أيضاً تعويض الخسارة والإصابات بالمال، فمثلاً لو أتلف رجلاً عين آخر فإنه يعوضه بالمال.

فى أواخر عهد ليبيت عشتار، احتل "جونجونجوم" حاكم لارسا مدينة أور، فخسرت إسين جزءها الجنوبى.

حكم إسين بعد "ليبيت عشتار" "أور نينورتا" (1896-1923ق.م) ثم ابنه "بورسين" (1874-1895ق.م).

بعد "ليبيت عشتار" تراجعت قوة إسين واشتد الصراع بينها وبين دولة لارسا فى الجنوب، انتهى الصراع بسقوط دولة إسين على يد حاكم لارسا "ريم سين" فى سنة حكمه التاسعة والعشرين أو الثلاثين نحو 1793ق.م.

دولة لارسا (1763-2025ق.م)[2]

تأسست دولة لارسا على يد رجل أمورى يدعى "نبلا نوم" (2005-2025ق.م) وتقع تلك الدولة حوالى 20 كلم جنوب شرق الوركاء (تعرف حالياً بالسنكرة)، خلف

(1) قانون ليبيت عشتار كان مكتوباً باللغة السومرية، وهذا يدل على أن اللغة السومرية لا زالت موجودة، وهو موجود الآن فى متحف بنسلفانيا ومتحف الآثار باستنبول.

(2) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الثامن: بلاد الرافدين بعد سقوط مملكة أور الثالثة صفحة 71.

"نبلا نوم" ثلاثة حكام لم يستخدم أى منهم لقب الملك إلى أن جاء الحاكم "جونجونوم" (1906-1932ق.م) الذى أطلق على نفسه "ملك لارسا،ملك سومر وأكاد" وهو الذى استطاع أن يستولى على أور من سيادة دولة إسين.

خلف "جونجونوم" عدد من الحكام أشهرهم "نور أدد" (1850-1865ق.م) و"سين إدينام" (1843-1849ق.م) الذى دخل فى حرب ضد الملك البابلى "سومولاإل" لكن "سومولاإل" هزمه.

بلغت لارسا أوج عظمتها فى عهد "كودورمبوك" وأبنائه، وكلهم من أصول أمورية كانوا يقيمون فى منطقة (يموت بعل) شرق بلاد بابل وكان "كودورمبوك" يدير دولته من يموت بعل.

خلف "كودورمبوك" ابنه "وارادسين" الذى كان مهتماً ببناء المعابد والأسوار لحماية المدن، ثم خلفه أخوه "ريم سين" الذى حكم لفترة طويلة (1763-1822ق.م) اهتم فيها بتوسيع دولته وإنشاء المشروعات العمرانية.

واجه "ريم سين" أخطاراً عديدة من عدة تحالفات ضده مكونة من أوروك وإسين وبابل وبعض القبائل البدوية، لكنه اكتفى باتخاذ إجراءات دفاعية بتدعيم أسوار المدن وإقامة حصون وقلاع على الحدود، بعدها وجه ضربته ضد أعدائه المتحالفين وهزمهم شر هزيمة.

قام "ريم سين" فى سنة حكمة التاسعة والعشرين أو الثلاثين باحتلال إسين وسيطر بذلك على بلاد سومر وأكاد باستثناء بابل، بعدها اهتم بأمور دولته الداخلية حتى عام 1763ق.م، عندما هزمه الملك البابلى حمورابى وسيطر على مملكته، بعدها هرب "ريم سين" إلى يموت بعل مسقط رأسه، فتبعه حمورابى إلى هناك وأسره.

مملكة إشنونا (1760-2020ق.م)[(1)]

نشأت مملكة أشنونا فى منطقة ديالى فى الشمال الشرقى لبلاد الرافدين على يد حاكم يدعى "إيتوريا" عام 2020ق.م عندما انفصلت عن مملكة أور الثالثة فى السنة الثالثة من عهد إبى سين.

---

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الثامن: بلاد الرافدين بعد سقوط مملكة أور الثالثة صفحة 73.

خلف "إيتوريا" ابنه "إلشوإليا" (2000ق.م) ومن بعده "أبيق أدد الثاني" (1840ق.م) ثم ابنه "نارام سين" (1820ق.م) ثم أخوه "داد وشا" (1800ق.م)الذى دُونت على عهده شريعة إشنونا، كُتبت على لوحين طينيين، وكان "داد وشا" على عداء مع الملك الأشورى "إشمى داجان" ومن قبله أبيه شمشى أدد.

خلف "داد وشا" "إبال بيل الثاني"، وقد ساهم هذا الملك فى انهيار الإمبراطورية الآشورية القديمة بعد وفاة "شمشى أدد الأول" ملك آشور، وذلك بمهاجمتها من الجنوب ووصوله حتى الفرات، بعدها دخل "إبال بيل الثاني" فى تحالف مع عيلام ضد بابل وماري، فلما سمع الملك البابلى حمورابى بهذا التحالف قام باحتلال أشنونا وتدميرها نحو 1760ق.م.

ممـالك الأموريـيـن

كما ذكرنا سابقاً أن الأموريين كانوا يسكنون بادية الشام منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وهم عبارة عن قبائل بدوية زحفت شرقاً نحو بلاد الرافدين وانتقلت إلى مرحلة الحضارة، ومع مرور الزمن تكونت لها ممالك:

1.مملكة مارى(1)

تقع مارى فى تل حريرى على الضفة اليمنى لنهر الفرات (شمال شرق سوريا حالياً)، حُكمت بواسطة أسرة أمورية منذ 2000ق.م.

فى 1830ق.م دخل رجل أمورى يُدعى "يجيد ليم" فى صراع مع حاكم أمورى آخر هو "إلاكبكابو" وكان يحكم ترقا الواقعة فى الشمال من مارى، وفى النهاية تمكن "يجيد ليم" من طرد "إلا كبكابو" وتسلم عرش مارى، وأطلق على نفسه الملك، ثم تسلم بعده ابنه "يخلدون ليم" (1810-1825ق.م) ويعتبر "يخلدون ليم" أول ملك من مارى يصل إلى شواطئ البحر (البحر المتوسط). قام الخدم الملكى فى القصر بمؤامرة انتهت بمقتل

---

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل التاسع: الأموريون صفحة 76.

"يخلدون ليم"، وكانت المؤامرة بتحفيز من "شمشى أدد" ابن "إلاكبكابو" الذى لم ينس صراع أسرته القديم مع "يجيد ليم"، بعد مقتل "يخدون ليم"، قام "شمشى أدد" بمهاجمة مارى والاستيلاء عليها فى 1810ق.م، وولى عليها ابنه "يسماخ أدد"، تمكن ابن "يخدون ليم" الآخر المعروف بـ "زمرى ليم" من الهرب إلى مملكة يمحاض (فى حلب) حيث لقى معاملة حسنة من "ياريم ليم الأول" ملك مملكة يمحاض، وانتهت بزواج "زمرى ليم" من "شيبتو" ابنه "ياريم ليم الأول".

بعد وفاة "شمشى أدد" عام 1782ق.م، انهارت إمبراطوريته، وعاد "زمرى ليم" إلى مارى بمساعدة من "ياريم ليم الأول" ملك يمحاض.

بلغت مارى أوج قوتها وازدهارها فى عهد "زمرى ليم" وصارت مارى بسبب موقعها الاستراتيجى المتحكم فى طرق التجارة، وأضاف "زمرى ليم" إلى مصاهرته لملك يمحاض علاقة صداقة مع الملك البابلى "حمورابي" ودخلا فى حلف ضد عيلام وإشنونا.

قام "زمرى ليم" ببناء قصر مارى الملكى الذى يعد من أكبر القصور فى الشرق الأدنى القديم، حيث بلغ طوله 200م وعرضه 120م، وكان يتألف من 300غرفة وكان مزين بالزخارف والرسومات والتماثيل.

بالرغم من العلاقات الصديقة بين "زمرى ليم" و"حمورابي" ملك بابل إلا أن "حمورابي" كان ينتظر الفرصة المناسبة لإسقاط مملكة مارى وضمها إليه، وفعلاً قام "حمورابي" فى السنة الثالثة والثلاثين من حكمه (1759ق.م) بمهاجمة مارى واحتلالها، أما "زمرى ليم" فلا يعرف شيء عن مصيره.

2.المملكة الآشورية الأولى(1)

كانت مملكة آشور الواقعة فى شمال بلاد الرافدين تحت سلطة حكام يحملون أسماء أكادية منذ بداية عام 2000ق.م، واستطاع أحد ملوكها يدعى "إريشوم الأول" (1900ق.م)

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل التاسع: الأموريون صفحة 81.

أن يؤسس مستوطنات تجارية آشورية فى آسيا الصغرى (تركيا حالياً) لتسهل مرور قوافل التجارة من مملكة آشور إلى بلاد الأناضول (فى تركيا الحالية).

بعد هزيمة ملك "مارى إلا كبكابو" على يد "يجيد ليم" ذهب "شمشى أدد الأول" ابن "إلا كبكابو" إلى بلاد بابل ومن هناك قاد جماعات بدوية استطاع بواسطتهم احتلال مدينة إيكالاتوم الواقعة على نهر دجلة على بعد نحو 60كم جنوب آشور، ثم توجه بعدها إلى مدينة آشور التى كانت تحت سلطة "إربشوم الثاني" الذى كان فى عمر الطفولة، استولى "شمشى أدد الأول" على آشور نحو 1815ق.م، ثم بعدها قام بتوسيع مملكته شرقاً وبعدها أوكل أمر المقاطعات الشرقية والجنوبية الشرقية لابنه "إشمى داجان" لصد هجمات بابل وإشنونا وشعوب إيران الجبلية، ثم قام "شمشى أدد" بمهاجمة مدينة مارى نحو عام 1810ق.م واستولى عليها وأوكل أمرها إلى ابنه "يسماخ أدد" الذى كان ضعيفاً مهملاً، بعدها أطلق شمشى أدد على نفسه "ملك الجميع أو العالم" (شاركيشاتم).

كان الملك "شمشى أدد" على خلاف وصراع مع ملك يمحاض "ياريم ليم الأول" الذى لم يستطع "شمشى أدد" على مهاجمته لقوته، بعد وفاة "شمشى أدد" نحو 1782ق.م، خلفه ابنه "إشمى داجان" الذى لم يستطع المحافظة على دولته حيث استطاع "زمرى ليم" من استعادة مدينة مارى بعد عشرين سنة من الحكم الآشورى، وقام "إبال بيل الثاني" ملك إشنونا بمهاجمة المملكة ثم تقلصت المملكة الآشورية إلى دويلة صغيرة لم يعد لها دور يُذكر.

3.المملكة البابلية الأولى.[1]

تقع فى جنوب بلاد الرافدين، وكانت تسمى "باب إليم" فى العهد الأكادى، وتعنى بوابة الإله وتغيرت الكلمة مع الزمن إلى بابل.

تأسست مملكة بابل فى عام 1894ق.م على يد الأمير الأمورى "سومو أبوم" (1881-1894ق.م) الذى وطد مملكته ببناء سور حول مدينة بابل ولكنه مات قبل إنهائه، وقام بتوسيع مملكته فى جميع الجهات فاحتل كيش وسيبار وغيرها.

---

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عبد مرعى، الفصل التاسع: الأموريون صفحة 83.

تولى الملك بعد "سومو أبوم" الملك "سومو لا إل" (1845-1880ق.م) الذى قام بإتمام بناء السور الكبير للمدينة وقام بعدة حملات عسكرية وسَّع خلالها نفوذ بابل، عندها رأى ملك لارسا "سين إدينام" خطر توسع البابليين فقام بحرب ضد "سومو لا إل" فى سنة حكمه الرابعة والثلاثين وتمكن "سين إدينام" من هزيمة "سومو لا إل" ملك بابل وبالتالى استطاع أن يضع حداً لـ"سومو لا إل" خلف "سابيئوم" أباه "سومو لا إل" على عرش بابل (1831-1844ق.م) الذى عاشر شخصيات قوية فى بلاد الرافدين مثل "كودورمبوك" حاكم لارسا وابنه "وارادسين"، "ونارام سين" ملك إشنونا، اهتم "سابيئوم" ببناء المعابد.

اعتلى عرش بابل بعد "سابيئوم" ابنه "أبيل سين" (1813-1830ق.م) تميز عهده بالهدوء والحذر الشديد لوجود شخصيات قوية مثل "ريم سين" ملك لارسا "وشمشى أدد الأول" الذى استولى على حكم آشور.

تولى "سين موباليط" العرش البابلى بعد "أبيل سين" (1793-1812ق.م) الذى عاصر ملكين كبيرين هما "شمشى أدد الأول" ملك آشور و"ريم سين" ملك لارسا، عقد "سين موباليط" علاقات صداقة مع "شمشى أدد الأول" الذى أخضع إشنونا ومارى، أما علاقاته مع "ريم سين" فاتسمت بالسوء.

قضى "سين موباليط" سنوات حكمه فى بناء القلاع الحصينة والمعابد وأسوار المدن وحفر القنوات وإقامة السدود.

خلف الملك "حمورابي" أبوه "سين موباليط" (1750-1792ق.م) الذى صعد ببابل على أوج عظمتها وازدهارها، واتبع سياسة العلاقات الصديقة والانتظار والترقب، فأقام علاقات سلمية مع "شمشى أدد" ملك آشور، وبدعم من "شمشى أدد" حقق حمورابى انتصاراً على أوروك وأسين فى السنة السابعة من حكمة، وقاد حمله على منطقة يموت بعل مسقط رأس "ريم سين" ملك لارسا فى سنة حكمه الثامنة، وفى السنة العاشرة والحادية عشرة حقق "حمورابي" انتصارات على مناطق تتبع لدولة إشنونا.

توفى "شمشى أدد" بعد سنة حكم "حمورابي" العاشرة، فعندها اضطر "حمورابي" إلى تحسين علاقاته مع "ريم سين" ملك لارسا ومع إشنونا وحافظ على علاقاته مع آشور،

وبعد عودة "زمرى ليم" إلى مارى أقام "حمورابي" معه علاقات قوية ودخلا فى تحالف ضد إشنونا وعيلام ودعمتهما مملكة يمحاض وتمكنوا من هزيمة عيلام.

فى السنة الحادية والثلاثين من حكم حمورابى (1763ق.م) قام حمورابى بمهاجمة دولة لارسا وهزم ملكها "ريم سين" وضم لارسا إلى مملكته، وفى السنة التالية (1762ق.م) احتل ودمر إشنونا، وفى السنة (1761ق.م) قام باحتلال مارى وهدم أسوارها بعد سنتين، أما آشور فقد ضعفت بعد موت "شمشى أدد الأول" وتحولت إلى مملكة صغيرة خضعت أيضاً لنفوذ "حمورابي" وهكذا استطاع "حمورابي" فى أواخر سنوات حكمه الذى دام نحو 43عاماً توحيد كل بلاد الرافدين تحت سلطته وهو يحكمها من عاصمته بابل.

اشتهر "حمورابي" بكونه مشرعاً قام بجمع القوانين السابقة وأصدرها فى مجموعة واحدة عُرفت باسم "قانون أو قوانين حمورابي" التى عالجت الكثير من القضايا الاجتماعية والاقتصادية، ويُعتقد أن هذه القوانين جُمعت فى السنة الرابعة والثلاثين من حكمه، قانون حمورابى تألف من مقدمة ومواد قانونية وخاتمة، المواد القانونية مقسمة إلى 282مادة وكانت مستمدة من القوانين السابقة ولكن كان لها ميزة أساسية تقوم على مبدأ العين بالعين والسن بالسن، بينما القوانين السابقة تستعيض بالتعويضات المادية ونظمت الكثير من أمور الزراعة والحرف والتجارة والأسرة والزواج والتبنى والإرث والقضاء وغيره، ويمكن تقديم مواد القانون حسب الموضوعات التى يعالجها إلى ثلاثة عشر قسماً هى:

- المواد 5-1 تتعلق بالقضاء والشهود.
- المواد 25-6 تتعلق بالاعتداء على الملكية.
- المواد 41-26 تبحث فى أمور العساكر واقطاعاتهم من الأراضى.
- المواد 66-42 تبحث فى شئون الزراعة والحقول والبيوت.
- المواد107-88 وتتعلق بالقروض ونسبة الفائدة والتجارة.
- المواد 111-108 تتعلق بساقية الخمر.

- المواد 126-112 تبحث فى الإيداع والدين.
- المواد194-127 تبحث فى شئون الأسرة من زواج وطلاق وإرث وتبنى وتربية.
- المواد214-195 تتعلق بالعقوبات والغرامات عن الأضرار التى تحدث نتيجة شجار الناس بعضهم مع بعض.
- المواد 227-215 تبحث فى أمور الطب والطب البيطرى والوسم.
- المواد 240-228 تتعلق بالأسعار وتحديد أجور بناء البيوت والصناع والرعاة.
- المواد 277-241 تتعلق بتحديد أجور الحيوانات والأجراء.
- المواد 282-278 تعالج موضوع شراء العبيد وعلاقتهم بأسيادهم.

حمورابى اتخذ وسيلة القمع والقوة مع شعبه وخاصة الخارجين عن سلطته، فإن عقوبتهم القتل وبعد مقتلهم يؤتى بحصانين وتجر جثة القتيل وتسحب فى الطرقات حتى يراها الناس، وفى عهده كان الطب شبه معدوم لأن من كان يمارس الطب ويرتكب خطأ فإنه يعاقب بإتلاف عضو من جسمه، ومن يتسبب فى موت مريض فإن عقوبته القتل.

خلف حمورابى ابنه "سمسو إلونا" (1712-1749ق.م) وفى عهده كانت مملكة بابل تواجه أخطاراً من الداخل والخارج، لكن "سمسو إلونا" استطاع أن يقضى على التمردات فى جنوب بابل وأن يوقف الزحف الكاشى القادم من جهة الشرق، وقام فى سنة حكمه الرابعة والعشرين ببناء قلعة دفاعية عند مصب نهر ديالى فى نهر دجلة سماها "قلعة سمسو إلونا" التى ساهمت فى الدفاع عن المملكة ضد الأخطار القادمة من الشرق (الكاشيون).

تابع "أبى أشوخ" (1684-1711ق.م) خليفة "سمسو إلونا" الكفاح ضد الكاشيين، لكن الكاشيين بدأ نفوذهم يكبر وبدءوا بتأسيس سلالة حاكمة لهم تدعى سلاسة خانا فى الفرات الأوسط، ثم أخذت مملكة بابل بالانقسام والتفكك بدءاً من المناطق الجنوبية والشمالية البعيدة عن العاصمة، وعاصرت تلك الانقسامات الملوك الأواخر الضعفاء

أمثال "عمى ديتانا" (1647-1983ق.م) و"عمى صدوقا" (1626-1646ق.م) و"سمسو ديتانا" (1595-1625ق.م).

مع ازدياد ضعف مملكة بابل وتفككها قام الحيثيون بقيادة ملكهم "مورشيلى الأول" فى آخر سنة من حكم "سمسو ديتانا" (1595ق.م)، وكانت مملكة الحيثيين فى الأناضول فى الشمال، قاموا بمهاجمة مملكة بابل وإسقاطها ونهبوا جميع كنوزها ثم انسحبوا عنها لبعدها عن مملكتهم بعد انسحابهم قام الكاشيون بالسيطرة على الحكم فى بابل لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ بلاد بابل، وصارت بلاد الرافدين بيد الكاشيين وشمال بلاد الرافدين بيد الحيثيين.

بلاد بابل فى عهد الكاشيين:[1]

بعد الحملة الحيثية بقيادة ملكهم "مورشيلى الأول" على بابل والقضاء عليها بمساعدة من الكاشيين، لم يبقى الحيثيون فترة فى بابل ثم ما لبثوا أن انسحبوا وتركوا بابل وراءهم بعد أن نهبوا كنوزها، فقام الكاشيين باحتلال بابل وبدأت السيطرة الكاشية على بابل، بينما اكتفى الحيثيون بشمال بلاد الرافدين حيث قاموا ببناء مدينة قرقميش وجعلوها عاصمة لهم.

الكاشيون عبارة عن قبائل قدموا من الشرق من جبال زاغروس إلى بلاد الرافدين وبعد سقوط مملكة بابل على يد الحيثيين وانسحابهم منها سيطر الكاشيون على بابل وكان أول ملوكهم "أجوم الثاني" (بداية القرن 15ق.م) (1480-1499ق.م)، قام "أجوم الثاني" بتوسيع مملكته شرقاً وشمالاً أما جنوباً فلم يستطع فقد حد من توسعه ملك بلاد البحر الذى كان مسيطراً على الجنوب الرافدى.

فى عام 1476ق.م استلم الحكم "كاشتيلياش الثالث" وقام أخوه الأصغر "أولام بورياش" بمهاجمة جنوب بلاد الرافدين أثناء غياب ملك بلاد البحر فى حملة على عيلام فصار الجنوب الرافدى تابعاً للكاشيين.

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل العاشر: بلاد بابل فى عهد الكاشيين صفحة 93.

فى عام 1450ق.م وقعت خلافات على الحدود بين الكاشيين فى بابل والآشوريين فى الفرات الأوسط الذين بدءوا يحتلون مكانة فى بلاد الرافدين لكن تلك الخلافات سويت فى عهد الملك الكاشى "كارا إنداش" وظهرت علاقات صداقة لم تظهر من قبل وهى إقامة علاقة سياسية بين الكاشيين والمصريين عندما قابل "كارا إنداش" فرعون مصر "تحتمس" وقدم له الهدايا بعد احتلال فرعون مصر لسوريا.

اعتلى عرش بابل بعد "كارا إنداش" ابنه "كدشمان خاربي" (1386-1410ق.م) واستمرت علاقته مع المصريين ثم خلفه "كوريجالز" وسلك نفس سياسة من سبقه.

تولى بعد ذلك الحكام الكاشيون وفى نفس الوقت كانت مملكة آشور بدأت تستعيد استقلالها وخاصة عندما قام الملك الآشورى "آشور أوباليط الأول" (نحو1363 -1328ق.م) بإقامة علاقات مع مصر بالرغم من احتجاج الملك الكاشى "بورنابورباش الثاني" وبالتالى نشأ فى الشمال الرافدى قوة جديدة بدأت تنافس الكاشيين على السيادة والنفوذ، واستمر الضعف الكاشى حتى منتصف القرن الثانى عشر قبل الميلاد عندما قضى عليهم العيلاميون خلال حملاتهم المتكررة على بابل.

المملكة الآشورية الوسطى[1]

بعد "آشور أوباليط الأول" (1328-1363ق.م) أول حاكم هام حكم آشور التى بدأت حضارتها تظهر فى نينوى حيث أقام علاقات مع مصر واستطاع مد نفوذ مملكة آشور، واستطاع أحد أحفاده وهو "أدد نيرارى الأول" (1274-1305ق.م) أن يوسع حدود مملكة آشور لتشمل كل أعالى بلاد الرافدين حيث استطاع أن يستولى على مدينة قرقميش ويأخذها من يد الحيثيين، وخلفه ابنه "شلما نصر الأول" (1244-1273ق.م) الذى استطاع أن يهزم ملك مملكة حورى فى الغرب المدعوم من الحيثيين وأسر من قواته حوالى ألف وأربعمائة محارب جلبهم إلى آشور.

---

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الثانى عشر: المملكة الآشورية الوسطى صفحة 107 والفصل الثالث عشر: الإمبراطورية الآشورية الحديثة صفحة 111.

خلف "شلما نصر الأول" الملك "توكولتى نينورتا الأول" (1207-1243ق.م) الذى استطاع أن يحتل بابل ويضمها لمملكته وواصل مد نفوذه حتى وصل من قرقميش فى الغرب إلى أرمينية فى الشرق وحتى البحر (الخليج العربى) فى الجنوب وانتهت حياة "توكولتى نينورتا" باغتياله نتيجة مؤامرة كان على رأسها ابنه وولى عهده.

مرت آشور بعد اغتيال "توكولتى نيتورتا" بفترة من الضعف ولكنها عادت إلى قوتها مرة أخرى على عهد ملكها "تيجلات بيليصر الأول" (1074-1112ق.م) وكان يتمتع بذكاء ومقدرة عسكرية فائقتين، حيث قام بالانتصار على تحالف عسكرى هدَّد حدوده الشمالية وأخذ يوسع نفوذه شمالاً وخاصة بعد سقوط الإمبراطورية الحيثية ثم اتجه غرباً إلى سوريا فاستسلمت له المدن وهو فى طريقه ودفعت له الضرائب وواصل تقدمه حتى وصل البحر بعد "تيجلات بيليصر" عاشت آشور مرحلة من الركود، تراجعت فيها قوتها وخسرت معظم المناطق التى كانت تسيطر عليها، وصاحبها استيطان الكلدانيون (قبائل آرامية) فى منطقة بلاد سومر، ولم يستطع الملوك الآشوريون "آشوررابى الثاني" (-970 1010ق.م) و"آشور ريش إشى الثاني" (965-969ق.م) و"تيجلات بيليصر الثاني" (935-964ق.م) مقاومة القبائل الآرامية، فتقلصت مملكة آشور إلى حدودها الطبيعية، ولكن هذا الوضع تغير على عهد "آشور دان الثاني" (912-935ق.م) الذى قام بتحسين الوضع الداخلى فى آشور ثم قام بمهاجمة بعض القبائل الآرامية المجاورة وحقق انتصاراً عليها، ثم أخذت قوة آشور بالتنامى من جديد على عهد ابنه وخليفته "أدد نيرارى الثاني" (891-921ق.م) الذى قام بحملات عديدة ضد الآراميين واستطاع أن يوسع مملكته ويطلق على نفسه ملك الجميع، ثم تابع ابنه "توكولتى نينورتا الثاني" (884-891ق.م) نفس سياسة أبيه.

اعتلى "آشور ناصر بال الثاني" (859-884ق.م) عرش مملكة آشور وقام بقيادة عدة حملات فى مختلف الجهات الأربعة حتى وصل البحر المتوسط غرباً وقام باحتلال أرمينية وقرقميش وتحولت آشور إلى إمبراطورية، وعلى الصعيد الداخلى، قام "آشور ناصر بال الثاني" بإعادة بناء مدينة كلخو (نمرود حالياً) واتخذها عاصمة له.

خلفه ابنه "شلما نصر الثالث" (824-858ق.م) وكان كوالده محارباً كبيراً، وبقيت المناطق التابعة لآشور تحت حكمه وخاض معركة ضد ملك دمشق "حازا إل" وهزمه فى معركة عند جبل حرمون فهرب "حازا إل" وتحصن فى دمشق ولم يستطع الآشوريون احتلال دمشق لحصانتها القوية.

أوصل "شلما نصر الثالث" آشور إلى درجة كبيرة من القوة لم تعهدها من قبل، ولكن تمرداً حدث عليه فى سنة حكمه الثانية والثلاثين من قبل ابنه "آشور دان أبلي" وانشغلت آشور بهذا التمرد أربع سنوات استنفذت خلالها جزءاً كبيراً من قوتها، وتوفى "شلما نصر الثالث" عام 824ق.م قبل أن يقضى على هذا التمرد، وخلفه ابنه "شمشى أدد الخامس" (810-823ق.م) الذى كان عليه أن يمضى سنتين أخرتين حتى قضى على التمرد أخيه، ويصبح سيد آشور الأوحد، عندما توفى ترك فى الحكم ابنه الصغير "أدد نيرارى الثالث" فحكمت أمه "سمورامات" خمس سنوات (804-809ق.م)، عرفت "سمورامات" فى الأسطورة الأغريقية باسم "سميراميس"، وكانت تتمتع بقدرات كبيرة، الأمر الذى أدى إلى شهرتها وذيوع صيتها، وبقى تأثيرها قوياً فى إدارة الدولة حتى بعد اعتلاء ابنها "أدد نيرارى الثالث" (782-804ق.م) الذى كان عمره وقتها خمس سنوات، اهتم "أدد نيرارى الثالث" بتوطيد النفوذ الآشورى فى المناطق التابعة لها، ولكن الإمبراطورية الآشورية عانت فى أواخر عهده من اضطرابات فى المقاطعات الخاضعة لها. وواصلت فترة الضعف أبناء "أدد نيرارى الثالث" الذين خلفوه بالتتالى، "شلما نصر الرابع" (772-781ق.م) و"آشور دان الثالث" (754-771ق.م) و"آشور نيرارى الخامس" (746-753ق.م)، لكن الوضع تغير عندما استلم الملك "تيجلات بيليصر الثالث" (727-745ق.م) الابن الرابع لـ "أدد نيرارى الثالث" فقد أعاد بقبضته الحديدية الهدوء إلى أرجاء الإمبراطورية، فقد قام فى سنة حكمه الأولى بحملة ضد القبائل الأرامية والكلدانية فى بلاد بابل، ورتب فى حملته الثانية الوضع فى زاغروس، وقام فى حملته الثالثة بالقضاء على المقاومة فى سورية، وانتصر عام 743ق.م على ملك "أورارتو" فى معركة شمال سورية، ثم حاصر أرباد (حالياً تل أرفاد بالقرب من حلب) ودام الحصار من 740-742ق.م وعندما سقطت المدينة ترك ذلك صدى فى أرجاء سورية فجلب له

ملوك قرقميش ودمشق وصور الجزية إلى أرباد. بعدها توجه "تيجلات بيليصر الثالث" نحو الشرق لإخضاع الميديين ونحو الشمال للقضاء على خطر أورارتو.

فى عام 732ق.م استطاع "تيجلات بيليصر الثالث" من إخضاع دمشق تحت حكمه، ونصب عليها حاكماً آشورياً قام بعد ذلك باحتلال المدن الفلسطينية حتى غزة، وفى عام 729ق.م تمكن من إخضاع بابل للسيطرة الآشورية، ثم خلفه ابنه "شلما نصر الخامس" (726-722ق.م) الذى قضى على التمردات فى فلسطين ثم اعتلى عرش آشور أخوه "شاروكين الثاني" (705-722ق.م) الذى بدأ بمهاجمة عيلام ثم اتجه نحو سورية فقضى على التمردات وانتصر على المصريين عام 720ق.م لأن المصريين كانوا يحاولون السيطرة على فلسطين ثم حقق انتصاراً على "أورارتو" فى الشمال واستطاع إخضاع الميديين والفرس تحت سيطرته، ثم قام فى عام 710ق.م بقيادة حملة على تمرد فى بابل قام به "مردوك أبال إدينا" وقبل وصول "روكين الثاني" هرب "مردوك أبال إدينا".

فى عام 705ق.م أُغتيل "شاروكين الثاني" من قبل أحد جنوده وخلفه ابنه "سنحريب" (704-681ق.م) الذى قاد حملة ضد "مردوك أبال إدينا" الذى أعلن نفسه ملكاً فى بابل وتحالف ملك عيلام، استطاع "سنحريب" هزيمة هذا التحالف وبسط السيطرة من جديد على بابل، ثم اتجه بعد ذلك نحو منطقة جبال زاغروس وتلقى الجزية من الميديين.

ثم قام حملة ضد تمرد فى فلسطين بدعم من مصر وانتصر على الجيش المصرى وضم المدن الفلسطينية.

أغتيل "سنحريب" عام 681ق.م، ربما من قبل أحد أولاده، فخلفه ابنه "أسر حدون" (669-681ق.م) فقضى على تمرد قام به إخوته ضده، وبقيت بابل وسوريا تحت سلطة الآشوريين وبدأ "أسر حدون" بشن هجمات على مصر واستطاع هزيمة الكوشيين وهرب قائدهم الفرعون "طهارقا" إلى الصعيد فى مصر ووضع على المناطق التى سيطر عليها فى مصر حاكماً آشوريين وسمى نفسه "ملك ملوك مصر وباتروس وكوش" وتمكن من السيطرة على الدلتا فى مصر.

استغل الفرعون "طهارقا" فرصة انسحاب "أسر حدون" من مصر، فعاد إلى ممفيس عاصمة مصر، فقام "أسر حدون" بالزحف مرة أخرى على مصر عام 669ق.م ولكنه توفى فى الطريق فخلفه ابنه "آشور بانيبال" (626-668ق.م) الذى قاد حملتين مظفرتين على مصر، الأولى عام666ق.م، والثانية عام 664ق.م، ووصل فيها حتى الشلال الأول، ونهب وأخذ غنائم كثيرة إلى آشور، ووصلت الإمبراطورية الآشورية الحديثة أوج عظمتها على عهد "آشور بانيبال" فامتدت من جبال زاغروس شرقاً حتى الشلال الأول فى مصر غرباً، ومن أواسط آسيا الصغرى شمالاً حتى الخليج العربى جنوباً.

فى عام 646ق.م قام "آشور بانيبال" بتدمير سوزة العاصمة العيلامية وأخضع فى الفترة ما بين 638-640ق.م قبائل عربية ودولاً عديدة ثارت ضده.

مرت الإمبراطورية الآشورية بعد موت "آشور بانيبال" (626ق.م) بمرحلة من الضعف والفوضى حكم خلالها ثلاثة ملوك، وفى عام 625ق.م قام الكلدانى "نابو بو لاصار" بالاستيلاء على السلطة فى بابل، وتحالف فيها بعد مع الملك الميدى "كياكسيريس" فى إيران وقاما بمهاجمة بلاد آشور فسقطت آشور بيدهم عام 614ق.م ونينوى عام 612ق.م وهرب آخر ملك آشورى المدعو "آشور أوباليط الثاني" إلى حرّان التى سقطت عام 610ق.م، وفشلت محاولة استعادتها عام 609ق.م على الرغم من المساعدة المصرية التى أرسلها الفرعون "نيخو الثاني"، وهكذا اختفت آشور من التاريخ الرافدى لتبدأ الحضارة البابلية الكلدانية الحديثة بالظهور.

الإمبراطورية البابلية الكلدانية الحديثة[1]

بعد سقوط مدينة آشور بيد الميديين تحالف الكلدانيون فى بابل مع الميديين القادمين من الشرق (إيران) وعزز هذا التحالف زواج "نبوخذ نصر الثاني" ابن "نابو بولاصار" ولى العهد البابلى من إحدى بنات الملك الميدى وبعد سقوط الإمبراطورية الآشورية قُسمت الإمبراطورية بين المملكتين المنتصرتين، فسيطر الميديون على بلاد آشور وشكل المجريان

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الرابع عشر: الإمبراطورية البابلية الحديثة (الكلدانية) صفحة 125.

الأعلى والأوسط لنهر دجلة حدودها الغربية، أما بابل فقد شملت بنفوذها جنوب بلاد الرافدين ووسطها وعيلام وأعالى بلاد الرافدين غرب دجلة، وقفت بذلك وجهاً لوجه أمام المصريين فى سورية.

بدأ "نابو بولاصار" حكمه فى بلاد بابل وبدأت تتجه أنظاره نحو مدينة قرقميش التى كانت خاضعة للمصريين، فقام بإرسال قوات بقيادة ابنه "نبوخذ نصر" لاحتلال قرقميش، نجح "نبوخذ نصر" فى حملته وهزم الحامية المصرية وبدأ بمطاردتها حتى حماة، وبدأت المدن السورية تخضع له دون مقاومة وأثناء مطاردة "نبوخذ نصر" للقوات المصرية وصلته أخبار وفاة والده "نابو بولاصار" فى عام 605ق.م، فعاد مسرعاً إلى بابل ونصب نفسه ملكاً (562-605ق.م)

فى عام 601ق.م قاد "نبوخذ نصر" حملة ضد المصريين بقيادة الفرعون "نيخو الثاني" وتعاون مع المصريين اليهود فى بيت المقدس فوقعت ملحمة كبيرة تكبد فيها الطرفان خسائر جسمية فادحة وأجبرت الطرفين على التراجع، ثم بعدها بسنتين عام 599ق.م قام "نبوخذ نصر" حملة أخرى لكنها كانت موجهة لأورشليم (بيت المقدس) وكان هدف "نبوخذ نصر" هو النيل من اليهود لمساعدتهم المصريين والوقوف إلى جانبهم، قام نبوخذ نصر بحصار أورشليم (بيت المقدس) واحتلالها فى عام 598ق.م وبعد احتلالها نكّل باليهود أيما تنكيل وقام بتخريب هيكل سليمان عليه السلام ونقل جميع التماثيل والأوانى والأباريق إلى عاصمة بابل، واقتاد اليهود أسرى إلى عاصمته وصارت فلسطين تحت حكمه ومن قبلها سوريا.

بعد أن صارت الشام وفلسطين خاضعة لحكم "نبوخذ نصر"، بدأ بالتوجه نحو مصر ولكنه كان يلتقى بالمصريين ولم يستطع أى منهما الانتصار على الآخر، بعدها اكتفى "نبوخذ نصر" بالشام وفلسطين وتوجه الآن إلى بابل ليجعلها تمتلك حضارة لم تعرفها من قبل، فقام ببناء سور حول المدينة يحتوى على تسع بوابات وأبراج دفاعية عالية، ثم قام ببناء "حدائق بابل المعلقة" التى تعد من عجائب الدنيا السبعة.

بعد وفاة "نبو خذ نصر" تولى الحكم ابنه "أويل مردوك" الذى حكم لمدة سنتين (560-562ق.م) واعتلى العرش بعده القائد العسكرى "نيرجال شار أوصور" (559-556ق.م) الذى كدس جهوده بالاهتمام المعابد والقصور وحفر الأقنية، بعد وفاته استلم الحكم ابنه "لاباشى مردوك" الذى حكم لمدة ثلاثة أشهر أُغتيل فى نهايتها، وعيّن الفريق المنتصر "نابونيد" (555-539ق.م) ملكاً على بابل، كانت أم "نابونيد" كاهنة "سين" - إله القمر - فى حرّان، وحاول "نابونيد" أن يجعل عبادة "سين" - إله القمر - العبادة الرئيسية بدلاً من عبادة مردوك إله بابل، نتيجة لذلك نشب صراع بين كهنة "مردوك" وجماعة "نابونيد" وثار معظم البابليون الكلدانيون إلى جانب كهنة "مردوك" مما اضطر "نابونيد" إلى الهرب إلى واحة تيماء فى شبه الجزيرة العربية.

بقى "نابونيد" فى تيماء ولم يجبره على الرجوع إلا عندما سمع بظهور "قورش الثاني" مؤسس الإمبراطورية الأخمينية على حدود مملكته الشرقية.

حاول "نابونيد" الوقوف فى وجه "قورش الثاني"، لكن بابل الناقمة على مليكها وخاصة كهنة الإله "مردوك"، فتحوا أبواب بابل مرحبين بالعاهل الفارسى، ورأوا فيه مخلصاً لهم وكان ذلك فى عام539ق.م، وتم أسر "نابونيد" فى بابل. بسقوط بابل بيد الملك الفارسى "قورش الثاني" اختفت المملكة البابلية الكلدانية وبدأت مرحلة الاحتلال الفارسى لبلاد الرافدين الذى دام حتى عام 333ق.م

الحكم الفارسى لبلاد الرافدين[1]

بعد احتلال الملك الفارسى "قورش الثاني" لمدينة بابل، واصل "قورش الثاني" احتلاله لبقية المدن فى بلاد الرافدين ولكنه مات قبل أن يسيطر عليها بالكامل فخلفه الملك الفارسى "قمبيز" الذى استطاع أن يخضع كل مدن الشرق الأدنى تحت السيطرة الفارسية الأخمينية.

(1) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م للدكتور عيد مرعى، الفصل الرابع عشر: الإمبراطورية البابلية الحديثة (الكلدانية) صفحة 131.

توالى الحكام الفارسيون على حكم بلاد الرافدين حتى عام 405ق.م عندما حكم "أرتاكسيريكس الثاني" الفرس وبلاد الرافدين (359-405ق.م) وصاحب عهده ثورة قام بها أخوه "قورش الصغير" ضده حيث قام "قورش الصغير" بقيادة حملة مكونة من عشرة آلاف مرتزق يونانى ولكن هذه الحملة منيت بالهزيمة بعد مقتل "قورش الصغير" بعدها عاد المرتزقة اليونان إلى بلادهم بقيادة كزينوفون.

بعد وفاة "أرتاكسيريكس الثاني"، تولى الحكم الفارسى "داريوس الثالث" (358 -333ق.م) فى عهد "داريوس الثالث" يأتى "الإسكندر المقدوني" (ذو القرنين) وكان أغريقى الأصل[1]،الذى استولى فى رحلته المشهورة على مصر وفلسطين والشام، بدأ "الإسكندر المقدوني" مغامرته فى ربيع 334ق.م بموقعة نهر جرانيقوس التى فتحت له أبواب أسيا الصغرى (تركيا الحالية) ثم توجه بعد ذلك إلى سوريا حيث تمكن من هزيمة قوات الملك الفارسى "داريوس الثالث" فى معركة أسوس عام 333ق.م ويستمر "الإسكندر الأكبر المقدوني" فى طريقه جنوباً حيث تمكن من فتح صور وغزة ثم ينحدر إلى مصر التى دخلها فى عام 332ق.م دون معركة ليحررها من السيطرة الفارسية ثم توجه بعد ذلك صوب بلاد الرافدين حيث تمكن من فتحها ويعقب ذلك فتح بلاد فارس فى عام 330ق.م وبالتالى دخلت بلاد الرافدين وبلاد فارس تحت حكم الإغريق، ثم واصل "الإسكندر المقدوني" رحلته حتى وصل شواطئ بحر قزوين فى عام 329ق.م وتمكن من إخضاع الهند تحت سيطرته فى عام 327ق.م ليتوقف هنا كآخر حد لفتوحاته ثم يعود بعد ذلك إلى بابل حيث يموت فى عام 323ق.م بعد إحدى عشر سنة من حياة المعارك[2].

بعد موت "الإسكندر المقدوني"، ترك زوجته "روكسانا" حاملاً وانقسمت إمبراطوريته على شكل ثلاث تيارات.

---

(1) الإسكندر المقدونى (ذو القرنين) ليس المقصود به ذا القرنين المذكور فى القرآن الكريم فى سورة الكهف فهذا إغريقى الأصل وذوالقرنين المذكور فى القرآن الكريم (سورة الكهف) عربى الأصل من اليمن حكم الأرض بأكملها بقدرة من الله تعالى وهو أول من اكتشف أن الأرض كروية الشكل لأنه فى رحلته كان يدور حول الأرض.

(2) دراسات فى العصر الهلنستي للدكتور لطفى عبد الوهاب يحى، الباب الثالث: مقدونيا والاسكندر وقيام العصر الجديد، فصل: ظهور مقدونيا والسيطرة على اليونان والشرق، صفحة 64.

التيار الأول: يرى أن تبقى الإمبراطورية تحت حكم فيليب والد الإسكندر المقدونى بحيث يتولى "ارهيدايوش" -الأخ غير الشقيق للإسكندر المقدونى الذى عرف بـ فيليب الثالث- حكم الإمبراطورية ويكون وصياً عليها إذا ولدت "روكسانا" ذكراً، أيد هذا التيار الكثير من القادة أمثال "يومينيس" "وبرديكاس" و"أنتيباتروس" و"بوليبرخون"، وولدت "روكسانا" ولداً ذكراً وأصبح شريكاً لفليب الثالث تحت اسم الإسكندر الرابع وجعلوا "برديكاس" قائداً عاماً للجيش.

التيار الثانى: يرى الإبقاء على وحدة الإمبراطورية تحت بيت "أنتيجونوس" لا بيت فيليب والد الإسكندر، وتزعم هذا التيار "أنتيجونوس" وابنه "ديمتريوس".

التيار الثالث: يرى تقسيم الإمبراطورية بين قادات الجيش، ومن مؤيدى هذا التيار "سليوقوس" الذى سيصبح ملكاً، و"بطليموس" الذى سيؤسس دولة البطالمة فى مصر.

دب الصراع بين التيار الأول والثانى وانتهى بانتصار التيار الثانى بقيادة "أنتيجونوس" بعد خيانات متكررة من بيت فيليب أدت إلى مقتل أم الإسكندر المقدونى "أوليمبياس" فى عام 317ق.م وسجن الإسكندر الرابع "ابن الإسكندر المقدوني" وتم القضاء على التيار الأول بعد أن سيطر "أنتيجونوس" وابنه "ديمتريوس" على الإمبراطورية المقدونية، بدأت الصدامات بينه وبين "سليوقوس" و "بطليموس" الذين أيدا تقسيم الإمبراطورية، فى عام 312ق.م كانت معركة غزة التى انتصر فيها "بطليموس" على "ديموتريوس"، وفى عام 306ق.م كانت معركة سلاميس فى قبرص وانتهت بانتصار "ديموتريوس"، بعدها حدثت انفصالات عدة فكل قائد أعلن نفسه حاكماً على الولاية التى ولى عليها.

صارت سوريا تحت حكم "سليوقوس" ومصر تحت حكم "بطليموس" ومن هنا تبدأ دولة البطالمة فى مصر.

حاول "انتيجونوس" توحيد إمبراطوريته لتكون نهايته فى عام 301ق.م فى موقعة أبسوس فى آسيا الصغرى، أما ابنه "ديمتريوس" فقد هرب.[1]

---

(1) دراسات فى التاريخ الهلنستى للدكتور لطفى عبد الوهاب يحى، الباب الثالث: مقدونيا والإسكندر وقيام العصر الجديد، فصل: نهاية الإسكندر وقيام حكم خلفائه صفحة 85.

استمر التأثير اليونانى فى تلك المناطق وخاصة مدينة سلوقيا[1] التى بناها أحد قادة الإسكندر المقدونى، إلا أن الفرس سرعان ما عادوا حيث قام البارثيون من الفرس بالإطاحة بالدولة السلوقية وتأسيس مدينة سطيسنون على النهر.

فى عام 200ق.م.

قام الساسانيون من الفرس بمهاجمة مدينة سطيسنون واتخذوها عاصمة لهم وبنوا الطاق الآجرى العظيم[2] واستمرت دولتهم لمدة أربعة قرون شهدت فيها البلاد رخاء وازدهرت فيها التجارة[3].

سكان العراق الأوائل3000 ق.م.

كان يسكن العراق السومريون وسميت بالدولة السومرية.

وهذه الدولة السومرية لم تعرف لها حضارة.

فى أواخر 3000ق.م. وأوائل 2000ق.م.هاجرت قبائل سامية نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام حيث وجدوا السومريين أمامهم فتأثروا بحضارتهم ولغتهم.

فى النصف الثانى من 2350 ق.م. استطاع البابليون والآشوريون الأوائل أن يكونوا مملكة وحكم هذه المملكة سرجون الأول واستطاع مد نفوذه حتى بلغت مملكته العراق والشام وأجزاء فى شبه الجزيرة، وعرفت هذه الدولة بالدولة السامية أو الدولة الموحدة ومن أشهر المدن فى ذلك العصر مدينتى أور وكيش.

فى عام 2000 – 1000 ق.م.

سيطر البابليون على الدولة السامية ومن أشهر حكامها حمورابى فى القرن الثامن عشر ق.م. وكان حمورابى سياسياً مشرعاً (قانونياً)، بينما استقر الآشوريون بين النهرين (دجلة والفرات).

---

(1) سلوقيا مدينة تقع جنوب مدينة بغداد.

(2) الطاق الآجرى العظيم منظر أثرى يمكن مشاهدة آثاره فى هذه الأيام.

(3) العراق من الانتداب إلى الاستقلال لـ. اللورد لويد دولبران، المقدمة التاريخية صفحة 15.

حمورابى: غازى من أكبر الغزاة يرجع إلى سلالة الجهة الغربية لبلاد الرافدين واتخذ وسيلة القمع والقوة مع شعبه خاصةً الخارجين عن سلطته، وفى عهده كان الطب شبه معدوم لأن من كان يمارس الطب ويرتكب خطأ فإنه يعاقب بإتلاف عضو من جسمه ومن يقتل مريضاً فإن عقوبته القتل، وبعد مقتله يؤتى بحصانين وتسحب جثة القتيل فى الطرقات حتى يراه الناس.

بنا حمورابى مدينة بابل وجعلها عاصمة لمملكته واهتم بها أيما اهتمام وجعلها من أشهر حواضر العالم وصارت مدينة بابل أكبر مركز تجارى بين الشرق والغرب.

القرن السادس عشر ق.م.:

وفدت قبائل غير سامية:

من الشرق وهم الكشيون.

ومن آسيا الصغرى (تركيا حالياً) وهم الحيثيون.

هاجم الكشيون مملكة بابل وخربت بابل بينما هاجم الحيثيون ممتلكات البابليين فى شمال العراق وبنوا مدينة قرقميش واهتموا بها وجعلوها عاصمة لهم وبقى البابليون تحت حكم الكشيين والحيثيين.

استقر الكشيون فى شرق نهر دجلة بينما استقر الحيثيون فى شمال العراق وبقيت قرقميش عاصمة لهم.

كان الآشوريون قد استقروا بين النهرين (دجلة والفرات) وخاصة بعد أن حكم البابليون الدولة السامية كما ذكرنا سابقاً.

فى القرن 14 ق.م.

بدأت قوة الآشوريين تزداد وكانت دولتهم حربية عسكرية واتخذوا من نينوى حاضرة لهم فقاموا باحتلال بابل من الكوشيين والحيثيين واشتهرت دولتهم بالتقدم فى الطب والفلك والرياضيات.

فى القرن 13 ق.م.

هاجم الميديون من هضبة إيران الآشوريين واستولوا على حضارتهم فى نينوى، وعلى إثر ذلك استقلت الدولة البابلية عن نينوى وظهرت الدولة البابلية الحديثة والتى سميت بالدولة الكلدانية (538-626ق.م) واشتهروا باتقانهم لعلم الفلك ومن أهم ملوكهم بختنصر (أو نبوخذ نصر) الذى قام بتخريب بيت المقدس والهيكل ونقل التماثيل والأوانى إلى بابل وقام باضطهاد اليود فى بيت المقدس (إيليا) طبعاً قبل احتلال بيت المقدس قام الكلدانيون باحتلال نينوى من الميديين وقاموا ببسط نفوذهم فى الشام وفلسطين.

فى سنة 538ق.م.

هاجم الفرس الدولة البابلية (الكلدانية) بقيادة كورش الثانى وأقاموا دولة تعرف بالدولة الكلدانية والتى امتدت إلى الشام وفلسطين، فى هذه الفترة أعطى الفرس حكم ذاتى لليهود فى فلسطين واستمرت دولة الفرس حتى القرن 4ق0م

فى القرن الرابع ق.م. (332ق.م.):

يأتى الإسكندر المقدونى (ذو القرنين) الذى استولى على الشرق الأوسط فى رحلته المعروفة فى التاريخ، الإسكندر المقدونى كان حاكم الإغريق وبالتالى دخلت العراق تحت حكم الإغريق وغيرها من الدول مثل مصر والشام وفلسطين وإيران والهند.

بقى العراق تحت حكم الإغريق إلى أن مات الإسكندر المقدونى عام 323ق.م فى مدينة بابل واستمر التأثير اليونانى فى تلك المناطق وخاصة فى مدينة سلوقيا (4) التى بناها أحد قادة الإسكندر المقدونى، إلا أن الفرس سرعان ما عادوا حيث قام البارثيون من الفرس بالإطاحة بالدولة السلوقية وتأسيس مدينة سطيسنون على النهر.

فى عام 200 ق. م.

قام الساسانيون من الفرس بمهاجمة مدينة سطيسنون وجعلوها عاصمة لهم وبنوا الطاق الآجرى العظيم (1) واستمرت دولتهم لمدة أربعة قرون شهدت البلاد رخاء وازدهرت فيها التجارة.

فى القرنين الأولين من الميلاد:

سيطر الفرس على العراق وصارت تحت حكمهم، وكانت هناك قبائل عربية تسكن اليمن ومنتشرة فى شبه جزيرة العرب هذه القبائل بدأت بالهجرة إلى العراق، ولكنها خلال هذين القرنين بقيت تحت الحكم الفارسى ولم يكن لهم شأن حتى بدأت قبيلة قحطانية تكبر وتنتشر فى العراق وبدأ العرب بالتجمع حولها وهى قبيلة المناذرة.

فى القرن الثالث بعد الميلاد:

بدأت قبائل عربية تحتل مكانة فى العراق وتسمى هذه القبائل المناذرة (من هم ؟).

المناذرة[1]: قبائل من أصل يمنى من لخم هاجرت إلى الشمال (إلى بلاد الرافدين) سكنوا العراق ولكن شوكتهم بدأت تكبر فى عهد ملكهم جذيمة الأبرش الذى قام بتحسين العلاقات مع الفرس، أى أن قبائل المناذرة كانت قبائل امتازت بحكم ذاتى لكنها تحت اللواء الفارسى.

(قبائل المناذرة تحت اللواء الفارسى ويقابلها الغساسنة تحت اللواء الرومى، وسنرى الصراع بين هاتين القبيلتين).

بالنسبة لمملكة المناذرة سنتطرق لأشهر ملوكها وأهم الأحداث التى وقعت فيها.

فى عام 241م:

تولى حكم المناذرة عمرو بن عدى (ابن اخت جذيمة بن الأبرش المؤسس الفعلى لدولة المناذرة).

كان عمرو بن عدى يدين بالولاء الكامل للفرس، ثم تولى من بعده ابنه امرؤ القيس وكان سياسياً كبيراً حيث استطاع أن يقيم علاقات مع الفرس والروم كلتيهما،

---

(1) العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف الفصل الثانى: العصر الجاهلى، الإمارات العربية فى الشمال (الغساسنة- المناذرة- كندة) صفحة 40.

أما الذين خلفوه فكانوا يدينون بالولاء للفرس فقط، بعد وفاة امرئ القيس تولى ابنه عمرو الحكم الذى كثرت فى عهده الاضطرابات انتهت بأن قام كسرى الفرس " سابور ذو الأكتاف - صاحب الحملة الدموية ضد العرب التى قام فيها بخلع كتفى كل من وقع أسيرا فى يديه من العرب " بتولية " أوس بن قلام " الذى لم يكن من بنى لخم ولكن سرعان ما قتل وعاد الحكم لـ " امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس "(1).

ومن أهم ملوك المناذرة:

النعمان الأعور او السائح:

تولى الملك عام 399م فى عهد كسرى الفرس يزدجرد الأول، وكان للنعمان جيش قوى يتألف من كتيبتين وهما الشهباء والدوسر، وكان المناذرة يشتهرون بالفروسية والصيد مما اضطر يزدجرد الأول أن يرسل ابنه بهرام جور لتعلم الصيد والفروسية عند العرب.

بنا النعمان قصرين عظيمين هما الخورنق والسَّدير.

فى عام 420م:

مات يزدجرد الأول وحاول الفرس أن يسلموا الحكم لغير ابنه بهرام جور ولكن النعمان وقف إلى جانبه ومده بالجيش حتى استطاع بهرام جور استرداد عرشه مما جعل شأن المناذرة يكبر عند بهرام جور وأصبحت طرق القوافل والتجارة متبادلة فيما بينهم والعلاقات السياسية فى أوج عظمتها وبدأت مملكة المناذرة تنافس حليفتها مملكة الغساسنة فى الترف.

بعد وفاة النعمان الأعور تولى ملوك على دولة المناذرة ولكن ليس لهم شأن عظيم.

فى عام 514م:

تولى المنذر بن ماء السماء (اسمه المنذر بن امرئ القيس ماء السماء نسبة إلى أمه) ملك المناذرة، وفى بداية ملكه ساءت العلاقة بينه وبين كسرى الفرس قباذ والسبب لأن قباذ

---

(1) دراسات فى التاريخ القديم لأستاذ التاريخ القديم " محمد بيومى مهران " الفصل الثامن عشر، المناذرة ص 517 . 535.

كان يدين بالمزدكية[1] وحاول أن يفرضها على المناذرة ولكن المنذر رفض الاعتراف بهذه الديانة.

عندها قام قباذ بعزل المنذر بن ماء السماء وولى بدلاً عنه الحارث بن عمرو بن حُجر (حُجر كان يلقب بآكل المرار وهو المؤسس الفعلي لمملكة كندة في نجد والحارث هو جدُ امرئ القيس[2]).

س:كيف ولى قباذ الحارث بن عمرو على المناذرة ؟

بعد الخلافات التي وقعت بين قباذ والمنذر بن ماء السماء حول المزدكية هاجم الحارث بن عمرو المنذر بن ماء السماء واستطاع أن ينتصر عليه في غير وقعة ويفرق جنوده عند ذلك كافأه قباذ بأن أعطاه ولاية مملكة المناذرة ولم يفرض عليه المزدكية كما فعل مع المنذر سابقاً.

ولكن سرعان ما تطورت الأمور فتوفى قباذ وخلفه كسرى أنو شروان وكان يكره المزدكية فأعاد المنذر بن ماء السماء إلى حكم الحيرة (في العراق) فنشبت بين المنذر والحارث بن عمرو الكندي معارك شديدة انتهت بهزيمة ومقتل الحارث بن عمرو وأربعين أميراً من بيته وهكذا عاد المنذر بن ماء السماء إلى حكم دولة المناذرة، وامتاز بين العرب أن لديه يوم سعد ويوم تعس في يوم السعد يوم أول شخص يصل إليه يكرمه، وفي يوم التعس يقتل أول من يراه، (من الذين قتلوا في يوم التعس الشاعر عبيد بن الأبرص)[3].

أهم الأحداث التي وقعت في عهد المنذر بن ماء السماء:

- *يوم طُخفة*[4]*:*

هذه الوقعة بين المنذر وبني يربوع (إحدى قبائل تميم) وسبب هذه الوقعة أن الرادفة (الوزارة) كانت لعتاب بن هرمي اليربوعي عند المنذر ولما مات عتاب أبي المنذر أن يأخذ

---

(1) المزدكية: ديانة إباحية تحلل نكاح المحارم.
(2) امرؤ القيس: الشاعر الجاهلي صاحب معلقة (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)
(3) عبيد بن الأبرص: شاعر جاهلي من بني أسد كان يمدح الملوك وينادمهم وبعد مقتل حجر الكندي ملك كندة على يد بني أسد انتقل إلى منادمة ملك المناذرة المنذر بت ماء السماء وقرر الانتقال إلى نعيم المنذر بن ماء السماء لكنه قابل المنذر في يوم التعس فأمر المنذر بضرب عنقه فمات بهذه الطريقة.
(4)أيام العرب في الجاهلية لـ محمد أحمد المولى بك وعلى محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، فصل: أيام القحطانيين والعدنانيين، يوم طخفة صفحة 94.

الردافة ابن عتاب لصغر سنه ورأى أن يوليها لواحد من كبار السن فى بنى يربوع لكن بنى يربوع أبوا إلا أن تكون لولد عتاب فهددهم المنذر بالحرب وأرسل لهم جيشا بقيادة قابوس ولكن بنى يربوع كمنوا لجيش قابوس فى شعب بطفخة وعندما مر جيش قابوس أغار عليه بنو يربوع وهزموهم وأسروا منهم عدداً كبيراً حتى القائد قابوس أسر فأرسل إليهم المنذر يستعطفهم ويرد الوزارة لمن شاءوا من رجالهم والفدية للأسرى كل واحد بألفين من الإبل.

- ***يوم أوارة الأول***[1]:

بعد أن فرغ المنذر وأقام الصلح مع بنى يربوع، كان سلمة بن الحارث الكندى والياً على تغلب فخرجت عليه تغلب ولجأت إلى المنذر، أما سلمة فلجأ إلى قبيلة بكر بن وائل فاستقبلوه وأمدوه بالجيش فأرسل المنذر إلى بكر بن وائل أن تدخل تحت طاعته مثلما دخلت تغلب تحت طاعته لكن بكر بن وائلا أبت وأخذتها العزة فأقسم المنذر إن ظفر بهم ليذبحنهم عند جبل أوارة حتى يبلغ دمهم الحضيض أسفل الجبل فنشبت الحرب بينهم وانتصر المنذر وأسر منهم عدداً كبيراً وأمر بذبحهم عند جبل أوارة فذبحوا جميعهم ولكن الدم تجمد ولم يبلغ أسفل الجبل فأمر رجل من أتباعه أن يصب الماء على الدم وبذلك يكون أبر بقسمه ففعل ذلك وبلغ الدم الحضيض (أسفل الجبل).

- ***دولة المناذرة كانت فى العراق (الحيرة) ودولة الغساسنة فى الشام ودولة كنده فى نجد.***

ملك الغساسنة كان الحارث بن جبلة الغسانى (الأعرج) ملك كندة كان حُجر بن الحارث بن آكل المرار الكندى وكان المنذر بن ماء السماء يطمح أن يكون ملك العرب ففكر فى حيلة لإسقاط مملكة كندة فرأى أن قبيلة بنى أسد تريد الانفصال عن مملكة كندة والاستقلال بحكم ذاتى وخاصة بعد أن أمر حُجر الكندى بسجنهم لامتناعهم من إعطاء الجزية له، ثم أطلق سراحهم بعد أن تعهدوا بإعطائه الجزية دون تأخر.

---

(1) أيام العرب فى الجاهلية لـ. محمد أحمد المولى بك وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، فصل: أيام القحطانيين والعدنانيين، يوم أوارة الأول صفحة 99.

استطاع المنذر أن يأسر أقارب الملك حُجر فى غير وقعة وأن يقتادهم إليه وعندما رآهم بين يديه أمر بقتلهم جميعاً.

وقد لعب الشاعر عبيد بن الأبرص من بنى أسد دوراً فعالاً مع المنذر بن ماء السماء لعمل الخطة للقضاء على ملك حجر الكندى بعد أن أعدوا له وليمة ووعدوه بإعطائه الجزية ولكنهم ثاروا عليه وقتلوه وعلم ابنه امرؤ القيس (الشاعر المعروف) فحاول الثأر منهم واستطاع النيل من بنى أسد فى وقعة ولكنه لم يستطع استرداد ملكه وبهذا سقطت مملكة كندة[1].

بعد مقتل الملك الكندى حُجر أمر المنذر بن ماء السماء بنى أسد أن يؤدوا له الجزية التى كانت مفروضة عليهم من قبل الملك حُجر وأن تكون بنو أسد تابعة لمملكة المناذرة أو الحرب وتحت هذا الضغط صارت قبيلة بنى أسد تابعة لحكم المناذرة.

بعد ما انتهى المنذر بن ماء السماء من مملكة كندة اتجه إلى مملكة الغساسنة فى الشام وكان يحكمها الحارث بن جبلة فأرسل له رسالة فى مضمونها أن يعترف الحارث بأن المنذر بن ماء السماء ملك العرب ويعطيه الجزية وإما الحرب فكان الرد بالرفض وقيام الحرب واتفق الطرفان على أن تكون المعركة عند عين أباغ التقى الطرفان ونشبت المعركة بينهم وانتصر الحارث بن جبلة وقتل المنذر بن ماء السماء فى معركة عين أباغ فى عام 554م [2].

بعد المنذر بن ماء السماء تولى ابنه المنذر وكان يلقب بالأسود وعندما استقر له الملك حرك جيشاً إلى الغساسنة طالباً بثأر أبيه فالتقى مع الحارث بن جبلة فى معركة شديدة دامت أياماً عندها ذهب الحارث على ابنته حليمة وطلب منها أن تتزين وخرجت على جيشه فنادى فى الجيش أن من يقتل المنذر الأسود يزوجه ابنته حليمة، مالت الكفة لصالح الغساسنة واستطاع لبيد بن عمرو الغسانى أن يقتل المنذر الأسود ويحتز رأسه ويفوز بيد

(1) أيام العرب فى الجاهلية لـ محمد أحمد المولى بك وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، فصل: أيام القحطانيين والعدنانيين، يوم حجر صفحة 112.

(2) أيام العرب فى الجاهلية لـ محمد أحمد المولى بك وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم= =فصل أيام القحطانيه فيما بينهم، يوم عين أباغ صفحة 51.

حليمة وسميت هذه المعركة بوقعة يوم حليمة[1].

فى عام 554م:

تولى بعد ذلك على المناذرة ابن المنذر بن ماء السماء الثانى وهو عمرو بن هند (نسبة إلى أمه) فأبرم اتفاقاً مع الغساسنة على السلم وأطلق الأسرى المناذرة الذين أسروا فى معركة عين أباغ ويوم حليمة بناء على هذا السلم.

من أهم الأحداث فى عهد عمرو بن هند يوم أوارة الثاني[2] وذلك أن عمرو بن هند أرسل ابناً له عند زرارة بن عدس التميمى ليعلمه فرأى ابن عمرو ناقة جميلة فرماها بسهم وأكل منها وكانت الناقة لرجل يدعى سويد التميمى فعلم بمقتل ناقته فذهب إلى ابن عمرو بن هند فقتله، لما علم عمرو بن هند بالأمر أقسم ليقتلن منهم مائة رجل فبعث رجاله وأتوه بتسعة وتسعين رجلا وأمر بحرقهم جميعاً فى النار عند جبل أوارة فجاءه رجل وسأله من أين أنت؟ فقال له: أنا رجل من البراجم فأمر بقذفه فى النار ليكون تمام المائة لأن البراجم يعودون إلى تميم.

كان عمرو بن هند شديد البأس، كثير الفتك وهو من أمر عامله فى الاحساء بقتل طرفة بن العبد بسبب القصيدة التى انتقد طرفة عمرو بن هند فيها.

قصة وفاته:

قال عمرو بن هند لجلسائه هل تعلمون أن أحداً من العرب يرفض أن تخدم أمه أمى فقالوا: لا نعلم إلا عمرو بن كلثوم فأمه ليلى بنت المهلهل وعمها كليب، فدعا عمرو بن كلثوم لزيارته هو وأمه، وأمر أمه هند أن إذا فرغتى من الطعام وأردتى شيئا فاطلبى ليلى أن تعطيك إياه، جاء عمرو بن كلثوم ومعه أمه، فلما فرغت هند من الطعام سألت ليلى أن تناولها الطبق فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فألحت عليها، فقالت: واذلاه،

---

(1) أيام العرب فى الجاهلية لـ محمد أحمد المولى بك وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، فصل: أيام القحطانيه فيما بينهم، يوم حليمة صفحة 54.

(2) أيام العرب فى الجاهلية لـ محمد أحمد المولى بك وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، فصل: أيام القحطانيين والعدنانيين، يوم أوارة الثانى صفحة 100.

فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فقام إلى سيف عمرو بن هند وهو السيف الوحيد المعلق وأخذه وقام بقتل عمرو بن هند فى عام 569م، ونادى ابن كلثوم فى تغلب فقام كل الرجال الذين أتوا معه وقاتلوا قليلاً ثم فروا ثم تولى بعد عمرو بن هند عمرو قابوس ثم المنذر الرابع لم تطل مدتهما فى الحكم ولم يواكبهما أحداث مثيرة.

فى عام 571م مولد الرسول صلى الله عليه وسلم.

فى عام 580م:

تولى النعمان الثالث بن المنذر الرابع المكنى بأبى قابوس ملك الحيرة.

أثناء ملك النعمان كان عدى بن زيد وزيراً عند كسرى الثانى ونقلت أخبار إلى النعمان أن عدى فيه مكر وخديعة فخاف منه النعمان وقام بدعوته، فأقبل إليه عدى فى الحيرة وعندما استقبله النعمان زج به فى السجن فعلم كسرى بسجن عدى فأرسل إلى النعمان أن يطلق سراحه ولكن قبل أن يصل الكتاب إلى النعمان كان قد أمر النعمان بقتل عدى فقتل عدى قبل أن يصل الكتاب وعندما وصل الكتاب للنعمان قرأه فوجد ما فيه فندم على فعلته وأرسل كتاب اعتذار إلى كسرى ومع الكتاب ولدْ عدى زيد بن عدى، فرضى كسرى بذلك.

سأل كسرى زيد عن امرأة عربية كاملة الجمال تكون زوجة له فأجابه زيد أنه لا يعرف امرأة بهذا الجمال إلا بنت النعمان ملك الحيرة، فأرسل كسرى فى طلب بنت النعمان من أبيها النعمان لكن النعمان رد بأننا نحن العرب لا نزوج بناتنا من الأعاجم، فعندها غضب كسرى وأرسل إليه كتاباً يحوى تهديداً شديداً وطلب فيه القدوم على كسرى، أحس النعمان بأن كسرى يتوعده بالقتل فعندها أخذ يتجول على قبائل العرب لطلب النصرة ولكن قبائل العرب كانت تهاب الفرس، فعندها قرر النعمان الذهاب إلى كسرى ومواجهة الموت بدلاً من الذل والتهرب من كسرى، عندما قدم على كسرى أمر كسرى بسجنه وقتله، فقتل النعمان واستعمل إياس بن قبيصة الطائى على الحيرة.

عندما علمت بنت النعمان بمقتل أبيها خاطبت جميع قبائل العرب فثارت الحمية عند بكر بن وائل وبنى شيبان وبنى عجل وغيرهم من قبائل العرب والتقى الجيشان،

جيش الحيرة ومن معهم من قبائل العرب وجيش الفرس ومن معهم من القبائل الموالين لهم بقيادة إياس بن قبيصة عند ذى قار

واقتتل الطرفان وانتصر العرب على الفرس فى هذه المعركة التى عرفت بمعركة ذى قار عام 602م[1].

بعدها ظلت الأمور مضطربة بين الفرس وملوك الحيرة بعد أن فر إياس بن قبيصة خوفاً من بطش كسرى الثانى.

سقطت مملكة المناذرة وسيطر الفرس على العراق واتخذوا من المدائن عاصمة لهم فى العراق وبالتالى انتقلت مملكة الفرس من إيران إلى العراق وصارت الفرس فى العراق بعد زوال المناذرة، فأصبح الفرس يحكمون فى العراق وفى إيران.

---

(1) أيام العرب فى الجاهلية لـ محمد أحمد المولى بك وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، فصل: أيام العرب والفرس، يوم ذى قار صفحة 6.

الفصل الثاني

العراق فى عهد صدرالإسلام وعهد الخلفاء الراشدين

فى عام 610م بدأت بعثة النبى محمد صلى الله عليه وسلم وتبشيره بالنبوة.

وفى عام 620م غزا الفرس الروم فى فلسطين وانتصر الفرس بقيادة كسرى الثانى ووقف اليهود إلى جانب الفرس وقاتلوا معهم.

فى عام 622م الهجرة النبوية الشريفة الى المدينة المنورة.

فى عام 627م (5 هجرى) بعد 7 سنوات من احتلال الفرس لفلسطين قام الروم باسترداد فلسطين من الفرس.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ③ فِي بِضۡعِ سِنِينَ.. ④﴾ [الروم].

فى عام 6 هجرية (628م):

أرسل الرسول ﷺ عبدالله بن حذافة السهمى إلى كسرى برويز، فقرأ الرسالة فرأى أن الرسول بدأ باسمه قبل اسم كسرى فمزق كسرى الرسالة ولما وصل الخبر إلى الرسول دعا عليه (مزق الله ملكه).

وكانت اليمن تحكم من قبل الفرس وكان واليها اسمه باذان، فأرسل باذان إلى الرسول يهدده فأخبره الرسول أن كسرى برويز قد مات فى الليلة السابقة ولما وصل الخبر إلى باذان بموت كسرى فى الليلة نفسها أسلم باذان وخرجت اليمن عن سلطة الفرس والسبب فى موت برويز أنه قتل على يد ولده شيراويه وتولى شيراويه الحكم من بعده.

بعد موت شيراويه توالى الحكام على الفرس بعضهم تقتل والبعض ينقلب على حكامهم حتى وصلت واستقر الحكم أردشير، كسرى الفرس فى المدائن فى العراق.

- عهد الخليفة الراشد ابو بكر الصديق (13-11هـ):

العراق كان يحكم من قبل الفرس واتخذوا من المدائن عاصمة لهم (كما ذكرنا سابقاً)، وكانت المدائن تقع غرب نهر دجلة وفى شرق النهر إيوان كسرى وكان يحكم الفرس أردشير،إذن كان هناك كسرى يحكم فى العراق وكسرى يحكم فى إيران، وكان العرب الموالون للفرس يسكنون غرب نهر الفرات بعد زوال مملكة المناذرة.

فى سنة 12هـ (633م)[1]:

وجه أبو بكر خالد بن الوليد إلى العراق وأوصاه أن يبدأ الأُبلة جنوب العراق وأرسل وراءه المدد بقيادة القعقاع بن عمر، وانتدب عياض بن غنم وأمره بمهاجمة العراق من الشمال.

كان يرأس جنوب العراق ملك فارسى اسمه هرمن وكان ظالماً، التقى الجيشان عند الكاظمة (شمال الكويت) وبدأت المعركة وانتصر المسلمون على الفرس فى معركة الكاظمة.

وسميت المعركة أيضاً بذات السلاسل لكثرة السلاسل التى جلبها الفرس لأسر المسلمين، وتكون معركة الكاظمة أول معركة ينتصر فيها المسلمون على الفرس على الرغم من قلة عدد المسلمين.

وصلت الأخبار إلى كسرى أردشير فى المدائن، فأرسل جيشاً بقيادة طلبان وتحرك الجيش حتى وصل إلى الثنى منطقة قرب البصرة واستطاع جيش خالد أن ينتصر على الفرس فى معركة الثنى.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السادس: سنة اثنتى عشرة من الهجرة النبوية صفحة 736، فتح خالد للأنبار صفحة 743، وقعت عين التمر صفحة 744، وخبر دومة الجندل صفحة 745، خبر وقعتى الحصيد والمضيح صفحة 746، وقعة الفراض صفحة 747.

عندما سمع كسرى بالهزيمة غضب وأرسل جيشين واحد بقيادة الأندرزغدّ والآخر بقيادة "بهمند جاذويه" ووصلوا إلى منطقة الولجة قبل جيش خالد ولما وصل خالد رأى أنه سيواجه جيشين ونشبت المعركة واستطاع خالد أن ينتصر ويقتل الأندرزغد ومن والاه من بكر بن وائل أما بهمند جادويه فقد فر وسميت هذه المعركة بمعركة الولجة.

بدأ الفرس بالتجمع مرة أخرى فى منطقة أليس قرب نهر الفرات وأرسل بهمند جاذويه جيشاً بقيادة جابان إلى جانب العرب النصارى من بكر بن وائل واشتدت المعركة بين الطرفين واستطاع خالد أخيراً أن ينتصر عليهما فى معركة أليس.

ثم توجه خالد الآن إلى الحيرة وقرر أن يقطع عن طريق نهر الفرات لكن مرزبان ملك الحيرة أرسل ابنه لقطع نهر الفرات فقطع نهر الفرات عن جيش خالد فقرر خالد السير براً والتقى مع ولد المرزبان فقتله وتفاجأ المرزبان بمجيء جيش خالد فقرر الهرب من الحيرة فقام خالد بمحاصرة الحيرة وانتهى بهم الأمر إلى المصالحة ودفع الجزية للمسلمين حتى بلغت الجزية مليون دينار ذهبى، ولم يبق فى العراق إلا الأنبار ودومة الجندل وعين التمر.

بعد أن استقر الأمر لخالد توجه إلى مدينة الأنبار على شاطئ الفرات شمال الكوفة حالياً وكان فيها جيش فارسى يرأسه شيروزاد واشتبك جيش خالد مع جيش شيروزاد ودبت الهزيمة فى جيش شيروزاد ففر جيشه وتحصن فى الأنبار وكانت محاطة بخندق فعندما قرر خالد ذبح الجمال الضعاف ورميها فى الخندق وعبر من فوقها فعندما رآه شيروزاد استسلم وقرر المصالحة تحت حكم خالد ودخلت الأنبار تحت حكم خالد وعرفت هذه المعركة بذات العيون.

بعد سقوط الأنبار مات ملك كسرى أردشير ودب الخلاف بين أبناء أردشير وانتهى الأمر إلى تولية رجل ليس من أبناء أردشير وهو الفرقوزان لمدة مؤقتة فقط.

استناب خالد على الأنبار الزبرقان بن بدر وتوجه غرباً إلى حصن عين التمر ولما وصل عين التمر وجد جيوش متجهة من الفرس والعرب وكان على العرب رجل اسمه

عقة وعلى الفرس مهران بن بهرام وبينما كان عقة يرتب صفوف جيشه هجم عليه خالد وأسره فلما رأى العرب قائدهم قد أسر فروا ولما فر العرب فى جيش الفرس وتركوا حصن عين التمر فاستطاع خالد أن يفتح الحصن.

بعد أن انتهى خالد من حصن عين التمر وصلت رسالة من عياض بن غنم الذى كان محاصراً لدومة الجندل فتحرك خالد فوراً تجاه دومة الجندل واستخلف عويمر الأسلمى على عين التمر فأصبح الجيش الإسلامى يحاصر دومة الجندل من الشرق بقيادة خالد ومن الغرب عياض بن غنم واستطاع خالد أن يفتح دومة الجندل قبل عياض.

بعدها تحرك خالد إلى الحيرة وحرك جيش بقيادة القعقاع وتواجه مع الفرس فى الحصيد وهزم الفرس فى معركة الحصيد والخنافس فهرب الفرس إلى مكان يقال له المضيَّح فباغتهم خالد فى هذا المكان واستطاع أن يأسر منهم عدداً كبيراً.

بعد كل هذه الانتصارات المتتالية لخالد صارت كل المدن التى فتحت بواسطة خالد لا تفكر فى الثورة لأنها لو فكرت فإن العقاب من قبل خالد سيكون أشد.

نظراً لهذه الانتصارات المتكررة لخالد وأن هناك جيشاً بدأ يهدد الروم قادماً من المدينة وسمعت الروم عن جيش خالد حدث تحالف خطير جداً لأول مرة بين الروم من جهة والفرس والعرب المنهزمين من جهة وتجمعوا فى منطقة الفراض (وهى منطقة الحدود بين العراق والشام والجزيرة العربية) والتحم جيش خالد مع هذا التحالف الخطير واستطاع جيش خالد أن يكسر هذا التحالف وينتصر عليهم فى ملحمة كبيرة قتل فيها مائة ألف قتيل.

فى عام 13هـ[1]:

وجه أبو بكر خالد بن الوليد إلى جيوش الشام ليساندها واستخلف خالد على العراق المثنى بن حارثة الشيبانى واستقر المثنى فى الحيرة.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: وقعة جرت بالعراق بعد مجئ خالد إلى الشام صفحة 20.

فى هذه السنة اتفق الفرس على كسرى لهم هو شهريار بن أردشير فجهز جيشاً بقيادة هرمز لمحاربة المسلمين.

عندما سمع المثنى بهذا التحرك حرك جيشاً من الحيرة وخيم فى مدينة بابل وانتظر حتى جاء جيش هرمز فاقتتلوا وانتصر المثنى فى المعركة معركة بابل.

لما سمع كسرى شهريار بهذه الهزيمة مات ودب الخلاف من جديد بين أبناء كسرى، وفى نفس هذه السنة توفى الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى يوم الاثنين 22/ 6/ 13هـ.

- عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (13-23هـ):

فى عام 13هـ[1]:

نادى عمر بن الخطاب فى الناس من يخرج مع المثنى فخرج أبو عبيد بن مسعود الثقفى فأرسله عمر مدداً لجيش المثنى.

بعد الخلافات التى نشبت فى الفرس اتفق الفرس أن يولوا قودان بنت شهريار وولت قودان رستم قائدا للجيش، فبدأ رستم بتهديد الفلاحين العرب فثار العرب مع الفرس خوفاً من بطش الفرس.

أحس المثنى بالخطر الشديد وهو أن هناك ثلاثة جيوش بقيادة جابان تأتيه فخرج المثنى من الحيرة إلى مكان يسمى النمارق والتقى جيش المثنى مع جيش الفرس وانتصر المثنى فى معركة النمارق قبل أن يأتيه المدد.

تجمع الفرس فى وسط العراق فى مكان يسمى كثم وأرسل رستم جيشا آخر بقيادة جالنيوس، فى هذه الأثناء وصل جيش أبى عبيد فهاجم الجيش الفارسى قبل ان يأتيه جالنيوس وشتته، لما وصل جالينوس هاجم جيش أبى عبيد فهزمه أبو عبيد وفر جالينوس إلى المدائن، فهكذا جيش مدد يهزم قيادة جالينوس.

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: ما وقع بأرض العراق آنذاك من القتال ووقعة النمارق ووقعة جسر أبى عبيد ووقعة البويب صفحة 29-34.

لما سمع رستم بهذه الهزائم قرر أنه لا بد من وجود معركة فاصلة فأرسل أعظم قائد اسمه جالوبيد وأرسل معه راية الفرس العظمى مصنوعة من جلود النمور.

تقدم جيش أبي عبيد حتى وصل غرب الفرات وجيش الفرس شرق الفرات وكان يوجد جسر على الفرات، فأرسل الفرس رسالة إما أن تعبروا أو أن نعبر نحن، كان رأى الصحابة أن يتركوا الفرس يعبروا ولكن أبا عبيد أصر إصراراً عجيباً على العبور حتى لا يكونوا جبناء وتحت إصراره عبر الجيش المسلم وتعداده 6000 مقاتل.

بدأ القتال العظيم فى معركة الجسر واشترك فى الحرب الفيلة فكانت خيول وإبل المسلمين تخاف منها، تبرع أبو عبيد أن يهاجم كبير الفيلة ويقطع التابوت ولكن الفيل أحس به فضربه برجله وداس عليه فمات أبو عبيد، فحمل الراية ثقفى ثانى فقتل وثالث فقتل حتى قتل من ثقيف سبعة، فحمل الراية المثنى وأمر بالانسحاب لكن فى هذه الأثناء عبدالله الثقفى قطع الجسر وقد أمر المثنى بالانسحاب فصار المسلمون محصورين بين الفرس والنهر فأمر المثنى بربط الجسر وصار الضغط على المسلمين حتى قتل منهم 4000 مسلم (عدد كبير ولم يبق سوى 2000 مقاتل).

بعد ربط الجسر انسحب المسلمون وبقى المثنى حتى عبر كل الجيش ثم عبر وقطع الجسر حتى لا يعبر الفرس.

ازداد الحماس فى جيش الفرس فهنا دعا المثنى الله أن ينجيهم من هذا الكرب العظيم، فسبحان الله وصلت الأخبار إلى جيش الفرس بخروج رجل اسمه الفيروزان وثار على رستم وانقسم الفرس إلى قسمين مما اضطر جالوبيد إلى التراجع.

بعد معركة الجسر أمسك المثنى عبدالله الثقفى وضربه وسأله لماذا قطعت الجسر ولم أذن لك؟

سمع عمر بن الخطاب بهذه الهزيمة وهى أول هزيمة للمسلمين من قبل الفرس فرد (اللهم إن كل مسلم منى فى دمى، يرحم الله أبا عبيد لو كان فى حاجة لى لكنت له ردء) أى لو استشارنى لدليته وكان فى جهتى لساعدته.

بعد معركة الجسر نادى عمر فى قبائل الجزيرة العربية أن يرسلوا له ما استطاعوا فأرسلوا وأرسلهم عمر إلى العراق.

بالنسبة للفرس اتفق رستم والفيروزان وعينوا مهران قائداً للجيش ونفس الطريقة التقى الجيشان المسلمون غرب الفرات والفرس فى الشرق فأرسل إليهم المثنى أن اعبروا فعبر الفرس وبدأ القتال وضغط المسلمون على قلب الجيش وقُتل قائد الفرس مهران وعندها تراجع الفرس عن طريق الجسر لكن المثنى سيطر على الجسر وقتل قائد الحامية التى تحمى الجسر فتفرق الفرس وواصل المسلمون تقدمهم حتى وصلوا الأهواز وعرفت هذه المعركة بمعركة البويب.

فى سنة 14هـ[1]:

فى الفرس ظهر ابن لكسرى اسمه يزدجرد فاحتفل به الفرس ونصبوه ملكاً وجعل رستم والفيروزان تحت قيادته وحرك ثلاثة جيوش، جيش إلى الأبلة وجيش إلى الحيرة وجيش إلى الأهواز.

سمع عمر بن الخطاب بهذه الأخبار فقال: (والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب)، فدعا فى ملوك العرب أن يوافوه فى الحج سنة 13 هـ، وصلت الأخبار إلى عمر أن المثنى على فراش الموت متأثراً بجراح معركة الجسر فبعد المشاورة اتفق أن يرسل سعد بن أبى وقاص قائداً للجيش فى العراق وكان فى اليمن يجمع الزكاة.

وصل سعد إلى العراق وتولى قيادة الجيش بعد وفاة المثنى أما الفرس فقد أرسل يزدجرد رستم بجيش تعداده 250 ألف مقاتل بينما تعداد جيش المسلمين 12 ألف مقاتل.

أرسل سعد عيونه لاستطلاع الأخبار فأرسل عمرو بن معديكرب وطليحة بن خويلد (كل واحد منهم يعد بألف رجل فى الجاهلية) فرأوا عدداً كبيراً من الجيش الفارسى واستطاع طليحة أن يهاجم الفرس ويقطع خيامهم ويقطع خيمة رستم ويأخذ فرسه غنيمة ويذهب بها إلى سعد ن فبدأت الاستعدادات لمعركة القادسية من كلا الطرفين.

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: سنة أربعة عشرة من الهجرة صفحة 39.

قبل المعركة أرسل الدعاة ليزدجرد على رأسهم النعمان بن مقرّن فدعاه النعمان إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب، فرد يزدجرد قائلاً: (إنا لم نعلم أمة أشقى منكم وأسوأ ذات البين منكم...إلخ). أى كنتم متفرقين متحاربين فيما بينكم فرد قيس بن زرارة (أما ما ذكرت من سوء حالنا فصدقت أو أسوأ، فاختر إما الحرب أو الجزية عن يد وأنت صاغر) وانتهت المراسلة بالحرب.

قبل بدء المعركة أصيب سعد بن أبى وقاص بالدماميل فما كان يستطيع إلا أن يقف أو على بطنه وسلم القيادة لخالد بن عرفطة، وأرسل عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة أن يرسل مدداً للمسلمين فى العراق فأرسل أبو عبيدة مدداً بقيادة القعقاع بن عمرو التميمى، ولكن المعركة بدأت قبل وصول المدد.

معركة القادسية [1]

فى محرم من السنة 14هـ:

رتب سعد الجيش وأوصاه أن سعد سيكبر ويكبرون وراءه ويستعدون وبعد التكبيرة الرابعة الهجوم، كبر سعد التكبيرة الرابعة وبدأت المعركة يومها الأول يوم أرماث.

اليوم الأول: يوم أرماث:

وحارب الفرس بالفيلة مرة أخرى التى أخافت إبل وخيل المسلمين، فهاجمت بنو أسد الفيلة واشتد القتال بينهم والذى كان ينادى فيهم هو طلحة بن خويلد الأسدى حتى قتل من بنى أسد 500 رجل لكنهم فتحوا المجال لغيرهم ليقاتلوا الفرس، واستطاع جماعة من بنى تميم بقيادة عاصم بن عمرو أن يسقطوا التوابيت من على الفيلة وقتل من فيها من المحاربين، وغربت الشمس وانتهى اليوم الأول وبدأت ليلة الهدأة.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: غزوة القادسية صفحة 41.

اليوم الثانى: يوم أغواث:

قدم المدد من الشام بقيادة القعقاع بن عمرو، وخرج القعقاع للمبارزة فخرج من الفرس ذو الحاجب فتبارزا فقتل القعقاع ذا الحاجب ونشبت المعركة ولم تشارك الفيلة فى المعركة لانشغال الفرس بصناعة التوابيت، وعلم القعقاع بأن الفيلة كانت تخيف الخيول صنع شكلاً لكائن غريب وألبسه إبل المسلمين فكانت خيول الفرس إذا تقدمت إليها الإبل بهذا الشكل الغريب تفر منهم مما سبب ترجيح الكفة للمسلمين وظل القتال حتى نصف الليل وتسمى الليلة بليلة السواد قتل وجرح من المسلمين 2000 وقتل من الفرس 10.000.

اليوم الثالث: يوم عماس:

شاركت الفيلة فى المعركة بعد أن اصلحوا التوابيت وعملوا حماية مسلحة من خلف الفيل، القعقاع قام بتبديل مواقع المسلمين وضع الميمنة فى الميسرة والمقدمة فى المؤخرة وطلب أن يأتى المدد على دفعات ويثيرون الغبار وراءهم مما أرهب وأضعف قوة الفرس وظنوا أن المدد لا ينقطع، فرأى أن الفيلة تتبع الفيل الأبيض والفيل الأجرب فأوكل الأمر إلى القعقاع وعاصم بن عمرو.

فاتجه القعقاع وصاحبه إلى الفيل الأبيض واتجه عاصم وصاحبه إلى الفيل الأجرب مع العلم أن الفيلة مغطاة بالحديد ليس لها إلا فتحتان للعيون لترى، فرمى القعقاع وصاحبه الفيل الأبيض فى عيون الفيل أما عاصم فضرب الفيل الأجرب فى عينه وصاحبه قطع خرطومه فهربا الفيلان للخلف وتتبعه الفيلة تدوس على الفرس ولم تتوقف إلا عند النهر وينتهى اليوم وتبدأ ليلة الهرير التى لم يتوقف فيها القتال.

ليلة الهرير:

كبر المسلمون بعد صلاة العشاء وبدأ القتال ويهرّون بالتسبيح والتكبير وأصبح الصباح ولا زال القتال مستمراً حتى الظهر.

اليوم الرابع: يوم القادسية:

هاجم القعقاع ومعه هلال بن علقمة وتوجهوا إلى رستم قائد الجيش واخترق البطلان الجيش ووصلا إلى رستم فضربه هلال أولاً وأجهز عليه القعقاع وبدأ الفرس بالانسحاب وقتل جالينوس عند النهر، واستطاع ضرار الفهرى أن يأخذ راية الفرس العظمى وانتصر المسلمون على الفرس وغنم المسلمون غنائم كبيرة أرسل الخمس إلى عمر فى المدينة، وسار البشير إلى المدينة فقابل عمر ولكنه لا يعرف عمر وسارا يتسابقان الرجل ويتبعه عمر حتى وصل المدينة فسلم أهل المدينة على عمر فعرفه الرجل فاعتذر منه وبشره بنصر الله.

بعد معركة القادسية كان سعد يرسل السرايا لتطهيرها من الفرس واستمرت لمدة شهرين دون قتال.

تجمع الفرس فى بابل فتوجه سعد إليهم وانتصر عليهم فى مدة ساعة وهرب الفيروزان نحو نهاوند وهرب هرموزان نحو الأهواز (جنوب العراق شرق دجلة).

فى شهر شوال من السنة 14هـ[1]:

توجه سعد إلى المدائن وفيها يزدجرد، (المدائن على نهر دجلة جزء منها فى الغرب وجزء على شرق دجلة).

فى ذى الحجة بدأ حصار المدائن من قبل المسلمين لكن المدائن كانت مدينة حصينة فأرسل إلى احتلال القرى التى حولها حتى يقطع الإمدادات عنها، اشتد الحصار على المدائن الغربية فعندها قرر يزدجرد أن يغادر كل أفراد هذه المدينة إلى المدائن الشرقية وينقلوا كل السفن إلى الشرق فاستطاع المسلمون أن يفتحوا المدائن الغربية بدون مقاومة وبقيت المدائن الشرقية ولم يستطع المسلمون العبور لأنهم لا يملكون سفن لنقلهم، كل السفن نقلت إلى المدائن الشرقية وقد أمر يزدجرد بحماية المدينة وتحصينها، فكر سعد فقرر أخيراً أن يعبر النهر، وبحث فرأى أن هناك منطقة يمكن للخيول أن تعبر فأمر عاصم بن عمرو وستين

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: ذكر فتح المدائن صفحة 69.

من قبيلته أن يعبروا النهر كفرقة فدائية لحماية الجيش وحراسة الضفة الآخرى فعبرت الفرقة الفدائية ثم أمر سعد الجيش بالعبور فعبر الجيش بصعوبة وبدعاء سعد أنقذ الله الجيش فعبر بالكامل وسمى هذا اليوم بيوم الجرائيم.

لما سمع يزدجرد بذلك هرب وجيشه معه وحمل ما يستطيع أن يحمله من المجوهرات واتجه إلى حلوان (شرق العراق) وفتح سعد المدائن الشرقية بدون مقاومة وجمع المسلمون من الغنائم ما لا يقدر بقيمة وصارت المدائن مدينة عسكرية تنطلق منها الفتوحات الإسلامية، فتحت المدائن فى صفر سنة 15هـ.

فى سنة 16هـ، تجمع الفرس فى منطقة تسمى جلولاء فى شمال العراق، وأمروا عليهم مهران وحصنوا المدينة بخنادق وآلات حديدية شائكة حول المدينة، وصلت الأخبار إلى سعد فحرك جيش بقيادة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص (ولد أخى سعد) وعلى المقدمة القعقاع فحاصر المسلمون جلولاء واستمر الحصار لمدة 80 يوماً انتهت بفتح المدينة عنوة وهروب جيش الفرس فى ذى القعدة من سنة 16هـ.

لما سمع يزدجرد وكان فى حلوان بمعركة جلولاء ترك حلوان وهرب إلى الرى فتحرك المسلمون واستطاعوا أن يفتحوها بدون مقاومة فى السنة 17هـ.

بعدها توجه المسلمون بسرايا لفتح نينوى والموصل فى بلاد الأكراد فى الشمال من العراق ففتحت هذه البلاد وبمساعدة من العرب الذين كانوا يسكنون هناك لأنهم فضلوا معاملة المسلمين بدلاً من الفرس.

فى سنة 17هـ، أمر عمر بن الخطاب ببناء الكوفة لأن المسلمين لم يتأقلموا على جو المدائن وكانت الكوفة مناسبة لهم وايضاً أمر بتأسيس وبناء مدينة البصرة وكانت الكوفة والبصرة منطلقاً للحضارات.

فى نفس السنة (17هـ) كان هرمزان فى الأهواز وبدأ يحاول مد نفوذه فاتفق المسلمون مع العرب الكفار أن يثوروا فى يوم محدد وقامت الثورة فاسقط فى يد هرمزان وفاوض على الصلح، ولكن سرعان ما نقض الهرمزان الصلح واستعان بالأكراد فسار حرقوص بجيش

من البصرة واستطاع أن يهزم الهرمزان فى الأهواز مرة أخرى وهرب الهرمزان ولكنه رجع للصلح مرة أخرى.

انتقض الهرمزان مرة أخرى فأرسل سعد جيشاً إلى الأهواز فُهزم الهرمزان وفر إلى تستر وتحصن فيها فلحقه المسلمون وحاصروا تستر واستطاع المسلمون أن يدخلوها عنوة ويأسروا الهرمزان وأبى الاستسلام إلا أن ينزل تحت حكم عمر بن الخطاب فأرسل إلى عمر فى المدينة المنورة.

تكملة قصة الهرمزان طويلة ومختصرها.. أنه لما وصل المدينة ورأى عمر بن الخطاب طلب ماءً فأعطى ماء وكان يرتجف فقال عمر له: لا بأس عليك حتى تشرب فرمى القدح وقال: لا أريد أن أشرب لأنك قلت لى لا بأس عليك حتى تشرب ولن أشرب ولن تقتلنى فقال عمر: والله لا انخدع إلا لمسلم إما أن تسلم أو أقتل، فقال الهرمزان: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وبذلك اسلم الهرمزان وبقى فى المدينة.

بعد كل هذه الفتوحات صار العراق بالكامل تحت الحكم الإسلامى وبدأ الناس فى العراق يدخلون فى دين الله أفواجا[1].....

فى سنة 21هـ[2]:

ولى النعمان بن مقرن على الكوفة بعد عزل سعد بن أبى وقاص وتوجه بجيش نحو نهاوند فى بلاد فارس بعد أن تجمع فى هذه المنطقة عدة تحالفات ضد المسلمين وهم بلاد الباب والسند وخرسان وحلوان، بدأت المعركة بقيادة النعمان والفيرزان واستمرت عدة أيام (الأربعاء ـ الجمعة) كان عدد المسلمين 30.000 وعدد الكفار 150.000.

فى يوم السبت اشتدت المعركة وبعملية انسحاب تكتيكى من قبل القعقاع استطاع أن يسحب العدو إلى أرض معركته ويتيح الفرصة لجيش النعمان لمساعدته ولكن فى هذه

---

(1) البداية لابن كثير الجزء السابع: أحداث سنة 16هـ صفحة 68 - 80 وأحداث سنة 17هـ صفحة 80 - 93.

(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: أحداث سنة 21هـ صفحة 113-131.

الأثناء وقع النعمان من على فرسه وجاءه سهم فى خاصرته فمات ولم يعلم بموته إلا أخوه نعيم فغطاه بثوبه وأخفى موته واستلم القيادة واستطاع المسلمون أن يكسروا هذا التحالف وينتصروا. أما الفيروزان فقد لجأ للهرب كعادته ولكن القعقاع استطاع أن يتتبعه قبل أن يصل إلى همدان لأنه لو وصل إلى همدان وتحصن فيها سيلجأ المسلمون إلى محاربة الفرس مرة أخرى ولكن وبفضل الله استطاع القعقاع أن يلحق الفيرزان ويقتله وبهذا انتصر المسلمون فى معركة نهاوند " أو فتح الفتوح " ونقل الخبر إلى عمر فى المدينة 0 عندما علم المسلمون بوفاة النعمان حزنوا حزناً شديداً على هذا القائد المغوار، أما عمر بن الخطاب فبكى بكاءً شديداً على النعمان.

فى سنة 22هـ استمرت الفتوحات الإسلامية ففتحت همدان ثم الرى ثم أذربيجان ثم فتحت الباب ثم خرسان (وكان فيها يزدجرد) ثم فتحت هرات.

فى نهاية الأمر يزدجرد ذهب ولجأ إلى ملك الصين مع طائفة قليلة من أهله أما شعبه ففضل الرجوع إلى بلاده تحت حكم المسلمين فى يوم السبت 23/ 12/ 29هـ.

مات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رحمه الله تعالى بعد أن طعنه أبو اللؤلؤة المجوسى.

- ***عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان (35-23هـ)[1]:***

كان عهده عصراً ذهبياً توسعت وانتشرت الفتوحات الإسلامية فى الشرق والغرب وبقى العراق وضعه مستقراً تحت الحكم الإسلامى.

فى سنة 31هـ:

قتل يزدجرد بعد أن هرب من كرمان فى جماعة يسيرة إلى مرو، فقتل الترك أصحابه، أما هو فهرب حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحية (جمع رحى) فأوى إليه ليلاً، فلما نام قتله الرجل.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان صفحة 155-203.

في سنة 33هـ:

بعد أن خرج عبدالله بن سبأ وكان يهودياً اعتنق الإسلام ذهب إلى مصر وألّب الناس على عثمان وأن الرسول قد أوصى بالخلافة إلى على بن أبى طالب " فمحمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء ".

افتتن بهذا المذهب كثير من الناس فى مصر وأرسلوه إلى عوام أهل الكوفة والبصرة فافتتن به ناس من أهل الكوفة وبدءوا يتكلمون بكلام قبيح فى مجلس سعد بن العاص فأمر عثمان بإخراجهم إلى الشام عند معاوية لوعظهم.

وفى نفس العام (33هـ) خرجت جماعة فى البصرة تؤلب على عثمان، فقام عثمان بإخراجهم إلى الشام لوعظهم أيضاً 0 طالب أهل الكوفة بعزل سعيد بن العاص وتولية أبى موسى الأشعرى ففعل ذلك عثمان درءًا للفتنة.

فى سنة 35هـ:

فى شوال تكاتب أهل مصر والكوفة والبصرة وزورت كتب على لسان الصحابة يدعون إلى قتال عثمان.

* أهل مصر مصرون على ولاية على بن أبى طالب.
* وأهل الكوفة مصرون على ولاية الزبير.
* وأهل البصرة مصرون على ولاية طلحة.

وأتى أهل مصر على على فصاح بهم وطردهم وأتى البصريون على طلحة فصاح بهم وطردهم وكذلك فعل الزبير مع أهل الكوفة.

تظاهر هؤلاء الأحزاب بالرجوع إلى بلادهم ولكنهم وجدوا مع رجل كتاب مزور على لسان عثمان أنه يأمر بقتل هذه الطائفة، فسئل عثمان عن هذا الكتاب فأجاب: " والله لا كتبت ولا أمليت ولا دريت بشيء من ذلك والخاتم قد يزور على الخاتم ".

فرجع هؤلاء القوم إلى المدينة وبدءوا فى حصار دار عثمان والتربص به، فخرج عثمان فيهم ودافع عن نفسه بالحجة والبيان، ولكن هؤلاء الجهلة البغاة خونة منعوا عنه الميرة والماء والخروج إلى المسجد وهددوه بالقتل.

استمر الحصار على أرجح الأقوال 40 يوماً بعدها دخلوا عليه البيت وكان يصلى ويقرأ سورة طه ثم فرغ من صلاته وجلس يقرأ القرآن فدخل عليه رجل يقال له الموت الأسود فخنقه حتى أغشى عليه، ثم قدم آخر يقال له سودان بن حمران فوضع السيف فى بطنه، فجاء غلام عثمان فقتل سودان فجاء رجل آخر فقتل غلام عثمان ثم مالوا على البيت فنهبوه ولاذوا بالفرار فى يوم الجمعة 18/12/35هـ.

موقف الصحابة:

إن الصحابة لم يظنوا أن يصل الأمر إلى قتل عثمان.

إن للصحابة مانعوا منه أشد الممانعة ولكن عثمان سألهم أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا ذلك.

إن هؤلاء البغاة استغلوا أيام الحج حيث إن أكثر الصحابة والجيش فى الحج.

عهد الخليفة الراشد على بن أبى طالب (40-35هـ):

بويع على بالخلافة يوم السبت19/12/35 هـ كان المصريون يريدون الولاية لعلى والكوفيون للزبير فلم يجدوه والبصريون لطلحة فلم يجيبهم.

فى يوم الخميس 24/12/35هـ بايع أهل الكوفة على بن أبى طالب وأول من بايعه الأشتر النخعى وفى يوم الجمعة 25/12/35هـ بايع على أهل المدينة وكان أولهم طلحة ثم الزبير، ثم ما لبث الأمر أن بايع جميع الأمصار ما عدا الشام وكانت تحت ولاية معاوية، امتنع عن المبايعة لعلى حتى يؤخذ بدم عثمان ويقتص من الذين قتلوه.

عثمان يرجع نسبه فى بنى امية ومعاوية أيضاً يرجع إلى بنى أمية:

نلاحظ هنا أنه لا اختلاف في البيعة كونها لعلى ولكن الاختلاف في طلب القصاص هل هو قبل البيعة أم بعدها ؟

كان رأى على بن أبى طالب البيعة أولا ليتحد المسلمون تحت كلمة واحدة ثم القصاص من قتلة عثمان بينما كان رأى معاوية بن أبى سفيان الأخذ بدم عثمان أولا ثم تتم مبايعة لعلى بن أبى طالب بعد ذلك (كان رأى على الأصوب ولكن قدر الله وما شاء الله فعل).

عندما تولى على الخلافة كان على الكوفة أبو موسى الأشعرى وعلى البصرة عبدالله بن عامر وعلى مصر عبدالله بن سعد بن أبى سرح وقد تغلب عليه محمد بن أبى حذيفة وعلى الشام معاوية بن أبى سفيان وعلى الأردن أبو الأعور بن سفيان وعلى فلسطين حكيم بن علقمة.

سنة 36هـ (وقعة الجمل)(1):

استهلت هذه السنة بخلافة على وولى على الأمصار نواباً، عبدالله بن عباس على اليمن، عثمان بن حنيف على البصرة، عمارة بن شهاب على الكوفة، قيس بن سعد بن عبادة على مصر، سهل بن حنيف على الشام بدلاً من معاوية.

أما سهل فقد رُد من رجال معاوية، أبو موسى الأشعرى كتب إلى على بالطاعة.

كان أزواج النبى قد خرجن للحج وبقين فى مكة فاستأذن طلحة والزبير على للخروج للعمرة وهناك قابلوا أم المؤمنين عائشة فخطبت فى الناس تحثهم على القيام بطلب دم عثمان وانتهى بهم الأمر إلى المسير إلى على لحثه بفعل هذا الأمر ولما وصلوا إلى المدينة اتفقوا على الذهاب إلى البصرة فذهبت عائشة معهم أما بقية أمهات المؤمنين فقد أكملوا المسير إلى المدينة.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وأحداث سنة 36هـ وقعة الجمل صفحة 238 - 264.

فتوجهت عائشة إلى البصرة فى 3000 رجل وأم المؤمنين تحمل فى هودج على جمل اسمه عسكر.

لما وصلوا إلى البصرة (أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير) كتبوا على واليها عثمان بن حنيف أن ما قدموا من أجله هو الطلب بدم عثمان، فمنعهم عثمان من دخول البصرة حتى يأتى أمير المؤمنين على.

كتب كتاب إلى عائشة أن ترجع إلى المدينة فهو أفضل لها، فخرج لها حُكيم بن جبلة (وهو أحد الرجال الذين حاصروا عثمان وباشر بقتله) 0 خرج حُكيم على خيل عثمان بن حنيف واستطاع أن يوقع فتنة بينهم فاقتتل الطرفان الذين جاءوا مع عائشة والبصريون 0 فى 25 ربيع الآخر 36هـ، أما حُكيم فقطعت رجله ومات هو ونحو 70 من قتلة عثمان الذين كانوا متخفين فى البصرة. (لأن الذين حاصروا عثمان كانوا جماعة من البصرة والكوفة ومصر). تسمى هذه الوقعة بوقعة الجمل الصغرى وانتهت بمبايعة أهل البصرة لطلحة والزبير.

كان على قد تجهز للمسير نحو الشام ولكن عندما سمع بهذه الأخبار غيَّر مسيره إلى العراق نحو الكوفة.

بعد أن وصل على العراق توقف عن مكان ذى قار وبدأت المراسلة بينه وبين أهل الكوفة انتهت بالصلح والدخول تحت طاعة على رضى الله عنه.

بعد الانتهاء من أمر الكوفة بعث على القعقاع إلى البصرة إلى أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير واستطاع القعقاع أن يصلح الأمر وينقل الخبر أن البصرة صارت تحت إمرة أمير المؤمنين.

تحرك على نحو البصرة ليقابل طلحة والزبير ويتم الصلح ولكن كان هناك طائفة وهم قتلة عثمان فى جيش البصريين وجيش الكوفيين يحاولون أن يزرعوا فتنة لأن لو اصطلح المسلمون فإن عقابهم هو القتل وكان قائدهم عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء.

تم الاتفاق بين على وطلحة والزبير على يوم يتقابلون فيه ولكن فى الليلة التى سبقته وخاصة قبل طلوع الفجر ذهب قتلة عثمان إلى أهليهم فى البصرة وقاموا بقتلهم وصاحوا فى المدينة جيش على بيَّت لنا وقتل أهلنا فحمل البصريين السلاح وخرجوا لقتال على فلما رآهم الكوفيون سألوا: ماذا يريدون فأجاب ناس من قتلة عثمان أنهم يريدون قتال أهل الكوفة ولا يريدون الصلح فوقعت الحرب بين الكوفيين (جيش على) والبصريون (جيش طلحة والزبير) واشتد القتال وقتل جمع غفير وقابل الزبير علياً فذكره على بحديث عن الرسول (ص) قال " لتقاتلنه وأنت ظالم " قال الزبير: نعم ولم أذكره إلا فى موقفى هذا ثم انصرف وترك المعركة حتى وصل وادياً يقال وادى السباع فتبعه رجل اسمه عمرو بن جرموز فقتله.

وأما طلحة فأصيب فى المعركة بسهم ومات، ولما رأت أم المؤمنين عائشة المعركة وحدتها أعطت كعب بن سور مصحفاً وقالت: ادعهم إليه، فقام يدعوهم إلى كتاب الله لكن السبئيين لا يريدون للفتنة أن تنتهى فقاموا برشقه بالنبال حتى مات ثم بدءوا برشق هودج عائشة فهنا انكشف أمرهم فبدأ الناس يصرفونهم ويقاتلونهم حتى لا يضربوا هودج أم المؤمنين وأخذوا بزمام الجمل ليخرجوه من ميدان المعركة وقتل حول الجمل خلق كثير حتى تقدم عبدالله بن الزبير وقام بسحب الجمل وأخيراً ضرب الجمل على قوائمة وعقر ـ قيل أن من أمر بقتل الجمل هو على أو القعقاع أو الهودج فصار كالقنفذ من كثرة النبال المنغرسة فيه وانتهت المعركة فدخلت أم المؤمنين البصرة مع أخيها محمد بن أبى بكر وأقام على فى البصرة 3 أيام وعرفت هذه الوقعة بوقعة الجمل فى جمادى الآخرة من سنة 36هـ.

خرج على فى أهل البصرة وخطب فيهم فبايعوه وصارت العراق تحت حكم على بن أبى طالب فى رجب سنة 36هـ.

بعد انتهاء هذه الفتنة تجهزت أم المؤمنين عائشة للرجوع إلى المدينة فأرسل على معها أخاها محمد وودعها وأرسل معها المتاع.

لما فرغ على من وقعة الجمل أرسل إلى معاوية يدعوه إلى بيعته فأبى معاوية وعمرو بن العاص ورؤوس الشام البيعة إلا بعد تسليم قتلة عثمان.

خرج أمير المؤمنين على قاصداً الشام فعسكر بالنخيلة فبعث على بجيش وأمَّر عليهم الأشتر النخعى وعلى الميمنة زياد بن النضر وعلى الميسرة شريح بن هانى، وأمر على الأشتر أن يدعوهم إلى البيعة مرة بعد مرة ولا يقاتلهم حتى يقاتلوه.

لما سمع معاوية بخروج على خرج معاوية بنفسه بالشاميين وعبر الفرات وتوقف فى منطقة تسمى صفين.

كان فى مقدمة جيش الشام أبو الأعور السلمي والأشتر فى مقدمة العراقيين فى اليوم الأول حمل أبو الأعور على العراقيين فثبتوا فاقتتلوا ساعة فى اليوم الثانى خرج الأشتر يريد مبارزة أبى الأعور فلم يجبه، فى اليوم الثالث وصل على مع جيوشه هذه الأحداث فى أوائل شهر ذى الحجة 36هـ.

كان جيش الشاميين معسكرين بالقرب من الماء والعراقيون يفصلهم عن الماء الشاميون فأرادوا العراقيون أن يردوا الماء فمنعهم الشاميون فتراموا بالنبال ساعة ثم تطاعنوا بالرماح ثم اقتتلوا بالسيوف وغلبة الكفة لأهل العراق وانتهت هذه المشكلة بالسماح للعراقيين بورود الماء ولا يكلم أحد أحداً ولا يؤذى إنسان إنساناً حتى انتهى شهر ذى الحجة.

سنة 37هـ (وقعة صفين)[1]:

استهلت هذه السنة بالمراسلة بين على رضى الله عنه ـ ومعاوية حتى انتهى شهر محرم ولم يقع الصلح بينهما، فرأى على أنها قد أقيمت الحجة عليهم.

فى أول يوم لشهر صفر يوم الأربعاء من سنة 37هـ، أقبل على فى مائة وخمسين ألفاً وجعل على الخيل الأشتر النخعى وعلى رجالتهم عمار بن ياسر بالنسبة للكوفة أما البصرة فجعل على خيلهم سهل بن حنيف وعلى رجالتهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة ثم أقبل معاوية فى مائة وثلاثين ألفاً فجعل على المقدمة أبا الأعور السلمى وعلى الخيل عمرو بن العاص وعلى رجالتهم الضحاك بن قيس.

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: وقعة صفين وأحداث سنة 37هـ وقصة التحكيم وخروج الخوارج صفحة 270-309.

فى اليوم الأول (يوم الأربعاء) اقتتل الفريقان اقتتالاً شديداً وتكافأ الطرفان فى القتال.

فى اليوم الثانى يوم الخميس من صفر تكافأ الطرفان فى القتال، أمير العراقيين هاشم بن عتبة والشاميين أبو الأعور.

فى اليوم الثالث يوم الجمعة قاد عمار بن ياسر العراقيين وقاد عمرو بن العاص الشاميين فحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقعه.

فى اليوم الرابع يوم السبت خرج محمد بن على بن أبى طالب بالعراقيين وعبيد الله بن عمر بالشاميين فاقتتلوا فكاد أن يتبارز محمد مع عبيد الله ولكن على أباه أوقفه.

فى اليوم الخامس يوم الأحد خرج فى العراقيين عبدالله بن عباس وفى الشاميين الوليد بن عقبة واقتتلوا قتالاً شديداً ورجحت كفة الشاميين فى هذا اليوم.

فى اليوم السادس يوم الاثنين من جهة العراقيين قيس بن سعد والشاميين ابن ذى الكلاع، تكافأ فى القتال.

فى اليوم السابع يوم الثلاثاء خرج الأشتر بالعراقيين وحبيب بن مسلمة بالشاميين فاقتتلوا ولم يغلب أحد أحداً.

وفى اليوم الثامن يوم الأربعاء اختطب على فى العراقيين بعد العصر ثم اقتتلوا ولم يغلب أحد أحداً.

فى اليوم التاسع يوم الخميس تقدم على بقلب الجيش وعلى الميمنة عبدالله بن بديل وعلى الميسرة عبدالله بن عباس، استطاع عبدالله ابن بديل أن يشتت ميسرة الشاميين ولكن الشجعان من الشاميين استطاعوا أن يفرقوا ميمنة ابن بديل فهربوا فأوصى على أمرهم إلى الأشتر فرجع إليهم وحمسهم فى القتال والدفاع عن أمير المؤمنين فرجعوا للمعركة.

فى المعركة تقدم مولى من بنى أمية لقتل على ولكن على أمسك بيده ورفعه ثم ألقاه على الأرض فكسر عضده فتحاملا عليه الحسين ومحمد ابنا على فقتلاه.

أما عبدالله بن بديل قائد الميمنة فأخذته الحماسة وتقدم وشق صفوف الشاميين حتى كان على مقربة من معاوية فتقدم عليه جماعة فقتلوه.

رجع الأشتر بالمهزومين واستطاع أن يشق صفوف الشاميين فلم يبق صف لأهل الشام إلا أزالوه فتفرق الشاميون وصارت فيهم مقتلة عظيمة وممن قتل عبيد الله ابن عمر بن الخطاب وذو الكلاع.

وقتل من جيش على عمار بن ياسر وتحقق قول الرسول تقتلك الفئة الباغية.

وفى الحديث عندما بنى الصحابة المسجد مع الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا ينقلون حجراً حجراً، لبنة لبنة أما عمار فكان ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين فتكلم الرسول معه " تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبة منك فى الأجر، وكنت مع ذلك ويحك تقتلك الفئة الباغية ".

لما سمع الناس بمقتل عمار نقلوا الخبر إلى معاوية فتخاصما رجلان عند معاوية فى قتل عمار فرد عليهما عبدالله بن عمرو بن العاص قائلاً: ليطب كل واحد منكما نفساً فإنى سمعت الرسول يقول " تقتله الفئة الباغية "، فرد عليه معاوية ولم تقاتل معنا؟، فرد عبدالله لأن الرسول أمرنى بطاعة أبى ما كان حياً وأنا معكم ولست أقاتل.

الذى قتل عمار (حمل على عمار أبو الغادية فطعنه وابن الجون فاجتز رأسه).

كثر الكلام عن مقتل عمار فرد معاوية أن السبب فى قتله ليس الشاميون وإنما هو من أتى به إلى المعركة.

رأى على أن الشاميين لم يخضعوا ولم يستسلموا فقدم على ابنه محمداً مع عصابة فاستطاعوا أن يزعزعوا صفوف الشاميين واستمر القتال بعد الغروب من يوم الخميس اليوم التاسع من صفر وكانت تميل الكفة لصالح العراقيين ٥ وسميت هذه الليلة بليلة الهرير.

وفى اليوم العاشر يوم الجمعة صلوا الفجر إيماءً واستمر القتال واستطاع الأشتر النخعى وكان على الميمنة أن يكسر جيش الشام وبدأت الهزيمة تدب فى الشاميين، فعندها أشار عمرو بن العاص برفع المصاحف فوق الرماح ونادوا بالتحكم إلى كتاب الله.

لما رأى أهل العراق المصاحف قالوا: نجيب إلى كتاب الله ونتيب إليه.

رغب أكثر الناس من العراق والشام إلى المصالحة والمسالمة حقناً للدماء أما على رضى الله عنه فلم يرضَ بذلك لأنه رأى لو فشل التحكيم فإن المسلمين سيرجعون مرة أخرى إلى القتال وسفك الدم.

فرفض على التحكيم وقال إما أخذ البيعة من أهل الشام أو نستمر فى القتال فبعث إلى الأشتر أن استمر فى القتال فإن الشاميين لما أحسوا بالهزيمة لجئوا إلى التحكيم فعلت الأصوات بين أهل العراق وقالوا لعلى: إما أن ترسل إلى الأشتر فيرجع أو اعتزلناك، لأن معظم العراقيين رضوا بالتحكيم.

هذه هى أحداث وقعة صفين، وقد قدر القتلى فيها بـ 70 ألفاً 45 ألفاً من أهل الشام و 25 ألف من أهل العراق.

قصة التحكيم:

أرسل معاوية عمرو بن العاص حكماً من عنده وأرسل أهل العراق أبا موسى الأشعرى، واتفقوا أن التحكيم يكون بدومة الجندل فى شهر رمضان.

رجع على الكوفة واعتزل الناس ولما سمع ناس من أهل الكوفة الكتاب عارضوا وقالوا " لا حكم إلا لله" بالرغم من أنهم قاتلوا مع على فى وقعة صفين، (وكان من مر بالكتاب عليهم هو الأشعث بن قيس فردوا " أتحكمون فى دين الله الرجال؟ فأرسل إليهم على من وعظهم فرجع أكثرهم وبقى طائفة قليلة سميت فيما بعد " بالخوارج " فمن هنا أساس خروج طائفة الخوارج وكان مبدؤهم:

أن يمتازوا بالشجاعة وبيع أنفسهم رخيصة حتى قيل فيهم مبالغةَ " الخارجى يقاتل بدون رأس ثلاثة أيام".

وأن مرتكب الكبيرة يحل دمه ويخلد فى النار وغيرها من البدع التى اختلقوها.

فى رمضان سنة 37هـ:

اجتمع الحكمان أبو موسى الأشعرى ومعه أربعمائة فارس بقيادة شريح بن هانئ وعمرو بن العاص ومعه أربعمائة فارس بدومة الجندل، واتفق الحكمان على أن يخلعا على ومعاوية ويترك الأمر شورى للمسلمين يولون من شاءوا، فقام أبو موسى الأشعرى وخطب فى الناس بعزل على ومعاوية ويترك الأمر شورى، ثم قام عمرو بن العاص وقال قد سمعتم أنه (يقصد أبو موسى) قد عزل صاحبه فأنا أعزل صاحبه وأثبت صاحبى معاوية، فتكلم أبو موسى بكلام فيه غلظة ولم يجرؤ على مقابلة على فهرب إلى مكة.

خروج الخوارج من الكوفة واستفحال أمرهم

لما بعث على أبا موسى الأشعرى لإنفاذ الحكومة، اجتمع الخوارج فى منزل عبدالله بن وهب الراسبى، فخطبهم خطبة زهدهم فى الدنيا ورغبهم فى الآخرة والجنة، وأعطوا الإمارة لأكثر من واحد فأبوا حتى أخذها عبدالله بن وهب الراسبى.

لما سمع على ما فعله الحكمان وما حكما به، ندب على الناس للخروج للجهاد فى أهل الشام، فخرج من الكوفة إلى النخيلة وأصبح تعداد جيشه ثمانية وستين ألف ومائتين فارس فبينما هو خارج إلى الشام إذ وصلته أخبار الخوارج الذين بدءوا يعثون فى الأرض فساداً حيث إنهم تعدوا على الصحابى عبدالله بن خباب وامرأته وكانت حامل وقاموا بقتله وذبحوا زوجته وبقروا بطنها واستخرجوا جنينها، فأشاروا على على أن يبدأ بهؤلاء فإذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام فوافقهم.

التقى جيش على بجيش الخوارج فرفع على راية الأمان ووعظهم ونادى من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ومن انصرف إلى الكوفة أو المدائن فهو آمن فانصرف منهم جمع غفير فلم يبق من أربعة آلاف سوى ألف رجل، فاقبلوا على جيش على وهم ينادون " لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة " وقد أشار على أن لا يقاتلوهم إلا إذا بدءوا بالقتال.

بدأ الخوارج بالقتال فقاتلهم جيش على وأبادهم عن بكرة أبيهم، ثم خرج على فى طلب ذى الثدية فوجدوه فى حفرة على جانب النهر، ثم نظر على إلى عضده فوجده كثدى المرأة له حلمة عليها شعرات سود، ثم قال: " أما والله ما كذبت لولا أن تتكلوا على العمل لأخبرتكم بما قضى الله فى قتالهم عارفاً للحق ".

وعرفت هذه المعركة بمعركة النهروان.

قال الرسول ﷺ: "وصف ناساً إنى لأعرف صفتهم فى هؤلاء يقولون الحق بالسنتهم لا يجاوز هذا منهم - وأشار إلى حلقة - من أبغض خلق الله منهم أسود إحدى يديه طبى شاة أو حلمة ثدى "

لما فرغ على من قتال الخوارج فى معركة النهروان توجه إلى قتال أهل الشام ولكن أهل العراق تسللوا من معسكراتهم ولم يبق مع على إلا فئة قليلة فقام على فخطب فى أهل العراق ولكنهم لم يستجيبوا له هذه الأحداث فى أواخر سنة 37هـ.

فى سنة 38هـ[1]:

كان على ولاية مصر قيس بن سعد فعزله على وولى محمد بن أبى بكر فالتحق قيس بجيش على فى العراق، فأراد على أن يرجع ولاية مصر لقيس لأن محمد لم يكن ذا حزم ودهاء، فأرسل على الأشتر إلى مصر وانتهى إلى القلزم[2] فاستقبله الخانسار فقدم له طعاماً وسقاه عسلاً فمات منه " يقال أن معاوية من دبر له الأمر لأن الأشتر من قتله عثمان ومن الذين أقر بالبيعة لعلى "، فكتب على إلى محمد بن أبى بكر بالاستمرار فى الولاية على مصر.

أرسل معاوية عمرو بن العاص فى ستة آلاف إلى مصر، فأرسل عمرو إلى محمد أن يتنحى عن منصبه فأرسل محمد الكتاب إلى على فأمره على بالصبر وسيأتيه المدد، استعد محمد لمحاربة جيش الشام واستطاع أن يهزمهم ويرجعهم إلى معسكرهم عند عمرو بن

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: أحداث سنة 38هـ صفحة 343 - 341.
(2) القلزم: مأخوذة من بحر القلزم وهو البحر الأحمر حالياً.

العاص فأرسل عمرو له معاوية بن خديج فاقتتل الفريقان وكانت الغلبة للشاميين وهرب محمد ولجأ إلى قرية خربة.

دخل عمرو فسطاط مصر، أما معاوية بن خديج فقد تتبع محمد فمر بعلوج، فسأل عنه، فأجابوه، أنهم رأوا رجلاً فى هذه الخرابة فدخلوا عليه واستخرجوه منها، حاول أخوه عبدالرحمن بن أبى بكر أن يتوسط عند عمرو بن العاص، فأرسل عمرو إلى معاوية أن يرسل له محمد بن أبى بكر، ولكن معاوية لم يرسله ولم يسقيه ماءً، ثم قام معاوية بن خديج بقتل محمد وجعله فى جيفة حمار وأحرقه بالنار، وصارت مصر تحت حكم معاوية بن أبى سفيان.

فى سنة 39هـ[1]:

بعث معاوية النعمان بن بشير إلى عين التمر فى العراق وكان عليها مالك بن كعب الأرجى فى ألف فارس مسلحة لعلى فلما رأوا الشاميين فروا ولم يبق سوى 100 فارس فاقتتلوا مع الشاميين وكادت أن تكون الغلبة للشاميين لكن مدداً أتى به مخنف بن سليم مع ابنه فظن الشاميون أنه مدد عظيم فتركوا المعركة وفروا، وفى السنة نفسها أرسل معاوية سفيان بن عوف فى 6000 رجل إلى هيت ثم الأنبار والمدائن فذهب سفيان إلى هيت فلم يجد أحداً ثم إلى الأنبار فوجدوا فيها حامية فاقتتلوا وتغلب الشاميون ونهبوا ما فيها من أموال ورجعوا، فلما بلغ الخبر علياً ذهب بنفسه إلى النخيلة، فوجه معاوية الضحكاك بن قيس فى ثلاثة آلاف ليغيروا على أطراف جيش على ولكن على أرسل لهم حجر بن عدى فى أربعة آلاف إلى تدمر، فقتل من جيش الضحاك تسعة عشر رجلاً ومن جيش حجر رجلان فغشيهم الليل فكر الضحاك راجعاً إلى الشام.

فى نفس السنة 39هـ، ولى على زياد بن أبيه على فارس بعد أن منعوا الخراج والطاعة، فأرسل على زياد فى أربعة آلاف فارس واستطاع يعيدها للسمع والطاعة وأن يعطوا الخراج وسار زياد فيهم بالمعدلة والأمانة.

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: أحداث سنة 39هـ صفحة 342-344.

فى سنة 40هـ[1]:

جرت مهادنة بين على ومعاوية على وضع الحرب وتكون العراق لعلى والشام لمعاوية ولا يقاتل أحد الآخر.

وفى نفس السنة تجمع ناس من الخوارج وتذاكروا مقتل اخوتهم فى النهروان وهم: عبدالرحمن بن ملجم الحميرى، وحليف بن حنيفة الكندى، والبرك بن عبدالله التميمى، وعمرو بن بكر التميمى واتفقوا على قتل الثلاثة فقال عبدالرحمن بن ملجم: أنا أكفيكم على بن أبى طالب، وقال البرك: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر وأنا أكفيكم عمرو بن العاص فاتفقوا أن تكون فى الليلة السابعة عشر من رمضان، كانت الليلة توافق ليلة الجمعة، عبدالرحمن بن ملجم ضرب على بالسيف عندما خرج ليصلى الفجر، وهرب ولكنهم قبضوا عليه وقتلوه بعد موت على رضى الله عنه، وأما معاوية فضربه البرك بخنجر مسموم فى وركه وقبض على البرك وقتل، وخيَّر الطبيب معاوية إما أن يكوى الجرح بالنار أو يشرب علاج فيقطع نسله، فقال معاوية: أما النار فلا طاقة لى بها، وأما النسل ففى يزيد وعبدالله ما تقر به عينى.

وأما عمرو بن العاص فكان مريض فلم يخرج للصلاة وأناب خارجة بن أبى حبيبة للصلاة، فقتل عمرو بن بكر نائب عمرو خارجة ونجا عمرو من الموت ثم أمر بعمر و بن بكر فضرب عنقه.

لما مات على دفن بالكوفة ليلاً رحمه الله تعالى.

ملاحظة هامة جداً:

إن كل الصحابة (على ومعاوية وعمرو بن العاص ومن شارك معهم فى وقعة صفين) عدول وهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجوز انتقادهم أو سبهم أو التكلم عنهم لأن ما وقعوا فيه فتنة نبأ بها الرسول ولديهم من المحاسن الجميلة والكثيرة التى يجب

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: أحداث سنة 40هـ ومقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه صفحة 344-349.

أن نذكرها دائماً وإذا ذكرناهم فإننا نذكرهم بمحاسنهم ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

لما مات على بن أبى طالب بايع قيس بن سعد ابنه الحسن بالخلافة فى الكوفة وألح عليه بالخروج لقتال أهل الشام فوضع قيس فى المقدمة اثنى عشر ألفاً وتوجهوا إلى المدائن قبل الشام وفى المدائن صاح صائح " ألا إن قيس قد قتل " فثار الناس وحاول رجل أن يطعن الحسن ولكنها لم تصبه فدخل البيت الأبيض فى المدائن عند سعد بن مسعود أخى أبى عبيد صاحب يوم الجسر فرأى الحسن أن أوضاع أهل العراق غير مستقرة فكاتب معاوية بالصلح وتنازل بالخلافة لمعاوية سنة 41هـ، وأرسل لقيس بن سعد أن اسمع وأطع لمعاوية ثم الصلح وسمى هذا العام 41هـ " بعام الجماعة"

لم يكن الحسين راضياً بتنازل الحسن ولكن الحسن لم يقبل منه ذلك والصواب مع الحسن.

الباب الثاني

العراق من الخلافة الأموية
وحتى الخلافة العثمانية

الفصل الأول: العراق فى عهد الخلافة الأموية والخلافة العباسية

الفصل الثانى: العراق بعد سقوط الخلافة العباسية وفى عهد الخلافة العثمانية

الفصل الأول

العراق فى عهد الخلافة الأموية

خلافة معاوية بن أبى سفيان[1]

الخليفة معاوية بن أبى سفيان (60 - 41 هـ) حكم معاوية لمدة 20 سنة أقام فيها العدل ولم يكن هناك أحداث وخمدت الفتن فى عهده وستطرق فى عهده لأهم الأحداث التى تتعلق بالعراق.

فى عام 41هـ:

لما تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية رحل إلى الحجاز وتوجه معاوية نحو الكوفة، فخرج عليه الخوارج فى نحو خمسمائة فنادى معاوية لا أمان لكم عندى حتى تكفوا بوائثقكم (مصائبكم) أى لا أمان لأهل الكوفة حتى يقاتلوا الخوارج. فقاتل أهل الكوفة الخوارج وهزموهم وطردوهم.

فى عام 43هـ:

مات عمرو بن العاص فى مصر، ووقعت وقعه عظيمة بين الخوارج وأهل الكوفة، وخرج الخوارج فى 300، وأهل الكوفة فى ثلاثة آلاف فاقتتلوا فهزم الخوارج جند الكوفة ثم كر أهل الكوفة فهزمهم الخوارج وكان يقود جند الكوفة معقل بن قيس وكان يقود الخوارج المستور ابن علقمة، ثم رجع معقل مرة أخرى لمقاتلة الخوارج فاستطاع الخوارج أن يشتتوا جيش معقل ولكن معقل ثبت فى المعركة وثبت معه مائتا فارس حتى أتى الغروب فتفرق الطرفان وبدأ معقل يرتب صفوفه وقدم بين يديه أبو الرواع.

عند طلوع الشمس التقى الجيشان وحمل الخوارج حملة رجل واحد على ابن الرواع ولكنه صبر وثبت وبثباته استطاع أن يهزم الخوارج، فهرب الخوارج حتى قطعوا نهر دجلة وبدأ أبو الرواع ومعقل فى تتبعهم وبهذا خمدت فتنة الخوارج لمدة السنين.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثامن: معاوية بن أبى سفيان وملكه وما واكبه من أحداث صفحة 407 - 512.

فى عام 49هـ توفى الحسن بن على رضى الله عنه.

وفى عام52 هـ توفى أبو موسى الأشعرى رضى الله عنها.

فى سنة 58هـ:

وكَّل معاوية على الكوفة ابن أخته (واسمها أم الحكم) عبد الرحمن ابن أبى الحكم، فخرج الخوارج مرة أخرى فى الكوفة ولكن ابن أم الحكم أرسل لهم جيشاً كبيراً فقتلوا الخوارج جميعاً، وفى هذه السنة توفى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وأخته ام المؤمنين عائشة رضى الله عنهما.

فى سنة 60هـ:

مرض الخليفة الأموى معاوية وفى شهر رجب توفى بسبب هذا المرض فى دمشق، رحمه الله تعالى.

كان الخليفة معاوية قد وعد الحسن بالإمارة ولكن الحسن توفى فى عام 49هـ كما ذكرنا فوكل الإمارة إلى ابنه يزيد فى 51هـ.

الخليفة الأموى يزيد بن معاوية (64 - 60هـ)[1]

كما ذكرنا ترك معاوية الخلافة لتكون ليزيد من بعده، فامتنع عن بيعة يزيد الحسين بن على، وعبدالله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، وابن عمر، وابن عباس، وفى سنة 60هـ لما بويع يزيد امتنع الحسين وعبدالله بن الزبير أما ابن عمر وابن عباس فبايعا وأما عبد الرحمن فقد مات.

أرسل أهل العراق رسلهم إلى الحسين بن على أنهم يريدونه أن يقدم عليهم ويبايعوه بدلاً من يزيد وأنهم فرحوا بموت معاوية وكرهوا ولاية يزيد، فعند ذلك أرسل الحسين ابن عمه مسلم ابن عقيل بن ابى طالب إلى العراق ليكتشف حقيقة الأمر.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الثامن: يزيد بن معاوية وما جرى فى أيامه، وخروج الحسين إلى العراق صفحة 542 - 625.

ذهب مسلم إلى الكوفة فلما سمع به أهل الكوفة تجمع عليه اثنا عشر ألف وتكاثروا حتى بلغوا ثمانى عشر ألف فأقروا له بالبيعة.

أرسل مسلم إلى الحسين أن يقدم إلى الكوفة فقد تمهدت له الطريق لبيعته.

وصلت الأخبار يزيد بما حدث فى الكوفة، فقام يزيد بعزل النعمان بن بشير من الكوفة وولى عليها عبيدالله بن زياد وأوصى يزيد ابن زياد أن إذا لقيت مسلم ابن عقيل فاقتله، غادر ابن زياد البصرة إلى الكوفة ودخلها متلثما فوجد الناس كلهم ينتظرون الحسين لمبايعته، عندها نزل فى قصر الإمارة فى الكوفة وأرسل مولاً له يبحث عن مسلم ويرى فى أى دار يأخذ البيعة، فوجد المولى أن مسلم يأخذ البيعة فى بيت هانيء بن عروة، فذهب المولى وأخبر ابن زياد بمكان مسلم بن عقيل، لكن مسلم كان يتنقل بين الديار، فأرسل عبيد الله بن زياد فى طلب هانيء بن عروة فقبض على هانيء وجُلب إلى ابن زياد وسجن.

لما سمع مسلم بما جرى لهانيء حرك رجاله فأحاطوا بقصر الإمارة وتحصن ابن زياد فى القصر وأرسل بعض رجاله ينصحون أهل الكوفة أن لوجرى له شيء فإن يزيد بن معاوية سينتقم له، عندها خاف رجال الكوفة فتخلوا عن مسلم وتركوه وحيداً، فذهب وحيداً حتى وصل داراً فخرجت عليه امرأة اسمها طوعة فطلب ماءً فسقته وسألته: من أنت ؟ فأجاب أنا مسلم بن عقيل بى أبى طالب فأدخلته فى الدار فى بيت منعزل وأخفت أمره، أتاها ابنها فرآها تكثر من التردد على البيت المنعزل فسألها وألح عليهافأجابته بوجود مسلم فى دارها وتعهدته ألا يخبر أحد.

خطب عبيد الله بن زياد فى أهل الكوفة وهددهم من يخفى أمر مسلم يهدر دمه، فأخبرهم ابن طوعة بمكانه وما هى إلا لحظات وإذا بالخيل تحيط بالدار، فخرج مسلم بسيفه وقاتلهم وفعل ذلك ثلاث مرات، وفى نهاية الأمر أعطى الأمان فلما خرج سلبوه سيفه وأركبوه على بغلة وأرسلوه إلى عبيد الله بن زياد فى قصر الإمارة فلما رأى مسلم إنه هالك وأن أهل الكوفة قد خذلوه وتفرقوا عنه تذكر ابن عمه الحسين بن على وأنه قد أرسل فى طلبه فكأنه أرسله إلى حتفه فندم أشد الندم.

أمر ابن زياد بضرب عنق مسلم ابن عقيل بن أبى طالب وبضرب عنق هانيء بن عروة فى السنة 60هـ فى يوم الأربعاء9 ذى الحجة سنة 60هـ.

كان الحسين فى مكة ووصله كتاب ابن عمه مسلم تحرك للخروج إلى العراق فى 8/12/60هـ قبل مقتل مسلم بيوم واحد.

حذر أناس كثير من ذوى الرأى الحسين ألا يخرج إلى العراق لأن أهل العراق قوم غدر فلا يغتر بهم ولكنه أصر على الخروج وخلف وراءه عبدالله بن الزبير على الحجاز.

فى طريقه إلى الكوفة سأل رجل فى بنى أسد عن أحوال الكوفة فأخبره بمقتل مسلم وهانيء فحزن عليهما، وأخذت الحمية أقارب مسلم الذين ذهبوا مع الحسين وقالوا: لا والله لا نرجع حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخانا، ثم واصل السير إلى العراق، وبعث رسول بكتاب إلى أهل الكوفة ثم وصله أن أهل الكوفة قتلوا رسوله، فقال: خذلتنا شيعتنا، فمن أحب الانصراف فلينصرف من غير حرج فتفرق الناس حوله ولم يبق إلا الذين أتوا معه من مكة، فترك التوجه إلى الكوفة وتوجه إلى منطقة تسمى كربلاء وحين نزل فيها سأل ما اسم هذه الأرض ؟ قالوا: كربلاء، قال: كرب وبلاء.

بعث عبيد الله بن زياد إلى الحسين شمر بن ذى الجوشن وأمره إما أن ينزل الحسين تحت حكمه أو يقاتله.

فى يوم عاشوراء يوم الجمعة 10/1/61هـ، انتصب جيش الحسين وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ثم بدأت المعركة بين جيش الحسين القليل وجيش ابن زياد الكثير وبدأت مبارزة وكان النصر لجيش الحسين ثم حمل شمر بن ذى الجوشن بالميسرة على الحسين ولكن الفرسان دافعوا عنه دفاعاً عظيماً ثم أرسلوا فى طلب الرماة فرموا خيل الحسين فعقروها، وقتل من جيش ابن زياد خلق كثير ولكن لم يتبين لكثرتهم، فعطش جيش الحسين فمنعهم جيش ابن زياد من ورود الماء ثم صار جيش ابن زياد يركز على الحسين بالضرب بالنبال فجرح جرحاً بليغاً وضرب على رأسه بالسيف فأدماه ثم حملت الرجال على الحسين من كل جانب وضربه زرعة على كتفه الأيسر، ثم جاء سنان بن أبى عمرو بن

أنس النخعى فطعنه بالرمح فوقع ثم نزل فاحتز رأسه وأرسل بها إلى يزيد بن معاوية ودفن عند نهر كربلاء.

فى سنة 62هـ

قدم وفد من المدينة المنورة إلى يزيد بن معاوية ورأو فيه بعض المجون مثل شرب الخمر واللهو، فلما رجعوا إلى المدينة خلعوه وبايعوا عبدالله بن حنظلة الغسيل على الموت، بينما استمرت ثورة عبدالله بن الزبير فى مكة

فى سنة 63هـ:

فيها كانت وقعة الحرة فى المدينة المنورة (سنذكرها باختصار لأن لها علاقة بموضوعنا من ناحية ثورة عبدالله بن الزبير).

لما خلعوا أهل المدينة يزيد بعث إليهم بجيش بقيادة مسلم بن عقبة المزنى من غطفان (وسمى بمسرف بن عقبة) فإذا انتهى من المدينة فليبيحها لجنده ثلاثة أيام ثم يتوجه إلى مكة.

فى يوم الأربعاء 28/12/63هـ اقتتل أهل المدينة مع جند مسلم ثم انهزم أهل المدينة فأباح مسلم المدينة لمدة ثلاثة أيام، فارتكبوا فيها من الفواحش والفساد والقتل ما الله به عليم، وبهذا خضعت المدينة لحكم يزيد وبدءوا التوجه نحو مكة وتسمى هذه المعركة " معركة الحرة " وما لبث مسلم بن عقبة بعد هذه المعركة إلا فترة بسيطة وسمع بموته.

فى سنة 64هـ[1]:

بدأ التوجه نحو عبدالله بن الزبير فى مكة، وصل جيش الأمويين بقيادة نمير بن حصين فى أواخر محرم وبدأ القتال ما بين كر وفر بين جند الأمويين وأهل مكة واستمر القتال فى شهر صفر.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الثامن: أحداث سنة 64هـ،وإمارة معاوية بن يزيد وإمارة عبدالله بن الزبيروبيعة مروان بن الحكم صفحة 623 - 644.

فى يوم السبت الثالث من ربيع الأول نصبوا المنجنيق ورموا مكة بها فاحترق جدار الكعبة واستمر حصار مكة حتى وصل خبر وفاة يزيد ابن معاوية فى 14 ربيع أول 64هـ، وبقيت مكة تحت سيطرة عبدالله ابن الزبير.

ثم تولى الخلافة معاوية بن يزيد بن معاوية وكان رجلاً صالحاً ولم تطل مدته لأنه كان مريضاً فقيل انه حكم 40 يوماً أو شهرين أو ثلاثة أشهر.

بعد موت يزيد وانسحاب جيشه من مكة، استفحل أمر عبدالله ابن الزبير فبايعه أهل مكة والمدينة والعراق ومصر وخراسان أما الشام والأردن فلم يبايعوه ما عدا الضحاك بن قيس فى الشام فقد بايعه.

رجع مروان بن الحكم ومعه بنو أمية إلى الشام وكان عبيد الله بن زياد قد وصل إلى الشام واجتمع مع مروان بن الحكم لمقاتلة الضحاك بن قيس فنزل الضحاك فى مرج راهط بجيش قوامه ثلاثين ألفاً ونزل مروان وابن زياد بجيش قوامة ثلاثة عشر ألفاً واقتتلوا فكان الانتصار للضحاك ولكن ابن زياد لجأ إلى الخدعة وذلك بمصالحة الضحاك فغدر أصحاب مروان ومالوا على الضحاك وقتل الضحاك فى هذه المعركة "معركة مرج راهط" وتفرق جيش الضحاك وبايع أهل الشام مروان بن الحكم بالخلافة.

فى سنة 65هـ[1]:

خرج سليمان بن صرد يدعو أهل العراق إلى الأخذ بثأر الحسين والمطالبة بقتل عبدالله بن زياد فتجمع العراقيون حوله فى نحو سبعة عشر ألفاً.

لما بلغ عبيد الله بن زياد خبر سليمان أرسل إليه حصين بن نمير فتجمعوا فى يوم الأربعاء 22 جمادى الأولى واقتتل الطرفان وكانت الدائرة للعراقيين.

ولكن مدد ابن ذى الكلاع وصل فى اليوم الثانى فى ثمانية عشر ألف فارس وفى اليوم الثالث وصل مدد أدهم فى عشرة آلاف وقاتلوا مع أهل الشام وانقلبت الكفة للشاميين وهزم العراقيون وقتل سليمان بن صرد فى هذه الواقعة والتى سميت بوقعة عين وردة.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الثامن: أحداث سنة 65هـ، صفحة 651 - 660.

وفى هذه السنة (65هـ) استطاع مروان أن يضم مصر لحكمه فصارت الشام ومصر تحت ولايته.

وفى شهر رمضان من هذه السنة توفى مروان ابن الحكم وولى من بعده ابنه الوليد (مات غماً بواسطة زوجته أم خالد التى كانت امرأة ليزيد بن معاوية).

خلافة عبد الملك بن مروان[1]

بويع الخلافة لما مات أبوه فى 3 رمضان65 هـ.

فى نفس السنة 76هـ، كان الخوارج قد استفحل أمرهم فى البصرة وبدءوا بقتال أهل البصرة وكان عبدالله بن الزبير قد أرسل المهلب بن أبى صفرة الأزدى إلى خراسان ولكن أهل البصرة أرادوه إلى جانبهم لقتال الخوارج وكتبوا إلى ابن الزبير فى الأمر فأقرهم على ذلك وثبّت المهلب على البصرة لقتال الخوارج.

خرج المهلب لقتال الخوارج لكن الخوارج حملوا عليه حملة منكرة فانهزم جيش المهلب وهرب إلى جبل ونادى فى جيشه فتجمعوا إليه من جديد فحفزهم على قتال الخوارج وانتهز المهلب الفرصة فأغار بجيشه على الخوارج وقتل منهم عدداً كبيراً وصار يتتبعهم وأقام بالأهواز حتى وصل مصعب بين الزبير الذى أرسله أخوه عبدالله بن الزبير ليتولى ولاية البصرة وبالتالى دخل العراق تحت حكم عبدالله بن الزبير.

فى سنة 66هـ

خرج رجل يسمى المختار بن أبى عبيد الثقفى بالكوفة (ويدعى بالكذاب)، وقد كان مسجوناً وأُطلق سراحه بعد مقتل الحسين، وبعد أن خرج بدأ ينشر دعوته حول الأخذ بثأر الحسين والتشيع لعلى بن أبى طالب فتجمع حوله أناس كثير ومن هنا خرجت فرقة الشيعة.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الثامن: خلافة عبد الملك بن مروان وما واكبها من أحداث صفحة 661 - 737،والجزء التاسع: فتنة الأشعث صفحة 44 - 75.

بدأت شوكة جماعة المختار (الشيعة) تكبرعندما قتل ابراهيم بن الأشتر من جماعة المختار إياس بن مضارب وهو من جماعة عبدالله بن مطيع نائب الكوفة من قبل عبدالله بن الزبير. (عرف المختار بالكذاب لأنه ادعى ان الوحى يأتيه).

حاول عبدالله بن مطيع أن يتغلب على جماعة المختار ولكنه لم يوفق واستعان بشمر بن ذى الجوشن الذى قتل الحسين ولكن ابن الأشتر استطاع أن يهزمهم، أما المختار فقد تقدم نحو قصر عبدالله بن مطيع واستطاع أن يحاصره ويستولى عليه أما ابن مطيع فقد هرب إلى البصرة.

توجه المختار لقتال قتلة الحسين فأرسل إليه عبيد الله بن زياد جيشاً فتواجها فى يوم عرفة واستطاع جيش المختار أن يهزمهم، ثم التقوا مرة أخرى فى يوم الأضحى المبارك فهزمهم جيش المختار وأسر منهم ثلاثمائة أسير، فضربت أعناقهم جميعا.

هنا توجه ابن زياد بجيش تعداده ثمانية ألف فلما سمع جماعة من اليمن ومصر كانوا فى جيش المختار فكروا بالثورة وقتل المختار لأنهم لا طاقة لهم بجيش ابن زياد، علم المختار بهذه المكيدة فخرج بنفسه هو وابن الأشتر لقتال الثائرين فقتل منهم الكثير فى يوم الأربعاء 24/12/66هـ، ومن نجا منهم هرب إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير.

فلما سمع أشراف الكوفة بهذه الأخبار هربوا من الكوفة إلى البصرة وكان ممن هرب شمر بن الجوشن فأرسل المختار فى طلبه وأرسل أمير حرسه أبا عمرة فاستطاع أبو عمرة أن يباغت شمر ومن معه فهربوا عنه وبقى شمر يقاتل حتى قتل ففرح المختار بذلك.

أخذ المختار يحاول أن يخدع مصعب بن الزبير ويوهمه أنه تحت طاعته ولكن مصعب كشف أمر الخديعة فقام جيش مصعب بقتل الجيش الذى أرسله المختار ليكون تحت طاعة مصعب.

عندها فكر المختار بالخطر الأكبر القادم من الشام وهو جيش ابن زياد، فنادى فى شيعته أن يخرجوا للقتال مع إبراهيم بن الأشتر.

تواجه جيش إبراهيم بن الأشتر مع جيش عبدالله ابن زياد عند نهر خازر فاقتتل الجيشان قتالاً شديداً واستطاع أهل العراق أن يهزموا جيش الشام واستطاع ابن الأشترأن يقتل عبيدالله بن زياد وأرسل رأسه إلى المختار فى الكوفة ففرح المختار بهذا النصر العظيم. وقعت هذه المعركة فى بداية سنة 67هـ.

بعد هذا الانتصار العظيم للمختار هاجم مصعب بن الزبير المختار بجيش من البصرة واستطاع مصعب أن يهزم المختار ويقتله وبذلك زالت دولة المختار فى الكوفة وبقى أتباع قليلون يمارسون دعوتهم بالسرية فى الكوفة وتقسمت هذه الفرقة فيما بعد إلى فرق ضالة كثيرة سنذكرها فيما بعد حسب السنوات التى ظهرت فيها.

فى سنة 68هـ:

بدأ الخوارج إرهابهم مرة أخرى فى المدائن من قتل النساء وبقر بطون الحبالى وقتل الأطفال فوكل عبدالله بن الزبير أمرهم إلى المهلب بن أبى صفرة فانتقل إلى الأهواز وبدأ قتاله مع الخوارج.

فى سنة 70هـ قدم الحجاج بن يوسف الثقفى على عبد الملك بن مروان من الطائف إلى دمشق، وقد كان يعلم الصبيان القرآن فى الطائف وكان فصيحاً بليغاً لا يوازن بلاغته إلا الحسن البصرى.

فى سنة 71هـ:

جهز عبد الملك جيش هائل لمقاتلة مصعب بن الزبير فى البصرة فالتقى الجيشان عند دير الجاثليق وكان إبراهيم بن الأشتر فى مقدمة جيش مصعب ومحمد بن مروان على مقدمة جيش عبد الملك، فحمل جيش الشام على جيش العراق فهزموهم وقتل إبراهيم بن الأشتر ثم قتل بعده مصعب بن الزبير واحتز رأسه وأرسل إلى عبد الملك، وبهذا دخلت العراق تحت حكم عبد الملك وأقر عبدالملك المهلب وثبته فى مكانه وأوصاه بحرب الخوارج.

فى سنة 72هـ:

وقعت وقعة عظيمة فى مكان سولاق بين المهلب بن أبى صفرة والخوارج الأزارقة واستطاع المهلب أن يشتت ويهزم الخوارج فى أكثر من وقعة. وأرسل عبد الملك الحجاج إلى مكة لقتال عبدالله بن الزبير. ولما وصل الحجاج إلى مكة قام بحصارها حصاراً شديداً وحبس عن أهلها الميرة والماء، بدأ حصاره لمكة من أول شهر ذى الحجة.

دخلت سنة 73هـ ولا زالت مكة محاصرة وضربت بالمنجنيق فأحرقت جزء من الكعبة فتفرق الكثير من حول عبدالله وطلبوا الأمان من الحجاج فآمنهم حتى حمزة وخبيب ابنا عبدالله بن الزبير، واشتد الحصار على عبدالله ومن معه ولم يكن لديهم إلا ماء زمزم يشربونه.

فى يوم الثلاثاء 17 جمادى الأول سنة 73هـ هاجم جيش الحجاج الحرم واشتبكوا مع من بقى مع عبدالله فقتلوا وقُتل عبدالله بن الزبير رحمه الله، وأخذ الحجاج البيعة من أهل مكة حتى حج عبد الملك فى هذه السنة واشتكى أهل مكة من معاملة الحجاج فعزله عبد الملك ثم أرسله إلى المدينة وولاه عليها.

فى سنة 74هـ، مات بشر بن مروان - أخو عبد الملك - وكان المهلب قد خرج بجيش لقتال الخوارج من البصرة والكوفة، فلما سمعوا بموت بشر تقاعص جيش المهلب وتركوه ورجعوا إلى منازلهم فى البصرة والكوفة.

عندما رأى عبد الملك أن أمر العراق غير مستقر، فأرسل إلى الحجاج فى المدينة بأن أمر العراق قد ولى إليه فقبل الحجاج وتوجه إلى الكوفة.

وصل الحجاج إلى الكوفة فى سنة 75هـ ودخلها وهو ملثم فقام فى الناس وخطب فيهم خطبته المشهورة "يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساويء الأخلاق .... إلخ " ثم أمر بمن رجع من جند المهلب أن يرجع إليه لقتال الخوارج وأى رجل يُرى بعد ثلاثة أيام يضرب عنقه، فخرج إليه رجل واشتكى إليه إنه رجل كبير السن وعليل

ولا يستطيع الخروج فسأله الحجاج من أنت؟ قال: أنا عمير بن ضابيء التميمى، فقال له الحجاج ألست الذى غزا عثمان بن عفان؟ قال: بلى، فأمر الحجاج بضرب عنقه، فلما سمع الناس بقصة عمير بن ضابيء خرجوا من الكوفة للالتحاق بجيش المهلب.

سمع أهل البصرة بما جرى فى الكوفة فاحتجوا على الحجاج، عندها رحل الحجاج إلى البصرة وخطب فيهم مثل خطبته فى أهل الكوفة من الوعيد والتهديد فأتى رجل كبير السن فاعتذر إلى الحجاج فأمر الحجاج بقتله، لما سمع أهل البصرة بذلك خرجوا وتجمعوا خارج البصرة عند قنطرة رامهرمز وثاروا على الحجاج وولوا عليهم عبدالله بن الجارود فعندها خرج إليهم الحجاج بجيشه واقتتلوا فى شهر شعبان من السنة 75 وقُتل عبدالله بن الجارود أما البقية من رءوس القوم فقد أمر الحجاج بقتلهم والباقى أرسله إلى جيش المهلب، وفى العشر الأواخر من رمضان وقعت معركة عظيمة بين المهلب والخوارج واستطاع الخوارج أن يهزموا جيش المهلب ويقتلوا قائده عبدالرحمن بن مخنف.

فى صفر من السنة 76هـ

خرج رجل من الكوفة يدعى صالح بن مسرح وهو الطائفة الصفرية المتشيعة لعلى بن أبى طالب واجتمع مع شبيب بن يزيد أحد شجعان الخوراج. فبعث إليهم محمد بن مروان (أخو الوليد) جيشاً وكان نائباً على الجزيرة[1].

توجه الجيش إلى الخورارج لكن الخوراج هزموهم، فبعث محمد بن مروان جيشاً آخر فاستطاع هذا الجيش أن يهزم الخوارج وأن يقتل صالح بن مسرح لكن شبيب انسحب ثم كرَّ على الجيش الذى يقوده الحارث بن عمير واستطاع شبيب أن يقلب الهزيمة إلى نصر.

- بعدها توجه شبيب ومعه زوجته غزالة إلى الكوفة وكان فيها الحجاج فأرسل الحجاج جيشاً كثيفاً ولكن بالرغم من قلة الخوارج لكنهم استطاعوا أن يصرعوا جيش الحجاج عندها هرب الحجاج إلى البصرة فدخل الخوارج إلى الكوفة وقتلوا رؤساءها.

---

(1) الجزيرة: المنطقة الواقعة حالياً فى شمال شرق سورية.

أما غزالة الشيبانية زوجة شبيب فكانت تقاتل بشجاعة ودخلت مسجد الكوفة (وكانت قد سمعت بالحجاج وانتصاراته فأنذرت وأقسمت لتهاجمن الحجاج فى الكوفة ولتدخلن مسجد الكوفة وتصلى الفجر فيه وتقرأ فى الركعة الأولى البقرة والركعة الثانية آل عمران ويقال أنها استطاعت أن توفى بنذرها).

ولما رأت الحجاج قد هرب وترك الكوفة أنشدت هذه الأبيات:

أسد علىَّ وفى الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة فى الوغا   أم كان قلبك فى جناحى طائر

فى سنة 77هـ أرسل الحجاج جيش من الكوفة وتعداده 50 ألفاً نحو الخوراج وكان عدد الخوراج قليل ولكن شجاعتهم كبيرة واستطاعوا أن يكسروا هذا الجيش بمعركة فى الليل وقتلوا قائده عتاب بن الورقاء عندها تحرك الحجاج بنفسه ومعه جيش من الشام هذه المرة فوقعت معركة عظيمة بينه وبين الخوراج لكن الخوراج بالرغم من قلة عددهم إلا أنهم استطاعوا أن يثبتوا فى القتال، فاستأذن خالد بن عتاب الحجاج وهاجم الخوراج من خلفهم فقتل مصاد أخا شبيب وغزالة امرأة شبيب فقتلها رجل يقال له فروة بن دقاق الكلبى.

فانسحب الخوراج وفرح الحجاج بهذا النصر، لكن شبيب لم يتم فرحة الحجاج فاستطاع شبيب أن يهزم سرية جيش الكوفة ويدخل الكوفة وبدأ يقتل فى أهلها ثم خرج منتصراً.

لما رأى الحجاج قوة شبيب أرسل فى طلب مدد من البصرة من الحكم بن أيوب زوج ابنته فأرسل له جيش فى أربعة آلاف فخرجوا فى طلب شبيب مع جيش ابن الأدبر من الكوفة فخرج شبيب ومعه مائة من أصحابه وعبروا جسر على نهر اقتتلوا مع جيش الحجاج قتالاً شديداً وغربت الشمس وافترق الجيشان، وفى اليوم الثانى عبر شبيب بفرسه فانقطع به الجسر فسقط فى الماء وقال: ﴿...لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَالْمَسَاكِين.. (٤٢)﴾

[الأنفال]، وغرق ومات، فتفرق الخوارج ثم وقعت وقعة عظيمة بين المهلب بن أبى صفرة والخوارج الأزراقة بقيادة قطرى بن الفجاءة وأظهر الفريقان شجاعة لا يعرف لها مثيل فى النهاية استطاع المهلب أن يفرق الخوارج ويقتل قطرى بن الفجاءة بعدها استقرت الأوضاع فى العراق حتى أتت فتنة عبدالرحمن بن الأشعث الكندى.

فى سنة 81هـ، ظهرت فتنه ابن الأشعث التى كادت أن تسقط حكم بنى أمية، ما هى قصة عبدالرحمن بن الأشعث ؟!

كان الحجاج قد أرسل بن الأشعث إلى بلاد الترك بلاد رتبيل لكن ابن الأشعث توقف واعتذر للحجاج بأنه يريد أن يتوقف لفترة ويرتاح فيها الجيش لكن الحجاج أنبه ووصفه بالجبن فعند ذلك أعلن الثورة ضد الحجاج وضد الخليفة عبدالملك وكان جيشهم جله من العراق فبايعوه على ذلك لأنهم اشتاقوا إلى أهليهم وذويهم فى العراق فتحرك ابن الأشعث فى ثلاثة وثلاثين ألف فارس ومائة وعشرين ألف راجل فخرج الحجاج من البصرة بجنود من الشام لكن جيش بن الأشعث هزم مقدمة جيش الحجاج وهرب جيش الحجاج إلى البصرة ثم هربوا حتى وصلوا إلى الزاوية فعسكر هناك وكانت الطريقة المثلى لأنه لو بقى فى البصرة فإنها ستنقلب ضده وضد جيشه، بعد ذلك دخل ابن الأشعث البصرة وقابل جنده أهليهم وأولادهم وبايعوه أهل البصرة وخلعوا عبدالملك وبهذا ثارت العراق ضد عبدالملك مرة أخرى.

وفى محرم سنة 82هـ وقعت معركة الزاوية بين ابن الأشعث وجيشه من أهل العراق مع الحجاج وجيشه من الشام وكانت الغلبة لأهل العراق لكن قائد جيش الحجاج سفيان بن الأبرد استطاع أن يقلب المعركة لصالحه وفر ابن الأشعث ومن معه إلى البصرة.

ثم وقعت معركة بين الحجاج وأهل البصرة لمدة خمس ليال انتهت بفرار ابن الأشعث إلى الكوفة وهناك بايعه أهل الكوفة وهكذا رجعت البصرة للحجاج ثم اتجه الحجاج إلى ابن الأشعث فى الكوفة فخرج جيش الحجاج بدير قرة وخرج جيش ابن الأشعث وعسكر فى دير الجماجم فالتقى الجيشان عند دير الجماجم وكان الانتصار لأهل العراق على أهل

الشام واستمرت المعركة لأيام عدة حتى دخلت سنة 83هـ واستطاع الحجاج بخبرته العسكرية أن يركز القتال على القراء فى جيش ابن الأشعث لأن الناس كان تبعاً لهم وهم الذين يحرضونهم ثم حمل الحجاج فانهزم جيش ابن الأشعث وفرّ ابن الأشعث كعادته وأتبع وراءه الحجاج جيشاً كثيفاً ولكن ابن الأشعث واصل فراره حتى وصل إلى بلاد رتبيل ملك الترك وهناك لجأ عنده.

ثم أخذ الحجاج يتتبع أصحاب ابن الأشعث فجعل يقتلهم حتى يقال أنه قتل منهم مائة ألف وثلاثين.

فى سنة 82هـ وقبل انتهاء معركة دير الجماجم مات قاهر الخوارج المهلب بن أبى صفرة رحمه الله. فى سنة 84هـ أرسل الحجاج إلى ملك الترك رتبيل أن يرسل له بابن الأشعث أو سيرسل إليه ألف ألف مقاتل فعند ذلك خاف رتبيل فأسر ابن الأشعث وأرسله إلى الحجاج لكن ابن الأشعث فى الطريق رمى بنفسه من عل فمات.

فى سنة 85هـ بايع الوليد للخلافة من بعده ولده الوليد ثم ولده سليمان فى سنة 86هـ وقع طاعون بالبصرة والشام ويسمى طاعون الفتيات لأنه أول ما أصاب النساء.

خلافة الوليد بن عبد الملك[1]

فى النصف من شوال سنة 86هـ توفى الخليفة عبدالملك بن مروان وبويع ابنه الوليد بالخلافة قبل أن يموت عبدالملك وأوصى بالحجاج خيراً ووصفه بسيف بنى أمية، فأبقاه الوليد على العراق، واتخذ الحجاج من القمع وسيلة للتعامل مع أهل العراق وبقى العراق هادئاً حتى سنة 94هـ عندما أحضر سعيد بن جبير إلى الحجاج فأمر الحجاج بضرب عنقه وذلك أن سعيد بن جبير كان مع ممن أقر بابن الأشعث عندما أتى إلى العراق فحقد عليه الحجاج وصار يلاحقه حتى قبض عليه فى هذه السنة 94هـ فى مكة المكرمة.

فى سنة 92هـ بدأ فتح الأندلس على يد طارق بن زياد وفتح بلاد الهند على يد محمد القاسم.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء التاسع: خلافة الوليد بن عبد الملك وما واكبها من أحداث صفحة 85 - 191

فى سنة 95هـ توفى االحجاج بن يوسف الثقفى الذى كان نقمة لأهل العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة وخذلانهم لهم، توفى الحجاج نتيجة لمرض أصابه فى بطنه حتى مات منه ويقال أنه كان يرى سعيد بن جبير فى منامه قبل مماته.

فى يوم السبت النصف من جمادى الآخر من سنة 96هـ توفى الخليفة الوليد ومسك الخلافة أخوه سليمان ولم يكن هناك أحداث بالنسبة للعراق حتى توفى سنة 99هـ وأوصى الخلافة من بعده لعمر بن عبدالعزيز الخليفة العادل فى سنة 100هـ خرجت خارجة بالعراق من الحرورية فبعث عمر ابن عبدالعزيزإليهم نائب الكوفة عبدالحميد فكسرهم وخمدت ثورتهم.

فى سنة 100هـ[1]:

بدأت دعوة سرية لبنى العباس وقام بهذه الدعوة محمد بن على عبدالله بن العباس وكان مقيماً بأرض الشراة ومعه أتباع كثيرون مثل أبو خنيس وأبو عكرمة السراج وغيرهم وكانت دعوتهم بأن تعود الخلافة لرجل من آل البيت ولم يحددوا الشخص بذاته أرسل محمد رجلاً اسمه ميسرة إلى العراق.

ولكن قبل التحدث عن دعوة بنى العباس هناك أحداث وفرق ظهرت فى العراق كان لها سبب فى ظهور هذه الدعوة وخاصة فى آواخر القرن الأول وبداية القرن الثانى ستتكلم عنها باختصار:

بعد مقتل المختار الكذاب فى الكوفة (كما ذكرنا سابقاً) بقى أتباع له يدعون لمحمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية بالمهداوية وأنه المهدى المنتظر ولما مات قالوا أنه لا زال حى فى جبل رضوة فى جهينة وتسمى هذه الفرقة الضالة بالكيسانية تفرقت إلى عدة فرق من أهمها الفرقة الهاشمية التى تدعو إلى أبى هاشم عبدالله بن محمد بن على بن أبى طالب وتفرقت الفرقة الهاشمية إلى عدة فرق أحدها تقول أن عبدالله أبا هاشم قبل أن يموت فى حيمة البلقاء فى السنة 99هـ أوصى للعهد من بعده لعلى بن عبدالله بن العباس فمن هناك بدأت الدعوة الدولة العباسية.

(1) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء التاسع: سنة 100هـ وبدء دعوة بنى العباس 221 - 224

وفى البصرة كان العالم الجليل الحسن البصرى الذى كان مجلسه يغوص بالعلم والعلماء وفى مرة كان الحسن البصرى يتحدث عن مسألة تتعلق بمرتكب الكبيرة وكان فى مجلسة رجل يدعى واصل بن العطاء. كان واصل خطيباً فقهياً وكان لديه لتغة فى لسانه ولا يستطيع أن ينطق حرف الراء بل كان ينطقه مثل حرف اللام فكان يخطب بالناس ولا يأتى بكلمة فيها حرف الراء فهذا يدل على أنه ذو علم وخطابة.

عندما تحدث الحسن البصرى عن المسألة تتعلق بمرتكب الكبيرة، قام واصل بن عطاء وعارضه وقال أن مرتكب الكبيرة فى المنزلة بين المنزلتين، ثم انتهى به الأمر إلى اعتزال مجلس الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل فتبع واصل فرقة سموا فيما بعد بالمعتزلة فمن هنا بداية فرقة المعتزلة فى البصرة.

تعلم زيد بن على (زين العابدين) بن الحسين بن على بن ابى طالب على يد واصل بن عطاء فكان زيد معتزلياً وتبعته فرقة سميت فيما بعد بفرقة الشيعة الزيدية والشيعة الزيدية يجوزون إمامة المفضول مع قيام الأفضل أى أن خلافة أبو بكر وعمر لا بأس فيها فهؤلاء الزيدية يحبون أهل البيت ولكنهم يفضلون علياً عليهم.

سألوا شيعة الكوفة زيد عن أبى بكر وعمر فمدحهما وأثنى عليهما فرفضوا هذا الشىء فسميوا بالرافضة ومن هنا ظهرت الشيعة الرافضة فى الكوفة قتل زيد بن على على يد هشام بن عبدالملك فى سنة 122هـ.

توفى على بن عبدالله بن عباس سنة 118هـ وانتقل الأمر من بعده لابنه محمد (وهو والد أبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور) ولما مات انتقلت الدعوة من بعده لولده إبراهيم وسمى بالإمام.

نرجع لموضوعنا وعن الدولة الأموية بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز تولى يزيد بن عبدالملك سنة 102هـ ومكث فى الخلافة مدة أربع سنين، وتوفى فى شعبان 105هـ ولم يكن هناك أحداث تتعلق بالعراق.

خلافة هشام بن عبد الملك[1]

أتى بعده الخليفة العاشر هشام بن عبدالملك ودامت خلافته لمدة 20عاماً.

فى بداية خلافته قويت دعوة بنى العباس فى العراق بالسر.

تولى أسد بن عبدالله القسرى ولاية خراسان وهناك نكل بدعاة العباسية وأقام عليهم حد الحرابة.

فى سنة 121هـ بايع أهل الكوفة زيد بن على (زين العابدين) كما ذكرنا سابقاً ولكنهم رفضوا مذهبه وسموا الرافضة وقد أرسل له هشام بن عبدالملك جيشاً لقتاله وكان أهل الكوفة قد خانوه كما خانوا جديه الحسين وعلى.

وفى محرم من سنة 122هـ اقتتل جيش زيد وكان تعداده 218فارساً مع جيش الشام وكان تعداده 500فارس وانتهت المعركة بمقتل زيد بسهم فى رأسه.

فى سنة 124هـ اشترى بكر بن ماهان أبا مسلم الخراسانى من عيسى بن مقبل العجلى وكان بكر ممن استجاب لدعوة العباسيين، وفى بداية هذه السنة من (124هـ) ظهر رجل يسمى الجعد بن درهم وهو معتزلى المذهب وأول من ابتدع بدعة خلق القرآن وكان قد تتلمذ على يده مروان الحمار أو الجعدى أخر خلفاء بنى أمية ولما جهر ببدعته قُبض عليه من قبل والى الكوفة خالد القسرى وقتله فى يوم عيد الأضحى وقال فى خطبته (ضحوا تقبل الله ضحياكم فإنى مضحى بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً)، ثم نزل فذبحه فى أصل المنبر.

فى 125هـ توفى الخليفة هشام بعد أن توسعت الدولة الإسلامية فى عهده أقصى اتساعها.

بعد وفاة هشام تزعزعت دولة بنى أمية وبدأت بوادر الانهيار تظهر عليها بينما دعوة بنى العباس بدأت تقوى شيئا فشيئا.

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء التاسع: خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وما واكبها من أحداث صفحة 275 - 406

تولى الخلافة بعد هشام ابن أخيه الوليد بن يزيد وكان رجلاً ماجنا مجاهراً بالمعاصى (أم الوليد عمها الحجاج بن يوسف)، وقام باضطهاد أبناء عمه هشام، وانتهت خلافته بمقتله على يد ابن عمه الوليد يزيد بن الوليد فى جمادى الآخرة السنة 126هـ.

تولى يزيد بن الوليد الخلافة كان عادلاً ولم يلبث طويلاً حتى مات فى ذى الحجة سنة 126هـ.

مع هذه الفتن والقلاقل التى عصفت بدولة بنى أمية سمحت وأعطت فرصة لدعوة بنى العباس فى الانتشار. من الكلمات المؤثرة عن يزيد (يا بنى أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويهدم المروءة ويثير الشهوات فإن كنتم ولا بد فاعلين النساء فإنه داعية الزنا).

خلافة مروان بن محمد (مروان الثانى)[1]

فى سنة 127هـ تولى الخلافة أخو يزيد إبراهيم بن الوليد فثار عليه أخوه من أمه مروان الحمار (سمى الحمار لقوته) وتقدم مروان بجيش تعداده ثمانين ألفاً وبعث إبراهيم جيشاً تعداده مائة وعشرين ألفاً لكن جيش إبراهيم هزم وفر إبراهيم ودخل مروان دمشق وأخذ البيعة ثم اضطر أخوه إبراهيم إلى المجئ إليه ومبايعته.

مع هذه الحروب نمت شوكة العباسيين واجتمعوا فى بيت إبراهيم بن محمد (الملقب بالإمام) ومع هذه الجماعة أبو مسلم الخراسانى.

فى سنة 129هـ ورد كتاب إبراهيم الإمام بطلب أبى مسلم الخراسانى فأخذ ينشر دعوة العباسيين وهو فى طريقه إلى الحج وبهذا بدأ نجم أبى مسلم فى الظهور ولكن معظم الناس لم يستجيبوا له لأنه من خراسان ليس عربياً فرجع إلى إبراهيم الإمام وأخبره بإعراض الناس فوجهه إبراهيم إلى مرو عاصمة خراسان وأوصاه أن ينزل عند القحطانيين وإن استطاع ألا يدع لساناً عربياً فى خراسان فليفعل.

(1) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء العاشر: سنة 127هـ ودخول مروان الحمار دمشق ولايته الخلافة وما واكبه من أحداث صفحة 434 - 452

فى رمضان من نفس السنة جهر أبو مسلم بدعوة العباسيين واتخذ من السواد شعاراً لهم ولما تجمع له الأنصار توجهوا إلى والى خراسان من قبل الأمويين نصر بن سيّار فأرسل نصر إلى الخليفة مروان يخبره بخطورة الأمر وانتهى الأمر بالقبض على إبراهيم الإمام فى حميمة البلقاء وسجن من سنة 129هـ إلى 132هـ ثم قتل فخلفه أخو عبدالله المشهور بأبى عبدالله العباس السفاح على دعوة العباسيين.

واستمر نصر بن سيّار فى مقاتلة أتباع أبى مسلم حتى توفى فى ربيع الأول من سنة 131هـ.

بعد موت نصر سيطر أبو مسلم على خراسان وصارت خراسان تحت سيطرة العباسيين وبدأ الاتجاه الآن نحو العراق وفى طريقهم إلى العراق كانوا يرتكبون من المجازر ما يشيب لها الرأس.

كان يقود جيش أبى مسلم قحطبة بن شبيب نحو والى العراق من قبل الأمويين يزيد بن عمر بن هبيرة فاستنجد يزيد بمروان فى الشام فأمده بجيش كثيف وتقابل الجيشان فى بداية السنة 8 محرم 132هـ، واقتتلوا قتالاً شديداً ثم ولى الشاميون منهزمين وقتل قحطبة واستلم الجيش من بعده ابنه الحسن بن قحطبة ثم توجه الحسن إلى الكوفة وأخذ البيعة للعباسيين.

فى ليلة الجمعة 13ربيع الآخر سنة 132هـ أُخذت البيعة لعبدالله أبى العباس السفاح.

العراق فى عهد الخلافة العباسية

خلافة أبى العباس السفاح(1)

صار العراق تحت حكم العباسيين بينما الشام لازالت تحت حكم الأمويين، توجه مروان بن محمد بجيش تعداده مائة وعشرين ألف مقاتل بينما العباسيون تعدادهم عشرين

(1) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء العاشر: أحداث سنة 132هـ وخلافة أبى عباس السفاح صفحة 452 - 474

ألف مقاتل وتقابل الجيشان فى منطقة الزاب قرب مدينة الموصل على نهر الفرات ودارت معركة الزاب فى جمادى الآخر سنة 132هـ انتهت بانتصار العباسيين بالرغم من قلة عددهم وفرّ مروان إلى الشام إلى دمشق وواصل فراره حتى وصل مصر، أما جيش العباسيين فقد واصل زحفه نحو دمشق وضرب عليها الحصار وأخيراً تمكنت جيوش أبى العباس من اقتحام مدنية دمشق وأباح لهم القتل فيها مدة ثلاث ساعات كانت كافية لقتل خمسين ألف إنساناً، ثم أرسل فى طلب مروان بن محمد أرسل أخوه صالح فوجدوه فى كنيسة أبو صير فى مصر وهناك قتل واحتز رأسه وأرسلوا برأسه إلى السفاح وهكذا سقطت الدولة الأموية فى عام 132 هـ، وبدأ حكم الدولة العباسية واتخذوا من العراق مقراً لدولتهم.

لما استقر الحكم لأبى العباس السفاح بعد مقتل مروان بن محمد رجع إلى الحيرة مقر حكمه وأعطى الأمان لبنى أمية فأتوا إليه وبايعوه وبينما هم معه فى المجلس إذا دخل عليه رجل ملثم وهو سديق بن ميمون)رجل أسود من الحجاز (وقال بين يديه قصيدة تحريضية نذكر بعضاً منها:

أقصهم أيها الخليفة وأحسم ... عنك بالسيف شأفة الأرجاس
وأذكرنّ مصرع الحسين وزيد ... وقتيل بجانب المهراس
والإمام الذى بحران أمسىَ ... رهت قبر فى غربة وتفاني
فلقد ساءنى وساء سوائى ... قربهم من نمارقٍ وكواسِ

وبعد هذه القصيدة التحريضية أمر السفاح جنده فقاموا بتهشيم الأمويين ثم أمر بالغداء ووضع الفرش عليهم وتناول الغداء فوق أجسادهم وبعد أن انتهوا قام بصلبهم ثم جمعهم فى بئر وردمه عليهم، بعد هذه الحادثة أمر بتتبع الأمويين ومطاردتهم، ومن الذين طُوردوا عبدالرحمن بن معاوية (المعروف بعبد الرحمن الداخل) الذى فرّ إلى الأندلس واستطاع أن يؤسس دولة الأمويين هناك.

ثم بعد مطاردة الأمويين أمر السفاح بقتل أبى سلمة الخلال لأنه كان يريد أن يعطى الخلافة لواحد من نسل على بن أبى طالب فلم ينس ذلك العباسيين، فأرسل إليه أبا مسلم فقتله أبو مسلم وقتل معه سليمان ابن كثير وكلهم من دعاة العباسيين.

ومن أبشع الجرائم التى وقعت فى عهد السفاح عندما ولى أخوه يحيى على الموصل فتحرك يحيى فى اثنى عشر ألفاً فتهيأ أهل الموصل لقتاله فلجأ يحيى إلى الخديعة وقال لهم: من دخل جامع الموصل فهو آمن فصدقه الناس ودخلوا المسجد بعد أن ألقوا سلاحهم... فأمر يحيى بقتل من هم فى المسجد ومن هم فى المدينة فقتل أحد عشر ألف نفساً فلما جن الليل تعالت أصوات النساء والأطفال بالبكاء فأمر يحيى بقتل النساء والأطفال ثم أطلق أربعة آلاف من عبيده على النساء فارتكبوا الفواحش فى النساء المسلمات، ثم أتت امراة فى الصباح وأخذت تأنب يحيى وتقول: ألست من بنى هاشم ؟ ألست ابن عم الرسول؟ أو ترضى أن يُفعل ذلك بنساء المؤمنين ؟، فلم يرد عليها ولكنه استدعى العبيد الذين أطلقهم على المدينة ثم أمر بقتلهم جميعاً لإحساسه بالذنب لأن كلام المرأة اثر فيه وما لبث يحيى حتى عزله السفاح وولى بدلاً منه عمه إسماعيل على الموصل عام133 هـ.

قضى السفاح حياته فى القضاء عل الثورات فى بقاع مختلفة حتى توفى فى ذى الحجة من السنة 136هـ بسبب الجدرى فى الأنبار وكان أبو جعفر المنصور فى الحج.

خلافة أبو جعفر المنصور[1]

تولى أبو جعفر المنصور الخلافة فى بداية سنة 137 هـ واسمه عبدالله بن محمد ابن على عبدالله بن عباس (وكذلك اسم أخوه السفاح عبدالله)

لما بلغ عبدالله بن على (عم أبى جعفر المنصور) وفاة ابن أخيه السفاح نادى فى الناس وأخذ البيعة لنفسه ورجع إلى مدينة حران فى الشام فتسلمها بعد محاصرتها مدة أربعين يوماً، لما سمع أبو جعفر بهذه الأخبار أوكل أمر عمه إلى أبى مسلم الخراسانى، فتوجه أبو مسلم لمقاتلة عم المنصور عبدالله واقتتل الطرفان واستمر القتال لمدة خمسة أشهر حتى اليوم السابع من جمادى الآخرة استطاع أبو مسلم أن يكسر جيش عبدالله وفرّ عبدالله وطلب لنفسه الأمان من المنصور فأمنة وبايع المنصور ولكن المنصور لن ينساها له وسنذكر الانتقام فيما بعد.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء العاشر: خلافة أبى جعفر المنصور وما واكبها من أحداث صفحة 477-542

ابو جعفر المنصور من ادهى الخلفاء العباسيين وسنلاحظ ذلك فى القصة التالية:

أن أبا جعفر المنصور كان يبغض أبا مسلم الخراسانى منذ عهد أخيه السفاح وزاد بغضه له عندما أرسل مولاه أبا الخصيب إلى أبى مسلم ليحصل على المال الذى غنمه من عمه المنصور عبدالله فلما وصل الرسول سبَّه أبو مسلم وشتمه وشتم معه المنصور فرجع الرسول إلى أبى جعفر فأخبره فغضب المنصور وبدأ يفكر بحيلة للإيقاع بهذا المجرم الذى قتل ستمائة ألف رجلاً صبراً[1].

فأرسل المنصور إليه إنى وليتك على الشام ومصر لتكون قريباً منى، وكان أبو مسلم لا يزال فى الشام بعد انتهاء معركته مع عبدالله عم المنصور فرد أبو مسلم: لى ولاية خراسان، وسأستخلف على الشام ومصر من أشاء، رجع أبو مسلم قاصداً مخالفة المنصور فخرج المنصور من الأنبار إلى المدائن واستخدم مع أبى مسلم الترغيب والترهيب، فهنا انهزّ هذا الطاغية وقرر الذهاب إلى المنصور فى المدائن وهناك أعد المنصور له المكيدة ووصل أبو مسلم فى الليل بجيشه فأرسل إليه المنصور أن يقابله فى الصباح حتى يرتاح من عناء السفر، وفى الصباح قابل أبومسلم المنصور، فأخذ يؤنبه المنصور على مخالفته ومحاولته الخروج عليه، ثم ضرب المنصور بيديه فخرج أربعة من عيون الحرس فضربوا أبا مسلم بالسيوف حتى مات ولفوه فى عباءة ثم قاموا بإلقائه فى نهر دجلة، قتل فى يوم الأربعاء 26 شعبان سنة 137هـ، ثم قام المنصور بمقابلة قواد جيش أبى مسلم ونثر عليهم الأموال ليشترى سكوتهم ثم نثر الأموال على أفراد الجيش وبهذا خمدت فتنة الانتقام.

بعد مقتل أبى مسلم ثار رجل مجوسى فى خراسان اسمه سنباذ طالباً بدم أبى مسلم فأرسل له المنصور جيش بقيادة جهور العجلى واستطاع إخماد الثورة وقتل سنباذ واستولى جهور على الأموال فطمع جهور بهذه الأموال فثار على المنصور فأرسل له المنصور قواته فهزموه وقتل جهور.

---

(1) صبراً، قتل الرجل صبراً أى مقيداً بالسلاسل أو بالحبال.

وفى العراق فى الجزيرة[1]، خرج رجل من الخوارج اسمه ملبَّد الشيبانى فأرسل له المنصور جيش بقيادة حميد بن قحطبة فهزمه ملبَّد وتحصن حميد بالحصون ثم صالح حميد ملبَّد على مائة ألف فقبلها ملبَّد.

فى سنة 141هـ ظهرت طائفة الراوندية التى تؤمن بتناسخ الأرواح وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور وذهبوا الراوندية إلى قصر المنصور فى الكوفة وأخذوا يطوفون حوله فأمر المنصور بالقبض عليهم فتم القبض على مائتين منهم وحبسوا فى السجن فثار البقية فنشب قتال بين جند المنصور والراوندية وأبيد الراوندية عن بكرة أبيهم، وفى نفس السنة ولى العهد من بعده لابنه محمد الملقب بالمهدى.

كان المنصور قبل خلافته فى مكة للحج فكان يأتى بنو هاشم للسلام عليه ولكنه افتقد اثنين من بنى هاشم وهما محمد وابراهيم ابنا عبدالله بن الحسن بن الحسن بين على بن أبى طالب فتوجس منهم خوفاً وكما ذكرنا كان المنصور مشغول فى بداية خلافته بثورة عمه عبدالله ثم انشغل بأبى مسلم الخراسانى وقضى عليه ثم تحول إلى محمد وإبراهيم ابنى عبدالله وولى على المدينة واليان ولكنهما فشلا فى العثور عليهما، ثم ولى رباح بن عثمان الغظفانى على المدينة وكان قاسياً على أهل المدينة وفشل فى القبض على محمد وإبراهيم، وكان محمداً قد اختفى عند قبيلة جهينة

فى السنة 140 هـ، أمر المنصور بحبس عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على)والد محمد وإبراهيم (فى سجن فى المدينة المنورة ومن السنة 140إلى 144 هـ لكن فشل المنصور فى الحصول على أية أخبار عن محمد وإبراهيم فعندها أمر بحبس بنى الحسن بن على وهم ثلاثة عشر رجلاً ثم أمر بنقلهم من المدينة إلى سجن الربذة فى العراق وكان معهم محمد بن عبدالله بن عمر بن عثمان بن عفان ومعه ابنان له) لأن محمد بن عبدالله أخو لعبد الله بن الحسن من أمه هى فاطمة بنت الحسين بن على (وأثناء نقلهم إلى العراق كانوا مقيدين بالسلاسل والأغلال فى أعناقهم.

---

(1) الجزيرة: المنطقة فى شمال شرق سورية بين نهرى دجلة والفرات.

لما دخل محمد بن عبدالله بن عمر إلى المنصور وكان جميلاً حسن الوجه حتى كان يلقب بالديباج أهانه المنصور وأمر بضربه بالسياط حتى تغير لونه وكأنه زنجى وفُقأت عينه، وكان فيهم محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان جميلاً فتياً يلقب بالديباج الأصفر قام المنصور بإلقاءه بين أسطوانتين وبنى عليه حتى مات، رحمه الله عليه، وممن قُتل صبراً عبدالله بن الحسن بن الحسن وأخوه إبراهيم، ثم وصلت أخبار للمنصور بأن أهل خراسان ينتظرون محمد بن عبدالله للقيام بالثورة ضد المنصور فعندها قام المنصور بضرب عنق محمد بن عبدالله بن عمر بن عثمان بن عفان وأرسل رأسه لأهل خراسان وقال هذا رأس محمد بن عبدالله وأقسم على ذلك، فعندها خاف أهل خراسان من بطش المنصور، أما بقية السجناء فكان يُدس لهم السم فماتوا.

رأى المنصور ان ولاة المدينة فشلوا فى القبض على محمد بن عبدالله (أخو إبراهيم ويلقب بالمهدى وبالنفس الزكية) فعندها لجأ المنصور إلى دهائه ومكره فأرسل المنصور قادة جيشه وأن يتظاهروا بأنهم مع محمد بن عبدالله وأنه إذا خرج سيكونون معه فاستعجل محمد وخرج فى المدينة وبايعه معظمهم والبعض لم يبايع منهم إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب وكان كبير فى السن، وكان خروج محمد النفس الزكية فى غرة رجب السنة 145هـ واستولى على المدينة وقبض على رباح بن عثمان وألقى به فى السجن ثم قُتل جزاءً لظلمه لأهل المدينة.

وصلت هذه الأخبار إلى المنصور فاستشار رجل ذا حرب وهو عمه عبدالله الذى كان قد ثار عليه، وكان المنصور قد فرض عليه الإقامة الجبرية فى دار بناها له، فرده عبدالله أول مرة ولكن فى المرة الثانية وافق لأن المنصور ذكر بأنهم من بنى العباس ومحمد من بنى هاشم، فعندها أشار عليه بأن ينتقل إلى الكوفة لأن أهلها متشعبين لأهل البيت وان يحيطها بجنده فلا يدخل إليها ولا يخرج منها لأنها ستنتفض مع محمد النفس الزكية، فذهب المنصور إلى الكوفة وأرسل ابن اخيه عيسى بجند من الشام ودفع فيهم الأموال الكثيرة، اما محمد النفس الزكية فقد تحصن فى المدينة وحفر خندق مكان خندق غزوة الأحزاب ولما وصل جند الشام استطاعوا اقتحام الخندق واقتتل أهل المدينة مع جند الشام وقاتل محمد

النفس الزكية قتال الأبطال بسيف جده على بن أبى طالب وهُزم أهل المدينة وقُتل محمد واحتز رأسه فى الرابع عشر من رمضان سنة 145هـ (وكان يقاتل محمد قتالاً شبهوه بقتال جده حمزة بن عبد المطلب).

أما بالنسبة لأخيه إبراهيم بن عبدالله فكان متخفياً فى البصرة وعندما سمع بخروج أخيه محمد فى المدينة خرج هو فى رمضان على المنصور فى البصرة واستطاع أن يستولى على الكوفة والأهواز وفارس وكان جند المنصور متفرقين فى بلدان عدة وليس معه إلا ألفى فارس وكان يأمر بإشعال نيران كثيرة حتى يظنوا أنه هناك جيش كبير، فعندها وبعد مقتل محمد النفس الزكية أرسل أبو جعفر إلى عيسى بن موسى أن ارجع واترك ما عندك فرجع عيسى بجيشه ولما وصل إلى المنصور حركهم من فورهم إلى إبراهيم بن عبدالله فنزلوا فى مكان يقال له باخمرى والتقى جيش إبراهيم بجيش عيسى واقتتلوا قتالاً شديداً حتى كاد إبراهيم أن يهزم جيش المنصور ولكن القائد عيسى ثبت وما إن اشتدت المعركة حتى تفرق أهل العراق عن إبراهيم ولم يبق معه سوى المخلصين وأصيب إبراهيم بسهم فى حلقه ثم تكاثروا عليه وقتلوه واحتز رأسه وأُرسل إلى المنصور وكانت واقعة با خمرى فى ذى القعدة من السنة 145هـ.

لما رأى المنصور رأس إبراهيم بكى وقال:) والله لقد كنت لهذا كارهاً ولكنك ابتليت بى وابتليت بك).

وفى نفس هذه السنة 145هـ بدأ المنصور ببناء مدينة بغداد لتكون مدينته وبعيداً عن الكوفة حتى لا يؤخذ على حين غرة وانتهى من بناءها فى سنة146هـ.

وفى البصرة قتل نائب البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ابن المقفع لأنه كان يسب أمه.

مقتل ابن المقفع كان بطريقة بشعة وهى أن سفيان أوقد ناراً فى التنور وأخذ يقطَع ابن المقفع إرباً إرباً وكلما قطع قطعة من جسمه رماها فى التنور وابن المقفع ينظر إلى قطعة جسمه وهى تأكلها النار.

فى السنة 147هـ أراد المنصور أن يقتل عمه عبدالله فأوصى أمره إلى عمه عيسى بن موسى وخرج للحج ولكن عيسى استشار فأشاروا عليه بعدم قتله فلم يقتله وعندما رجع المنصور طلب من عيسى أن يخرج عمه عبدالله لأن المنصور قد عفا عنه فقال: قد قتلته بأمرك فأنكر المنصور وأرسل عيسى لإخوان عبدالله ليقتصوا منه، فأخبر عيسى المنصور أنه لم يقتله وأخرجه فرآه المنصور على قيد الحياة، فعندها حبس المنصور عمه عبدالله فى دار أساسها من الملح وأسالوا عليه الماء فانهدمت الدار على عبدالله ومات أما عيسى بن موسى فقد عزله المنصور.

فى سنة 150هـ خرج رجل فى خراسان اسمه استاذسيس وادعى النبوة وهزم جيش المنصور المقيم فى خراسان فأرسل له المنصور جيش جرار بقيادة خازم بن خزيمة واستطاع أن يسكت هذه الثورة ويقتل منهم سبعين ألفاً ويأسر عدداً كبيراً، أما أستاذسيس فقد هرب إلى جبل وحوصر حتى رضى ان ينزل على حكم الأمراء ثم نزل من الجبل وتم أسره.

وفى سنة 151هـ بنى المنصور مدينة الرصافة فى الجانب الشرقى لبغداد وأسكن فيها ابنه المهدى.

وفى سنة 155هـ بنى المنصور مدينة الرافقة فى العراق وفى ذى الحجة من السنة 158هـ توفى الخليفة أبو جعفر المنصور وهو فى طريقه إلى الحج.

خلافة المهدى ابن المنصور[1]

تولى الخلافة ابن المنصور محمد الملقب بالمهدى، وكان عهده عهد خير للأمة الإسلامية، واستهل خلافته بإطلاق كل من فى السجون إلا من كان محبوساً على دم، أو سعى فى الأرض فساداً.

فى سنة 160هـ أعطى المهدى ولاية العهد لابنه موسى الهادى ثم هارون الرشيد من بعده.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء العاشر: خلافة المهدى ابن المنصور صفحة 550 - 576.

فى سنة 163هـ خرج المقفع الزنديق[1] فى خراسان وتحصن فى قلعة كش فحاصره والى خراسان ولما اشتد عليه الحصار تجرع سماً وأعطاه لنسائه فماتوا جميعاً.

كان الزنادقة يحاولون الظهور والانتشار فى هذه الدولة ولكنهم وجدوا هذا الخليفة عقبة أمامهم، فكان المهدى إذا سمع برجل زنديق استفحل أمره امر بقتله وممن وقع فى يدى المهدى الشاعر الأعمى بشار بن برد اتهم بالزندقة فجلد بالسياط حتى مات 167هـ.

فى محرم سنة 169هـ مات الخليفة المهدى رحمه الله.

تولى الخلافة **موسى الهادي**[2] ومع توليه الخلافة ثار الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ولكن جيش الهادى استطاع أن يهزمه فى معركة وادى فخ فى طريق مكة، وبعد الهزيمة فر إدريس بن عبدالله بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب إلى المغرب وهناك أسس الدولة الإدريسية.

البرامكة بدءوا يحتلون أماكن مرموقة فى الدولة العباسية

فى سنة 170هـ أراد الهادى أن يعطى ولاية العهد لولده جعفر ولكن أمه الخيزران (وأم هارون الرشيد) عارضت ذلك وفى نفس السنة أُصيب الهادى بقرحة فى جوفه أدت إلى وفاته فى ربيع الأول سنة 170هـ.

خلافة هارون الرشيد[3]

تولى الخلافة **هارون الرشيد** وكان عمره 22 سنة،وأول ما تولى هارون الرشيد الخلافة أعطى الأمان لكل من كان متخفياً ماعدا الزنادقة.

فى عام 171هـ أمر الرشيد أن يغادر آل بنى طالب من بغداد إلى المدينة، وفى عام 173 هـ ماتت الخيزران جارية المهدى وأم الهادى والرشيد، وفى عام 175هـ أخذ الرشيد ولاية العهد لابنه محمد بن زبيدة المسمى بالأمين.

---

(1) الزنديق: الذى لا يؤمن بالآخرة ولا بوحدانية الله ويؤمن ببقاء الدهر.

(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء العاشر: خلافة موسى المهدى صفحة 582 - 584

(3) البداية والنهاية لابن كثير الجزء العاشر: خلافة هارون الرشيد بن المهدى صفحة 585 - 646

فى عام 176هـ خرج يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب أخو محمد النفس الزكية وإبراهيم ببلاد الديلم، فأرسل إليه الرشيد جيشاً بقيادة الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك وأوصى الرشيد ألا يقاتله وإنما يحاول مصالحته، فوافق يحيى على الصلح وفرح الرشيد بذلك ولما جاء يحيى إلى الرشيد أكرمه ولكن رجال الدولة خوفوه منه فأمر الرشيد بسجنه وأوكل أمره إلى جعفر بن يحيى البرمكى.

وفى الشام وقعت فتنة عظيمة اعتمدت على العصبية القبلية بين الشاميين واليمانيين وقتل فيها بشر كثير ولكن الرشيد بعث جماعة فأصلحوا بينهم.

فى عام 178هـ جعل الرشيد كل أمور الدولة فى يد يحيى بن خالد بن برمك[1] وبهذا أصبحت الدولة بيد البرامكة.

وفى سنة 179هـ مات الإمام مالك أحد الأئمة الأربعة وكان قد جُلد فى عهد المنصور لأنه قال: لا بأس ان يترك بيعته الرجل إذا كان بايع مكرهاً، وفى عام 180هـ نشبت فتنة مرة أخرى بين النزارية الشامية واليمانيين ولكن الرشيد أخمدها ونزع الأسلحة والخيول فى الشام، وفى نفس السنة توفى العالم النحوى سيبويه) معناه رائحة التفاح (وكان فى العراق وانتقل إلى خراسان وهناك مات.

وفى سنة 182هـ أخذ الرشيد ولاية العهد للمأمون من بعد أخيه الأمين.

فى سنة186 هـ ولى الرشيد العهد للمؤتمن بعد المأمون وعزلها عن المعتصم لأنه لا يهتم بالعلم.

وفى صفر من سنة 187هـ كانت نكبة البرامكة.

من هم البرامكة ؟ وما هو سبب نكبتهم ؟

البرامكة نسبة إلى برمك بن جاماس وهو مجوسى من خراسان وأول من اتصل من البرامكة بالعباسيين هو خالد بن برمك وكان من وزراء السفاح واحتل مكانه فى عهد

(1) يحيى بن خالد بن برمك: هو الذى ربى هارون الرشيد حتى أن الرشيد كان يناديه يا أبتى.

المنصور وبذلك بدءوا يحتلون مكانة فى الدولة وخاصة فى عهد المهدى، حيث تكفل يحيى بن خالد البرمكى بتربية هارون الرشيد كما ذكرنا.

أما السبب فى نكبتهم على أرجح الأقوال فإن الرشيد إذا خرج وسأل على قصر أو بستان يجده ملكاً لواحد من البرامكة وأيضاً السبب هو أنه لما خرج يحيى بن عبدالله أخو محمد النفس الزكية وإبراهيم اللذين ثارا على المنصور ثم صالحه الرشيد ووضعه تحت الإقامة الجبرية فى سجنه وأوكل أمره إلى جعفر بن يحيى البرمكى كما ذكرنا سابقاً واستدعى يحيى البرمكى يحيى الحسنى فقال الحسنى :اتق الله ولا تجعل خصمك غداً رسول الله، لما سمع جعفر بن يحيى البرمكى ذلك رق قلبه، وأراد إطلاق سراحه ولكن الفضل بن الربيع نقل الخبر إلى الرشيد فغضب الرشيد ورأى ان شأن البرامكة بدأ يكبر وبدءوا يتصرفون بغير إذن ولى الأمر، فاستدعى الرشيد جعفر البرمكى وأمر بضرب عنقه ثم قام بزج البرامكة فى السجن وقام بتدمير ديارهم وسُلبت أموالهم، وأما يحيى بن عبدالله الحسينى فقبض عليه وزُج به فى السجن وضُيق عليه حتى مات. (وفى السنة نفسها 187هـ نقض ملك الروم الصلح وكتب إلى هارون): من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثاله إليها وذلك من ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابى أردد إلىّ ما حملته إليك من الأموال، وإلا فالسيف بيننا وبينك))فرد الرشيد على ظهر الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تره دون أن تسمعه والسلام (فجهز الرشيد جيشاً وخرج به حتى وصل باب هرقلة مدينة فى بيزنطة وغنم وأحرق حتى طلب نقفور المصالحة على خراج يؤديه كل سنة ولما رجع الرشيد إلى بلاده نقض نقفور الصلح ولكن الشتاء قد بدأ وفى السنة التى بعدها 188 هـ خرجت الصائفة) وهى الجيوش المحاربة فى فصل الصيف) لقتال نقفور الذى نقض الصلح للمرة الثانية واقتتل الجيشان وانهزم نقفور وقتل من أصحابه أربعين ألفاً فاضطر نقفور إلى المصالحة ودفع الجزية للرشيد.

فى مستهل جمادى الآخرة سنة 193هـ توفى الخليفة هارون الرشيد - رحمه الله - بطوس فى خراسان.

خلافة محمد الأمين ابن هارون الرشيد[1]

تولى محمد الأمين الخلافة بعد موت أبيه هارون وأمه زبيدة بنت جعفر بين أبى جعفر المنصور بينما أم عبدالله المأمون الجارية مراجل بنت استاذسيس الذى ثار على المنصور.

كان الرشيد قد ولى العهد من بعده لابنه الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن فى السنة 186هـ بينما عزلها عن ابنه المعتصم بالله لأنه لا يهتم بالعلم كم ذكرنا، وهذا خطأ كبير سبب الفتنة بين الأخوة، كان الأمين خليفة فى بغداد وبينما أخوه المأمون والياً على خراسان منذ عهد أبيه الرشيد، تولى الأمين الخلافة وكان كثير اللعب واللهو وفى السنة 194هـ أشار الفضل بن ربيع إلى الأمين أن يولى العهد من بعده لابنه موسى فوافقه على ذلك وبدأ الخلاف بين الإخوة، وفى عام 195هـ أرسل الأمين على بن عيسى بن ماهان لقتال المأمون فالتقى مع الأمير طاهر فى الرى فاقتتلوا وقتل على بن عيسى وأرسل رأسه إلى المأمون ولما وصل الخبر إلى الأمين فجهز جيشاً تعداده عشرين ألفاً بقيادة عبد الرحمن بن جبله واقتتل مع الأمير طاهر وقتل عبد الرحمن وفر أصحابه.

وفى السنة 196هـ حدث اختلاف فى جيش الأمين فاقتتلوا فيها بينهم وانتهت المعركة بانتصار حزب الخليفة الأمين ولكن ذلك سبب زعزعة فى جيشه استغلها أخوه المأمون فأرسل جيشاً بقيادة الأمير طاهر بن الحسين الخزاعى لقتال الأمين، فتحرك الجيش حتى وصل الأنبار فى يوم الثلاثاء 12 ذى الحجة عام 196هـ، وبدأت سنة 197هـ حيث قام طاهر بمحاصرة بغداد ونصب حولها المنجنيق واشتد الحصار على أهل بغداد وجند الأمين فتفرقوا من حوله وخرجوا طالبين الأمان فأمنهم طاهر، ثم قام طاهر بقطع المؤن التى تأتى عن طريق نهر دجلة ومنع الملاحين من السير إلى بغداد عبر النهر، بقى مع الأمين الكثير من أهل بغداد العامة وقاتلوا واستبسلوا فى الدفاع عن الأمين واستطاعوا أن يردوا جيش طاهر فى وقعتين، عندها أمر طاهر بوضع جسر على دجلة وعبر طاهر بنفسه وأزاحوا المقاومين عن مواقعهم واستمر القتال حتى دخلت سنة 198هـ، ثم دعا طاهر بالأمان لمن لزم بيته روصل جيش طاهر إلى قصر زبيدة الذى تحصن فيه الأمين فضربه بالمنجنيق واشتد الحصار

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء العاشر: خلافة محمد الأمين ابن الرشيد صفحة 657 - 679

عليه فاضطر إلى الهرب فى الليل وركب على فرس سوداء ولبس ملابس سوداء حتى لا يراه أحد حتى وصل إلى دجلة وعبره سباحة ولكنه أُسر فى الجانب الآخر من النهر من قبل جيش طاهر وقاموا بذبحه من قفاه وهو مكبوب على وجهه وهو أول خليفة عباسى يقتل، ثم قاموا بسحب جثته فى الشوارع وهذه الحركة موجودة فى العراق منذ عهد حمورابى.

خلافة عبدالله المأمون ابن هارون الرشيد[1]

تولى الخلافة أخوه عبد الله المأمون فى بداية سنة 198هـ.

فى عام 199هـ خرج فى الكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على ويسمى بابن طباطبا وتجمع حوله أهل الكوفة وانتهت هذه الثورة بموت ابن طباطبا مسموماً، ويقال أن من سمه هو قائد جيشه أبو السريا واستطاع أبو السريا أن يهزم العباسيين فى أكثر من وقعة وأرسل إلى حسين بن الحسن بن على بن على) زين العابدين (الملقب بالأفطس ليقيم لهم موسم الحج فلما سمع والى مكة وهو داود بن عيسى بن موسى بن على بن عبدالله بن عباس هرب من مكة إلى العراق لأنه رأى أن مكة بلد حرام ولا يجوز القتال فيه وبقى الناس بلا إمام حتى أئتم بهم رجل من العامة وكان الحج بدون إمام.

فى بداية 200هـ هزمت الجيوش العباسية أبا السرايا وأُسر ثم ضرب عنقه.

ثم خرج فى البصرة زيد النار وهو زيد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن على بن الحسين بن على ولُقب بزيد النار لكثرة ما حرق من البيوت فى البصرة وكان إذا وقع أسير فى يده من العباسيين حرقه بالنار.

زحفت جيوش العباسيين من الكوفة بعد الانتهاء من ثورة ابن طباطبا وحاصرت البصرة واستسلم زيد النار وأعطى الأمان وبُعث بعد ذلك إلى اليمن.

خرج فى مكة إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق فتوجه الجيش العباسى إليه وعندما أصبح جيش العباسيين قريباً هرب إبراهيم إلى اليمن وفتك بأهلها وقتّل فيهم وأخذ من أموالهم فسمى بإبراهيم الجزار وكان إبراهيم قد قام بتجريد الكعبة وسلب ما

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء العاشر: خلافة عبدالله المأمون ابن الرشيد صفحة 682 - 717

فيها من أموال، أما حسين الأفطس فتوجه إلى محمد بن جعفر الصادق وكان من أهالى مكة المقيمين فيها فأرغمه الأفطس بالخلافة إكراهاً وسمى بأمير المؤمنين وكان خليفة صورياً والحكم بيد الأفطس، هذا الأفطس وابن عمه ظهر منهم فسق وفساد كبير فى مكة فكرههم الناس وعندما وصل الجيش العباسى أخمد هذه الثورة وطلب محمد ابن جعفر الصادق المجبور بالخلافة الأمان فأُعطى الأمان بعد أن فقأت عينه، طبعاً هذه القلاقل والأحداث جعلت أفراد الجيش العباسى والشطار[1] يفرضون ضرائب على سكان العراق والمزارعين والمسافرين ومن يرفض فإنهم يقومون بنهب أمواله ومواشيه وإن شاءوا أخذوا من الغلمان والنسوان وربما تعرضوا لهم، هذا والله بلاء كبير مرت به الأمة الإسلامية والخليفة المأمون لازال فى خراسان بعيداً عن الفتن ومنشغل بقراءة كتب الفلاسفة ولم يأت بغداد إلا فى سنة 204هـ أى بعد أكثر من ستة سنوات من خلافته، وقام بجمع الأمراء العباسيين فوجدهم بلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ذكوراً وإناثاً.

مع هذا الاضطهاد الذى تعرض له الناس فى العراق قرر أهل بغداد أن يشكلوا فرقة منهم لحماية ممتلكاتهم وسميت هذه الفرقة بالمطّوعة، وكان شعار المطّوعة هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدفاع عن ممتلكاتهم وأعراضهم، ونجحت هذه الفرقة فى إصلاح الكثير وعدم تعرض ممتلكاتهم لأى خطر من الشطار والعياريين، كل هذه القلاقل والخليفة المأمون فى خراسان مشغول بقراءة كتب الفلاسفة التى أفسدت عقيدته وصار متشيعاً والدليل على ذلك أن أخذ ولاية العهد من بعده لعلى بن موسى الكاظم الملقب بعلى الرضى فى عام 201هـ واتخذ من الخضرة(أى اللون الأخضر) شعاراً له بدلاً من السواد شعار العباسيين عندما سمع أهل بغداد بولاية على الرضى بايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدى ولقبوه بالمبارك، فأشار أتباع المأمون أنه يجب عليه الرحيل إلى بغداد وإلا فإن الخلافة ستسقط من أيدى العباسيين فتحرك المأمون فى السنة 202هـ إلى بغداد، وفى طريقه مرّ بطوس التى مات فيها والده وأقام فيها أياماً وهناك أكل على الرضى عنباً كثيراً فمات فجأة فحزن عليه المأمون ولكنه استغلها لصالحه فأرسل إلى أهل بغداد أن علياً الذى وليته قد مات فارجعوا إلى الطاعة فاختلف أهل بغداد منهم من أيد المأمون ومنهم من

---

(1)) الشطار: الوزراء وكل من له مكان فى بلاط الخلافة.

أيد إبراهيم بن المهدى ولكن المؤيدين للمأمون كانوا أكثر فغلبوا من أيّد إبراهيم، عندما وصل المأمون إلى بغداد قام بحصارها واستطاع جيشه أن يدخلها وبايعه أهل بغداد على الطاعة أما إبراهيم بن المهدى قد اختفى، هذه الأحداث فى سنة 203هـ، بعد أسبوع من دخول المأمون لبغداد غيّر لباسه إلى السواد، وفى سنة 204هـ مات الإمام الشافعى محمد بن إدريس أحد الأئمة الأربعة وفى نفس السنة سكنت الفتن.

فى عام 207هـ مات طاهر بن الحسين ولما سمع المأمون بموته قال): الحمد لله الذى قدمه وأخرنا (لأن المأمون كان يخطط للفتك به لأنه لم ينس قتل طاهر لأخيه الأمين.

فى عام 210هـ قُبض على إبراهيم بن المهدى) عم المأمون والذى بويع بالخلافة كما ذكرنا (وكان متخفياً وجلس فى الاختفاء مدة ست سنين وشهوراً وقُبض عليه وكان يلبس لباس امرأة ومعه امراتان ثم أُرسل إلى المأمون وعند المأمون طلب إبراهيم العفو من المأمون فعفا عنه.

من 204 إلى 210هـ سكنت الفتن واستقرت أحوال الناس فعندها فى السنة 211هـ أظهر المأمون معتقده المنحرف وهو كما ذكرنا كان يقرأ كتب الفلسفة فى خراسان مما أثر على عقيدته، وأمر بأن ينادى فى الناس براءة الذمة ممن يذكر معاوية بخير) لم يقلها خليفة عباسى من قبله لأن معتقدهم صحيح (وفى السنة 212هـ نادى المأمون بأن على بن أبى طالب أفضل الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ونادى بخلق القرآن.

فى السنة 216هـ أرسل ملك الروم توفيل رسالة إلى المأمون وبدأ بنفسه فى الرسالة، فجهز المأمون جيشاً وخرج إليه وقتّل وخرّب وافتتح حصوناً فى بلاد الروم.

فى عام 218هـ أرسل المأمون إلى صاحب الشرطة إسحاق بن إبراهيم فى بغداد أن يستفتى العلماء فى مسألة خلق القرآن فكلهم ردوا أن القرآن كلام الله المنزل وتحت الضغط والتعذيب قال معظمهم أن القرآن مخلوق وهم مكرهون ولكن هناك اثنين لم يعترفوا بمسألة خلق القرآن وامتنعا عن ذلك وهما الأول: محمد بن نوح العجلى البكرى الوائلى والثانى هو الجبل الراسخ الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى البكرى الوائلى لما سمع المأمون بامتناع هذين

الرجلين بعث فى طلبهما فبُعثوا مقيدين وحُملا على جمل واحد إلى المأمون بطرسوس[1]، فأتى رسول من المأمون وقال لأحمد بن حنبل بأن المأمون يقسم بقرابته من الرسول أنه سوف يقتلك إن لم تجبه بالقول بخلق القرآن، فعندها دعا أحمد بن حنبل: (اللهم فإن يكن هذا القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته (فما لبث أن جاءه الرسول يخبره بموت المأمون فى رجب 218هـ ورجع الإمام أحمد بن حنبل ومن معه إلى بغداد.

خلافة المعتصم بالله ابن هارون الرشيد[2]

تولى بعد المأمون أخوه المعتصم بالله وهو محمد بن هارون الرشيد وتوجه إلى بغداد لأخذ البيعة هناك.أم المعتصم هى الجارية ماردة وسنرى كيف يتوغل الأتراك فى بلاط الخلافة العباسية.

الخليفة المعتصم مال إلى أخواله الأتراك وأخذ يوليهم مناصب عالية وهو أول خليفة يجلب ناس غير عرب ويعطيهم هذه المناصب، واتخذ منهم مماليك يشكلون حرسه الخاص، وكانوا كثيرى الاشتباكات مع أهالى بغداد بعد أن احتلوا هذه المناصب فاضطر الخليفة المعتصم إلى بناء مدينة سامراء (سُر من رأى) فى عام 219هـ، ولما تم بناؤها انتقل إليها هو وحرسه الخاص وصارت سامراء عاصمة الخلافة العباسية فى 221هـ.

فى عام 220 هـ وجه المعتصم جيشاً بقيادة الأفشين واسمه خيذر بن كاوس والأفشين من الأتراك الذى ولاه المعتصم قيادة الجيش توجه الأفيشن إلى بابك الخرمى والمسمى بشيطان خراسان وكان زنديقاً ملحداً خرج فى عام 201هـ وبدأ يستفحل أمره وكثر أتباعه وقتل من أهل خراسان خلقاً كثيراً قُدر عددهم بمائتين وخمسة وخمسين ألف إنسان، ولا ننسى أن هذه الفرقة الخرمية كانت مزدكية (أى إباحية تبيح ارتكاب الفواحش وتبيح نكاح المحارم)، استطاع الأفشين أن يهزم جيش بابك ويقتل منهم الكثير أكثر من مائة ألف أما بابك فقد فرّ، والتقى مرة أخرى مع الأفشين فى سنة 221هـ واستطاع أن يهزم جيش الأفشين الذى كان يقوده بغا ولكن الأفشين استطاع أن يهزمه بعد هزيمة

(1) طرسوس: مدينة تقع حالياً فى تركيا بالقرب من البحر المتوسط.
(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء العاشر: خلافة المعتصم بالله صفحة 724 - 740

قائده بغا فى عام 222هـ أنفق المعتصم أموالاً كثيرة لقتال هذا الملحد بابك وجهز مدداً للأفشين فاقتتل الأفشين مع بابك وهزمه وحاصر مدينته البذ واستطاع الأفشين أن يفتتحها عنوة فهرب بابك ولجأ إلى غلام فأنزله الغلام فى منزله وأخبر الأفشين بأن بابك عنده فأرسل الأفشين جنده فقبضوا وأرسلوه إلى الأفشين ثم أرسله الأفشين إلى المعتصم فى سامراء فأدخلوه سامراء على فيل حتى يراه الناس ثم أمر المعتصم بقطع يديه ورجليه وحز رأسه وشق بطنه وأرسل رأسه إلى خراسان وصلبت جثته فى سامراء فهكذا كانت نهاية هذا المجرم الخبيث فى عام 223هـ وخلال انشغال المعتصم بفتنة بابك غزا الروم المسلمين فى زبطرة وملطية[1] بقيادة ملكهم توفيل بن مخائيل وقتلوا فيها من وقع فى أيديهم من الأسرى وقطعوا أذانهم وأنوفهم وسملوا أعينهم وقتلوا الأطفال والنساء، ويقال أنها صاحت امرأة وقالت) وامعتصماه) فنقلت هذه الكلمة إلى المعتصم فى سامراء فتحرك المعتصم بجيشه الجرار إلى توفيل ملك الروم فى عام 223هـ وكانت نيته هى فتح عمورية[2] وهى من أقدس المدن بعد القسطنطينية.

كان جيش المعتصم كلما مر على مدينة فى الروم يغنم ويضرب والتقى مع جيش الروم فاستطاع الأفشين أن يهزمه وواصل الزحف حتى وصلوا إلى أنقرة فوجدوا أهلها قد تركوها فتوجه المعتصم إلى عمورية وقام بحصارها من جميع الجهات ونصب المنجانيق حولها وبدأ بضرب المدينة وأهلها متحصنون داخلها واستمر الحصار لمدة أيام وتحت الحصار الشديد والقصف المستمر من المنجانيق فتح الله للمسلمين فاقتحموا عمورية وقتلوا فيها كل من وجدوه وسبوا وغنموا وانكسرت شوكة الروم بعد فتح عمورية، وأقام فيها المعتصم خمسة وعشرين يوماً ثم رجع إلى طرسوس فى شوال سنة223هـ أثناء توجه المعتصم لفتح عمورية كانت قد دبرت مكيدة له بعزله وقتله وتولية الخلافة للعباس بن المأمون وكان من دبرها هو عجيف بن عنبسة وأثناء رجوع المعتصم من عمورية فطن لهذه المكيدة وكشفها فقام بقتل كل من كان وراءها أما العباس بن المأمون فحبسوه فى السجن حتى مات فى سجنه عطشاً (العباسيون لا يتهاونون فى الخارجين على الملك).

---

(1) زبطرة وملطية: مدن فى تركيا الحالية.

(2) عمورية: مدينة مقدسة للنصارى الكاثوليك تقع فى تركيا حالياً.

فى عام 225هـ أُعتقل القائد الكبير الأفيشن وسجن فى سجن يكفى لواحد، وحكم عليه عند المعتصم على أيدى قضاة معتزلة متشددين وكان سجل اتهام الأفيشن كبيراً منها أنه لا زال على ديانة أجداده وأنه غير مختون وأن لديه كتب فلسفة منها كليلة ودمنة مصوراً فيها الكفر وأنه كان يراسل الأتراك وينوى على قتل المعتصم ثم الهرب إلى بلاد الترك لإعادة تاريخ أمجادهم وأنه يفضل أكل الشاة المخنوقة، بعد هذه الاتهامات الكبيرة رجع الأفشين إلى حبسه حتى مات فى السنة 226هـ ثم أمر المعتصم بصلب جثته ثم حرقها ثم رمى رماده فى دجلة.

فى يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول سنة 227هـ توفى الخليفة المعتصم بالله، ومات توفيل ملك الروم.

بالرغم من جهل المعتصم بالله فإنه واصل امتحان العلماء بخلق القرآن وجلد الإمام أحمد بن حنبل فى 25 رمضان سنة 221هـ.

خلافة هارون الواثق ابن المعتصم[1]

تولى الخلافة بعد المعتصم ابنه **هارون الواثق** وقد بويع بالخلافة قبل موت المعتصم بفترة، وأم الواثق هى جارية اسمها قراطيس (رومية) ومن هنا بدأ الضعف فى الخلفاء ليس كسابقيهم كانوا صرماء وحازمين

وفى عهد الواثق استمرت بدعة خلق القرآن لأن المعتزلة كانوالا يزالون مسيطرين على بعض أمور الدولة منذ عهد الخليفة المأمون وهم الذى حاكموا القائد الأفشين.

من السنة 230هـ خرجت قبائل عربية فى البادية تقطع الطرق مثل قبائل بنى سليم وبنى كنانة وبنى غطفان وبنى هلال وقبيلة طيء ولكن قوات العباسيين تصدت لهم واستطاعت إخماد تمردهم.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء العاشر: خلافة هارون الواثق بن المعتصم صفحة 742 - 755.

خلافة المتوكل على الله جعفر بن المعتصم[1]

فى أواخر ذى الحجة من السنة 232هـ توفى الخليفة الواثق وتولى الخلافة من بعده أخوه **جعفر المتوكل على الله**- ابن المعتصم- وأمه الجارية شجاع.

فى عام 233هـ أمر المتوكل بالقبض على وزير الواثق محمد بن عبدالملك بن الزيات لأنه فى عهد الواثق كان لا يقيم وزناً للمتوكل وحاول أن تكون الخلافة من بعد الواثق لابنه محمد فانتقم منه المتوكل وصادر جميع ممتلكاته وأمر بتعذيبه، وكلما أراد ابن الزيات النوم ضرب بالحديد وضرب على بطنه وظهره حتى مات ثم أحرقت جثته ثم دفنت.

فى عام 234هـ انتهت محنة خلق القرآن التى استمرت 22 سنة وفُتح المجال العلماء السنة بالإفتاء وعزل علماء المعتزلة وأكرم علماء السنة غاية الإكرام وفى نفس السنة مزح المتوكل مع الأمير التركى إيتاخ فغضب إيتاخ حتى أنه كاد أن يقتل الخليفة فتوجس الخليفة منه ريبة فقرر الفتك به وأرسل له من يزين له الحج فى هذه السنة وبعد رجوعه من الحج وفى بداية السنة 235هـ أرسل المتوكل إسحاق بن إبراهيم إلى إيتاخ بأن يتوجه إلى بغداد ليستقبلوه هناك ويلقاه بنو هاشم فلما دخل إيتاخ بغداد قُبض عليه وزُج به فى السجن وفى سجنه مات من العطش وأمر المتوكل فى هذه السنة أن يتميز أهل الذمة فى لباسهم وركوبهم حتى منازلهم تُميز وفى نفس السنة خرج رجل اسمه محمود بن الفرج النيسابورى وادعى النبوة وأنه ذو القرنين وأن جبريل يأتيه بالوحى فأخذ ورفع أمره إلى المتوكل فجلد بالسياط حتى أعلن توبته ومات فى ذى الحجة سنة 235هـ.

يقع المتوكل فى نفس الخطأ الذى وقع فيه جده الرشيد وهو ولاية العهد من بعده لثلاثة من أولاده وهم:

محمد المنتصر بالله، والزبير المعتز بالله، وإبراهيم المؤيد بالله.

---

(1)البداية والنهاية لابن كثير الجزء العاشر: خلافة المتوكل على الله جعفر بن المعتصم صفحة 758 - 802.

فى عام 238هـ هاجم الفرنج عن طريق البحر مصر وقتلوا وغنموا وسبوا ثم رجعوا عن طريق البحر مما أضطر الخليفة المتوكل إلى زيادة التضييق على أهل الذمة بألا يركبوا الخيول ويكون ركوبهم على البغال والحمير ودمّر بعض الكنائس المحدثة فى الإسلام.

فى عام 241هـ وفى عهد ملكة الروم تدورة التى تولت الحكم بعد توفيل لأن ابنها كان صغيراً) مخائيل الثالث الملقب بالسكير (وقع فى يدى الملكة تدورة عشرين ألف أسير مسلم فخيرتهم إما الارتداد إلى النصرانية أو القتل فارتد ثمانية آلاف خوفاً من القتل وأما الأثنا عشر ألفاً الباقين فبكل بساطة قامت بقتلهم جميعاً مما جعل المسلمين فى البلدان الإسلامية يكرهون أهل الذمة ويزيدون فى إذلالهم.

وفى يوم الجمعة الرابع من ربيع الأول سنة 241هـ مات الإمام أحمد بن جنبل (رحمه الله)

فى شوال من نفس السنة 247هـ قتل الخليفة المتوكل على يد ابنه المنتصر بالله وقتل وكان سكران، وقام بقتله الأتراك، أمر ابنه المنتصر بقتله لأن المتوكل كان يريد أن يعزل المنتصر ويولى بعده أخوه المعتز بالله وقام بقتله القادة الأتراك لأن المتوكل كان ينوى الفتك بهم فعجلوا بقتله وولوا بعده ابنه المنتصر بالله لأنه كان من المؤيدين لبقاء الأتراك فى بلاط الحكم.

المتوكل على الله هو أول خليفة يقتله قادته وله من الأعمال الخيرة والكثيرة ولكنه مات وهو سكران فالله المستعان.

تولى الخلافة **محمد المنتصر بالله بن المتوكل**[1] وأخذ الأتراك له البيعة حتى يثبتوا أماكنهم، وأمه جارية رومية اسمها حبشية لجمالها.

لم يجلس الخليفة المنتصر بالله فى الخلافة إلا ستة أشهر مات على يد طبيبة مسموماً بعد أن دبروا الأتراك له مكيدة قتله لأن المنتصر بعد قتل أبيه أصابته الحسرة والندامة وقرر الانتقام من الأتراك لكن الأتراك سبقوه بقتله فى ربيع الآخر سنة 248هـ.

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء العاشر: خلافة محمد المنتصر صفحة 804 - 805.

كان المتوكل على الله قد أعطى ولاية العهد من بعده لابنه المنتصر بالله ثم الزبير المعتز بالله ثم إبراهيم المؤيد بالله، لكن الأتراك لما فرغوا من قتل المنتصر أرادوا أن يكون الخليفة على هواهم، فأخذوا البيعة لأحمد ابن المعتصم بالله ولقب بالمستعين بالله[1] وكان الذى يأخذ البيعة رجل تركى اسمه على بن الحسين الإسكافى) هؤلاء الأتراك الذين جلبهم المعتصم بالله (بعد أن أخذت البيعة للمستعين بالله -وأمه الجارية مخارقة - خرجت شرذمة من الأتراك ينادون بالخلافة للمعتز بالله ويقولون يا معتز يا منصور فاقتتلوا مع الأتراك وقتل خلق كثير وانتهى الأمر بزج المعتزبالله فى السجن ومن هنا بدأت الفتن تظهر من جديد فالخليفة المستعين بالله ليس له من الأمر شيئا وصار الأتراك هم الذين يأمرون وينهون، وفى صفر سنة 249هـ وقعت فتنة عظيمة فى بغداد وهى أن العامة من الناس ثاروا على الأتراك لأنهم انشغلوا باللهو واللعب وتركوا ثغور المسلمين فقاموا بتأنيب العامة لنصرة المجاهدين فى الثغور وفى ربيع الآخر وقعت فتنة بين الأتراك فى سامراء مدينة الخليفة وهى أن الأتراك عزلوا الوزير ابن الخصيب وصادروا أمواله ونفوه إلى جزيرة كريت فى البحر المتوسط ثم قاموا بقتل وزير الخليفة أتامش التركى وصادروا أمواله (يعنى أن الأتراك صاروا هم المتحكمون فى الدولة)، ومع هذه الفتن تجارأ العدو (الروم) على غزو الثغور بالقرب من ملطية وقتلوا القائد عبدالله بن عمرو بن الأقطع وقتل من المسلمين الكثير فهذه هى أسباب الفتن، ومع هذه القلاقل والفتن صار الخليفة لا يأمن على نفسه فرحل من سامراء إلى بغداد خوفاً على نفسه بعد قتل وزيره فى السنة 251هـ ولكن قبلها بسنه عام 250هـ خرج فى الكوفة يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن يزيد بن على (زين العابدين) بن الحسين بن على بن أبى طالب بسبب أن الأتراك كانوا يعيشون منعمين بينما المسلمون تصيبهم الفاقة ولا يتلقون أي مساعدات فثار على الأتراك وأيده أهل الكوفة ولكن ثورته انتهت بمقتله واحتز رأسه وأُرسل إلى سامراء ثم بعث إلى بغداد حيث نصب هناك.

فى السنة 251هـ هرب الخليفة المستعين بالله إلى بغداد خوفاً على نفسه حاول الأتراك معه الرجوع إلى سامراء ولكنه رفض فقام الأتراك باستخراج المعتزبالله من السجن وقاموا بمبايعته وهكذا وصل أمر الأتراك يعزلون من يشاءون وينصبون من يريدون ولا رادع لهم.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة المستعين بالله صفحة 5-15.

وظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن على فى مكة ونهب الحرم وأخذ ما فى الكعبة من ذهب وفضة وحصر أهل مكة حتى هلكوا جوعاً وعطشاً وأخذ أتباعه يبيعون الماء والطعام بأغلى الأثمان، وفى الحج يوم عرفة قتل إسماعيل من الحجيج ألفاً ومائة وسلبهم أموالهم ولم يقف بعرفة إلا هو وأتباعه فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفى ذى الحجة أيضاً حاصر الأتراك بغداد لأن المستعين لم يتنازل بالخلافة لأخيه وتحت الضغط تنازل المستعين بالله بالخلافة لأخيه المعتزبالله - أمه الجارية قبيحة سميت قبيحة لأنها فى غاية الجمال.

استلهت السنة 252هـ بخلافة المعتزبالله[1] فأول عمل قام به هو عزل أخيه المؤيد بالله - إبراهيم - ثم قام بسجنه وضربه ثم مالبث المؤيد بالله حتى قُتل فى سجنه بعد خمسة عشر يوماً.

لما فرغ المعتزبالله من قتل أخيه المؤيد بالله - كلاهما ابنا المتوكل - أمر بقتل عمه المستعين بالله - وهو أخو المتوكل ابنا المعتصم بالله - وقبل قتل المستعين طلب أن يصلى لله ركعتين وفى السجدة الأخيرة قتلوه.

وفى السنة 254هـ أمر الخليفة بقتل القائد التركى بغا الشرابى وقام بتولية أحمد بن طولون التركى على الديار المصرية فكان عهد المعتز بالله عهد قتل واغتيالات.

فى رجب عام 255هـ دخل الأتراك على الخليفة المعتز وقاموا بسحبه وضربه واقفاً فى الشمس ولطموه وأجبروه على التنازل عن الخلافة ففعل فتركوه فى سجنه حتى مات جوعاً وعطشاً (هذه الأحداث فى يوليو، تموز 896م).

تولى الخلافة عبدالله بن الواثق بن المعتصم بالله الملقب بالمهتدى بالله[2] فى أواخر رجب سنة 255هـ وأمه الجارية وردة ويسمى بالصالح لأنه أول عمل قام به هو نفى القيان

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة المعتز بالله صفحة 14 - 20.
(2)) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة المهتدى بالله صفحة 22-30.

والمغنيين من سامراء لأنهم أساس الخراب والفساد وقام بقتل السباع والنمور التى كانت فى دار السلطان وبرد المظالم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وفتح أبوابه للمسلمين.

فى شهر رمضان عام 255هـ ظهر رجل اسمه على بن محمد بن عبدالرحيم فى البصرة وأول ماظهر هذا الرجل كان قد ظهر فى البحرين[1] سنة 249هـ وجمّع أتباعه وانتسب إلى بنى هاشم إلى عبدالله بن عباس بن على بن ابى طالب، ولكن استطاع أهل البحرين أن يهزموه فانتقل فى سنة 254هـ إلى البصرة وفى سنة 255هـ أعلن ثورته والتى استمرت لمدة 14 سنة وانتسب إلى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

هذا الدعيّ لم يكن صادقاً فى انتسابه إلى آل البيت بل هو من قبيلة عبد القيس وهى قبائل جديلة من بنى أسد، سميت هذه الثورة بثورة الزنج ـ لأن فى البصرة كان يوجد زنوج سود أخذهم العرب ليقوموا باستصلاح الأراضى هذا الكذاب نادى فى الزنوج ومنّاهم فقاموا بتبعته.

فى ذى القعدة قامت معركة كبيرة بين جيش الدولة ومعهم أهل البصرة ضد الزنج واستطاع الزنج أن يهزموهم وقتلوا من أهل البصرة الكثير كانت هذه الأحداث فى الجنوب فماذا يجرى فى دار الخلافة فى سامراء ؟

كان الخليفة قد استدعى القائد التركى موسى بغا الكبير ليتقوى به وعندما قدم موسى بن بغا إلى سامراء كان فى نية الفتك بالخليفة المهتدى بالله فجرت بين جيش المهتدى بالله الملقب بالصالح وجيش الأتراك معركة كبيرة انتهت بهزيمة جيش المهتدى وأسر الخليفة وهو يقاتل بسيفه فقاموا بقتله وهو لم يتم سنة واحدة فى حكمه فى يوم الخميس18 رجب256هـ وكان الخليفة تقياً يصوم كل يوم خلافته.

بعد قتل المهتدى بالله تولى الخلافة **أحمد بن المتوكل على الله** بن المعتصم بالله **الملقب بالمعتمد على الله**[2] وأمه جارية رومية اسمها فتيان وهو من أضعف الخلفاء العباسيين.

(1) البحرين: المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية ودول الخليج حالياً.
(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة المعتمد على الله صفحة 30 – 102.

فى شوال سنة 257هـ تمكن صاحب الزنج على بن محمد من دخول البصرة بعد محاصرتها وقام بقتل كل من وجده صغيراً أو كبيراً حتى النساء لم يفلتون من قبضته واستمر القتل لعدة أيام ولم يسلم منهم إلا من هرب من البصرة، هذا فى وجود خليفة ضعيف ليس له من الأمر شيئا وعدم نصرة الأتراك لأهل البصرة وكان للزنج طريقة هى قتل الرجال والعجزة ثم سبى النساء وسلب ما فى المدينة من أموال ثم أخيراً يقومون بإحراق المدينة ويتركونها.

فى عام 258هـ وكَّل الخليفة المعتمد أمر الزنج إلى أخيه أبى محمد الموفق طلحة فصار شغل الموفق الشاغل هو مقاتلة الزنج، تصدى الموفق طلحة للزنج فى أكثر من معركة واستطاع أن يكسرهم ويأسر واحداً من الزنج ثم أرسله إلى سامراء وهناك أقيم عليه حد الحرابة تفرق الزنج ولكن شأفتهم لم تستأصل ففى عام 259هـ وقعت وقعة كبيرة بين عبدالرحمن بن مفلح قائد جيش الدولة مع الزنج وقتل من الزنج خلقاً كبيراً وأسر منهم طائفة كبرى وأرسلوا إلى سامراء فقام العامة بقتلهم قبل أن يصلوا إلى الخليفة، فى عام 261هـ تمكن الزنج من دخول مدينة الأهواز وفتكوا بأهلها فتكاً ذريعاً وعلى طريقتهم قتلوا وسبوا ونهبوا وأحرقوا المدينة ثم تركوها، وفى عام 262هـ قدم يعقوب بن الليث فى جيش عظيم من الشرق من طبرستان لقتال الخليفة فخرج الخليفة المعتمد بجيشه واقتتلوا وهزم جيش الخليفة جيش يعقوب وفر يعقوب ومن معه إلى خراسان.

فى عام 263هـ استطاع الموفق طلحة بقواته أن يهزم الزنج هزيمة كبيرة وقتل منهم عدداً كبيراً ولكنهم مثل الذباب يتكاثرون بأعداد هائلة وفى عام 264هـ خرج الموفق ومعه موسى بن بغا الكبير لقتال الزنج ولكن موسى بن بغا مات فرجعوا إلى سامراء.

فى عام 267هـ كانت النهاية للزنج بعد أن فتك بهم الموفق واستطاع استرداد مدينة واسط بقيادة أبي العباس ابن الموفق ثم واصل الموفق زحفه إلى مدينة الزنج التى سموها المنيعة واستطاع الموفق أن يدخل المنيعة بعد مقاومة شرسة ولكنه هزمهم ودخل المدينة وبدأ يقتل ويأسر ويطارد من فرّ وقام بفك جميع الأسيرات المسلمات حتى بلغن خمس آلاف أسيرة ثم تحرك الموفق بعد ذلك إلى المدينة المنصورة وهى مدينة كبير الزنج وهو سليمان

بن جامع مولى بن تميم وهذه المدينة محصنة بخمسة خنادق ولكن قوات الموفق استطاعت اقتحام هذه المدينة بعد مقاومة شرسة وفى هذه المدينة قاموا بفك أسر عشرة آلاف أسير من الأطفال والنساء.

ثم توجه الموفق إلى آخر مدينة للزنج وهى مدينة المختارة وهى من أمنع المدن ويقيم به ثلاثمائة ألف من الزنج لما رأى الزنج قوات العباسيين المنظمة خافوا وفروا إلى جيش الموفق فأمنهم وأكرمهم وهذه سياسة الموفق الحكيمة لأنه لو قتلهم فإن البقية سيقاتلون ويستبسلون ثم بدأ الموفق بمحاصرة مدينة المختارة فى رجب سنة 267هـ ومدينة المختارة فى جنوب العراق على نهر يفصلها قسمين شرقى وغربى والقسم الغربى يقطن بها الكبراء.

استطاعت قوات الموفق أن يقتحموا الجزء الغربى من المدينة ويفكوا أسر النساء والأطفال حتى بلغوا الآلاف.

وفر سليمان بن جامع إلى القسم الشرقى وحوصر فى الجزء الشرقى وجاع الزنج حتى بلغ بهم الأمر إلى أن القوى يقتل الضعيف ويأكله فصار الواحد لا يأمن أن يجلس وحيداً مع صاحبه خشية أن يأكله ثم صار بهم الأمر أن أصبحوا يأكلون أطفالهم.

وفى يوم السبت الثانى من صفر سنة 270هـ اقتحم العباسيون الجزء الشرقى وتمكنوا من قتل رأس الزنج وهو على بن محمد بن عبدالرحيم المؤسس لحركة الزنج واحتز رأسه وأرسل إلى الموفق وبهذا انتهت ثورة الزنج فى جمادى الأولى من نفس السنة، ودخل القائد الموفق بغداد محفوفاً بهذا النصر العظيم ومعه رأس هذا الدعيّ على بن محمد.

عدد من قتل فى فتنة الزنج مليون ونصف المليون مسلم كان هذا الدعيّ على بن محمد يسب الصحابة ويعرض النساء العلويات الهاشميات فى الأسواق لبيعهن فهذه من أخطر الفتن التى تعرضت لها الدولة العباسية.

كان الفضل فى إخماد فتنة الزنج يرجع لأخى الخليفة الموفق طلحة وصار بعدها الحاكم غير الرسمى حتى توفى فى صفر سنة 278هـ.

كان الخليفة المعتمد على الله قد وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الخلفاء قبله وهو أن أعطى العهد من بعده لولده جعفر ولقبه بالمفوض إلى الله وجعل الأمر من بعده لأخيه أبى أحمد الموفق بالله طلحة وهذا فى السنة 261هـ بينما أخوه الموفق بالله طلحة مشغول بقتال الزنج، كان هذا الأمر كفيلاً بان يحدث فتنة بين الموفق وأخيه الخليفة ولكن الموفق نظر للخطر الأكبر وهو الزنج ولم يلفت لهذا الأمر وهو توليه العهد.

فى سنة 271هـ وقعت معركة بين جيش العباسيين والجيش المصرى بقيادة خمارويه بن أحمد بن طولون. وأحمد بن طولون هو القائد التركى الذى ولاه الخليفة المعتز بالله الديار المصرية. فسبحان الله يأتى ولده خمارويه من بعده ويثور على الدولة العباسية، ويحاول أن يضم الشام ودمشق إلى مملكة مصر، وقعت هذه المعركة بينهم وتعرف بمعركة الطواحين كان الانتصار فى الأول لجيش العباسيين ولكن تدور الدائرة ويكون الانتصار للمصريين ويهرب القائد العباسى أبى العباس المعتضد بن الموفق طلحة وبالتالى صارت دمشق تحت حكم الطولونيين.

بعد انفصال مصر والشام عن الدولة العباسية ماذا ننتظر أن تسمع من انفصال دولة أخرى أو فتن أو ثورات فى وجود خليفة ضعيف ليس له من الأمر شيئا إلا الدعوة على المنابر فى الخطب يوم الجمعة ؟!

فى عام 273هـ بسط الطولونيون نفوذهم فى بلاد الشام حتى وصلوا إلى الموصل وصارت هذه البلدان تخطب باسم خمارويه ولنا أن نسأل انفسنا لماذا وصل الطولونيون إلى هذه الأماكن ولم يقاومهم أحد من جيش العباسيين؟! لأن الجيش العباسى بقيادة الموفق طلحة كان مشغولاً بإخماد ثورة عمرو بن الليث فى فارس وانتهت بهزيمة عمرو ابن الليث وهذا الذى أعطى الطولونيين الفرصة للتوسع فى بلاد الشام حتى الموصل (الموصل فى شمال العراق على نهر دجل).

فى شهر صفر سنة 278هـ مات الموفق طلحة بداء النقرس بعد أن رجع من إحدى غزواته فازداد الضعف فى كيان الدولة بعد موته وولى الأتراك العهد من بعده لابنه أحمد

ولقبوه بالمعتضد بالله وعزلوها عن ابن الخليفة جعفر المفوض إلى الله.بعد موت الموفق ظهرت فتنة عظيمة أخطر من فتنة الزنج وهى فتنة القرامطة.

من هم القرامطة وكيف كانت نشأتهم وما اساس دعوتهم ؟

القرامطة نسبة إلى حمدان بن الأشعث النبطى وكان يلقب بكرميت (أى أحمر العينين)وحُرفت الكلمة إلى قرميطة ومن هنا جاء نسب القرامطة، والنبط يسكنون البحرين الأحساء والمنطقة الشرقية حالياً ـ التقى حمدان بحسين الأهوزاى وهو من دعاة الإسماعيلية ويدعو إلى أن تكون الخلافة لواحد من آل البيت (وهذا الذى جعل دعوتهم تنتشر).

قبل أن نتحدث عن أساس القرامطة يجب أن نتحدث عن أساس فرقة الإسماعيلية.

الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن على بن أبى طالب ظهر رجل فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور اسمه أبو الخطاب محمد بن أبى زينب وهو أحد موالى بنى أسد أسس معتقد الخطابية وهو:

1. يؤمنون بتناسخ الأرواح يقول أن نور الله تعالى نزل فى عبد المطلب بن هشام ثم فى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ثم فى على بن أبى طالب ثم فى جعفر الصادق (وكلهم براء من ذلك) ثم نزل فى نفسه أبو الخطاب.
2. أن الأجسام لا تفنى بعد الموت وإنما تتحول إلى ملائكة.
3. أن لكل زمان رسولين ناطق وصامت فمحمد صلى الله عليه وسلم كان الناطق وعلى كان الصامت.
4. كان يدعو إلى تكفير الصحابة رضوان الله عليهم.
5. إنها دعوة إباحية تتيح للكبراء ارتكاب الكبائر مثل الزنا وشرب الخمر ونكاح المحارم والقتل.

كانت قد ظهرت فى عهد الخليفة الجبار المنصور فقام والى الكوفة عيسى بن موسى بقتلهم وقتل الملحد ابن الخطاب ومعه سبعين من أتباعه ولكن جذورهم بقيت ومن الذين تبنوا هذا المعتقد إسماعيل بن جعفر الصادق وكان يشرب الخمر ويرى أنه لا حرج فى ذلك ومن هنا جاء اسم فرقة الإسماعيلية ولكن إسماعيل مات فى عهد أبيه فتفرقت الإسماعيلية إلى عدة فرق منها المباركية نسبة إلى المبارك وهو أحد موالى إسماعيل بن جعفر الصادق وكانت المباركية تدعو بأن الإمام السابع هو حفيد جعفر الصادق محمد بن إسماعيل وكان إسماعيل قبل وفاته قد وكَّل دعوته ودفع بابنه محمد إلى ميمون بن ديصان القداح (لأنه كان يصنع الأقداح) وأبوه كان من عبدة النار المجوسية وكان محمد بن إسماعيل يرى ميمون مثل أبيه، وميمون هذا من أحد أفراد الدعوة الخطابية، ومحمد بن إسماعيل هذا توفى عام 192هـ وتفرق أبناؤه فى خراسان والهند، وبالتالى فقد تفرد بالدعوة ابن ميمون وهو عبدالله، وانتقل عبدالله ابن ميمون إلى القدس حيث تعلم الشعوذة والدهاء هناك، ثم انتهى به الأمر إلى البصرة حيث نشر دعوته هناك وعندما طلبه العباسيون هرب إلى سُلّيمة فى الشام وهناك مات وتولى بعده ابنه أحمد الدعوة وكان من أتباع أحمد حسين الأهوازى أرسله أحمد إلى الكوفة وهناك التقى مع حمدان بن الأشعث، تأثر حمدان بعقيدة الإسماعيلية غير إنهم يقولون إن على كان رسول فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعندهم استباحة لدماء المسلمين ويعتبرونه من أعظم القربات إلى الله، فمن هنا نشأت فرقة القرامطة وهى فرقة منحرفة إلحادية إباحية.

بعدما مات أحمد أخذ الدعوة ابنه محمد ثم ابن محمد الحسين وهذا الحسين من امرأة كانت ليهودى وكان عندها ولد اسمه سعيد فتبناه الحسين ونسبه إليه وانتسب الحسين إلى فاطمة بنت الرسول ادعاءً وكذباً.

سعيد اليهودى بعد موت الحسين سمى نفسه بعبيد الله وإنه المهدى وانتقل إلى المغرب حيث أقام الدولة الفاطمية(أو العبيدية) نسبة إلى عبيدالله اليهودى الدعيّ.

نعود لموضوعنا وهو بعد وفاة الموفق سنة 278هـ تولى العهد المعتضد **أبى العباس أحمد بن الموفق طلحة**[1] بواسطة الأتراك والخليفة لازال المعتمد على الله.

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: الخليفة المعتضد صفحة 102 - 111.

فى عام 279هـ توفى الخليفة المعتمد على الله وقبل وفاته انتقل من سامراء إلى بغداد وصارت بغداد دار الخلافة بعد ذلك وتولى الخلافة من بعده ابن أخيه الموفق طلحة **المعتضد أبى العباس أحمد بن طلحة**، وأول عمل قام به المعتضد أن تزوج ابنة خمارويه - واسمها قطرالندى - وتصافيا واصطلحا وصارت مصر تابعة للدولة العباسية صورياً فقط حتى مات خمارويه فى سنة 282هـ، وتولى بعد خمارويه ابنه هارون وهو آخر الطولونيين - أم المعتضد اسمها صواب، وفى نفس السنة كان هارون الشارى الخارجى وكان صفرياً قد سيطر على الموصل فظفر به المعتضد وهزم أصحابه وأمر بقتله وصلبه فى بغداد فى أوائل سنة 283هـ.

فى سنة 286هـ بدأ إرهاب القرامطة فى الدولة العباسية فى البحرين[1]، عندما ظهر أبو سعيد الجنابى رأس القرامطة، أول ما هاجم القرامطة هاجموا القطيف وقتلوا أهلها ثم هاجموا هجر فى ربيع أول عام 287هـ وقتلوا أهلها ومن أسر فى أيديهم رموه فى النار ولم يبق منهم إلا عشرين هربوا إلى جزيرة أوال- البحرين حالياً- واتخذ القرامطة من هجر عاصمة لهم.

جهز الخليفة المعتضد جيشاً كثيفاً لمقاتلتهم ولكن أبا سعيد هزمهم وأسرهم كلهم فقام بقتل الأسرى صبرا.

وفى سنة 289هـ قام أحد رؤساء القرامطة وهو أبو الفوارس بمهاجمة سواد الكوفة (أى أريافها) فظفر به بعض العمال وأرسلوه إلى الخليفة فى بغداد فأقيم عليه حد الحرابة، وقام أيضاً القرامطة بمهاجمة دمشق وقد دافع عنها نائبها طغج بن جف من جهة هارون بن خمارية ودافع عنها أهلها ولكنهم هُزموا فارتكب القرامطة مجازر مرعبة فى أهل دمشق وضواحيها ومع هذه الأحداث المروعة مات الخليفة المعتضد سنة 289هـ فى ربيع الأول.

تولى الخلافة من بعده ابنه على ولُقب بالمكتفى بالله[2] وأمه الجارية جيجك وهى تركية وهو الخليفة الوحيد الذى اسمه على بعد على بن أبى طالب.

---

(1) البحرين: الأحساء والمنطقة الشرقية فى المملكة العربية السعودية، جزيرة البحرين الحالية كانت تسمى بجزيرة أوال.

(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة المكتفى بالله صفحة 111 - 122.

بعد تولى المكتفى بالله الخلافة كان خطر القرامطة لازال مستمرا حيث قاموا بقطع طريق الحجاج فأرسل الخليفة لهم جيشاً كثيفاً فأطفأ بعض شرورهم، وفى سنة 290هـ عاث القرامطة فساداً كبيراً فى دمشق وحمص وحماة ومعرةالنعمان، واستباحوا أموال الناس وحريمهم، فاستنجد أهل الشام بالخليفة فأرسل الخليفة جيشاً كبيراً وجرت معركة عظيمة مع القرامطة فانتصر جيش الخليفة وهزموا القرامطة بقيادة الحسن بن زكوريه بن مهرويه) ذو الشامة (وأسروا منهم جماعة كبيرةومن بينهم الحسن بن زكرويه وأُرسلوا إلى بغداد فأقيم عليهم الحرابة لأنهم من المفسدين فى الأرض فى عام 291هـ.

فى عام 292هـ دخل محمد بن سليمان قائد الجيش العباسى الديار المصرية وهزم هارون بن خماروية وجمع آل طولون وكانوا سبعة عشر رجلاً فقام بقتلهم كلهم وبهذا انتهت الدولة الطولونية فى مصر وصارت مصر تابعة للدولة العباسية.

وبعد مقتل الحسن بن زكروية رأس القرامطة اشتد الطلب على أبيه زكرويه ولكنهم إذا وصلوا إلى بيته فإن زوجته القُرمُطية الخبيثة تخبأه فى التنور فى حفرة تحت التنور وتقوم بإشعال النار كأنها تريد الطبخ فلما يفرغوا العباسيين من البيت فإنها تقوم بإطفاء النار وإخراج زوجها من الحفرة التى تحت التنور وفتحتها من نفس التنور.

فى ذى الحجة سنة 293هـ وقعت معركة كبيرة بين جيش العباسيين والقرامطة قرب القادسية وانتصر القرامطة، ثم فى شهر محرم سنة 294هـ هاجم القرامطة بقيادة زكرويه الحُجاج العائدين إلى بلادهم فى خراسان وقام بقتلهم وسلب أموالهم وكانت النساء القرمطيات الخبيثات يطفن بالماء فمن كلمهن من الحجيج قمن بالإجهاز عليه.

لما بلغ الخليفة المكتفى ما بلغ الحجيج من قبل القرامطة جهز جيشاً كبيراً واقتتل هذا الجيش مع القرامطة فهزموهم وأسروا قائدهم زكرويه بن مهرويه وضرب بسيف فى رأسه حتى وصل دماغه ومات بعدها بخمسة أيام أما بقية الأسرى فأمر الخليفة المكتفى بقتلهم جميعاً.

فى ذى القعدة سنة 295هـ مات الخليفة المكتفى بالله.

تولى من بعده أخوه جعفر بن المعتضد ولقب بالمقتدر بالله[1] ويكنى بأبى الفضل وهو لا زال صغيراً وعمره 13 عاماً، وأمه الجارية الرومية واسمها غريب وقيل شغب.

تولى المقتدر بالله الخلافة ولم يبلغ الحلم وكان سيرته سيرة طيبة بالنسبة للعامة من الناس وأنفق الأموال على العامة فدبر الأتراك له حيلة لقتله فى ربيع الأول من السنة 296هـ وتولى بعده ابن المعتز وهو عبدالله بن المعتز ولقبوه بالمرتضى بالله وصار خليفة، أما الخليفة المقتدر بالله فقد علم بهذه الحيلة فتحصن فى دار الخلافة ودافع عنه الخدم ورجال القصر واستطاعوا رد الخارجين وبعد ساعات قبض على ابن المعتز المرتضى بالله وقاموا بقتله حيث أنه لم يبق فى الخلافة إلا ساعات محدودة ورجعت الخلافة للمقتدر بالله.

فى عام 301هـ مطلع القرن الرابع مات رأس القرامطة أبو سعيد الجنابى فى هجر قتل على يد أحد عبيده وتولى الأمر من بعده ابنه سعيد ولكن انتهى الأمر فى النهاية لابنه سليمان المعروف بابى طاهر القرمطى الخبيث السفاح.

فى عام 305هـ قدم رسول ملك الروم إلى الخليفة المقتدر بالله لعقد هدنة وتبادل الأسرى فجهز له المقتدر الجيش والسفن البحرية على نهردجلة وكان عدد الجيش مائة وستين ألفاً فعندما شاهد الرسول ذلك افتجع وخاف من هذا الجيش ونقل الخبر إلى ملك الروم فأرهبهم ذلك.

فى عام 312هـ بدأ خطر القرامطة يظهر من جديد بقيادة سليمان أبى طاهر فاعترضوا قافلة للحجاج العائدين وقتلوهم وسبلوا أموالهم وتركوهم فى الصحراء يموتون عطشاً.

وفى السنة التى بعد سنة 313هـ اعترض القرامطة قافلة للحجاج قبل أن يؤدوا الحج فتعطل الحج فى هذه السنة والسنة التى بعدها أما أهل مكة ففروا إلى الطائف فقام هذا السفاح أبو طاهر بمهاجمة أهل البادية وفى عام 316هـ انتقل إلى عاصمة هجر وبنى بها داراً سميت بدار الهجرة وقام بالدعوة لعبيد الله الدعى مؤسس الدولة الفاطمية، والطيور على أشكالها تقع.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة المقتدر بالله صفحة 123 - 201.

فى عام 317هـ شهر محرم وقع خلاف بين الخليفة المقتدر ومؤنس الخادم فاتفق رجال القصر على عزل المقتدر ومبايعة محمد بن المعتضد بالخلافة ولقبوه بالظاهر بالله ولكن الجند رجعوا وطالبوا بالإفراج عن المقتدر وتحت هذا الضغط أُفرج عنه ورجع الخلافة للمرة الثانية ولم يقتل الظاهر لأنه علم أنه كان مكرهاً لكنه حبسه عند أمه وأما مؤنس الخادم فبقى فى منزله.

أقاربه ورعيته تصرفاً همجيا فقاموا بالقبض عليه وسملوا عينيه (أى فقئوها) وهو أول خليفة تسمل عيناه وكان تارة يحبس وتارة يخلى سبيله حتى مات سنة 333 هـ.

بويع محمد بن المقتدر بالله (أبو العباس)[1] بالخلافة ولقب بالراضى بالله واسم أمه الجارية ظلوم.

فى سنة 323 هـ هاجم أبو طاهر القرمطى الحجاج فقتل منهم وهرب بعضهم ورجعوا إلى بغداد وبالتالى تعطل الحج عن طريق العراق.

فى عهد هذا الخليفة الراضى بالله كان أمر الخلافة ضعيف جدا فلم يبق تحت حكمه إلا بغداد أما الأقطار الآخرى فهى بيد الولاة ففارس بيد عماد الدولة بن بوية، وبلاد الموصل والجزيرة (شمال شرق سوريا الآن) فبيد بنى حمدان، ومصر والشام بيد محمد بن طغج الأخشيدى، وبلاد إفريقية والمغرب بيد الفاطميين، والأندلس بيد عبد الرحمن الناصر، والبحرين واليمامة بيد أبى طاهر القرمطى، والبصرة بيد ابن رائق.

فى سنة 326هـ وقعت فتنة بين القرامطة أنفسهم فصار يقتل بعضهم بعضاً فلله الحمد والمنة.

فى سنة 327هـ خرج الراضى ومعه بجكم القائد التركى إلى الموصل لمحاربة ناصر الدولة بن حمدان وهناك هزم بجكم ابن حمدان وطلب بجكم من الخليفة أن يوليه الموصل والجزيرة فولاه.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة المقتدر بالله صفحة 212 - 235.

وفى عام 328هـ استولى ركن الدولة أبو على الحسن بن بوية على واسط وأصفهان وهكذا بدأ البويهيون يدخلون فى الدولة العباسية شيئا فشيئا وتحول العراق إلى دويلات صغيرة يأكل بعضهاً بعضاً.

فى ربيع الأول سنة 329هـ مات الخليفة الراضى بالله لمرض أصابه وبويع بالخلافة أخوه إبراهيم بن المقتدر بالله ولقب بالمتقى بالله[1] بأمر من بجكم التركى وأمه جارية خلوب.

فى عام 330هـ هاجم جيش أبى عبد الله البريدى بقيادة أخيه أبى الحسين البريدى بغداد وحاصرها وفرّ الخليفة المتقى بالله إلى شمال العراق وسرعان ما رجع واستردها بمساعدة بنى حمدان فى الموصل ولكنه استردها بعدما سلبت بغداد بالكامل وانطلق سيف الدولة الحمدانى لمقاتلة أبى عبد الله البريدى وأخيه أمين الحسين فى عام 331هـ ولكن سيف الدولة حس بخيانة يدبرها الأتراك (الأتراك لا يؤمن جانبهم يجعلون مصالحهم فى المقدمة) فماذا فعل سيف الدولة؟ رجع إلى بغداد ثم إلى مقر حكمه فى الموصل، وفى عام 332هـ خرج الخليفة المتقى بالله إلى الموصل ولبث هناك فترة ولكن أولاد حمدان ظهر منهم تضجر ورجع الخليفة إلى بغداد وكان على خلاف مع القائد التركى تورون (أو توزون).

هذه الفتن والأحداث جرأت الروم على غزو بلاد المسلمين فكانوا يغزون ويقتلون وينهبون ويخربون ويسبون النساء المسلمات فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفى رمضان سنة 332هـ مات أبو طاهر سليمان القرمطى قبحه الله وفى شوال مات أبو عبد الله البريدى واستراح المسلمون من شره.

فى سنة 333هـ ولما قدم الخليفة المتقى بالله إلى بغداد وقد أخذ الأمان من القائد التركى تورون فقام تورون بالقبض عليه فى شهر صفر وسمل عينيه وولى بعده عبد الله بن المكتفى بن المعتضد ولقب بالمستكفى بالله[2]، وحبس المتقى بالله فى السجن.

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة المتقى بالله صفحة 236 - 249.
(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة المستكفى بالله عبدالله بن المكتفى بن المعتضد صفحة 250 - 252.

الخليفة المستكفى ليس له من الأمر شيء وأمه الجارية غصن والذى يتولى الأمور هو ابن شيرزاد أبو جعفر.

فى شهر ذى الحجة أتى أبو الحسن البريدى ليستنجد بابن شيرزاد وتورون وحاول أن يوقع مكيدة بين ابن شيرزاد وتورون ولكن شيرزاد كشفه فأمر بسجنه وضربه ثم قتله وصلب جثته ثم أحرقها، وبذلك زالت دولة البريديين فى جنوب العراق.

وفى محرم 334هـ مات القائد التركى تورون فانتهز البويهيين الفرصة وهاجموا الأتراك فى جمادى الأولى وكان أهل بغداد والخليفة مؤيدين للبويهيين حتى يخلصوهم من شرور الأتراك الذين عاثوا فى دار الخلافة الفساد، فهرب الأتراك إلى الموصل ودخل البويهيون بغداد وكبار البويهيون هم الأخوان الثلاثة أبناء أبى شجاع بويه ولقبهم الخليفة المستكفى بالألقاب التالية:ـ

- أحمد بن بوية لقبه معز الدولة وكنيته أبو الحسين.
- على بن بوية لقبه عماد الدولة وكنيته أبو الحسن.
- الحسن بن بوية لقبه ركن الدولة وكنيته أبو على.

ومن هنا بدأت الدولة العباسية تدخل تحت سيطرة البويهيين. من هم البويهون ؟

البويهيون: هم من بلاد الديلم وهى جنوب غرب بحر قزوين وهم شيعة زيدية ويقال شيعة اثنا عشرية سيطروا على بلاد طبرستان ثم فارس ثم اتجهوا إلى بغداد مقر الخلافة العباسية فأول عمل قاموا به هو اعتقال الخليفة المستكفى بالله الذى مهد لهم الطريق وقاموا بسمل عينيه وأودعوه فى السجن حتى مات فى عام 338هـ، وولوا بعده الفضل بن المقتدر ولقب بالمطيع لله[1] **وهو من أمر بسمل عينى المستكفى انتقاماً لأخيه.**

وفى عهد المطيع ظهر عهد الخلافة وصار الأمر والنهى حتى أمر الخليفة بواسطة هؤلاء الهمج البويهيين حتى أن معز الدولة فكر بأن ينقل الخلافة من العباسى السنى إلى

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة المطيع لله صفحة 252 - 332.

الإسماعيلى العبيدى حاكم الدولة الفاطمية المعز لدين الله أو أن ينقلها لأحد العلويين ولكنه استشار أتباعه البويهيين فعارضوه لأن أغلبية الناس التابعين للخلافة سنيون ولن يقبلوا ذلك وسيثورون عليهم ثم قام هذا الخبيث معز الدولة بنشر أتباعه فاغتصبوا الأراضى من المزارعين ووقع خراب كبير فى البلاد وازدادت الخلافة ضعفاً إلى ضعف، والبويهيون يسيطرون على العراق شيئا فشيئا حتى وصلت سيطرتهم إلى البصرة فى الجنوب والموصل فى الشمال.

فى ذى القعدة 339هـ رد الحجر الأسود إلى الكعبة بعد غياب مدته 22 سنة رد الحجر على بعير واحد والسبب أن القرامطة كانوا يريدون أن يحولوا الحج إلى عاصمتهم هجر ولكنهم فشلوا فردوه إلى الحرم بعد أن خُرّب وظهر فيه بعض الشقوق، ومع مرور الزمن كان البويهيون يزيدون فى ضعف الدولة.

كانت حلب تحت حكم الحمدانيين الشيعة وكانوا على حرب مع الروم، بينما الشام ومصر تحت حكم الإخشيديين، والفاطميون والعبيديون كانوا يسيطرون على المغرب وبدءوا فى التوسع شرقاً تجاه مصر، والأندلس بيد عبد الرحمن الناصر الذى أعلن نفسه خليفة عندما رأى ضعف الدولة العباسية.

مع تفرق وتشتت المسلمين وتحاربهم فيما بينهم توقع ماذا سيحدث ؟

استغل ذلك الروم الأرثوذكس بقيادة نقفور ملك الأرمن واسمه الدمستق فقاموا بمهاجمة مدينة حلب سنة (351هـ) وكانت تحت سيطرت سيف الدولة الحمدانى وخرج سيف الدولة لقتال الروم ولكنه كان قليل البصر ففر وترك أهل حلب يواجهون مصيرهم فحوصرت حلب ودافع عنها أهلها دفاع الأبطال ولكن ضعاف الأنفس من المسلمين بدءوا بسرقة منازل أهل حلب فرجع المدافعون عن المدينة ليحموا بيوتهم فسبحان الله المسلمون منشغلون بحماية مدينتهم وهؤلاء يخربون من ورائهم!! ولما رجع المدافعون عن المدينة اقتحم الروم حلب وارتكبوا فيها من المجازر ما الله به عليم ونهبوا وخربوا المساجد وأحرقوها وسبوا النساء المسلمات والأطفال، والبوهيون فى لهوهم ولعبهم واضطهادهم لأهل بغداد.

أما سيف الدولة الحمدانى فكان شيعياً رافضياً بينما أهل حلب معظمهم من السنيين ولم يكن متحمساً للدفاع عنهم ومن جملة من قتل أبو فراس الحمدانى الشاعر المعروف، وبعد ما انتهى الروم من ذلك أمرهم قائدهم نقفور بالرجوع عن حلب وتركها فى خرابها.

فى عاشوراء محرم سنة 352هـ أمر معز الدولة أن تغلق السواق ويخرج النساء حاسرات ينحن على الحسن وأن يلطمن وجوههن قبحه الله وقد أمر بسب الصحابة رضوان الله عليهم، وفى الثانى عشر من ذى الحجة أمر هذا الخبيث بالاحتفال بعيد الغدير الذى يزعم أن الرسول ﷺ أعطى الوصاية لعلى من بعده فى هذا اليوم، ونادوا فى الأذان بحى على خير العمل.

استمر الروم فى غزو المدن الإسلامية المجاورة لهم مثل الرها وطرسوس وأذنة وغيرها فكانوا يقتلون ويسبون ويخربون ثم يكرون راجعين.

فى ربيع الأول عام 356هـ مات الخبيث معز الدولة وتولى بعده ولده بختيار وتلقب بعز الدولة فأقبل على اللعب واللهو.

وفى عام 358هـ دخل القائد العبيدى الفاطمى جوهر بن عبد الله الصقلى ديار مصر وابتدأ حكم العبيديين فى مصر فى عام 359هـ وامتدت سلطنتهم حتى وصلت إلى الشام، طبعاً الروم كعادتهم استغلوا هذه الأحداث فهاجموا المدن العربية فاحتلوا طرابلس واتجهوا نحو حمص ولكن أهل حمص هجروا المدينة وتركوها خالية وكان الروم كلما مر عليهم قرية قام باحتلالها وخرابها وقتل أهلها وأسر من قدروا عليه.

رجع الروم بعد أن خربوا مدينة حمص معهم مائة ألف أسير مسلم من رجل وامرأة عدد هائل فالله المستعان، هذه الأحداث فى سنة 358هـ.

وفى عام 359هـ هاجم الروم مدينة إنطاكية واستولوا عليها وسبوا من أهلها عشرين ألفاً وفى عام 361هـ غزوا ديار بكر والجزيرة (شمال شرق سوريا حالياً) وغنموا وسبوا وكروا راجعين فسبحان الله الروم يغزون بلاد المسلمين والبويهيون ينظرون إليهم ولا يحركون ساكناً.

فى 363هـ تنازل الخليفة المطيع لله عن الخلافة لإصابته بالفالج (نوع من الشلل) وتولى من بعده ولده **عبد الكريم بن المطيع ولقب بالطائع لله**[1] وأمه جارية اسمها عتب.

فى 366هـ مات ركن الدولة وتولى بعده ابنه فناخسر عضد الدولة، وفى عام 367هـ صار عضد الدولة إلى بغداد فهرب منه ابن عمه عز الدولة باختيار ولكنه قبض عليه فقتله وبقى فى الحكم حتى مات فى سنة 372هـ وتولى من بعده ابنه صمصامة الدولة.

وفى عام 375هـ وقعت معركة عظيمة قرب الكوفة بين صمصامة الدولة والقرامطة وهزم القرامطة ودحروا إلى ديارهم وبدأت شوكتهم تضعف، وفى عام 374هـ قبض شرف الدولة شيرزيل على أخيه صمصامة الدولة واستبد بالأمر حتى مات فى عام 379هـ.

فى عام 378هـ هاجم الأصفير أحد كبار القبائل العربية من البصرة القرامطة فى دورهم وهزمهم وغنم منهم الكثير وسبى عبيدهم ورجع إلى البصرة ومن بعدها لم تقم للقرامطة قائمة.

فى عام 379هـ تولى بهاء الدولة بن عضد الدولة حكم البويهيين.

فى عام 381هـ خلع بهاء الدولة الطائع لله وولى بعده **أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله** وأمه جارية اسمها تمنى **ولقب بالقادر بالله**[2]، وفى عام 393هـ مات الخليفة المخلوع الطائع لله وفى عام 403هـ مات بهاء الدولة وتولى بعده ابنه سلطان الدولة وفى عام 411هـ استطاع مشرف الدولة بن بهاء الدولة أن يزيح أخاه سلطان الدولة ويستولى على الحكم حتى توفى فى عام 416هـ وحكم من بعده جلال الدولة بن بهاء الدولة وفى عام 422هـ مات الخليفة القادر بالله وتولى بعده **عبد الله ولقب بالقائم بأمر الله**[3] وأمه جارية أرمينية اسمها بدر الدجى.

وفى عام 435هـ توفى جلال الدولة وتولى بعده أبو كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة حتى توفى عام 440هـ، وتولى بعده ابنه خورة فيروز أبو نصر وتلقب بالملك الرحيم وهو آخر الحكام البويهيين.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة الطائع بالله صفحة 332 - 373.

(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الحادى عشر: خلافة القادر بالله صفحة 373.

(3) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثانى عشر: خلافة القائم بالله صفحة 474-576.

خلال حكم البويهيين كان لا يمر عام إلا وتقع فتنة بين السنة والرافضة بسبب البدع التى أظهرها البويهيون فى يوم عاشوراء وبدعة عيد الغدير فى ذى الحجة وفى كل فتنة كان يقتل خلقاً كثيراً ويتأثر العامة لذلك ويهتز اقتصاد الدولة، فهل من منجد لدولة الإسلام؟

نعم هناك طائفة إسلامية قادمة من هم ؟!

فى القرن الخامس أتت طائفة إسلامية من الأتراك الغز وهم السلاجقة الأتراك، ينسبون إلى أول من اعتنق الإسلام سلجوق بن تقاق وكانوا يعيشون فى بلاد ما وراء النهرين، فى عام 429هـ تمكن الملك السلجوقى طغرلبك واسمه محمد بن ميكائيل بن سلجوق من السيطرة على مدينة نيسابور عاصمة خراسان واستطاعوا التوسع إلى أصبهان والرى فى عام 433هـ ملك طغرلبك جرجان وطبرستان وبدأ السلاجقة فى التوسع غرباً تجاه عاصمة الخلافة بغداد لأنهم كانوا يبغضون البويهيين لأن السلاجقة من السنة والبويهيين من الشيعة.

فى رمضان سنة 447هـ دخل السلاجقة بغداد ووضعوا حداً لسيطرة البويهيين ووقع فى أيديهم الملك الرحيم خورة فيروز فأسروه وأرسلوه إلى قلعة الرى وسجن حتى توفى هناك فى عام 450هـ، وفى عام 448هـ تزوج الخليفة القائم بالله من خديجة بنت أخى السلطان طغرلبك، ثم وقعت فتنة بين طغرلبك وأخيه لأمه إبراهيم ينال وانتهت الفتنة بهزيمة إبراهيم ينال وأسره فأمر أخوه طغرلبك بخنقه حتى مات فى عام 451هـ مع انشغال طغرلبك بأخيه، قام البساسيرى وهو أحد قواد البويهيين باحتلال الموصل ثم باحتلال بغداد ونادى فى الأذان بحى على خير العمل فى جامع المنصور ببغداد وكان طغرلبك قد ألغاها منذ سنة 541هـ وقام البساسيرى بأسر الخليفة القائم بالله.

لما فرغ طغرلبك من أخيه توجه نحو بغداد واستطاع أن يحررها ويحرر الخليفة من البساسيرى، وفى ذى الحجة من السنة 541هـ تمكنت قوات طغرلبك من هزيمة البساسيرى فى معركة قبر الكوفة وقتل البساسيرى وأرسل رأسه إلى بغداد.

فى سنة 453هـ خطب طغرلبك ابنة الخليفة فتمت الخطوبة فى عام 454هـ فتزوجها فى عام 455هـ ولكنه مرض بعد ذلك ومات فى رمضان سنة 455هـ، ولأن طغرلبك ليس

لديه أبناء فقد تولى الحكم ابن أخيه ألب أرسلان، والسلطان ألب أرسلان من السلاطين الأقوياء استطاع أن يحتل أرمينية فأراد ملك بيزنطية استردادها فتواجه جيش الروم وتعداده مائتين ألف مقاتل مع جيش السلاجقة وتعداده خمسة عشر ألف أو عشرين ألفاً كلهم من الفرسان فى يوم الجمعة 27رجب سنة 463هـ والتقى الطرفان فى معركة ملاذ كرد وانتهت بهزيمة الروم وأسر قائدهم رومانوس الرابع ثم أطلق سراحه على شروط إطلاق جميع الأسرى المسلمين فى الروم ودفع الجزية حتى بلغت مليون ونصف دينار ولما عاد الملك الرومى رومانوس إلى بلاده قبضوا عليه وسملوا عينه وسجن حتى مات.

توفى السلطان ألب أرسلان فى 465هـ وخلفه ابنه ملكشاه وهو من أقوى السلاطين السلاجقة على الإطلاق، وفى عام 467هـ توفى **الخليفة القائم بأمر الله** بمرض أصابه وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وخلفه حفيده **عبد الله بن محمد ولقب بالمقتدى بأمر الله**[1] وأمه جارية أرمينية اسمها أرجوان.

وفى عام 483هـ ظهرت فرقة إسماعيلية خطيرة جداً عرفت فى التاريخ بفرقة الحشاشين لأنهم كانوا يتعاطون الحشيش أو النزارية نسبة إلى نزار بن المنتصر الحاكم الفاطمى العبيدى فى مصر وكان مؤسس فرقة الحشاشين هو الحسن بن الصباح وكانوا يقبضون على أشخاص ويشترون عبيد ويجرعونهم الحشيش ثم يدخلوهم على الحسن الصباح وهم سكرى فيريهم الحدائق وجوارى جميلات ومجارى مصنوعة بطريقة محكمة يجرى فيها ماء وعسل ولبن وخمر، فيسأل الرجل عن كل هذا وهو تحت تأثير الحشيش فيخبره الحسن بن الصباح بأن الحدائق مكانة فى الجنة والجوارى الحور العين والمجارى هى أنهار الجنة وكل ما عليه هو إطاعته فعند ذلك يطيعه الرجل حتى لو أمره بقتل نفسه فإنه يقتلها فى الحال.

فى عام 485هـ مات السلطان ملكشاه وخلفه ولده بركيارق وبوفاة ملكشاة دب الضعف فى دولة السلاجقة بسبب النزاع بين أبناء العمومة والإخوة، وفى عام 487هـ توفى الخليفة المقتدى بأمر الله وخلفه ابنه أحمد ولقب **بالمستظهر بأمر الله**[2].

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثانى عشر: خلافة المقتدى بأمر الله صفحة 577-625.
(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثانى عشر: خلافة المستظهر بأمر الله صفحة 626-674.

فى عهد المستظهر بالله تعرضت الدولة الإسلامية بحملة صليبية قوية وهى الحملة الصليبية الثانية (حملة الأمراء) التى نظمها النصارى الكاثوليك بقيادة جوديفرى دينيون من أوروبا وتحركوا فى عام 490هـ إلى الشرق الإسلامى وتواجهوا مع السلاجقة الروم فى آسيا الصغرى (تركيا حالياً) وهزموا السلاجقة واتجهوا نحو انطاكية ثم أرسلوا جيشاً نحو مدينة الرها (فى شمال العراق) فاستطاعوا فتحها وكانت أول مدينة عراقية تسقط فى يد النصارى بعد حصار انطاكية الذى استمر ستة أشهر دخلوا إنطاكية وعاثوا فيها الخراب فى عام 492هـ ثم توجه النصارى نحو القدس و خلال طريقهم إلى القدس بدأت المدن الإسلامية فى السقوط فسقطت طرابلس وبيروت وصيدا وواصلوا السير نحو القدس ولما وصلوها قاموا بحصار القدس فى 24 شعبان 492هـ ثم سقطت القدس وارتكب النصارى الكاثوليك أبشع الجرائم فى حق المسلمين فقتلوا منهم حتى وصل الدم إلى الركب ولم يرحموا طفلاً صغيراً ولا شيخاً عاجزاً ولا امرأة لا تجد ما تدافع به عن نفسها، ثم قاموا بتدنيس المسجد الأقصى فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم حصلت فتنة بين السلطان بركياق وأخيه محمد انتهت بهزيمة محمد وفراره فى 496هـ ومع هذه الفتن كان النصارى الصليبيون يواصلون تقدمهم حتى احتلوا المدن الساحلية للبحر المتوسط.

فى عام 498هـ توفى السلطان بركيارق وعهد الأمر من بعده لولده ملكشاه وعمره أربع سنين، فجاء أخو بركيارق محمد إلى بغداد فبايعوه وبدأ قتاله ضد الحشاشين واستولى على العراق وخراسان ما عدا الموصل فهى بيد آل الزنكى وتوفى فى عام 511هـ.

وفى ربيع الآخر سنة 512هـ توفى الخليفة المستظهر بالله وخلفه ابنه الفضل المسترشد بالله[1] وكان محمد بن ملكشاه قد عهد بالأمر من بعده لابنه محمود فوقعت فتنة بين محمود وعمه سنجر وانتصر سنجر.

استطاع الصليبيين أن يفتحوا حلب ويقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً، فسبحان الله السلاجقة فى تفرقهم والنصارى يحتلون المدن الإسلامية!! وفى عام 514هـ وقعت فتنة بين السلطان محمود وأخيه مسعود وانتهت بالصلح بين الطرفين بعد معركة.

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثانى عشر: خلافة المسترشد بالله صفحة 675 - 709.

حاول الخليفة المسترشد بالله أن يعيد الخلافة على ما كانت عليه فى عهد أجداده المنصور والرشيد ولكن فى هذا الزمن الضعيف صعب جداً، فدخل فى حروب مع السلطان محمود وقامت مع الخليفة العامة من الناس وانتهت بالصلح واصطلح محمود مع عمه سنجر وولى الخليفة عماد الدين زنكى الموصل وحلب وحماة وأن يتولى الصليبيين، وفى عام 525هـ مات السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وتولى بعده السلطان مسعود ووقعت بين الخليفة وأسره ولما أُسر أكرمه السلطان ووضعه فى خيمة وشدد حوله الحراسة ولكن أربعة من الحشاشين تسللوا إليه وقتلوا الخليفة ثم قُبض على هؤلاء الأربعة وقاموا بقتلهم فهكذا قتل الخليفة فى ذى القعدة عام 529هـ وتولى بعده ابنه منصور ولقب بالراشد بالله.[1]

فى عام 530هـ وقع خلاف بين الخليفة الراشد والسلطان مسعود فجهز مسعود جيشاً كبيراً فهرب الخليفة إلى عماد الدين زنكى فى الموصل ودخل مسعود بغداد وعزل الخليفة الراشد وولى أخاه أبى عبدالله بن المستظهر ولقب بالمقتفى لأمر الله[2] وأمه جارية اسمها نسيم.

فى عام 532هـ قتل الخليفة المخلوع الراشد فى أصبهان على يد رجل يخدمه من الخراسانية وذلك بعد معركة جرت بينه وبين السلطان مسعود بأرض مرغة انتهت بهزيمة الخليفة وقتل من معه.

فى سنة 539هـ استرد عماد الدين زنكى الرها من الصليبيين بعد معركة كبيرة وأزيل عن المسلمين كرباً كبيراً، وفى عام 541هـ قتل عماد الدين زنكى وتولى بعده ابنه نور الدين محمود واستطاع نور الدين ان يستولى على عدة حصون ساحلية من النصارى بينما النصارى يستولون على الحصون الإسلامية فى الأندلس.

فى عام 547هـ توفى السلطان مسعود وقام بالأمر من بعده أخوه ملكشاه ثم جاء السلطان محمد بن محمود وأخذ الملك واستقر له فى عام 551هـ طلب السلطان محمد بن محمود إذن الخليفة أن يخطب له فى الجمعة فلم يجبه الخليفة فتوجه السلطان بجيش فحاصر

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثانى عشر: خلافة الراشد بالله صفحة 711-712.

(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثانى عشر: خلافة المقتفى لأمر الله صفحة 712 - 755.

بغداد وقاتلت العامة مع الخليفة ولكن السلطان محمد وصلته الأخبار أن أخاه قد خلفه فى همذان فاضطر إلى التراجع وترك بغداد وبقى فى همذان حتى توفى فى عام 554هـ بمرض السل وفى عام 555هـ توفى الخليفة المقتفى بأمر الله لمرض أصابه وتولى من بعده ابنه يوسف وتلقب بالمستنجد بالله [1] وأمه جارية كرجية اسمها طاووس وكانت سيرة المستنجد سيرة طيبة عادلة الغى فيها الضرائب التى تؤخذ من المزارعين والصناعيين وغيرهم (وفى عام 556هـ ولدت أمرأة أربع بنات فى بطن واحد).

فى عام 564هـ فتح أسد الدين شيركوه مصر ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى وفى عام 566هـ توفى الخليفة المستنجد بالله وخلفه ابنه الحسن وتلقب بالمستضيء[2] وأمه جارية أرمينية اسمها غظة.

فى سنة 567هـ فى أول جمعة من محرم زالت الدولة العبيدية (الفاطمية) فى مصر بعد وفاة حاكمها العاضد بعد أن استمرت 280سنة وصارت مصر تحت حكم صلاح الدين الأيوبى، وفى عام 569هـ فى يوم الأربعاء الحادى عشر من شوال مات الملك العادل نور الدين محمد زنكى، وفى عام 575هـ فى أواخر شوال توفى الخليفة المستضيء بالله لمرض أصابه وكانت سيرته طيبة مثل أبيه ثم تولى من بعد ابنه أحمد وتلقب بالناصر لدين الله[3] وأمه الجارية زمرد، كان حكم الخليفة الناصر لا يتعدى بغداد بينها الناصر صلاح الدين مستمر فى فتوحاته وجهاده ضد الصليبيين، وفى 24 ربيع الأول 583هـ كانت معركة حطين العظيمة الموافقة بالميلاد الشهر السابع سنة 1187م انتصر فيها صلاح الدين وكسر شوكة الصليبيين وكان تعداد جيش صلاح الدين اثنا عشر ألفاً وجيش النصارى 63 ألفاً فقتل من النصارى 30 ألفاً وأسر 30 ألفاً، وفى منتصف رجب سنة 583هـ حاصر صلاح الدين القدس وفى 27 رجب (توافق ليلة الإسراء والمعراج) دخل صلاح الدين القدس وطهرها من تدنيس النصارى لها فلله الحمد، وفى عام 589هـ توفى قاهر الصليبيين صلاح الدين رحمه الله.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثانى عشر: خلافة المستنجد بالله صفحة 755 - 780.

(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثانى عشر: خلافة المستضيء صفحة 781 - 831.

(3) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثانى عشر: خلافة الناصر لدين الله ابن المستضيء صفحة 832 - 885.

فى عام 591هـ استحوذ جيش الخليفة على بلاد الرى وأصبهان وهمدان وخوزستان وغيرها من البلدان، فى بداية القرن السابع كانت الأوضاع مضطربة فى بلاد ما وراء النهرين بين الخوارزمية والغورية والشام ومصر يسيطر عليها الأيوبيون أنفسهم، والنصارى مسيطرون على المدن الساحلية للبحر المتوسط.

قام الخليفة الناصر بنشر الجواسيس على الطرقات وأماكن تجميع الناس ليقوموا بالتجسس عليهم ونقل أخبارهم إلى الخليفة فسببت إزعاجاً لعباد الله الآمنين وكان فى كل يوم يصل الخليفة تقارير مفصلة عن طريق هؤلاء الجواسيس. فى عام 618هـ استولى المغول التتار على كثير من البلدان الإسلامية همدان وتبريز وكنجة وبدءوا زحفهم نحو العراق وبالأخص نحو العاصمة بغداد ولكن قائدهم جنكيز خان مات فى 624هـ فاضطر جيش المغول للرجوع وسنتحدث عن المغول وحاضرتهم فيها بعد إن شاء الله.

فى عام 623هـ فى أواخر رمضان مات الخليفة العباسى الناصر لدين الله بعد حكم دام 47سنة وهى أطول مدة حكمها خليفة عباسى ثم تولى بعده ابنه **محمد وتلقب بالظاهر بأمر الله**[1] وأول ما قام به هو إبطال حركة الجواسيس التى كانت فى عهد أبيه ولكنه لم يبق فى الخلافة إلا تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً وتوفى فى رجب سنة 623هـ وكانت سيرته عادلة وكان كريماً طيباً مع الرعية وتولى من بعده **ابنه المنصور وتلقب بالمستنصر بالله**[2] وكانت سيرته عادلة مثل أبيه وكان يتعهد اليتامى ويشترى الجوارى الكبار فى السن ممن جاوزوا أربعين سنة ثم يقوم بعتقهن ثم تزويجهن، وفى السنة 631هـ أكمل المستنصر بناء المدرسة المستنصرية التى لم يُر مثلها من قبل وكانت المدرسة تشتمل على جميع العلوم من المذاهب الأربعة والطب والهندسة وغيرها من العلوم الآخرى.

توفى الخليفة المستنصر فى عام 640هـ فى يوم الجمعة العاشر من جمادى الآخرة رحمه الله.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثالث عشر: خلافة الظاهر بأمر الله صفحة 125 - 132.

(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثالث عشر: خلافة المستنصر بالله صفحة 133 - 187.

تولى بعد وفاة المستنصر ابنه عبدالله وتلقب **بالمستعصم بالله** [1] وأمه جارية اسمها هاجر وكان الخليفة المستعصم عادلاً حافظاً للقرآن ولكنه لم يكن فى حزم أبيه، وكان يحب جمع المال.

فى عام 642هـ ارتكب المستعصم خطأ بتوليه مؤيد الدين أبى طالب محمد بن أحمد بن العلقمى الوزارة لأن ابن العلقمى كان رافضياً شيعياً يكره المسلمين أهل السنة غاية الكراهية وسنرى كيف سيكون انتقامه من دار الخلافة، فى عام643هـ وقعت معركة عظيمة بين جيش الخليفة والتتار والمغول وانتصر المسلمون وهرب التتار ولم يتبعهم المسلمون خوفاً من مكرهم.

فى عام 654هـ ظهرت نار من أرض الحجاز التى أضاءت له أعناق الإبل ببصرى كما أخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى".

فى عام 655هـ وقعت فتنة عظيمة فى بغداد بين السنة والرافضة وانتصر أهل السنة ونهب السنة حى الكرخ فى بغداد وهو حى الرافضة ببغداد ومنها دور لأقرباء ابن العلقمى فازداد حقد ابن العلقمى على السنة وبدأ يفكر فى الانتقام فأول ما بدأ به هو أن الجيش العباسى معظمه من السنة وتعداده مائة ألف مقاتل فقام بتشتيتهم حتى وصل الجيش إلى عشرة ألف مقاتل وقام بمراسلة الخوجة بن نصير الدين الطوسى - والطوسى رافضى مُلحد فيلسوف حاقد على الدين الإسلامى وكان وزيراً لزعيم الحشاشين فى إيران ركن الدين خورشاه، وكان عالماً فى الفلك والرياضيات فبعد سيطرة ابن العلقمى الرافضى الخبيث ومعه الطوسى على مقاليد الحكم فى الدولة العباسية ماذا تنتظر أن يحدث للخلافة؟

عندما كان ابن العلقمى يراسل الطوسى كان الطوسى وقتها مستشاراً للقائد المغولى هولاكو، لأن هولاكو بعد أن حاصر قلعة الحشاشين واقتحمها وقام بتدميرها وأبقى على

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثالث عشر: خلافة المستعصم بالله 188-246.

الطوسى معه لأنه كان عالماً بالفلك والرياضيات وأخبر الطوسى هولاكو بأنه عالم فلك يستطيع أن يستدل بالنجوم وطبعاً المغول يهتمون بعلم التنجيم والاستدلال بالنجوم فأبقى عليه وبدأ الطوسى يخبر هولاكو ويزين له اقتحام عاصمة الخلافة بغداد ويقول له أن النجوم تخبره بذلك وأن الانتصار سيكون حليفاً لهولاكو ولن يجد صعوبة فى اقتحام المدينة بغداد... فلك أن تنظر إلى خبث هذا الملحد فى باطنه، الرافضى فى ظاهره كيف يخطط بدهاء لإسقاط الدولة العباسية؟!

قبل أن نتحدث عن دخول المغول إلى بغداد سنعطيكم نبذة مختصرة عن المغول وحاضرتهم وكيف وصلوا إلى بغداد.

من هم المغول؟

المغول: ويعرفون بالتتار هم قبائل آسيوية يتكلمون باللغة التركية يسكنون هضبة منغوليا (شمال الصين) هضبة منغوليا تكون شديدة الحر فى الصيف وشديدة البرودة فى الشتاء طبعاً طبيعة قاسية، وقبائل المغول كثيرة وتكثر النزاعات والقتال بينهم لأتفه الأسباب (يذكروننا بالعرب فى الجاهلية) وتطول معاركهم حتى تصل بالسنين وأعدادهم كثيرة جداً وكانت قبائل المغول متفرقة لا تجمعهم كلمة واحدة.

وفى عام 550هـ وُلد لزعيم قبيلة قيات المغولية واسمه يسوكاى بهادور ولد وسماه تيموجن وفى عام 563هـ مات يسوكاى بهادور وترك أهله وابنه تيموجن فوقع تيموجن أسيراً عند قبيلة التايبون المغولية وبالغوا فى إهانته ولكنه إذا جاع يقوم بقطع عرق رقبة الحصان ويشرب من دم الحصان ثم يقوم بخياطته وإذا جاع أو عطش فعل ذلك، وبدأ تيموجن فى التفكير فى توحيد قبائل المغول حتى يكون جيش يكتسح به العالم، فجمع ما استطاع تجميعه وقام بمهاجمة قبيلة التايبون التى أهانته وهزمها ودخلت تحت سلطته واستمر فى توحيد قبائل المغول حتى وحدهم جميعاً تحت كلمته فى بداية القرن السابع الهجرى وبعد توحيد قبائل المغول احتفلوا بتيوجمن ولقبوه بجنكيزخان (ومعناه سيد الحكام).

فى عام 603هـ وضع جنكيزخان قانونه ودستوره المعروف بدستور إلياسق وسنذكر بعضاً منها:

الزانى المحصن وغير المحصن ومرتكب اللواط يقتل، ومن تعمد الكذب والساحر ومن تجسس يقتل، ومن بال فى الماء الراكد ومن ينغمس فى الماء يقتل، ومن أطعم أسيراً ومن أكل ولم يطعم من عنده يقتل، ومن وجد هارباً ولم يرده إلى صاحبه يقتل، ذبح الحيوان يكون بشق جوفه ثم يتناول قلبه بيديه ويستخرجه من جوفه، يجب على الابن أن يطيع أباه وأخاه الأكبر منه، وأن ينادى لأى إنسان باسمه مهما بلغت منزلته ولا يستخدم كلمة الملك أو الوزير أو القائد، ويجب على المغولى الغنى أن يساعد المغولى الفقير.

لا يغسل المغولى ثيابه وإنما يرتديها حتى تبلى... وغيرها كثير.

ما ديانة المغول؟

ديانة المغول هى الديانة الشامية وتنص على الاستعانة بأرواح الموتى وأن الكهان والمنجمين هم من يسيطرون على ذلك وأن قتل البشر يزيد فى حسنات القاتل فلذلك المغولى يحرص على قتل أكبر عدد من أعدائه ليزيد حسناته.

نستدل من ذلك أن هؤلاء يعيشون فى بيئة قاسية وديانتهم دموية وأسلوب القتل عندهم مهارة وهمجى فى نفس الوقت لا يعطون اهتماماً للحضارة بل إن من سياستهم تخريب المدن وإحراقها وقتل كل من فيها، فماذا تتوقع منهم أن يفعلوه مع أعدائهم؟! بعد توحيد قبائل المغول أمر جنكيز خان بمهاجمة قبائل تركية عدوة له وأمر بقر بطون الحبلى وقتل الطفل الذى فى بطن أمه.

فى عام 616هـ توجه المغول إلى مملكة خوارزم واقتحموا مدينة بخارى وارتكبوا فيها من المجازر والتخريب ما يشيب له الرأس، ثم فى 617هـ توجهوا إلى مدينة سمرقند وكان نصيبها مثل مدينة بخارى أما حاكم خوارزم شاه فقد هرب إلى جزيرة صغيرة فى بحر قزوين وهناك مات فى شوال سنة 617هـ وتولى بعده ابنه جلال الدين منكوبرتى وكان سيىء السيرة مع المسلمين بالرغم من أنه استطاع أن يهزم المغول فى أكثر من وقعة ولكنه انتهى به

الأمر إلى الهزيمة والفرار وأخيراً مقتله على يد فلاح كردى لا يعرفه فى مدينة ميافارقين، قتله الفلاح بفأسه لأنه سأله من هو؟ فأجابه أنا ملك خوارزم وكان الخوارزميون قد قتلوا أخاً له فقتله الفلاح بأخيه فى عام 628هـ.

فى عام 617هـ هاجم المغول خراسان واستولوا على مدنها المرو ونيسابور وغيرها. وقامت ابنه جنكيزخان بدخول نيسابور وقاموا جنودها بقتل كل من صادفهم ثم قاموا بقتل القطط والكلاب انتقاماً لزوجها الذى قتل أثناء حصار مدينة نيسابور فى صفر عام 618هـ.

استمر جنكيز خان فى احتلال المدن الإسلامية ثم رجع إلى بلاده وهناك مات فى رمضان عام 624هـ وأوصى العهد من بعده لولده أُوكتاى.

من قصص جنكيز خان العجيبة أنه مرة أمر بقتل ثلاثة رجال فجاءت امرأة ولطمت خدها وأخبرته أن الثلاثة رجال هم زوجها وابنها وأخوها فقال جنكيزخان: اختارى واحد منهم نطلقه والاثنين نقتلهما، فردت: الزوج يعوض والابن يعوض ولكن الأخ لا يعوض فاطلق أخى فاستحسن جنكيزخان كلامها فأطلقهم كلهم.

تمكنت قوات أُوكتاى من احتلال الكثير من الدول الإسلامية التابعة لسلاجقة قُونية ثم استولوا على أذربيجان وأرمينية ثم بدأ زحفهم نحو الدول الأوربية فاحتلوا جورجيا وموسكو وقاموا بإحراق موسكو ثم اتجهوا غرباً نحو بلغاريا وأوكرانيا وبولندا والمجر حتى وصلوا إلى برلين عاصمة ألمانيا التى لم يصلها المسلمون حتى الآن وكانوا كلما مروا على مدينة قتلوا أهلها ونهبوها وخربوها وانتقلوا للتى بعدها.

وكان الأوروبيون يقاومون ولكن ماذا يقاومون؟! قوة جرارة لا يستطيع أحد أن يقف أمامها.

مات أوكتاى فى سنة 639هـ وخلفه ابنه كيوك خان ثم توفى فى سنة 647هـ، ثم تولى ابن عمه مونكو خان (حفيد جنكيزخان) ووجه حملة مغولية بقيادة أخيه هولاكو إلى إيران ليدمر دولة الحشاشين ثم بعدها يتجه إلى بغداد ويواصل الاكتساح نحو الغرب تجاه الممالك الإسلامية.

تحركت هذه الحملة فى عام 651هـ من عاصمة المغول قرقون نحو بلاد الحشاشين فى إيران وفى عام 654هـ قاموا بمحاصرة الحشاشين ثم قاموا باقتحامها وقتل أهلها وتخريبها حتى خربوا أكثر من أربعين قلعة وانتهت دولة الحشاشين باستسلام رئيسهم ركن الدين خورشاه والذى أمره بالاستسلام هو وزيره الخوجه بن نصير الدين الطوسى فقام هولاكو بقتل ركن الدين خورشاه، أما الطوسى فقد أبقى عليه وجعله مستشاراً له عندما عرف مهارته فى الفلك كما ذكرنا سابقاً، وكانت آخر قلعة أسقطت للحشاشين هى قلعة ألاموت (تعنى عش النسر) وبالتالى زالت دولة الحشاشين التى سببت إرهاباً لجميع الدول المجاورة، عندما صار الطوسى مستشاراً لهولاكو قام وزير الخليفة المستعصم ابن العلقمى بمراسلة الطوسى وزيّن له دخول بغداد وأن الجيش العباسى قد شتته ابن العلقمى، فبدأ الطوسى بتنفيذ مخططه وتزيين دخول بغداد لهولاكو وأخبره أن النجوم تقول أن النصر سيكون حليفاً لك فتحرك هولاكو بجيشه الجرار نحو بغداد وقبل أن يصل هولاكو بغداد أرسل رسالة للخليفة المستعصم يأمره بفتح الأبواب للمغول، لكن الخليفة رد برد قوى على رسالة هولاكو فغضب هولاكو وتأهب للهجوم واستشار مستشاريه وكان بينهم حسام الدين كان مسلماً سنياً يشفق على الخليفة المستعصم ومن معه فأخبر هولاكو أنك إذا هاجمت دولة الخلافة فإن المصائب ستحل بالعالم وتموت الخيول وتغرب الشمس وينقطع المطر وتحل الكوارث ولن ينبت عشب ويموت الخان الأعظم وينفى الجنود، كان يريد حسام الدين أن يرده عن دار الخلافة لكن الخبيث ابن الطوسى هوّن عليه الأمر وقال انظر التاريخ ها هو الطاهر بن الحسين قتل الخليفة الأمين والأتراك قتلوا الخليفة المتوكل ولم يحدث لهم مكروه فعندها أمر هولاكو جيوشه بالتحرك وضرب الحصار على مدينة بغداد فى 22 محرم سنة 656هـ وكان تعداد جيش المغول أكثر من مائتى ألف مقاتل ولعب ابن العلقمى لعبته الخيرة فكان ينقل الأخبار لهولاكو ويثبط عزائم الجيش العباسى فى الوقت نفسه، فى اليوم الرابع من صفر خرج الخليفة وبمشورة من ابن العلقمى إلى هولاكو ومعه ألف ومائتين شخص من أقاربه وأتباعه ومعه أبناؤه الثلاثة فأكرمه هولاكو فى أول الأمر وأمر الخليفة أن يأمر جنده بإلقاء الأسلحة ففعل الخليفة ذلك فقام هولاكو بقتل الالف والمائتين الذين جاءوا معه وحُجز الخليفة وابناءه الثلاثة.

فى السابع من صفر اقتحمت بغداد من الشرق والغرب من قبل المغول وبدأ القتل فى المسلمين والمسلمات وخربوا الجوامع والقصور والمكتبات وفاضت شوارع بغداد بالدماء حتى ميازيب البيوت صارت تصب دماء وأخذ المغول يرمون الكتب فى نهر دجلة حتى عبرت عليها الخيول واستمر القتل لعدة أيام وقد قدر عدد القتلى على أقل تقدير بثمانمائة ألف إنسان وأعلى تقدير مليونى إنسان ومع كثرة الجثث والدماء فسد الجو وكثر الوباء فترك المغول بغداد وأمر هولاكو بقتل الخليفة المستعصم بالله فقتل رفساً فى كيس وقيل خنقاً وقيل أنه رمى بالكيس وتركت الخيل تمشى من عليه فى يوم الرابع عشر من صفر سنة 656هـ.

وهكذا سقطت بغداد وسقطت الخلافة العباسية فى صفر سنة 656هـ انتقل بعدها هولاكو إلى أذربيجان مقر حكمه وجاء السلاطين المسلمون يهنئونه ويتوددون إليه خوفاً من بطشه ومن الذين وفدوا عليه حفيد السلاجقة العظام كيكاوس السلجوقى وجلس بين يدى هولاكو وقال له: أرجو أن تشرف رأس عبدك وتضع قدمك المباركة عليه (أى ذل هذا الذى نراه)؟!

كان ابن العلقمى يطمع فى إسقاط الخلافة وانتهاء الأمر إليه وإلى جماعته الرافضة لكن الله لم يمهله فمات فى مستهل جمادى الآخره من نفس السنة 656هـ فلله الحمد والمنة.

ومن الذل الذى وصل إليه أهالى بغداد هو أن المغولى يأخذ عشرة معه ويخرج بهم ليقتلهم فلا يجد سيفه معه فيقول لهم: انتظروا هنا حتى آتى بالسيف لأقتلكم به، فيرجع ليأخذ سيفه ويجدهم مكانهم لم يهربوا فيقوم بقتلهم جميعاً، أى ذل وصل إليه المسلمون... (والله ذل ليس بعده ذل).

عودة المغول لمهاجمة البلدان الإسلامية وبلاد الشام ومعركة عين جالوت فى الباب **القادم إن شاء الله.**

الفصل الثاني

العراق بعد سقوط الخلافة العباسية وفى عهد الخلافة العثمانية

بعد سقوط الدولة العباسية على يد هولاكو عام 656هـ بقيت الدولة الإسلامية بدون خليفة وفرح النصارى بهزيمة المسلمين لأن زوجة هولاكو كانت نصرانية واسمها دوقوز خاتون، ثم بدأ هولاكو يتجهز لغزو بلاد الشام ومصر بإغراء من ملك الأرمن جيثوم وأمده بجيش وهذا يبين أن حقد النصارى على الإسلام والمسلمين لا ينتهى.

بعد سقوط بغداد كان هولاكو قد رجع إلى أذربيجان مقر حكمه ومن هناك جهَّز جيشه لغزو الشام ومصر وفى رمضان سنة 657هـ حرَّك هولاكو جيشه بقيادته لغزو الشام وكانت المدن الإسلامية تستسلم للمغول (التتار) إذا سمعوا بقدومهم، فى صفر سنة 658هـ حاصر المغول مدينة حلب واكتسحوها وارتكبوا فيها مثلما ارتكبوا فى بغداد من الجرائم والقتل الذى لا يمكن تصوره ثم انتقلوا إلى قلعة حارم فى سورية.

وفعلوا فيها مثلما فعلوا فى حلب ثم انتقلوا إلى حماة والمعرة وحمص وكان مصير هذه المدن ليس بأفضل من مصير المدن السابقة ثم اتجه المغول إلى مدينة دمشق ولكن أهالى دمشق استسلموا لهولاكو لكن القلعة لم تستلم فدخل هولاكو دمشق ولم يقتل أحداً وقام بضرب القلعة بالمناجيق فى أواخر صفر واقتحمها المغول وقتلوا كل من تحصن فيها ثم انتقلوا بعد ذلك إلى مصر وقاموا باحتلال المدن التى كانوا يواجهونها فى طريقهم، فاحتلوا نابلس وغزة وأسلم الله بيت المقدس من نجاستهم.

أثناء تحرك هولاكو إلى مصر وصله خبر ثبَّط عزيمته وهو موت مونكوخان الخان الأعظم فى قرقورن عاصمة المغول وكان موته فى السنة 655هـ ولكن الخبر تأخر لانعدام الأمن فى المدن التى خربها المغول وأيضاً وقع خلاف بين هولاكو وابن عمه بركة خان بن جوتشى بن جنيكزخان حيث إن بركة خان اعتنق الإسلام واختلف مع هولاكو حول المجازر التى يرتكبها فى المسلمين (كان اعتناق بركة خان للإسلام فى عهد جده جنيكيز خان وهو الذى دس السم لجده انتقاماً للمجازر التى ارتكبها جنيكزخان فى المسلمين)[1].

(1)) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الثالث عشر: أحداث سنة 657-658هـ صفحة 252-258.

لما وصل خبر موت الخان الأعظم إلى هولاكو اكتفى بهذه الانتصارات ورجع إلى أذربيجان ولكنه ترك عدد كبير من جيشه ليستمر فى قتال المسلمين بإغراء من حلفاء النصارى وخاصة ملك الأرمن الجبان جيثوم، قاد المغول القائد النصرانى كيتوبوقا وكان تعداد المغول عشرة آلاف مقاتل واتجهوا نحو مصر وتصدى لهم المماليك بقيادة سلطان المماليك الملك المظفر قطز واستطاع المماليك أن يكسروا شوكة المغول ويقتلوا فيهم وقتل قائدهم وهرب المغول وبدأ المماليك بتتبعهم وكلما وجدوا مقاتلاً من المغول قتلوه، فبفضل الله تعالى كسرت شوكة هذا الجيش الذى عاث فى البلاد الإسلامية فساداً وخراباً فى معركة عين جالوت فى يوم الجمعة 25رمضان 658هـ (3 سبتمبر1260م). بعد سقوط الخلافة العباسية ظلت الأمة الإسلامية بلا خليفة لمدة ثلاث سنوات وخمسة أشهر إلى أن ظهر ابن الخليفة الخامس والثلاثين الظاهر بالله أحمد أبو القاسم وكان قد هرب إلى البادية وأنقذه الله من مجزرة المغول فى 13رجب 659هـ، ظهر أبو القاسم أحمد وبويع بالخلافة فى القاهرة وتلقب بالمستنصر بالله وهو نفس لقب أخيه الخليفة السادس والثلاثين. [1]

بايعه المماليك بالخلافة ولم تكن خلافته إلا خلافة صورية والحكم بيد المماليك وتولى بعد ذلك الخلفاء العباسيين الصوريين فى مصر إلى سنة 923هـ عندما انتصر العثمانيون فى عهد الخليفة العثمانى القوى سليم الأول على المماليك فى معركة مرج دابق قرب حلب وفى معركة الريدانية فى مصر، بعدها تنازل الخليفة العباسى المتوكل على الله بالخلافة للخليفة العثمانى سليم الأول وانتقلت الخلافة للدولة العثمانية.

فى السنة 660هـ بدأت أعداد كبيرة من المغول تدخل فى الإسلام، بينما اشتد الخلاف بين بركة خان وهولاكو وراسل بركة خان الظاهر بيبرس سلطان المماليك.

وفى أول سنة 660هـ هاجم المغول بغداد مرة أخرى. وكان فيها الخليفة أبو القاسم المستنصر (كان قد انتقل من القاهرة إلى بغداد) وقتل الخليفة المستنصر بالله وبايع المماليك أحمد بن الأمير القبى أبو على، وهو من أحفاد الخليفة المسترشد بالله ولقب بالحاكم بأمر الله.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثالث عشر: أحداث سنة 658هـ ووقعة عين جالوت صفحة 256-258.

فى عام 661هـ وقعت معركة عظيمة بين بركة خان وهولاكو وكلاً منهما لديه جيشا عظيما وانتصر بركة خان وقُتل معظم جيش هولاكو ولم يبق إلا شرذمه قليلة مع هولاكو تمكنوا من الهرب.

فى عام 662 مات السلطان المغول هولاكو، وتولى بعده ابنه أبغا ولكن بركة خان لم يعطه فرصة فقدم عليه وفرق جموعه وشتّت شمله.

وفى عام 671هـ فى جمادى الآخرة وصل السلطان الظاهر بيبرس إلى الفرات عندما سمع بتجمع المغول هناك والتقى معهم وأوقع فيهم مقتلة كبيرة وكان معه سيف الدين قلاوون، واستمر فى تتبعهم ولكن المغول إذا سمعوا بقدوم المسلمين فإنهم يهربون ويتركون أموالهم ومُؤنهم.

وفى سنة 676هـ مات السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس وتولى بعده ابنه السعيد.

وفى عام 678هـ خُلع الملك السعيد وتولى بعده أخوه الملك العادل سلامش وجعل أتابكه فى الوزارة الأمير سيف الدين قلاوون فى 679هـ وتفرقت كلمة المسلمين فبدأ المغول بمهاجمتهم حتى وصلوا إلى حلب فلما رأى المسلمون ذلك اتفق سنقر الأشقر ملك دمشق مع الملك العادل فى مصر ضد المغول والتقى الطرفان عند مدينة حمص واقتتل الطرفان فى وقعة حمص التى يعتبرها المؤرخون مثل وقعة عين جالوت، فى أول الأمر انهزم المسلمون وهربوا إلى مدينة حمص فخرج الملك سنقر مع بعض أعيانه وقاتلوا المغول وثبتوا فى القتال فخرج المسلمون لمساعدة الملك سنقر وبفضل الله انقلبت الهزيمة إلى نصر ووقعت مجزرة فى التتار وفروا هاربين وبدأ المسلمون فى تتبعهم وأسرهم وكان النصارى من الأرمن وغيرهم يقاتلون مع المغول، وقاد المغول أبغا ابن هولاكو أخوه منكوتمر، وتعتبر معركة حمص هى المعركة الفاصلة بين المسلمين والمغول ولم تقم للمغول بعدها قائمة وإنما صاروا ذليلين يخافون من المسلمين مثل خوف المسلمين من المغول عندما هاجموا بغداد فى عهد هولاكو، بعد هذه المعركة الفاصلة مات الملك أبغا بن هولاكو غماً وحزناً، كانت معركة حمص فى رجب سنة 680هـ.[1]

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثالث عشر: سنة 680هـ وقعة حمص صفحة 338-341

فى عام 688هـ استطاع السلطان قلاوون أن يسترد طرابلس من النصارى الصليبين وفى عام 689هـ مات السلطان قلاوون وتولى بعده ابنه الأشرف خليل الذى استطاع أن يسترد عكا وبقية المدن الساحلية من الصلبيين الكاثوليك فى عام 690هـ

ومنذ عام 690هـ انتهى الوجود الصليبى فى المشرق الإسلامى وصارت المدن الإسلامية تحت حكم المسلمين بعد أن بقى النصارى يحكمونها أكثر من 200 سنة وبهذا انتهت الحروب الصليبية وبدأ عهد إسلامى جديد وبدأت الخلافة أو السلطة العثمانية.

قبل أن نتحدث عن قيام الدولة العثمانية نذكر أولاً أن المسلمين لما تخلصوا من النصارى واستتب الأمن أقدموا على اللعب وإنشاء الملذات والحانات التى يقام فيها الزنا وشرب الخمر فابتلاهم الله بالعدو السابق وهو المغول !

وفى عام 699هـ توجه المغول إلى الشام بالرغم من أن المغول صاروا يتخوفون من المسلمين ولم يعودوا بنفس القوة التى كانوا عليها فى عهد هولاكو ولكن المسلمين إذا قصروا فى جنب الله ابتلاهم الله بعدوٍ لا يرقب فيهم إلاً ولا ذمة.

فى ربيع الأول سنة 699هـ التقى المسلمون مع المغول ومن معهم من نصارى الأرمن عند وادى سُليمة[1] واقتتل الطرفان وصبر المسلمين فهزم المغول المسلمين فى وقعة قازان (نسبة إلى سلطان المغول قازان) وفر المسلمون إلى دمشق وتحصنوا فيها فتبعهم المغول وبدءوا بحصار قلعة دمشق فاستنجد المسلمون بالجيش المصرى فتحرك الجيش المصرى لنجدة إخوانهم الشاميين وقبل وصول الجيش المصرى كان جماعة من أهل دمشق ممن عرفوا بالصلح والتقوى يخرجون كل يوم لمهاجمة التتار كحرب عصابات فيقتلون ويخربون ويكرون راجعين ولما وصلت الأنباء إلى المغول بمجئ الجيش المصرى وقربه من الشام خافوا فتراجعوا وتركوا حصار دمشق وفروا هاربين خوفاً من الجيش المصرى فالحمد لله[2].

(1) مدينة فى سوريا.

(2) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الرابع عشر: أحداث سنة 699هـ ووقعة قازان صفحة 413-419.

بعد هذا الابتلاء والامتحان توجه الشيخ تقى الدين بن تيمية إلى الحانات وأماكن اللهو والمحرمات فقام بتخريبها هو وجماعة من المطوعة وكسروا الأوانى وأراقوا الخمر فهى أساس الخراب والفساد ونكلوا بأصحابها ثم انتقلوا إلى جماعة ممن كانوا يلوذون بالتتار ويزينون لهم قتال المسلمين فنكّل بهم وشنق معظمهم، وقطعت ألسن بعضهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم.

فى عام 702هـ رجع المغول لمهاجمة المسلمين مرة أخرى بأعداد كثيرة هذه المرة، فخاف المسلمون من عددهم وليس من قوتهم فقام شيوخ الإصلاح وخاصة الشيخ تقى الدين بن تيمية بتحريض الناس على الجهاد ومقاتلة التتار فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ويبشرهم بالنصر فتشجع المسلمون لذلك وتجمع الشاميون والمصريون لقتال التتار فالتقوا عند نهر الفرات وخرج النساء والأطفال يحمسون أباءهم للقتال والصبر عند المواجهة فاقتتل الطرفان فى معركة شقحب واستمرت المعركة من عصر أول يوم فى رمضان يوم السبت إلى الساعة الثانية ظهراً يوم الأحد وأثخن المسلمون الضرب فى المغول ليلاً ونهاراً فهرب التتار إلى الجبال والتلال فتبعهم المسلمون وحاصروهم وقتلوا فيهم ومن نجا غرق فى نهر الفرات ونقلت البشائر إلى المسلمين فى الشام ومصر ففرح المسلمون بهذا النصر العظيم[1].

الدولة العثمانية

قبل أن نتحدث عن ما يتعلق بموضوعنا وهو العراق فى عهد الدولة العثمانية سنتحدث عن نشأة الدولة العثمانية ومن هم مؤسسوها

كيف نشأت الدولة العثمانية ؟

بعد أن هاجم المغول الدول الإسلامية فى آسيا الوسطى مثل بخارى وسمرقند وطشقند وبلاد ما وراء النهرين، نزحت قبائل تركية إسلامية خوفاً من بطش المغول وهربت نحو الغرب واستطاعت قبيلة تركية اسمها قبيلة قاى النزوح والهجرة إلى هضبة

(1) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الرابع عشر: أحداث سنة 702هـ ووقعة شقحب صفحة 429-434.

الأناضول [1]، وكان يرأسهم سليمان باشا وكان لا يتجاوز عددهم أربع آلاف نسمة وفى طريقهم رأوا معركة بين السلاجقة بقيادة كيقباد الأول والخوارزمية بقيادة جلال الدين منكوبرتى وتعرف هذه المعركة بمعركة (ياس الجمن) وكان الانتصار للخوارزمية فانضم سليمان شاه وجماعته لنصرة الكفة الضعيفة وهم لا يعرفون من هم ولكنها نخوة الأتراك لنصرة الضعفاء فمالت الكفة للسلاجقة وانتصروا على الخوارزمية وهرب قائدهم جلال الدين منكوبرتى وانتهى به الأمر بمقتله على يد فلاح كردى قرب مدينة ميافارقين سنة 628هـ كما ذكرنا فى العهد العباسى.

بعدها أكرم السلطان السلجوقى كيقباد الأول الأتراك قبيلة قاى وأعطاهم أرض يسكنونها لا تتجاوز مساحتها ألفين كيلو متر مربع على حدود دولة بيزنطة وبدءوا فى التوسع حتى بلغت دولتهم مساحة ثلاثة عشر مليون كيلو متر مربع فى عهد الخليفة العثمانى العاشر سليمان الأول (المشرع أو القانونى) فى ثلاث قارات مختلفة قارة آسيا وأوروبا وأفريقيا.

تأسست الدولة العثمانية على يد السلطان عثمان آرطغل بك سنة 699هـ الموافقة 1299م واتخذ من الهلال والنجمة [2] رايةً له.

بعد سقوط الخلافة العباسية وقيام الدولة العثمانية كان وضع العراق غير مستقر من كثرة الحروب والخراب الذى أصابه وفى النهاية حكم بواسطة المغول الذين اعتنقوا الإسلام ولكنهم كانوا يتخذون من دستور إلياسق قانوناً لهم يطبقونه فى الحكم وكانت سيرتهم مع الشعب العراقى سيرة دموية فى أغلب الأحيان.

فى القرن الثامن الهجرى (القرن الرابع عشر الميلادى) ظهر سفاح مغولى جديد من المغول المسلمين وكان يحكم بقانون إلياسا وهو تيمورلنك [3]، فأول عمل قام به هو مهاجمة المغول الذين كانوا لا يزالون على حكم أحفاد جنكيز خان وكانوا غير مسلمين فاستطاع

(1) هضبة الأناضول فى تركية الحالية.

(2) مثل علم تركيا الحالية.

(3) تيمورلنك معناه الأعرج لأنه كان يعرج من سهم أصابه فى إحدى المعارك، ولد عام 736هـ، وكان معظم جيشه من الشيعة الروافض وكان يطبق قانون إلياسق وكان سنياً فكان يطبق الشيء الذى يناسبه حسب الوقت والمكان (مكياذلياً) لتحقيق أغراضه ومصالحه.

التغلب عليهم ثم توجه بعد ذلك إلى فارس والعراق وكانت تحكم من قبل أحمد بن أويس الجلاير المغولى من المغول المسلمين. وكان مقر حكمه فى بغداد وكانت سيرته مع أهل بغداد سيرة جائرة فاستنجد أهل بغداد بتيمورلنك فتوجه تيمورلنك إليهم.

فى عام 788هـ هاجم تيمورلنك مدينة أصفهان فى فارس وكانت من أجمل مدن العالم وقتل فيها سبعين ألفاً ثم هاجم مدينة تبريز وقتل فيها عشرة آلاف إنسان ثم توجه إلى بغداد ودخل بغداد الدخول الأول فى شوال سنة 795هـ ففر أحمد جلاير ودخل تيمورلنك بغداد فقتل فيها ثلاثة آلاف إنسان ونهب المدينة.

فى ربيع الأول عام 803هـ تمكن تيمورلنك من هزيمة المماليك قرب مدينة حلب وكان يقود المماليك السلطان فرج بن برقوق ودخل تيمورلنك مدينة حلب وفعل فيها مثل ما فعل أجداده المغول فى عهد هولاكو (لماذا ؟) لأن الشام كانت تابعة للمماليك فى مصر.

فى جمادى الأولى من نفس السنة 803هـ دخل تيمورلنك مدينة دمشق وارتكب فيها المجازر ما يشيب لها الوليد ثم أحرق المدينة وخربها وبرَّر تيمورلنك أفعالها بقوله: (إن أسالف الدمشقيين وقفوا إلى جانب معاوية - رضى الله عنه - ضد على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ووقفوا إلى جانب يزيد بن معاوية ضد الحسين بن على (يا له من تبرير سخيف) ثم عاد إلى بغداد فدخلها الدخول الثانى فى ذى القعدة سنة 803هـ وارتكب فيها مجازر مروعة ودّمر وخرّب فيها الكثير حتى بنى من رءوس القتلى أهرامات.

فى عام 804هـ وقعت معركة أنقرة بين المغول بقيادة تيمورلنك والقوات العثمانية بقيادة السلطان العثمانى الرابع بايزيد الأول والسبب هو أن أحمد جلاير بعد أن فر من بغداد ذهب ولجأ إلى الخليفة العثمانى بايزيد فأرسل تيمورلنك فى طلبه وتسليمه إليه فرفض الخليفة بايزيد ورد رسول تيمورلنك، فتحرك تيمورلنك لمحاربة القوات العثمانية بأعداد كبيرة تقدر بمئات الآلاف والتقى الجيشان عند مدينة أنقرة ووقعت المعركة العظيمة استمرت من الصباح حتى الغروب وسحقت قوات تيمورلنك القوات العثمانية وأُسر السلطان بايزيد وابنه موسى وظل محبوساً فى سجنه حتى مات بعد سنة من أسره، أما أحمد

جلاير فقد فرَّ على مصر إلى المماليك فقام المماليك بحبسه خوفاً من بطش تيمورلنك، وبعد هزيمة الأتراك العثمانيين تمزقت الدولة العثمانية وحدث خلاف بين أبناء بايزيد استمر لمدة عشر سنوات انتهى الخلاف بتوليه محمد الأول عام 816هـ بعد هزيمته لإخوانه وقتلهم.

فى القرن السادس عشر بعد الميلاد (القرن العاشر الهجرى) سيطر الصفوون على العراق.

من هم الصفويون ؟.

الصفويون نسبة إلى صفى الدين وكان سنياً ثم انقلب شيعياً وأنجب ولداً سماه إسماعيل وكان إسماعيل شيعياً متشدداً وكانا يسكنان فى إيران وكانت إيران تخضع لحكم السنة ولكن ماذا فعل هذا الشيعى الخبيث ؟ قام بقتل جميع علماء السنة واستقدم علماء الشيعة من الإحساء وجنوب لبنان فصار مرجع العامة من الناس مرجعاً شيعياً من هنا بدأت إيران تحت الحكم الشيعى إلى يومنا هذا ومذهبهم مذهب اثنا عشرى وسميت هذه الدولة بالدولة الصفوية فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ثم قام بمهاجمة بغداد فى القرن السادس عشر الميلادى وقتل علماء المسلمين فى بغداد وفرض المذهب الشيعى على أهالى بغداد وكانت هذه الأحداث فى عهد الخليفة العثمانى التاسع سليم الأول [1].

عندما رأى السلطان سليم الأول ما حصل لأهل بغداد من قبل هذا الشيعى الخبيث الشاه إسماعيل الصوفى تحرك بجيش بقيادته لحرب الصفويين والتقوا عند وادى تشالديران ونشبت معركة تشالديران فى 2رجب 920هـ (24 أغسطس 1514م) بين القوات العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول والقوات الصفوية بقيادة إسماعيل الصفوى وكان الانتصار فى البداية للصفويين ولكن مُشاة الإنكشارية العثمانية وسلاح المدفعية الذى كان يمتلكه العثمانيون استطاعوا أن يهزموا الصفويين ويشتتوهم وفرَّ الشاه إسماعيل ودخل الشتاء

---

(1) السلطان سليم الأول حكم من 918هـ - 974 هـ وعرف بالجزار وكان قوياً حازماً لا يتساهل فى أمور الحكم وهو أول سلطان وربما أول شخص مسلم يحلق لحيته وهو من أسقط دولة المماليك فى مصر بعد معركة الريدانية وصارت مصر تابعة للإمبراطورية العثمانية وتنازل أخر خليفة عباسى صورى المتوكل على الله بالخلافة للسلطان سليم الأول.

فمنع تقدم القوات العثمانية وملاحقة إسماعيل الصفوى مما اضطرهم الرجوع إلى مدينة إسلام بول[1] (إستانبول)

فى عام 1534م (941هـ) فى عهد الخليفة العثمانى العاشر سليمان الأول [2] (المشرِّع) استطاع وزير السلطان سليمان المشرع أن يدخل مدينة تبريز عاصمة الدولة الصفوية بدون مقاومة ثم واصل التقدم حتى وصل إلى بغداد ودخلها ثم أتى السلطان سليمان ودخل بغداد وأقَّر المذاهب السنية وأكرم علماء السنة وأعطى الأكراد حكم ذاتى فى كردستان ولكن باشا بغداد الذى نصبه السلطان سليمان هو المسيطر على أمور العراق.

فى عام 1546م (954هـ) استولى العثمانيون على البصرة وواصلوا تقدمهم حتى بلغوا منطقة الأحساء فى عام 1550م وصارت العراق بكاملها والأحساء تحت حكم الدولة العثمانية.

فى النصف الثانى من القرن 16م (1550م – 1600م) قامت الدولة العثمانية بهندسة خط سفن تجارى يمر بالخليج العربى ثم مروراً بنهر دجلة حتى يصل مدينة بغداد وبالتالى صار كل شيء يصل إلى بغداد عن طريق السفن لأنها تحمل أكثر وأسرع فى نفس الوقت.

فى عام 1632م (1042هـ) فى عهد الخليفة العثمانى السابع عشر مراد الرابع[3] هاجمت الدولة الصفوية فى إيران بقيادة الشاه عباس الأول مدينة بغداد واحتلوها ثم هاجموا المدن الآخرى فى العراق فاحتلوا الكاظمية والكوت والعمارة وكربلاء والنجف وصارت تحت حكمهم حتى عام1638 م (1048هـ) عندما استقر الأمر للخليفة العثمانى مراد الرابع قام

(1) إسلام بول تعنى مدينة الإسلام مدينة القسطنطينية التى فتحها السلطان العثمانى السابع محمد الفاتح فصارت عاصمة الدولة العثمانية.

(2) السلطان سليمان المشَّرع حكم من 926هـ ـ 974هـ مدة 48سنة وهى أطول مدة حكمها سلطان عثمانى وبلغت الإمبراطورية العثمانية أقصى اتساعها حتى وصلت 13مليون كلم وامتلكت أفضل سلاح فتاك وهو سلاح المدفعية وسمى بالمشرع لأنه أصدر قانون لكل دولة تمتلكها الدولة العثمانية حسب طبيعة أهلها بينما الحكم بالشريعة الإسلامية.

(3) السلطان مراد الرابع حكم من 1032هـ ـ 1049هـ مدة 17 سنة فى عهده زادت ثورات الإنكشارية فسببوا ضعفاً فى الدولة وأطمعوا العدو فى مهاجمتها.

بتجهيز حملة عسكرية استطاع فيها أن يسترد بغداد وباقى مدن العراق من الدولة الصفوية الشيعية[1].

فى عام 1645م (1056هـ) غزا الاستعمار الهولندى فى الهند (كانت الهند تخضع لحكم الاستعمار الهولندى) عن طريق المحيط الهندى ثم الخليج العربى مدينة البصرة فى العراق فى عهد الخليفة العثمانى الثامن عشر إبراهيم الأول[2] وفرضوا سيطرتهم على البصرة وعلى طريق التجارة فى الخليج العربى وظلَّ الاستعمار الهولندى مسيطراً حتى انسحب فى عام 1752م والسبب فى انسحابها هى أن دولة بريطانيا بدأ يكبر نفوذها وبدأت تظهر كقوة عظمى استعمارية فبدأت بمهاجمة هولندا فى أوربا مما اضطر الاستعمار الهولندى فى البصرة والدول الآخرى إلى الرجوع للدفاع عن مقر دولتهم (دولة هولندا فى أروبا الحالية) وترك مستعمراتها الآخرى.

فى القرن التاسع عشر الميلادى صارت بريطانيا قوة عظمى استعمارية استطاعت بسط نفوذها واستعمارها فى الكثير من بلدان العالم حتى أنها قالت مقولة عن نفسها بأنها الإمبراطورية أو الدولة التى لا تغرب عليها الشمس من كثرة مستعمراتها.

دولة بريطانيا من أخبث الدول التى مرت على الدول الإسلامية فكانت تعرف أن الدولة العثمانية بالرغم من ضعفها لكنها تبقى قوة عظمى ومنافسة لها فكانت تخطط بالمكر والدهاء لإثارة القلاقل والفتن داخل الدولة العثمانية ثم تشارك الدولة العثمانية وتدعمها فى قمع الثورات مع الدولة العثمانية فهى العدوة والصديقة فى نفس الوقت. طبعاً قمة المكر والخبث والدهاء. وبالتالى يتسنى لها التوغل فى ممتلكات الدولة العثمانية وفرض الاستعمار عليها ونهب خيراتها، وفكرت أيضاً بوضع دولة اليهود فى فلسطين مختلفة الدين واللغة وإذا بقيت هذه الدولة فإن العرب سيبقون مختلفين ومن السهل هزيمتهم والتحكم

---

(1) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها لأستاذ دكتور عبد العزيز الشناوى، الجزء الثانى، الفصل 25: مناقشة عزلة العراق صفحة 753-802.

(2) السلطان إبراهيم الأول حكم من 1049هـ إلى 1058هـ وكان خليفة ضعيفاً وزادت الدولة العثمانية فى عهده ضعفاً إلى ضعف، حكم لمدة 8 سنوات و9 أشهر.

فيهم سنعطى مثالاً بسيطاً وهى بعد أن عين العثمانيون محمد على باشا[1] على مصر ولقبوه بالخديوى قام بالثورة على الدولة العثمانية ودعمته بريطانيا واليهود فاحتل فلسطين والشام ولما رأت بريطانيا قوة الخديوى محمد على باشا تدخلت عسكرياً مع الدولة العثمانية وأوقفت تقدم الخديوى محمد واستفادت من ذلك أنها رأت أن الدولة العثمانية لم تعد بالدولة القوية التى يتخوف منها.

فى عام 1820ـ 1823م (1235 ـ 1238)هـ، اندلعت حرب بين بلاد فارس والعراق التى هى تحت السيطرة العثمانية وكانت فارس من بدأت بالحرب وكانت الانتصار لفارس فى المرحلة الأولى ولكن العراقين استطاعوا الانتصار فى المراحل الأخيرة بسبب تفشى وباء الكوليرا بين الجيشين وانتهت الحرب بإبرام معاهدة أرضروم الأولى فى 28 تموز 1823م (1238هـ) ولم تحسم مشكلة الحدود بين العراق وفارس.

فى عهد الخليفة العثمانى الثلاثين محمود الثانى [2] (الغازى) بعد انفصال اليونان عن الدولة العثمانية أُبرمت اتفاقية مع الدول العظمى فى أوروبا ورأت أن اليونان لها الحق بالاستقلال ودفع ضرائب الدولة العثمانية وهذا يعنى تحيز كامل لليونان ولكن تحت الضغط أذعنت الدولة العثمانية لكن اليونان لم تكتف بهذا فبعد عقد الاتفاقية باغت الأسطول اليونانى الأسطول العثمانى ودمره فخاطب الخليفة العثمانى الدول العظمى بهذا الأمر وأنها خرق للاتفاقية ولكن الدول الأوربية تتحيز لصالح الدول النصرانية ضد الدول الإسلامية فعندها عرف الخليفة محمود الثانى مكر وحقد الدول الأوربية على الإسلام فأنشر منشوره يخاطب فيها الشعب والدول الإسلامية بأن الدول الأوربية تكره الإسلام وتحاول النيل منه ومن المسلمين فلما سمعت روسيا بهذه المنشورات أعلنت الحرب العثمانية الروسية الخامسة فى عام 1828م (1243هـ)[3] وصارت روسيا تتقدم وتحتل الممتلكات العثمانية وتتواجه مع

---

(1) محمد على باشا من أصل ألبانى اشتغل فى أول حياته ببيع التبغ (الدخان) وانتهى به الأمر إلى توليه سلطة مصر.

(2) محمود الثانى حكم من 1223هـ ـ 1255هـ لمدة 32سنة وعشرة أشهر وفى عهده أُلغى النظام الإنكشارية وانفصلت اليونان عن الدولة العثمانية.

(3) الدولة العثمانية، دولة مفترى عليها لأستاذ دكتور عبدالعزيز الشناوى، الكتاب الثانى، الفصل 33: آراء محايدة فى حكم السلطان عبد الحميد الثانى صفحة 1065-1122.

القوات العثمانية ولكن القوات العثمانية تفشل فى وقف هذا الزحف الخطير واستمرت الحرب حتى عام 1829م (1245هـ) فاحتلت روسيا أُكرونيا ورومانيا وبلغاريا حتى وصلت إلى مدينة أردينه فى تركيا فلما رأت الدول الأوربية العظمى وخاصةً بريطانيا هذا التقدم الروسى الخطير تدخلت بالقوة وعسكرياً لإيقاف روسيا عند حدها (لماذا ؟) ليس حباً فى الدولة العثمانية ولكن خوفاً على مصالح الدول العظمى وخاصة مصالح بريطانيا لأنها بدأت تتأثر مع هذه الحرب فعُقدت اتفاقية أدرينه فى عام 1830م (1245هـ) ورأت بريطانيا أن عليها توطيد وزيادة مصالحها فى الدولة العثمانية ففى عام 1830م (1246هـ) أرسلت البريطانى الميجور فرانسيس رودسن شيزلى لإنشاء خطوط ملاحة بحرية فى أنهار العراق وعرفت هذه الرحلة (برحلة شيزنى الأولى) والدولة العثمانية لم ترفض ذلك لأن بريطانيا تدخلت معها وأوقفت الحرب العثمانية الروسية الخامسة فلم تستطيع أن ترفض ذلك ولكن الدولة العثمانية تحاول أن تتقى شرَّ روسيا وترتبط ببريطانيا فكأنها تتقى من الرمضاء بالنار لأنها أعطت بريطانيا الحق فى التدخل فى شئون الدولة العثمانية حتى على أتفه الأسباب، سننظر ما نهاية هذا التحالف؟ وماذا تفكر فيه بريطانيا ؟!

فى عام 1831 م (1246هـ) وضع شيزنى المنتدب البريطانى مشروع خط بحرى لاتصال العراق بالهند (لماذا الهند بالذات ؟) لأن الهند كانت خاضعة تحت حكم الاستعمار البريطانى فانظر فى بريطانيا كيف تضع مصالحها فى أول الأمر ولا يهمَّها شيء أخر يضر بكيان الدولة العثمانية فصار خط الملاحة بين العراق والهند تحت السيطرة البريطانية لكنها تعترف بأن حكم العراق تحت لواء الدولة العثمانية (أى خبث ومكر تسلكه هذه الدولة الخبيثة؟!).

فى عام 1832م (1246هـ) ثار أهل العراق على القوات العثمانية لكن القوات العثمانية كسرت الثورة وقتلت قادتها فى بغداد والموصل فازدادت كراهية العراقيين للعثمانيين

فى عام 1842م - 1747م (1257هـ - 1262هـ) وقعت حرب مرة أخرى بين الفرس والعراق، انتهت بتدخل بريطانيا وروسيا لعمل خريطة دقيقة للحدود بين الفرس والعراق ووضعت معاهدة أرضروم الثانية فى 31مايو 1847م، وفى عام 1865م تم الانتهاء من

خريطة الحدود بين فارس والعراق ابتداء من جبال أرات وانتهاءً إلى الخليج العربى ووافق كلا من الطرفين على هذا الحدود.

لماذا أشركت بريطانيا روسيا معها فى تحديد الحدود بين فارس والعراق؟ لأن بريطانيا لا تريد أن تفتح عليها جبهة حربية كبيرة بصفة روسيا قريبة من إيران والعراق ولأن مشكلة الحدود ليست مشكلة كبيرة تؤثر على مصالح بريطانيا فأرادت أن تشرك روسيا لتشترى سكوتها ونجحت بالفعل.

فى عام 1869م (1286هـ) تم الانتهاء من حفر قناة السويس الذى قام بمشروعها المهندس الفرنسى دى ليسبس فصارت الدولة الأوربية تتدخل فى البلدان الإسلامية اقتصادياً فهذا لا يمنعها أن تتدخل سياسياً وعسكرياً إذا لزم الأمر، حُفرت قناة السويس فى عهد الخليفة العثمانى الثانى والثلاثين عبدالعزيز بن محمود الثانى [1] وفى عهده عانت الدولة العثمانية من الديون المثقلة.

إذن نستنتج أن كلاً من بريطانيا وروسيا وفرنسا صارت تتدخل فى شئون الدولة العثمانية فى تحديد الحدود وتحديد المصالح والدولة العثمانية تزداد ضعفاً إلى ضعف.

من السنة 1876م - 1909م (1293هـ- 1327هـ) [2] كانت خلافة السلطان عبدالحميد الثانى الذى حكم لمدة أكثر من 33سنة والذى فى عهده بدأت تظهر جمعية تركيا الفتاة التى تستند على أساس العلمانية وتسمى أيضاً بحزب الاتحاد والترقى وتهدف إلى أربعة مبادئ هى الحرية الفردية، قيام النظام الدستورى، القضاء على الإقطاع، التحرر من السيطرة الأجنبية، واتخذت فى أول الأمر أن الحياة الثقافية والأدبية طريقاً للتعبير عن اتجاهاتها والقائمين عليها كانوا ممن تأثروا بالثقافة والحضارة الأوربية لأنهم قد أبتعثوا فى الدول الأوربية للدراسة ومنهم مدحت بإشا.

---

(1) السلطان عبدالعزيز حكم من 1277هـ- 1293هـ ولمدة 15 سنة وفى عهده تم تطوير الجيش العثمانى الذى سبب مقتله فيما بعد.

(2) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها لأستاذ دكتور عبدالعزيز الشناوى، الفصل 27: صور من حملات التشهير بالدولة (4): السلطان العثمانى رجل أوربا المريض صفحة 830 - 861.

تسلم السلطان عبدالحميد الثانى الدولة العثمانية وهى مفككة من جميع الأطراف سياسياً واقتصادياً وكانت تعانى من الديون المثقلة فأول عمل بدأ به أنه ألغى نفقات القصر الكثيرة واهتم بالإصلاحات الأساسية للدولة ولكن ماذا يصلح ؟!

استشار السلطان عبدالحميد وزيره رشيد باشا فأشار عليه بوضع فيالق عسكرية قوية على الحدود العثمانية الحساسة والمجاورة للدول المعادية أو الاستعمارية فدُربت أربعة فيالق قوية ووضع الأول فى شبه جزيرة البلقان والثانى فى العاصمة إسلام بول (أستانبول) والثالث فى الشام لأن مصر صارت فى يد الخديويين فلا يمكن أمن جانبها والرابع فى العراق مع وضع قوات بسيطة فى اليمن والحجاز. واقترح رشيد باشا للسلطان عبدالحميد فى إعطاء حق المساواة بين المسلمين من جميع الفصائل (السنة والشيعة) والنصارى وإعطاء حق التملك للفرد حتى يقلل الضغط على الدولة العثمانية من قبل الدول الأوربية وهذه سياسية حكيمة فى مثل هذا الوقت العصيب ولكنها ستفتح المجال للعلمانيين وستتيح الفرصة لحزب الاتحاد والترقى (أعضاء تركيا الفتاة) فى نشر أفكارهم والسلطان عبدالحميد لم يكن حازماً معهم فكان يكتفى بنفى العضو إلى إحدى المدن (خاصة المدن العربية) مع الحرية له فى التجول فى المدينة حيث شاء وهذا سيكون سبب فى خروج جمعية العربية الفتاة فيما بعد على أساس القومية العربية والعلمانية فالله المستعان.

كيف دخلت الدول الأوربية الكبرى فى شئون الدولة العثمانية ؟

أولاً: إذا تكلمنا عن الدول الأوربية الكبرى فنحن نتكلم عن بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وروسيا.

فى أول سنة من حكم السلطان عبدالحميد سنة 1876م (1293هـ) عقد مؤتمر دولى فى برلين عاصمة ألمانيا لبحث حماية رعايا الدولة العثمانية المسيحيين من القنصليين أو السفراء والمندوبين السياسيين بعد مقتل القنصلين ووزير خارجية النمسا والمجر وقد سبق ونادى السلطان عبدالحميد بمبدأ المساواة بين المسلمين والنصارى بإشارة من رشيد باشا فى هذا المؤتمر أرسل السلطان عبدالحميد الباب العالي[1] وانتهى المؤتمر بإصدار مذكرة برلين فى 13 مايو عام 1876م هى:

(1) الباب العالى هى أعلى مرتبة قبل السلطة.

1. اتخاذ إجراءات أمنية من قبل الدول العثمانية لحماية الرعايا المسيحيين الخاضعين للدولة.

2. عدم تدخل روسيا فى مسائل الدولة العثمانية ـ الذى أتى بهذا القرار هى بريطانيا لأن بريطانيا لا تريد لروسيا أن تشاركها فى ثروات الدولة العثمانية.

وقّعت جميع الدول الكبرى مع بعض المعارضات مع روسيا ولكن روسيا دولة عظمى متى أرادت الحرب فإنها ستفعل ولا رادع لها، أما الباب العالى المندوب العثمانى فقد وقف سلبياً ضد هذا القرار ورأى أن هذه المعاهدة كلها ضد الدولة العثمانية فترك المؤتمر ولم يوقع ولأنه رأى أن الدول الكبرى كلها تطمع فى الدولة العثمانية وانصرف واعتذر بمواجهة الثورات المسيحية فى شبه جزيرة البلقان.

فى نفس العام 1876م نشر زعيم حزب الأحرار فى انجلترا جلاد ستون كتاب بعنوان (الأهوال البلغارية والمسألة الشرقية)[1]

والكتاب يحتوى على انتقاد وتأنيب ضد الدولة العثمانية لما ارتكبته من مجازر فى الشعب البلغارى أثناء الثورة البلغارية فى مايو 1876م وكان يدعو إلى فصل وتخليص الشعوب المسيحية الخاضعة للدولة العثمانية من أيدى السيطرة العثمانية وبالتالى فإن الدولة العثمانية بدأت تواجه حرباً إعلامية إضافة إلى الحرب السياسية والاقتصادية.

كان ينظر جلادستون إلى الدولة العثمانية كنظرة دينية تعصبية كارهة للإسلام وليس نظرة عاطفية لشعب بلغاريا والدليل على ذلك هو:

1. أنه تعرّض للمذابح البلغارية ولم يتعرض للمذابح التى تعرض لها المسلمون فى الدول الأوربية أثناء ثورتهم عليها.

---

(1) الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها لأستاذ دكتور عبدالعزيز الشناوى، الفصل السابع والعشرون،صور من حملات التشهير بالدولة (4)، تشهير جلادستون بالدولة العثمانية صفحة 849 - 851.

2. لم يذكر المذابح التى قامت بها بلغاريا ضد المسلمين فى بلغاريا وإنما كانت رد الدولة العثمانية انتقاماً لقتل المسلمين الأبرياء

3. تناسى جلادستون حرب الأفيون الأولى (1839م ـ 1842م) وحرب الأفيون الثانية (1856م ـ 1857م) التى شنتها دولته بريطانيا ضد شعب الصين واستخدمت القوات البرية والبحرية والمدافع ونشرت الخراب والمذابح فى شعب الصين وأجبرته على تجارة الأفيون وتعاطيه، وفى النهاية ينتقد الدولة العثمانية ضد المجازر البلغارية التى كانت ردة فعل للمجازر التى ارتكبها البلغار ضد المسلمين الآمنين.

4. لم ينتقد مجازر فرنسا ضد الشعب الجزائرى عقب احتلالها فى عام 1830 م. انتشر كتاب جلادستون فى أوربا انتشاراً سريعاً فهذا الكتاب البريطانى أتاح الفرصة لروسيا أن تعلن الحرب الروسية السابعة ضد الدولة العثمانية انتقاماً لشعب بلغاريا الذى صار تابعاً لروسيا، فى شهر أبريل (نيسان) عام 1877م (1294هـ) أعلنت روسيا الحرب وانضمت إليها رومانيا والصرب والجبل الأسود ضد الدولة العثمانية وأيضاً ازداد الاعتقاد لدى حكومات الدولة الأوربية أن الدولة العثمانية لن تعد صالحة كدولة متماسكة وأنها تهدد السلام العالمى.

فى 24 أبريل عام 1877م (1294هـ)[1] أعلنت روسيا الحرب العثمانية الروسية السابعة وكانت روسيا تمتلك أسلحة حديثة وساندتها رومانيا والصرب والجبل الأسود لأن هذه الدول الأوربية تريد الانفصال عن الدولة العثمانية وطالبت الدولة العثمانية الدول الأروبية التدخل ولكن الدول الأوربية تقاصعت ولم تعط اهتماما وكأنها تريد الزوال لهذه الدولة.

استطاعت روسيا عبور جبال البلقان وأن تحتل مدينة صوفيا [2] وواصلت التقدم حتى وصلت إلى مسافة خمسين كيلو متر تفصلها عن العاصمة إسلام بول (إستانبول)

(1) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها لـ أستاذ دكتور عبد العزيز محمد الشناوى الكتاب الثانى، الفصل الثالث والثلاثون: آراء محايدة فى حكم السلطان عبد الحميد الثانى صفحة 1065 - 1122

(2) صوفيا عاصمة الصرب.

وعندما رأت بلغاريا أن الدولة العثمانية مشغولة بروسيا قام البلغاريون بارتكاب المجازر فى المسلمين الآمنين فى بلغاريا وبدون أى انتقاد سواء من جلا ستون أو غيره من الدول الكبرى فهذا يدل على أن كراهيتهم للإسلام والمسلمين متأصلة وباقية، بعدها قام المسلمون بالهجرة إلى العاصمة إسلام بول (إستانبول) فهذا أثر على اقتصاد الدولة.

لما صارت القوات الروسية على مسافة 50 كم من العاصمة إسلام بول طلب السلطان عبدالحميد الهدنة فوافقت روسيا بشروط لصالحها.

فى يناير عام 1878م (27 محرم 1295 هـ) أُبرمت المعاهدة الأولى التى تنص على استقلال كلا من بلغاريا ورومانيا والجبل الأسود وأن تدفع الدولة العثمانية غرامة مالية كبيرة لروسيا أو أن تتنازل لها عن بعض القلاع والحصون طبعاً وافق السلطان عبدالحميد لأنه لا يفصله عن القوات الروسية سوى 50كم، ثم بعد ذلك أبرمت المعاهدة الثانية التى تنص على الهدنة من الطرفين.

رأت بريطانيا أن روسيا انفردت بالدولة العثمانية فحركت أسطول بحرى فى 14 فبراير 1878م (11صفر 1295هـ) إلى مدينة إسلام بول (إستنابول) لحمايتها من القوات الروسية.

فى الثالث من مارس (أذار) عام 1878م أجبرت القوات الروسية المعسكرة فى قرية سان ستفانو الدولة العثمانية على توقيع معاهدة سان ستفانو وإلا فإنها ستهاجم العاصمة إسلام بول وتحت الضغط وقعت الدولة العثمانية، ومعاهدة سان ستفانو تنص على مايلى:

1. حرية مرور السفن التجارية عبر مضيقى الدردنيل والبوسفور إلى روسيا[1].
2. استيلاء روسيا على أقاليم هامة فى آسيا عى أردهان وقارص وباطوم وبايزيد.
3. استيلاء روسيا على إقليم هام فى أوربا وهو بسارابيا مع مصب نهر الدانوب.

(1) البوسفور: مضيق بين بحر مرمرة والبحر الأبيض المتوسط.
الدردنيل: مضيق بين بحر مرمرة والبحر الأسود المتوسط، إذن بحر مرمرة يصل البحر الأسود المتوسط بالبحر الأبيض المتوسط.

4. فرض غرامة مالية كبيرة على الدولة العثمانية لروسيا توازى 235مليون جنيه استرلينى فى الوقت الحالى.

بعدها رأى السلطان عبدالحميد أنه لابد من عقد معاهدة مع دولة أوربية كبرى توقف روسيا عند حدها وتحمى الدولة العثمانية فعقد معاهدة مع بريطانيا تنازل فيها السلطان عبدالحميد عن جزيرة قبرص لبريطانيا بحيث تحمى بريطانيا الدولة العثمانية من شر روسيا فوافقت بريطانيا ووقعت هذه المعاهدة.

رأى بسمارك المستشار الألمانى أن معاهدة سان ستفانو من صنع روسيا وحدها ولم تشرك أحداً معها من الدول الأروبية الكبرى فطالب الدول الكبرى، بعقد مؤتمر دولى لإعادة النظر فى معاهدة سان ستفانو وطلب أن يعقد المؤتمر فى برلين.

عقد مؤتمر برلين فى 13 يونيو 1878م (12جمادى الآخرة 1295هـ)، واشترك فى هذا المؤتمر ألمانيا وبريطانيا والنمسا وفرنسا وهنقاريا (المجر) وروسيا والدولة العثمانية بينما اليونان كانت دولة مراقبة، تجاهل المندوبون المندوب العثمانى فأخذ يبكى فقال بسمارك: (بدلاً من أن تبكوا كالنساء كان عليكم أن تحافظوا على حقوق الدولة كالرجال)[1].

استمر مؤتمر برلين لمدة 31 يوماً كان المفترض أن تنتهى بمعاهدة أقل ظلماً من معاهدة سان ستفانو ولكنها كانت أسوأ وتنص على مايلى:

1. إعادة مقدونيا للدولة العثمانية وتقسم بلغاريا إلى قسمين جنوبى وشمالى الجزء الشمالى يدفع ضرائب للدولة العثمانية والجزء الجنوبى تحت سيادتها لكن الحاكم من النصارى.

2. ضم البوسنة والهرسك للنمسا واستقلال صربيا والجبل الأسود ورومانيا.

(1) الدولة العثمانية دولة مفترى عليها لأستاذ دكتور عبدالعزيز الشناوى، الفصل (33) أراء محايدة فى حكم السلطان عبدالحميد (3)، معاهدة برلين صفحة 1099 - 1100. هذه الكلمة تذكرنا بكلمة عائشة الحرة لابنها أبى عبدالله الصغير عندما سقطت غرناطة آخر معقل للمسلمين فى الاندلس قالت: (فلتبك كالنساء ملكاً أضعته عجزت أن تدافع عنه كالرجال).

3. ضم أردهان وقارص وباطوم وبايزيد لروسيا وأن تدفع الدولة العثمانية خسائر الحرب لروسيا قدرت 802مليون و500ألف فرنك ذهبى على أقساط سنوية ولا شك أنهم يريدون أن يقصموا ظهر الدولة العثمانية بالديون.

نلاحظ أن الدول الأوربية الكبرى تغلغلت فى أمور الدولة العثمانية والدول الكبرى هى بريطانيا وألمانيا وفرنسا وروسيا وصارت هذا الدول تقسم ممتلكات الدولة العثمانية وكأنها غنيمة.

تطرقت لموضوع دخول الدول الأوربية فى شئون الدولة العثمانية لأنها لها علاقة بموضوعنا وهى أن العراق يحتوى على ثروات نفطية ستكون طمعاً للدول الاستعمارية فيما بعد.

واجه السلطان عبدالحميد ضغوطات من الدول الكبرى وخاصة ألمانيا وبريطانيا وفرنسا حول فلسطين وأن يسمح لليهود بسكنى فلسطين لكن السلطان عبد الحميد رفض ذلك وبدأ بالتشديد على قضية فلسطين بل ومنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنع بيع الأراضى الفلسطينية لليهود فهذا الموقف يُحسب له فى التاريخ.

بعد معاهدة برلين احتلت فرنسا تونس فى عام 1881 م (1298هـ)، طمعاً فى خيراتها وبررت ذلك أن ديون فرنسا على تونس كثيرة ولم تسددها تونس، واحتلت بريطانيا مصر عام 1882م (1299هـ) وبررتها بريطانيا بالديون المصرية كالعادة وأن احتلالها لمصر مؤقتا طبعاً لنهب ثرواتها وبالرغم من أن الخديوى إسماعيل باشا باع أسهم قناة السويس لبريطانيا وفرنسا ولكنها لم تكف لسداد الديون المصرية وأصيبت الدولة العثمانية بضربتين متتاليين فى فقد ولايتين عربيتين فى أفريقية ومن هنا بدأ الطريق إلى احتلال الممتلكات العثمانية ذات الثروات والخيرات من قبل الدول الأوربية الكبرى فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فى أواخر حكم السلطان عبدالحميد استفحل أمر جماعة الاتحاد والترقى الجناح العسكرى لحزب تركيا الفتاة بدعم من الدول الأوربية وكما ذكرنا سابقاً السلطان عبدالحميد لم يكن حازماً مع هذه الجماعة بل كان يكتفى بالنفى مع حرية بالتجول داخل المدينة فماذا فعلت هذه الجماعة ؟

بعد أن كبرت شوكتها قامت بنشر منشورات تقدح فى حكم السلطان عبدالحميد وكلها افتراءات عليه ولكن هكذا تكون الحرب الإعلامية ثم قامت بعد ذلك بعزل السلطان عبدالحميد فى عام 1909م (رجب 1327هـ) وكان القائم على هذه الجماعة مصطفى كمال أتاتورك (كبير العلمانيين) ثم صارت الدولة العثمانية تخضع لحكم العلمانية، فماذا تتوقع من ردة الفعل التى ستقوم بها الدولة العربية وخاصة إنها تحكم بالشريعة الإسلامية وهى تابعة للدولة العثمانية ؟

قبل الخوض فى هذا الموضوع سنتحدث عن حسين بن على الشريفي[1] ودوره مع الإنجليز وبقائه مع السلطان عبدالحميد وكيف أعلن الثورة العربية الكبرى فى 1/6/1916م (30/7/1334هـ)

كان السلطان عبدالحميد إذا خاف من شخص ذى منصب فإنه يدعوه إليه ويستضيفه فى العاصمة إسلام بول (إستانبول) أو ينزله فى قصر ويسبغ عليه النعم ويكرمه لكى يكون على مقربة منه ويأمن جانبه فقام بدعوة الشريف حسين بن على أمير مكة المكرمة وأسرته إلى إسلام بول (إستانبول)[2] فرحل إليه حسين بن على الشريفى ومعه أسرته وأولاده الثلاثة على وعبدالله وفيصل (واحفظوا هذه الأسماء جيداً لأن لها تأثير سياسى تاريخى فيما بعد) بقى حسين بن على الشريفى وعائلته ضيوف شرف عند السلطان عبدالحميد من السنة 1893م (1326هـ) وخلال إقامته وطَّد علاقته مع السفير البريطانى فى إسلام بول (إستانبول).

هنا ارتكب الشريف حسين خطأ كبيراً عندما وثق ببريطانيا وأبدى طموحاته ورغبته فى الانفصال عن الدولة العثمانية الذى لا طالما خططته له بريطانيا.

كان السلطان عبدالحميد يتوجس من الشريف حسين خيفة ويرى فيه مطامع سياسية واسعة وأنه إذا ظفر بمنصب أمير مكة فإنه لن يقنع بهذا المنصب الرفيع، لما توفى شريف

---

(1)) الشريف: من الأشراف ينتهى نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب

(2)) الدولة العثمانية دولة مفترى عليها لأستاذ دكتور عبدالعزيز الشناوى، الفصل (31) أراء محايدة فى حكم السلطان عبدالحميد (1)، مناقشة أسر الشريف حسين وعائلته فى أستانبول صفحة 1013-1017.

مكة عون الرفيق عام 1905م (1323هـ) رفض عبدالحميد تولية الشريف حسين وولى بدلاً عنه ابن أخ الشريف عون الرفيق وهو على بن عبدالله بن محمد الذى كان من أصدقاء السلطان عبدالحميد ولكن بعد حدوث الانقلاب الدستورى عام 1908م (1326هـ) الذى أحدثه جماعة الاتحاد والترقى العلمانية وبدعم من الدول الأوربية وخاصة بريطانيا خاف الشريف على بن عبدالله وفرَّ إلى مصر لاجئاً سياسياً خوفاً من جماعة الاتحاد والترقى لأنه كان معارضاً لها وواقفاً إلى جانب السلطان عبدالحميد وبفراره أعطى المجال لجماعة الاتحاد والترقى أن تنصب الشريف عبدالإله وكان كبير السن وما لبث أن مات بعدها بيومين من شدة الفرح ووقتها كان الشريف حسين بن على وابنه عبدالله يبذلون جهوداً جبارة لدى السفارة البريطانية فى إسلام بول (إستانبول) لجعل إمارة مكة ترجع إلى الشريف حسين فوافقت بريطانيا وخاطبت جماعة الاتحاد والترقى فوافقت هذه الجماعة لأنها أصلاً مدعومة من قبل بريطانيا وربما تكون حكومية صورية لبريطانيا فأصدرت فرماناً[1] بتعيين الشريف حسين على مكة وأجبرت السلطان عبدالحميد على توقيعها وقبل أن يوقعها نصحهم وخوَّفهم من أطماع الشريف حسين وقال (لقد خرجت الحجاز من يدنا واستقل العرب وتشتت ملك آل عثمان بتعيين الشريف حسين أميراً على مكة المكرمة وسيعمل بدهاء إلى أن ينال مقام الخلافة لنفسه) وتحت الضغط وقَّع[2].

فى يوم الثلاثاء 27أبريل 1909م (6 ربيع الأول 1327هـ) عزلت جماعة الاتحاد والترقى السلطان عبد الحميد عن عرش السلطة وولت بدلاً منه محمد رشاد (محمد الخامس) وقامت ثورات بعد ذلك احتجاجاً على عزل السلطان عبدالحميد لكن حزب الاتحاد والترقى الجناح العسكرى لتركيا الفتاة بقيادة مصطفى كمال أتاتورك استطاعوا أن يقمعوا الثورات وأصدروا قانوناً بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين والسماح لليهود بشراء الأراضى وهذا ما تريده بريطانيا والدول الأوربية.

---

(1) الفرمان هو القانون.

(2) الدولة العثمانية دولة مفترى عليها لأستاذ دكتور عبدالعزيز الشناوى، الفصل (31) آراء محايدة فى حكم السلطان عبدالحميد (1) مناقشة أسر الشريف حسين وعائلته فى أستانبول صفحة 1013 -1017.

لو نظرنا إلى العراق فى عهد الدولة العثمانية وفى العهد الحالى فإننا نرى أن أهله ليسوا من قومية واحدة فهناك العرب والأتراك والأكراد والإيرانيون والآشوريون والسريان وهناك المسلمون والسنة والشيعة والنصارى واليهود، أى أنه بلد يحتوى على كثير من القوميات والمذاهب والديانات ويحتوى أيضا على أضرحة مقدسة بالنسبة للشيعة فهناك قبر الإمام على بن أبى طالب وقبر ابنه الحسين فى النجف ونلاحظ أن بريطانيا استخدمت هذا السلاح الفعَّال وهو سلاح القوميات بين شعب العراق لتفرقتهم انطلاقا من مبدأ (فرِّق تسد)

فى عام 1889م تدفق شيعة فارس لزيارة الأضرحة المقدسة فى العراق حتى بلغوا حوالى خمسة وعشرون ألف زائراً بل وصل بهم الأمر إلى إحضار جثث لأقاربهم لدفنها فى الأضرحة المقدسة.

بعد معاهدة برلين فى عام 1878م (1295هـ) واحتلال فرنسا لتونس فى عام 1881م (1298هـ) واحتلال بريطانيا لمصر عام 1882م (1299هـ) رأت ألمانيا أنها الدولة الوحيدة التى لم تأخذ نصيبها من الدولة العثمانية، وفى عام 1890م (1307هـ) ضغط ألمانيا على الدول العثمانية وأرسلت بعثات عسكرية إلى العراق بغرض التدريب العسكرى ومن ثم تطور نفوذ ألمانيا فى العراق إلى نفوذ اقتصادى مؤثر لكن ألمانيا تتصف بأنها تمتلك قوات عسكرية تتقن القمع وتفتقد الدهاء والخبث الذى تمتعت به بريطانيا.

كان السلطان عبدالحميد قد بعث أربعة فيالق إلى الدولة المجاورة للدول المعادية للدولة العثمانية، واحد من هذه الفيلق يعمل إلى جانب القوات الألمانية ولم يحدث بينهما صراع لكن ألمانيا كانت المستفيدة من خيرات العراق فاكتفت بذلك وما كانت تريد الاصطدام مع العراقيين أو القوات العثمانية أولاً: لأن قواتها فى العراق بعيدة عنها، وثانياً والأهم: لم تكن متقنة للدهاء والخداع السياسى الذى تتمتع به بريطانيا من الوعود المكذوبة لتنفيذ مصالحها ومطامعها.

السلطان عبدالحميد رأى أن ألمانيا من أخف الدول ضرراً للدولة العثمانية مقارنة ببريطانيا وما ارتكبته فى حق الشعب المصرى وفرنسا وما ارتكبته فى حق الشعب التونسى ومن قبله الشعب الجزائرى وما خسرته الدولة فى إنشاء قناة السويس واستغلال الديون ضدها. ففضل التعامل معها ـ ارتكب أخف الضررين ـ فقام السلطان عبدالحميد بالتنسيق مع شركة ألمانية لإنشاء خط سكة حديدية يربط بين المدينة المنورة ودمشق بدأ المشروع فى عام 1900م (1317هـ) وانتهى فى عام 1908م (1325هـ) لأن السلطان عبدالحميد خاف على الحرمين الشريفين فأراد أن يختصر الزمن للوصول من الشام إلى الحجاز إلى أربعة أيام بدلاً من أربعين يوماً فى حالة الطوارئ أو حدوث مكروه للأماكن المقدسة لا سمح الله وهذا يدل من باب الأمانة التاريخية أن الدولة العثمانية دولة مسلمة تحترم مقدساتها وتتعهد بحمايتها وتحكم بشرع الله.

فى عام 1905م (1327هـ) بدأت ألمانيا بإنشاء خط سكة حديدية من برلين إلى بغداد لتحكم السيطرة [1]

لما سمعت بريطانيا بهذا المشروع توجست من ألمانيا خيفة ورأت أن فرصتها فى النيل من ثروات العراق باتت قليلة فعندها استخدمت مكرها وخداعها فأرسلت رجلاً من أدهى الرجال الذين عرفهم التاريخ وعرفتهم بريطانيا بغرض التنقيب عن الآثار فى مدينة قرقميش ـ وهى مدينة أثارية قديمة كانت عاصمة للحثيين على الشاطئ الغربى لنهر الفرات على الحدود السورية التركية حالياً.

لكن قبل التحدث عن رحلة لورنس، من هو لورنس ولماذا بعثته بريطانيا بالذات؟[2]

هو توماس إدوارد لورنس عُرف فى التاريخ بلورنس العرب ولد فى عام 1888م وينتمى إلى أسرة بريطانية نبيلة، درس فى مدينة أكسفورد وكان قوياً نشيطاً معتمداً على نفسه

---

(1) كانت ألمانيا قد حصلت على امتياز لبناء سكة حديد برلين بغداد فى عام 1898م وعارضت بريطانيا هذا الامتياز ولكنه وقِّع فى عام 1903م وبموجبه أعطيت ألمانيا الحق بالتنقيب عن النفط فى العراق وهذا الأمر جعل بريطانيا تغضب وتتخوف من ألمانيا وتحقد عليها فى نفس الوقت.

(2) لورنس والقضية العربية 1888ـ1935م لحسام على محسن المدامعة، الفصل الأول: نشأته وشخصيته صفحة 17 – 20.

استطاع أن يتحدث الفرنسية فى سن السابعة، وفى سن السادسة عشرة من عمره تعرض لحادث كشف عن مقدرته فى تحمل الألم وكتم السر وهى أنها كسرت ساقه أثناء مشاجرة مع أحد الطلاب فى المدرسة فصبر ولم يخبر أحداً بذلك، وأثناء العطل المدرسية كان مولعاً بالرحلات لاكتشاف الآثار والتاريخ، وعند تخرجه من الجامعة قام بعمل بحث عنوانه (الفن المعمارى العربى عند الصليبين) ولإنجاح هذا البحث قام بجولة فى البلدان العربية فى الشرق الإسلامى لمشاهدة القلاع العسكرية الصليبية فى سورية ولبنان وقرقميش، خلال جولته خالط البدو العرب وأكل من طعامهم وتعلم عاداتهم ولما رجع إلى أكسفورد وقدم بحثه نال درجة البكالوريوس فى التاريخ مع مرتبة الشرف الأولى ونظراً للإعجاب الذى ساد بريطانيا من هذا البحث فقد نصبوا لورنس واحداً من ركائز الاستخبارات البريطانية فى منطقة الشرق الأدنى.

البحث الذى قام به لورنس جمع بين اثنين كليهما مفيد لبريطانيا وهو أنه احتوى على رحلة تجسسية ورحلة علمية فى الوقت نفسه فصار لورنس جاسوس بريطانى فى الدول العربية مات لورنس فى 19مايو (أيار) 1935م بسبب حادث بدراجته النارية.

وفى عام 1910م (1327هـ)[1] بعد أن بدأت ألمانيا بإنشاء خط سكة حديدية برلين - بغداد، بعثت بريطانيا جاسوسها الداهية لورنس لغرض التنقيب عن الآثار القديمة فى مدينة قرقميش ورافقه فى هذه الرحلة هوكارث الذى كان على صلة بلورنس ومهتم بالآثار أيضاً ومحبا لتعلمّ اللغة العربية.

كان الغرض من رحلة لورنس إلى قرقميش هو التجسس على البعثات الألمانية ودراسة سكة حديد برلين - بغداد ودراسة الوضع فى العراق وتمهيد للاحتلال البريطانى الطامع فى ثروات العراق وليس الغرض منها التنقيب عن الآثار القديمة كما أخبرت بريطانيا بذلك.

وعندما وصل لورنس إلى القاهرة كلفت بريطانيا ليونارد وولى بالذهاب معه إلى قرقميش فتحرك الاثنين وصلا إلى قرقميش فى الثانى من مارس (أذار) عام 1911م

(1) لورنس القضية العربية 1888- 1935م، لحسام على محسن المدامغة، الفصل الأول: رحلات لورنس فى البلاد العربية عشية الحرب العالمية الأولى صفحة 29.

(1328هـ) ومع وصول وولى إلى قرقميش كان فاتحة جديدة لسلسلة من المشاكل مع السلطات العثمانية وهى ازدياد عدد السياح الأجانب إلى قرقميش فشددت القوات العثمانية الحراسة على المواقع الآثارية خوفاً من سرقتها فضلاً عن وجود البعثات الألمانية التى كانت مهمتها التنقيب فى المنطقة.

أول ما وصل لورنس إلى قرقميش استطاع باسلوبه وتعامله الساحر أن يستميل قلوب العرب إليه كان يتقدمهم ليقوم بأعمال التنقيب والحفر حتى جعلهم يشعرون بأنهم لا يعملون من أجل المال بل من أجل التنقيب عن الآثار وبهذا الذكاء المفرط استطاع أن يسحب البساط من تحت أقدام الألمان وأن يسلبهم عمالهم العرب لأن الألمان كانوا يتعامون بقساوة مع العمال العرب بل وصل الأمر بلورنس إلى أن يتشاجر مع الألمان حول معاملتهم للعمال العرب وأخذ يدافع عن حقوق العمال العرب فنتج عن ذلك أمرين جوهريين لصالح بريطانيا:

الأول: تعطيل مشروع سكة حديد برلين ـ بغداد

الثانى: أُعجب العرب بلورنس أيما اعجاب ومجدوه ورأوا أنه هو الشخص الوحيد الذى يتفهم أحوالهم فصاروا يحبونه (وكأنما يحبون بريطانيا) أكثر من حبهم للدولة التابعين لها وهى الدولة العثمانية

كما ذكرنا سابقاً الدولة العثمانية كانت تحب التعامل مع ألمانيا لأنها أخف ضرراً من بريطانيا لكن الآن صار العراقيون يحبون لورنس وبريطانيا وبهذا نجح لورنس والبريطانيون فى استمالة قلوب العراقيين تجاههم وبدأ مشروع سكة حديد برلين ـ بغداد فى التعطل أكثر وأكثر لأن معظم العراقيين اتجهوا إلى لورنس ووعوده وتركوا الألمان فبدأت العداوة والبغضاء بين ألمانيا وبريطانيا وسنرى نتيجة هذا الصراع القوى وماذا سيؤدى إليه!

أثناء رحلة لورنس كان كثير التجوال فى شمال العراق وقام برحلات إلى سورية ولبنان والأردن وكان يلتقى بكبار القبائل ويجلس إلى جانبهم ويحدثهم، ومثل هذا الرجل المفكر الداهية إذا قابل أهل القرى البدو فتوقع ماذا يستطيع أن يفعله معهم؟

طبعاً درس أوضاعهم وصار نجمه يبزغ وأعتقد أنه ليست هناك قبيلة عربية فى العراق أو الشام إلا وتعرف أو سمعت عن لورنس.

قضى لورنس رحلته التى يعدها من أمتع الرحلات فى صيف 1913م (1331هـ) عندما رجع إلى إنجلترا بعد أن مهَّد لبريطانيا وجعل جميع البلدان فى العراق والشام يثقون فى بريطانيا الثقة التامة ونسوا أنها دولة كافرة تكره الإسلام والمسلمين، وإنما كل ما فعله لورنس إنما هو لأجل المصالح البريطانية فقط لا غير.



لورانس العرب

الحرب العالمية الأولى

عام 1914م (1331هـ)

فى عام 1914م (1331هـ) دعونا نتكلم عن الهيمنة البريطانية:

بريطانيا كانت مسيطرة على الكثير من الدول الإسلامية وغير الإسلامية فكانت مسيطرة على مصر والهند وفلسطين وغيرها، أما فرنسا فكانت مسيطرة على تونس والجزائر والمغرب وغيرها.

ألمانيا كانت مسيطرة على العراق لكن بعد حملة لورنس تعطل مشروع سكة حديد برلين - بغداد، فحقدت على بريطانيا وصارت عدوها الأول فكانت ألمانيا تنتظر فرصة مناسبة للانتقام وياله من انتقام فقد أعلنت ألمانيا حرب عالمية فى هذا العام 1914م بحيث إذا انتصرت فيها فإنها ستكمل مشروعها خط سكة حديد برلين بغداد وتفرض سيطرتها على الدول المعادية لها، ولكن قبل التحدث عن الحرب العالمية الأولى نتحدث أولاً عن سبب قيامها وأين انتهت رحلة لورنس بعد رجوعه إلى إنجلترا ؟!

فى أواخر عام 1913م (1331هـ) طلبت بريطانيا من لورنس الرحيل إلى شبه جزيرة سيناء للتفتيش عن الآثار التاريخية ولكن فى الحقيقة تحولت مهمته إلى مهمة عسكرية سياسية بحته عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى.

فى 28 يونيو (حزيران) عام 1914م (1313هـ)[1] خرج ولى عهد النمسا الأرشيدوق فرانس فرديناند وزوجته فى موكب سيارات فى سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك وفى أثناء مروره بإحدى الشوارع اغتيل بطلقة رصاص عليه وعلى وزوجته ومات الاثنان - الذى قام بقتله جلفريلو برنسيب أحد أعضاء منظمة اليد السوداء الصربية السرية - فكان مقتل الأرشيدوق وزوجته الشرارة التى أشعلت فتيل الحرب، لكن لو فكرنا فى السبب فإنه تضارب فى المصالح وخاصة بعد أن فشلت ألمانيا فى إنشاء مصالحها فى العراق بعد تعطيل

(1) الحرب العالمية الأولى لعمر الديراوى، الفصل الأول: 1914م، اغتيال الأرشيدوق صفحة 13 - 14.

خط سكة حديد برلين ـ بغداد بسبب بريطانيا فرأت ألمانيا أنها الفرصة المناسبة لإشعال حرب عالمية حتى تشفى غليلها من بريطانيا خاصة والدول الاستعمارية عامة فرنسا وروسيا وإيطاليا التى بسطت نفوذها فى كثير من دول العالم.

بعد مقتل الأرشيدوق هدّدت النمسا بالنيل من الصرب لكن روسيا وقفت إلى جانب الصرب لأن الصرب تحت حماية روسيا وإذلال الصرب يعنى إذلال روسيا، فعندها أعلنت ألمانيا الحرب إلى جانب النمسا ضد روسيا والصرب وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وانضم إلى ألمانيا والنمسا الدولة العثمانية فى عهد السلطان محمد الخامس، لماذا شاركت الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا وليس لها فى هذه الحرب لا ناقة ولا جمل؟! الأسباب كثيرة نذكر بعضاً منها:

1 ـ إن ألمانيا نفسها ضغطت على الدولة العثمانية أن تقف إلى جانبها وإلا فإن السلطان محمد الثانى لم يكن لديه الرغبة فى الحرب.

2 ـ إن جماعة الاتحاد والترقى العلمانية اليهودية هى من وافق على الاشتراك فى الحرب حتى تهلك الخلافة العثمانية الإسلامية.

3 ـ وافقت السلطة العثمانية لأنها كانت ترى ألمانيا من أخف الدول تدخلاً وضرراً بالدولة العثمانية وخاصة بعدما حصل احتلال مصر وفلسطين من قبل بريطانيا واحتلال تونس والجزائر والمغرب من قبل فرنسا واحتلال روسيا لمعظم ممتلكات الدولة العثمانية فى أوربا واحتلال ليبيا من قبل إيطاليا بينما ألمانيا لا تملك شيئا فى الدولة العثمانية.

4 ـ كان لدى الدولة العثمانية أمل أنها لو انتصرت ألمانيا فى الحرب فإن الدول الاستعمارية ستخرج من أراضيها وستستعيد الدولة العثمانية نشاطها السياسى خاصة وأنها مع أقوى دولة فى العالم (ألمانيا)

فى 3 أغسطس (آب) 1914م (1332هـ) وقّعت الدولة العثمانية وعقدت حلفاً مع ألمانيا، فأعلنتها ألمانيا حرباً عالمية واعتبرت بريطانيا العدو الأول.

حيث انضمت الدولة العثمانية إلى ألمانيا خافت بريطانيا على مصالحها فى العراق وخاصة أن ألمانيا طمعت ولازالت تطمع أنذاك فى إنشاء سكة حديد برلين - بغداد، فتصبح الهند المستعمرة من قبل بريطانيا فى خطر، وكانت بريطانيا قد فصلت قائمقامية (الكويت) عن ولاية بغداد وصارت تحت وضع خاص من قبل بريطانيا.

مع خوف بريطانيا الشديد على مصالحها فى العراق وخاصة التنقيب عن النفط، أمرت مستعمرة الهند بإرسال القوات المرابطة عند منافذ الخليج العربى بحجة حماية المصالح البريطانية.

فى 31أكتوبر (تشرين الأول) 1914م[1] أمرت بريطانيا القوات الإنجليزية المرابطة على منافذ الخليج العربى بالتقدم نحو العراق وكانت القوات الإنجليزية المهاجمة معظمهم من الجنود الهنود المتنصرين على يد الاستعمار البريطانى.

وفى نوفمبر (تشرين الثانى) 1914م قصفت المدفعية البحرية مدينة الفاو - الميناء العراقى على الخليج العربى، وفى أقل من ساعة سقطت مدينة الفاو بيد القوات المهاجمة ثم أرسلت حكومة الهند قوات إضافية لمساندة القوات المهاجمة فى العراق فتقدمت هذه القوات الهندية تحت القيادة البريطانية نحو مدينة البصرة فاحتلت المدينة بعد فرار الحامية العثمانية التى لم تدافع عن المدينة بل تركتها تواجه مصيرها.

لما رأت بريطانيا أنها استطاعت أن تحتل مدينتين عراقيتين فى مدة أقل من شهر طمعت أكثر فى احتلال المزيد من المدن وأرادت أن توجهها ضربة قاضية للدولة العثمانية المتحالفة مع ألمانيا ضدها وأرادت أن تشغل الدولة العثمانية بالحروب داخل ممتلكاتها.

بعد سقوط البصرة كانت نكبة كبرى بالنسبة للعثمانيين فأرسلت الدولة العثمانية إلى جنودها فى سورية للذهاب إلى العراق لنجدته من الاحتلال البريطانى.

---

(1)) الحرب العالمية الأولى لعمر ديراوى، الفصل الثانى: 1915م، العراق 1914 -1915م صفحة 193 -197.

قبل وصول الجيش العثمانى القادم من سوريا كانت القوات البريطانية قد توجهت شمالاً نحو مدينة القرنة التى كان يحميها ألف جندى من الأتراك الذين استسلموا تحت ضرب المدفعيات البريطانية الثقيلة فنقلوهم أسرى إلى الهند وبهذا سقطت مدينة القرنة[1].

بعد احتلال مدينة القرنة وصلت القوات العثمانية من سورية واشتبكت مع القوات البريطانية التى كانت تصلها الإمدادات الغزيرة من الهند فى معركة الشعيبة فى 12إبريل (نيسان) عام 1915م (1333هـ) وانتهت بهزيمة القوات العثمانية وتعقبت القوات البريطانية القوات العثمانية المنسحبة إلى مدينة العمارة فلما سمع الأتراك بقدوم القوات البريطانية تركوها دون مقاومة فسقطت مدينة العمارة ثم بدأت القوات البريطانية بالتوجه نحو مدينة الناصرية، جنود البرية عن طريق البر والسفن الحربية عن طريق النهر وقُصفت المدينة بالمدفعية وهرب الجنود الأتراك فسقطت مدينة الناصرية فى يوليو (تموز) سنة 1915هـ.

بعد الهزائم المتكررة للأتراك وسقوط المدن العراقية بهذه السهولة ازدادت المطامع البريطانية فتوجهت نحو مدينة الكوت واصطدمت مع القوات التركية فى 26سبتمبر (أيلول) 1915م وفى صباح اليوم التالى وجدوا القوات التركية قد انسحبت فسقطت مدينة الكوت ولاحقت القوات البريطانية القوات التركية ولكن القوات البريطانية تفاجأت بوصول حملة تركية من شمال العراق فاشتبكت معها واستطاعت القوات التركية أن تهزم القوات البريطانية فى معركة سليمان بك فى 25 نوفمبر (تشرين الثانى) سنة 1915م (1333هـ) وفرَّ الجيش البريطانى وتحصن فى مدينة الكوت وصارت القوات التركية تحاصر القوات البريطانية حتى عام 1916م... (سنتحدث عنها فيما بعد).

كانت بريطانيا تكره الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى فكيف ستكون كراهيتها عندما انضمت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا بعد سيطرة حزب الاتحاد والترقى على مقاليد الحكم العثمانى وبعد أن علم العرب أن الدولة العثمانية صارت تحت حكم سلطة علمانية يهودية وأن هذه الجماعة ـ جماعة الحزب والترقى سمحت لليهود بالهجرة

(1) مدينة القرنة تقع عند ملتقى نهرى دجلة والفرات.

والاستيطان فى فلسطين فعندها زاد كره العرب للأتراك (بصفتهم كانوا يكرهونهم من قبل لأنهم ليسوا عرباً) فتشكلت جماعة عربية فى سورية وأطلقت على نفسها اسم (جمعية العربية الفتاة) وكان شعار هذه الجمعية أنها ضد السلطة العثمانية التى صارت بيد العلمانيين وأن الخلافة الإسلامية يجب أن تعود للعرب.

استغلت بريطانيا هذه الجمعية لصالحها ورأت أن هذه الجمعية ستزيد من تفكك الدولة العثمانية وستشغلها عن الحرب العالمية التى شاركت فيها إلى جانب ألمانيا فبدأت تبحث عن الرجل المناسب لها وللعرب (من هذا الرجل ؟!)

بحثت بريطانيا فوجدت أن هناك رجل قد أعطاهم ثقته ومن السهل خداعة وهو حسين بن على الشريفى الذى أُعطى إمارة مكة بتوسط من بريطانيا عند جماعة حزب الاتحاد والترقى وكان الشريف حسين قد أرسل ابنه فيصل إلى دمشق ليلتقى بأعضاء جمعية العربية الفتاة فاتفق الجميع على الثورة ضد الدولة العثمانية (وهذا ما حذر منه السلطان عبد الحميد) لما سمعت بريطانيا بأن العرب يريدون الثورة ضد العثمانيين بادرت بإرسال لورنس وكان مقيماً فى مصر (القاهرة) إلى مدينة جدة لإقناع الشريف حسين بالاستعجال بالثورة العربية وأن بريطانيا ستكون داعمة له وسيكون الخليفة على الدول العربية هذه الأحداث كانت طوال سنة 1915م (1333هـ).

فى عام 1916م (1334هـ)

هذا العام ملئ بالأحداث المتشابكة مع بعضها ولكن الباحث سيتحدث عن كل واحد من هذه الأحداث على حده.

أولاً: ماذا حدث للقوات البريطانية التى تحاصرها القوات العثمانية فى مدينة الكوت بالعراق ؟[1]

---

(1) لورنس والقضية العربية لحسام على محسن المدامعة، الفصل الأول: مهمة لورنس السرية فى العراق صفحة 47-57. الحرب العالمية الأولى لعمر الديراوى، الفصل الرابع: 1917م، الجبهة فى البلاد العربية، العراق: صمود.. استسلام صفحة 376 - 378.

بعد هزيمة القوات البريطانية فى معركة سليمان بك فى 25 نوفمبر عام 1915م فرَّت القوات البريطانية وتحصَّنت فى مدينة الكوت وقامت القوات العثمانية بمحاصرتها وكان إلى جانب الأتراك ضباط ألمان وكان القائد على القوات البريطانية المُحاصَرة القائد تاونسيد.

قامت القوات العثمانية بحصار مدينة الكوت حصاراً شديداً فقطعت جميع الإمدادات البحرية عن طريق النهر وقطعت الإمدادات البرية فاشتد الحصار وضاق الناس داخل المدينة فحاول الإنجليز القيام بهجومات ولكنها باءت بالفشل.

حصار القوات البريطانية كان ضربة قاصمة لبريطانيا وخاصة بعد أن فشلت فى إرسال قوات لفك الحصار ففكرت أخيراً فى رشوة القائد العثمانى (خليل باشا) بعد حصار دام لمدة خمسة أشهر من أوائل ديسمبر (كانون الأول) 1915م إلى أواخر أبريل (نيسان)1916م (1334هـ) انتدبت بريطانيا لهذه المهمة لورنس ومعه اثنين من زملائه وهما:

أوبرى هربرت عضو المجلس البريطانى وكان يجيد اللغة التركية والعقيد بيج وكان يعمل ضابطاً على الاستخبارات البريطانية وكلهم تحركوا من مصر لأنها لاتزال تحت سيطرة الاستعمار البريطانى.

عندما وصل لورنس إلى البصرة التقى ببرسى كوكس وكان يخطط لتحريض ثورة عربية فى العراق ضد القوات العثمانية وبالتالى فإن القوات العثمانية ستترك حصار الكوت وتقوم بقمع الثورات لكن كوكس لم يوافق لورنس فى هذا الرأى فاتجه لورنس إلى أحد الشخصيات الوطنية وهو (سليمان فيضى) كان نائباً على البصرة فى مجلس النواب العثمانى قبل الاحتلال البريطانى للبصرة فقام لورنس باستدعاء سليمان فيضى وعرض عليه القيام بثورة ضد الأتراك وحاول إقناعة ولكنه سليمان فيضى رفض كل هذه العروض لأن سليمان فيضى لم يكن معادياً للعثمانين بالعكس العثمانيون نصبوه والبريطانيون احتلوا مدينته فلم يستجب لكل المغريات التى قدمها له لورنس وبالتالى تحول لورنس إلى المهمة الثانية وهى رشوة القائد العثمانى (خليل باشا) وصل الثلاثة لورنس وأوبرى

هربرت وبيج إلى القوات العثمانية المحاصرة لمدينة الكوت فى 26أبريل 1916م (1334هـ) واجتمعوا مع القائد خليل باشا ووصلت الرشوة إلى مليونى باوند ولكن هذه المهمة باءت بالفشل وأخبر خليل باشا لورنس بأنه سيقوم بتبادل الأسرى، البريطانيون بالعثمانيين، والهنود بالعرب، ثم غير رأيه بأن العرب المقاتلين إلى جانب البريطانيين قد حكم عليهم بالإعدام لأنهم خانوا وطنيتهم.

لما سمع القائد البريطانى تاونسيد فشل المفاوضات أعلن الاستسلام فى 29إبريل (نيسان) 1916م بدون أى شروط فقام خليل باشا بإعدام الكثير من العرب الذين قاتلوا إلى جانب البريطانيين أما الأسرى فكانوا 13.000أسيراً منهم 5000 الإنجليز نقلوا إلى الأناضول فكانت أكبر مذلة تعرض لها البريطانيون.

ثانياً: الثورة العربية هل هناك مستجدات؟ وهل وافق الشريف حسين بن على على إعلان الثورة؟ ! [1]

كانت بريطانيا قد أرسلت لورنس إلى الشريف حسين ليحثه على الاستعجال بإعلان الثورة فرفض الشريف حسين بالقيام بأى تحرك حتى يصل إلى اتفاق مع بريطانيا عن الدول التى سيحكمها بعد زوال حكم الأتراك ماطلت بريطانيا ولكن حسين الشريف لم يحرك ساكناً فعندها قدمت بريطانيا هذا التفصيل وهو:

1 ـ إن الحجاز والأردن والشام (ما عدا غرب الشام لبنان) فستكون للشريف حسين.

2 ـ جنوب اليمن وإمارات الخليج تكون تحت حكم بريطانى.

3 ـ جنوب العراق لها وضع خاص يتبع بريطانيا وغرب الشام (لبنان) يكون لبريطانيا لوجود كثير من النصارى هناك.

وافق الشريف بن حسين على ذلك ماعدا غرب الشام لبنان فإنه أرادها تحت حكمه فأخبروه أن وضعها سيكون محل النقاش فيما بعد وكل ما عليه هو إعلان الثورة العربية (لماذا ؟)

(1) لورنس والقضية العربية 1888ـ 1935م لحسام على محسن المدامعة، الفصل الثانى: دور لورنس فى المرحلة الأولى من الثورة العربية صفحة 60 – 90.

طالبت بريطانيا بالاستعجال بالثورة انتقاماً للمذلة التى وقع فيها الجنود البريطانيون عندما حاصر الأتراك مدينة الكوت فهذا هو السر بالتعجيل بالثورة حتى تشغل القوات العثمانية بثورة أخرى خطيرة مع العلم أن الأتراك قد كبدوا البريطانيين الخسائر الكبيرة فى شبه جزيرة سيناء فى هجمات مختلفة فهذا هو السبب بالتعجيل... الحقد والانتقام ضد هذه الدولة المتحالفة مع ألمانيا.

أعلن الشريف حسين الثورة العربية الكبرى فى يوم السبت 10 يونيو (حزيران) عام 1916م (9 شعبان عام 1334هـ)

عندما أُعلنت الثورة العربية الكبرى أعلنت من مكة المكرمة بينما على بن الشريف حسين فى المدينة المنورة وهو أخو فيصل الذى عاد من دمشق بعد أن اتفق مع جمعية العربية الفتاة على الانضمام للثورة العربية مع أبيه الشريف حسين وأبنائه وهى الثقة العمياء التى وثقوا بها فى بريطانيا ونسوا أن ينظروا إليها كدولة استعمارية.

بعد إعلان الشريف حسين للثورة استطاع فى اليوم الأول الانتصار على الحاميات التركية بمكة المكرمة ثم انضمت مدينة جده فى اليوم الثالث ثم مدينة الطائف إلى الثورة العربية الكبرى من قبل الشريف عبدالله بن حسين.

لكن النجاح الذى أحرزه العرب فى كل من مكة وجدة والطائف لم يتكرر فى المدينة المنورة إذ قام الأتراك بالتحصُّن فى المدينة وطردوا العرب منها وهم على ثقة من أن العرب لن يقصفوا المدينة خوفاً على قبر النبى، رضيَ العرب بمحاصرة المدينة وطلبوا الدعم من بريطانيا ولكن بريطانيا كانت متخوفة من أن تستخدم هذه القوات العرب ضدها فيما بعد، فأرسلت لورنس مع رونالد ستورس - كان يقود قوات العرب المحاصرة للمدينة مع أبناء الشريف حسين فيصل وعلى.

فى النصف الأول من أكتوبر (تشرين الأول) عام 1916م (1334هـ) تحرك لورنس وستورس من القاهرة إلى جدة وهناك التقى بالشريف عبدالله ثم التقى بالشريف على (كلهم أبناء الشريف حسين) فلاحظ لورنس أن عبدالله وعلى كانوا حذرين من وجوده ولا يرغبون بمجيئه.

فى 21 أكتوبر تشرين الأول 1916م وصل لورنس معسكر الشريف فيصل بن حسين فى قرية حمرا فى وادى الصفراء فى الحجاز فرأى لورنس فى وجه فيصل رغبة واشتياق لمجيئه فأعجب لورنس بفيصل وأيقن أن فيصل هو الزعيم الذى سيقود الثوار والثورة العربية إلى أهدافها وأخذ لورنس يرغب فى مدينة دمشق بدلاً من المدينة المنورة للأهمية الإستراتيجية التى تتمتع بها دمشق.

أنا لا أريد أن أفصِّل فى هذا الموضوع لأنى لو فصلت فسوف نتطرق لأمور عدة ولكننى أذكرها باختصار والكثير عندما يقرأ الثورة العربية ربما يسأل ما علاقة الثورة العربية الكبرى بموضوعنا تاريخ العراق ؟!

أنا أذكر الثورة العربية الكبرى لأن لها علاقة بموضوعنا وبالأخص فيها يتعلق بأبناء الشريف حسين وسنرى هذه الارتباط فيها بعد.

ثالثاً: قبل الاستطراد فى موضوع الثورة العربية الكبرى هناك تطور خطير جداً ظهر بعد إعلان الثورة العربية أو ربما قبل الثورة لأن هذا الأمر تم بغاية السرية وهى اتفاقية سايكس بيكو. [1]

سؤال: هل كانت بريطانيا صادقة مع العرب ومع الشريف بن حسين فى تحديد دولته بعد سقوط الدولة العثمانية وأنها لا تطمع إلى شىء؟ وماذا فعلت مع القوات المتحالفة معها فى الحرب العالمية الأولى ؟

الدول المتحالفة مع بريطانيا كانت روسيا وفرنسا وإيطاليا بالنسبة لروسيا وإيطاليا فكانت بريطانيا لا تثق فى روسيا لأنها صديقتها فى الحرب عدوتها فى المصالح، وأما إيطاليا فكانت لا تعتبرها دولة قوية يتخوف منها، وأما فرنسا فإنها دولة قوية وصديقة مخلصة لبريطانيا مع وجود بعض الاختلاف من ناحية المصالح فى الدول العربية فلكى تكتفى شرها عقدت معها (اتفاقية سايكس بيكو) بسرية تامة وهى من أخطر المؤامرات التى مرت على الوطن العربى تمت بين وزير الخارجية البريطانى (سايكس) ووزير الخارجية الفرنسى (بيكو) وكانت بنود هذه الاتفاقية كما يلى:

(1) الحرب العالمية الأولى، الفصل الرابع: اتفاقيات التقسيم السرية، اتفاقية سايكس - بيكو صفحة 427 - 428.

يتم تقسيم الدول العربية بحيث تكون العراق والأردن وحيفا لبريطانيا، أما سورية ولبنان فستكون لفرنسا أما فلسطين فستكون تحت إشراف دولى.

بالرغم من سرية هذه الاتفاقية لكن الصحف المصرية أن استطاعت تكتشف هذه المؤامرة ولما قرأها العرب أصيبوا بصدمة كبيرة لكن بريطانيا أرسلت إلى الشريف حسين وأبنائه تطمئنهم وأن هذا من أكاذيب الصحف ونظر الشريف حسين إلى نفسه فرأى أنه قد أسقط فى يديه لأنه قد أعلن الثورة مسبقاً وصارت مكة وجدة والطائف تحت حكمه فماذا يفعل يترك الحكم والطموحات التى كان يخطط لها أو يستسلم للقوات التركية (مستحيل) فماذا يفعل إذن ؟! يستمر فى الثورة طبعاً ويستمر فى التعامل مع بريطانيا فإنا لله وإنا إليه راجعون، خياران كلاهما مر فى وقت عصيب كهذا وقت حرب عالمية والدولة العثمانية متحالفة مع ألمانيا ووقت ثورة عربية كبرى والعرب متحالفون مع بريطانيا.

هذه الأحداث المتشابكة فى 1916م (1334هـ) وقد حاولت أن ألخصها بقدر الإمكان وأعتذر إذا كان فيها شيء من الإطالة أو عدم الترابط وسأرجع الآن إلى تتمة الثورة العربية الكبرى. (1)

رأى لورنس أن الشريف فيصل هو الرجل المناسب لقيادة الثورة ورأى أن العرب لم يتخاذلوا فى الثورة وإنما التخاذل من دولته بريطانيا فأرسل إلى دولته يأمرها بإرسال أسلحة حديثة وقيادات بريطانية تعمل على هذه الأسلحة الحديثة التى لا يعرف العرب كيف يديرونها.

نجحت القوات العثمانية فى فك الحصار وهزيمة جيش الشريف فيصل فتراجع جيش فيصل إلى ينبع النخل.

أرسل لورنس إلى الأسطول البريطانى بأن يبقى مرابطاً فى مياه البحر الأحمر وبدأ لورنس يلبس الملابس العربية حتى يسهل عليه التنقل بين الجنود وبدون مضايقات وصارت قوات الشريف عبدالله تقوم بالالتفاف حول سكة حديد دمشق ـ المدينة حتى

---

(1) من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث لإبراهيم محمد الراوى.

لا تأتى قوة عثمانية واعتمد العرب على حرب العصابات بينما قرر الشريف فيصل احتلال المدن الساحلية للبحر الأحمر وفى 13 يناير (كانون الثانى) عام 1917م بدأت قوات الشريف فيصل بالتحرك إلى مدينة الوجه والأسطول البريطانى يتحرك معه فى مياه البحر الأحمر وفى طريقه استولى على مدينة أم لج (أملج)، وفى 25 يناير (كانون الثانى) فى عام 1917م (أواخر عام 1334هـ) استولى على مدينة الوجه واستمرت الحملة العربية فى سيرها شمالاً وانضم إليها الكثير من القبائل العربية فى 28 أبريل (نيسان) 1917م (أوائل سنة 1335هـ) واستطاعت هذه القوة أن تعمل تخريبات فى خط سكة الحديد واشتبكت فى عدة معارك شرسة ضد القوات العثمانية انتهت بهزيمة العثمانيين وأسر عدد منهم ثم بدأ التوجه الآن نحو ميناء العقبة [1] فبدأ الهجوم العربى من البر من الجهة الشمالية والأسطول البريطانى من جهة البحر انتهت المعركة بهرب واستسلام القوات العثمانية للعرب فى يوليو (تموز) 1917م (1335هـ) وبهذا سقط ميناء العقبة بيد الثوار العرب والبريطانيين، كان قائد الثوار هو الشريف ناصر ونقلت أخبار سقوط العقبة إلى الشريف فيصل فى الوجه وإلى القيادة البريطانية فى القاهرة الجنرال أللنبى (ALLENBY) ففرح كلا الطرفين.

كان الفيصل يرجع لشيخ الحويطات وهو الشيخ عودة الذى دعم وشارك بقبيلته الكبيرة فى الثورة.

ألمانيا لم تسكت بل تدخلت إلى جانب الدولة العثمانية وأرسلت القائد فولكنهاين إلى الشام فنظر فرأى سياسة القائد التركى جمال باشا سياسة قمعية فاشلة تجاه شعب الشام فاستأذن من مجلس الأستانة التركى فى عزله فعزله ووزع منشورات للعرب أن يأمنوا على أنفسهم وأصدرعفواً شاملاً لمن رفع السلاح من العرب ولكن العرب وبعد هذه الانتصارات التى سمعوا عنها لم يسمعوا لكلام فولكنهاين.

فى يونيو (حزيران) سنة 1917م (1335هـ) تسلم القائد البريطانى أللنبى (Allenby) قيادة الحملة العسكرية على فلسطين فقرر الهجوم على غزة وبئر السبع.

---

(1) ميناء العقبة: ميناء للأدرن يقع على البحر الأحمر.

فى 27 أكتوبر (تشرين الأول) سنة 1917م بدأ الهجوم الإنجليزى بقصف المدفعية البحرية من البحر المتوسط ثم تقدم الجيش الإنجليزى وعدده عشرة آلاف يقاومهم ثمانية آلاف من الأتراك وتحت القصف الشديد رأى القائد الألمانى (فون كرس) ضرورة الانسحاب والانتقال إلى يافا والقدس فسقطت غزة بيد الإنجليز.

طلب أللنبى من الشريف فيصل مقابلته فقابله فيصل واتفقا على ضرورة قيام القوات العربية بنشاطات فى فلسطين وشرقى الأردن وسورية بينما القوات البريطانية تواصل تقدمها نحو يافا والقدس فقامت القوات العربية بعمليات تخريبية فى خط السكة الحديد فى مارس (أذار) 1917م مما اضطر القوات العثمانية إلى الانسحاب من المدينة المنورة إلى مدينة معان.

قام الشريف فيصل بتقسيم قواته إلى ثلاث وحدات يهاجم بها السكة الحديدية فكان الأتراك يواجهون نوعين من الحرب الهجوم البريطانى من جهة مصر وعمليات التخريب التى تقوم بها القوات العربية فى السكة الحديدية (سكة حديد دمشق ـ المدينة).

بعد سقوط غزة تقدمت القوات الإنجليزية إلى يافا فاحتلتها فى 11 نوفمبر (تشرين الثانى) 1917م دون مقاومة تذكر وانسحبت القوات العثمانية إلى القدس ومعهم فولكنهاين ـ القائد الألمانى فقامت القوات الإنجليزية بتطويق مدينة القدس من ثلاث جهات فأمر فولكنهاين بالانسحاب من القدس من الجهة الرابعة المفتوحة، فدخل أللنبى بقواته القدس فى 11ديسمبر (كانون الأول) سنة 1917م فهكذا سقطت القدس بيد النصارى الإنجليز وبعد سقوط القدس حاول الأتراك أن يقوموا بهجوم معاكس ولكن الجيوش الإنجليزية استطاعت أن تردهم.

إضافة إلى عمليات التخريب التى تقوم بها القوات العربية فقد استطاعت القوات العربية أن تستولى على مدينة الطفيلة بعد معركة مع القوات العثمانية فى 24 يناير (كانون الثانى) 1918م (1335هـ) واشترك لورنس مع القوات العربية فى احتلال مدينة الطفيلة.

رابعاً : العراق فى عام 1916م (1334 هـ) وعام 1917م (1335هـ) بعد المذلة التى تعرض لها الجنود البريطانيون مع الهنود فى الكوت تساهل الأتراك ولم يواصلوا تقدمهم جنوباً نحو المستعمرات البريطانية [1].

عُين الجنرال (ستانلى مود) قائداً عاماً على القوات البريطانية فى العراق واستفادت بريطانيا من موقع الكويت فى خزن المؤمن والمعدات بدأ (ستانلى مود) تقدمه شمالاً فى ديسمبر (كانون الأول) عام 1916م (1334هـ) فأخذت المعارك تنشب بين القوات العثمانية والقوات البريطانية على ضفتى نهر دجلة وكانت الحرب سجالاً يحتل الإنجليز أرضاً ثم يرتدون عنها فى اليوم التالى ويواجه الأتراك مشكلة وهى عدم تعاون العرب معهم وخاصة بعد أن سمعوا بالثورة العربية الكبرى التى أعلنها الشريف حسين بن على فى مكة.

فى 17فبراير (شباط) عام 1917م (1335هـ) هاجم الإنجليز موقع الصناعية التركى فدافع عنه الأتراك دفعاً قوياً بينما هناك قوة أخرى بريطانية تعبر نهر دجلة عندما رأى الأتراك أن الطريق قد سُد عليهم عن طريق النهر تراجعت القوات العثمانية إلى بغداد وأثناء تراجعهم تعرضوا لهجوم من القبائل العربية فنهبوا مؤنهم وقتلوا منهم ما استطاعوا من الأتراك فصار العثمانيون يواجهون جبهتين الجبهة البريطانية والجبهة العربية وصار الطريق النهرى إلى الكوت آمناً.

تحرك الجيش بقيادة ستانلى مود شمالاً متوجهاً إلى بغداد فوصل إليها فى 7 مارس 1917م (1335هـ) وقاوم الأتراك ببسالة ولكن فى 10 مارس اضطر الأتراك إلى إخلاء بغداد فاحتلتها القوات البريطانية فى اليوم التالى وتوالى الزحف من قبل الجيش البريطانى شمالاً إلى كركوك وخانقين وأخذت المدن العراقية تسقط واحدة تلو الآخرى وبالتالى داخل العراق - معظم مدنه - تحت الاستعمار البريطانى.

فى 11 مارس (أذار)1917م بعد احتلال بغداد لم يجد الإنجليز أى مقاومة تذكر من أهالى بغداد... يقول شاهد عيان من القوات البريطانية " كانت هتافات الفرح على ضفة

---

(1) الحرب العالمية الأولى، الفصل الرابع 1917م: الثورة والمشاعر عند العرب صفحة 406 - 414.

النهر أصيلة تماماً، فلقد كان وصولنا بمثابة خلاص للسكان، ففى الأيام العشرة الأخيرة تحول الإرهاب الذى استشرى خلال السنتين الماضيتين إلى لصوصية وسلب " لأنهم رأوا الجيش البريطانى هو الجيش المخلص لهم من التجبر العثماني"[1].

احداث عام 1918م (1336هـ)

كانت مدينة الطفيلة بيد العرب، وفى مارس (أذار) سنة 1918م خرجت كتيبة تركية وطردت العرب من الطفيلة وما لبثت أن خسرتها القوات العثمانية بعد معارك دامت عدة أيام وضيّق العرب الخناق على الحامية التركية فى مدينة معان وتعددت الهجمات على سكة حديد الحجاز.

فكر الجنرال (أللنبى) أن يحتل مدينة درعا لأنها محطة على سكة الحديد دمشق ـ المدينة، فإذا احتلت قُطع المدد إلى فلسطين من قبل الأتراك، فى 16 سبتمبر (أيلول) 1918م (1336هـ) بدأ الهجوم وقُطع الخط بين درعا وعمّان واستمر تضييق الخناق على الحامية التركية فى معان واستمر العرب فى تخريب السكة الحديدية.

فى 23سبتمبر (أيلول) 1918م سقطت مدينة معان بيد القوات العربية، وفى 25 سبتمبر أحتل الجيش البريطانى مدينة عمّان، وفى 27سبتمبر احتلت مدينة درعا من قبل العرب.

الآن بدأ التحرك من قبل العرب بقيادة الشريف ناصر ونورى الشعلان إلى مدينة دمشق وبلغوا ضواحى دمشق فى 30 سبتمبر (أيلول) ولكن العرب لم يدخلوها، ثم فى اليوم التالى أول أكتوبر دخلت القوات البريطانية دمشق ومعها القوات العربية وهكذا سقطت مدينة دمشق ثم واصل الجيش البريطانى بقيادة أللنبى احتلال المدن الآخرى فاحتلت حيفا وعكا وصيدا وبيروت وطرابلس فى مدة أقل من أسبوعين وقام الشريف ناصر بمهاجمة مدينة حمص فاحتلها ثم احتل مدينة حماه.

---

(1) مقالات فى تاريخ العراق المعاصر للدكتور عبد الطيف الراوى.

فى 25 أكتوبر تواجه العرب مع قوات تركية قرب مدينة حلب وهُزمت القوات التركية وفرت بقيادة مصطفى كمال باشاً وفى 26 أكتوبر دخلت القوات البريطانية مدينة حلب وبالتالى دخلت سورية بالكامل تحت السيطرة البريطانية فعلاً والسيطرة العربية صورياً.

تم احتلال أول مدينة سورية وهي دمشق فى الأول من أكتوبر واحتلت آخر مدينة وهى حلب فى 26 أكتوبر، فنرى أن المدن السورية احتلت فى أقل من شهر (لماذا؟) لأن جمعية العربية الفتاة ظهرت فى سورية وكانت مناهضة للدولة العثمانية فبمجرد أنهم يسمعون أن العرب والقوات البريطانية قادمون ثاروا ضد الأتراك الموجودين فى المدينة وفتحوا الأبواب للثوار العرب والقوات البريطانية وكانت جمعية العربية الفتاة قد بايعت الشريف فيصل وقامت إلى جانبه وأيّدته.

فى 30 أكتوبر (تشرين الأول) أعلنت الدولة العثمانية استسلامها [1].

وفى 11 نوفمبر (تشرين الثانى) انتهت الحرب العالمية الأولى بعد استسلام ألمانيا.

انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا وحلفائها فماذا تركت الحرب؟ تركت دولة عثمانية ممزقة ودول عربية متناثرة تسيطر عليها القوات البريطانية.

سؤال: هل ستفى بريطانيا بوعودها مع الشريف حسين بن على وتعطيه الدوله العربية التى حددتها له أم أنها ستلجأ إلى اتفاقية (سايكس بيكو) التى عقدتها مع فرنسا ؟

خلال العام 1919م (1336هـ 1337هـ)

جرت محادثات ومؤتمرات بين كلا من بريطانيا وفرنسا والعرب وحضرها فيصل نيابة عن أبيه لتحديد مصير الدول العربية التى وقعت بيد القوات العربية والبريطانية وكان لورنس إلى جانب الشريف فيصل. وأظهر ولاءه للعرب، طبعاً فرنسا تريد تطبيق اتفاقية

(1) الحرب العالمية الأولى، الفصل الخامس 1918م: التوقيع على وثيقة الاستسلام صفحة 469 4745

سايكس بيكو للاستيلاء على سورية ولبنان والشريف فيصل لازال مصراً على أن تكون تابعة للعرب لأنهم هم من أسقط الحاميات التركية فى الشام ولبنان وهذا ما نص عليه بند من البنود الاتفاقية مع بريطانيا قبل إعلان الثورة العربية الكبرى.

فى 6 فبراير (شباط) عام 1919م اجتمع فيصل مع لورنس وسايكس وانتهى المؤتمر باعتراف فيصل بوجود وضع خاص فى فلسطين واعتراف بوجود بريطانى فى العراق لكن بقية الدول العربية تخضع تحت السيادة العربية، وفى 21 مارس (أذار) 1919م وافق الشريف فيصل أن تخضع سورية لحماية أمريكية أو بريطانية ورفض الحماية الفرنسية.

فى يونيو (حزيران) 1919م وصلت لجنة أوربية إلى سورية وكان الرأى السورى ورأى فيصل هو الاستقلال ورفض تام للانتداب الفرنسى ورفض إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين.

انتهى المؤتمر بتنصيب الأمير فيصل ملكاً على سوريه بينما أبوه الملك حسين صار ملكاً على المملكة العربية الحجازية.

الخلاصة: صار الشريف حسين ملكاً على الحجاز وصار ابنه فيصل ملكاً على سورية بعد اتفاق المؤتمر السورى بالإجماع، الأمير عبدالله أخو فيصل ينتظر نصيبه بأن يعطى ملك الأردن أو العراق بعد أن تنتهى بريطانيا من أخيه فيصل ثم تفى بوعدها للأمير عبدالله بن حسين بإعطائه الأردن أو العراق وكأنها تعطيه زاداً على طبق وكأنَّ بريطانيا تستعمر الدول العربية لتعطيها العرب... أكاذيب والعرب يصدقون.

بعد تنصيب الملك فيصل ملكاً على سورية وجد الحلفاء فى الإجراءات خطراً يهدد مصالحهم فعقدوا اجتماع فى سان ريمو 25أبريل (نيسان) 1920م (1339هـ) وانتهى الاجتماع بوضع الأردن والعراق تحت الانتداب البريطانى وأن ينفذ وعد بلفور[1] فى فلسطين وبوضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسى، وعندما فُتح المجال لفرنسا

(1) بلفور وزير الخارجية البريطانى الذى أعطى وعده فى 2/ 11/ 1917م (1335هـ) بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين.

لم تتأخر ولا للحظة واحدة فحرَّكت قواتها من لبنان ـ كانت مستعمرة من قبل فرنسا ـ باتجاه دمشق ووقعت معركة قوية شرسة بين القوات الفرنسية فى 24 يوليو (تموز) 1920م (1339هـ) والملك فيصل فى موقعة ميسلون وانتصرت القوات الفرنسية واحتلت مدينة دمشق وهرب الملك فيصل إلى الحجاز.

كان عام 1920 عام نكبة على العرب ففى هذا العام صار العراق والأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطانى، وصارت سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسى وبدأت بريطانيا فى تنفيذ وعد بلفور للصهاينة.

بعد احتلال بغداد كانت السياسة البريطانية تحكم فى العراق باتجاهين:

أن يكون حكم الإنجليز للعراق حكماً مباشراً كما هو الأمر فى الهند دون مراعاة للفوارق، تزعمه أرنولد ولسن نائب الحكم العام.

أن يأخذ العراقيون زمام الحكم بأيديهم شرط أن يكون مستشاروهم من الإنجليز ويرتبطون مع بريطانيا بمعاهدات ومواثيق، ويتزعم هذا الاتجاه برسى كوكس ـ الذى نقل فيما بعد إلى إيران.

نجح الاتجاه الأول وطبق أرنولد ولسن سياسة العصا الغليظة مع الوعود المبتورة والتى تدلل على رفضه لكل ما قطعه للعرب عامة وللعراقيين خاصة من وعود، إضافةً إلى نقل الأنظمة الهندية والعملة الهندية وسائر الموظفين الهنود ـ الذين يرأسهم الضباط الإنجليز ـ إلى السلطة الحقيقية فى العراق، فأدى ذلك إلى اندلاع " الثورة العربية العراقية " فى يونيو (حزيران) عام 1920م، سميت هذه الثورة بـ "ثورة العشرين".

" ثورة العشرين "[1]

بعد أن رأى أهل العراق أن العراق صارت تحت حكم الانتداب البريطانى خلافاً لما وعد به البريطانيون قبل احتلال العراق اندلعت ثورة عربية عراقية ضد الانتداب

---

(1) مقالات من تاريخ العراق المعاصر للدكتور عبد اللطيف الراوى.

البريطانى قامت بها الطبقة الدينية فى المدن المقدسة فى الجنوب، فقاموا بقطع سكة الحديد فى ثلاثة مواقع وحوصرت الحاميات البريطانية الصغيرة، ووقع قتال ضار فى منطقة الفرات أدى إلى كثير من الإصابات.

فى نهاية يوليو (تموز) ثارت منطقة الحلة واستطاعت أن تهزم كتيبة مانشستر البريطانية وتكبدها الخسائر.

لما رأى أهل العراق أن الثورة بدأت تحقق نجاحاً كبيراً، ثار شمال العراق وقتل العديد من القادة البريطانيين وهوجمت المراكب التجارية البريطانية حتى حلَّ فصل الشتاء فبادرت بريطانيا إلى عقد مؤتمر فى بريطانيا فوجه كثير من البريطانيين ومنهم لورنس انتقاداً لسياسة بريطانيا تجاه الدول العربية.

من الأسباب التى كانت وراء ثورة العشرين:

* التضييق على مصالح الشعب العراقى وقصم ظهورهم بالضرائب الجائرة التى لم يتعودوها حتى فى العهد العثمانى.
* الشعور الدينى الذى يعتبر البريطانيين كفاراً مغتصبين ومدنسين للأراضى الإسلامية.
* المعاملة القاسية اليومية التى يتعرض لها الشعب العراقى من قبل قوات الاحتلال.
* بدأ الإنجليز يسعون للتفرقة بين رؤساء العشائر ولم يعلموا أنها لا تزال فيهم النخوة العربية القبلية.

كانت لثورة العشرين نتائج طيبة منها:

* أنها أعادت للمواطن العراقى ثقته بنفسه بعد استعمار أربعة قرون من القساوة العثمانية.
* طرد أرنولد ولسن وعودة بيرسى كوكس إلى العراق حيث قام بالإسراع بتعيين دولة عربية عراقية تكون تحت سيطرة حاكم عربى.

ولدراسة موضوع الثورة وأسبابها تمَّ عقد مؤتمر بريطانى فى القاهرة للفترة من 12ـ 31 مارس (أذار) عام 1921م (1340هـ) وانتهى المؤتمر بالسبل التالية:

* دراسة كيفية تنصيب فيصل على عرش العراق بعد خروجه من دمشق بضغط من القوات الفرنسية.

* تنصيب حاكم عربى على شرقى الأردن.

* تخفيض الإنفاق العسكرى عن طريق تقليل القوات البريطانية فى العراق بواسطة إقامة قواعد عسكرية جوية هدفها الحفاظ على الأمن الداخلى.

سؤال: لماذا اختارت بريطانيا فيصل بالرغم من أنها قد وعدت أخوه عبدالله بعرش العراق ؟

لسببين:

كون فيصل شخصية مهزومة ذاقت مرارة الهزيمة على يد الفرنسيين فى سوريا.

كونه شخصية تجمع بين القيم الدينية والنزوع القومى، وقيمها الدينية ترضى أهل العراق من سنة وشيعة[1].

كان عرش العراق قد رُشح للأمير عبدالله (أخو فيصل) فتكفل لورنس بهذه المهمة وهى التنسيق بين الأمير فيصل والأمير عبدالله.

أُرسل لورنس إلى الأمير فيصل فى جدة وشرح له الأمر فوافق فيصل على ذلك وفرح أشد الفرح ولكن لا يزال التنسيق مع أخيه عبدالله يحتاج إلى بعض الوقت.

فضَّل لورنس الأمير فيصل لأنه قد أعجب به من قبل ورآه مناسباً لتنفيذ المطالب البريطانية لكن الأمير عبدالله قد وصفه بأنه كسول وغير مسيطر بكل الأحوال.

---

(1) مقالات من تاريخ العراق المعاصر للدكتور عبد اللطيف الراوى.

قبل تولى الملك فيصل على العراق كان أخوه عبدالله قد دخل مدينة عمّان عاصمة الأردن فى 12 مارس (آذار) عام 1921م (1340هـ) قادماً من الحجاز بهدف تحرير سوريا من الفرنسيين فعارضت بريطانيا ذلك ليس خوفاً على الجيش الفرنسى ولكن لعدم ثقتها بقدرة الأمير عبدالله المادية والعسكرية ولاقتناعها بأنه لا يستطيع الانتصار على فرنسا، مما يؤدى إلى تشجيع الفرنسيين على شن هجوم على شرقى الأردن فذلك يتهدد الوجود البريطانى فى فلسطين.

وبعد مناقشة مستفيضة اتخذ القرار التالى وهو تعيين الأمير عبدالله حاكماً لشرقى الأردن وفيما يتعلق بذلك ينبغى الحصول على موافقته فهذا الحل أتى فى وقته المناسب خاصةً بعد أخذ القرار بتولية أخيه فيصل على عرش العراق.

فى 28مارس (آذار) 1921م التقى الأمير عبدالله بشرشل. رئيس الانتداب البريطانى فى فلسطين فى جبل الزيتون فى فلسطين وانتهى المؤتمر بالاتفاق على ما يلى من أهمها:

* أن تؤسس فى شرقى الأردن حكومة وطنية يرأسها الأمير عبدالله.

* أن تكون حكومة مستقلة استقلالاً تاماً.

* تعهد الأمير عبدالله بصد الغارات البدوية على الحدود السورية وفلسطين، وبعد هذا الاجتماع طلب الأمير عبدالله من تشرشل التوسط لتحسين العلاقة بينه وبين السلطة الفرنسية فى سورية وبالتالى أقر المؤتمر بترشيح الأمير فيصل على العراق.

أرسل لورنس هذه البشرى إلى الأمير فيصل فى جدة فى يوليو (تموز) 1921م وأمره بالتوجه إلى العراق، فتوجه فيصل إلى العراق فاستقبل بحفاوة وتكريم من أهل العراق وبويع بالملك بتاريخ 2 أغسطس (أب) 1921م وفاز بأغلبية 96.8٪ من الأصوات[1].

وافق أهل العراق بمبايعة الملك فيصل لأنه ملك عربى أفضل من الانتداب البريطانى ولأنه شريف ينتسب إلى أهل البيت.

(1) هذه النسبة مبالغ فيها لأنه ليس فى استطاعتنا القول أن شيعة العراق يحبذون سنياً من الأشراف.

صارت الأسرة الهاشمية تحكم فى ثلاث ممالك:

* الملك حسين فى الحجاز.
* الملك عبدالله فى شرق الأردن.
* الملك فيصل فى العراق.

الباب الثالث
من الحكم الملكي
إلى حكم البعثيين

الفصل الأول: الحكم الملكى للأشراف الحسينيين للعراق.

الفصل الثاني: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار فى العراق.



حسين بن على الشريف



الملك فيصل الأول بن حسين

الفصل الأول

الحكم الملكى للأشراف الحسينيين للعراق

الملك فيصل الأول بن حسين بن على الشريفي

نبذة عن حياته:[1]

ولد فى مدينة الطائف عام 1883م ونزل هو ووالده فى أستانة الدولة العثمانية بناءً على طلب من السلطان عبد الحميد عام 1896م. عاش فيصل فى عاصمة الدولة العثمانية لمدة عشر سنوات وتزوج من ابنة عمه حزيمة ابنة الشريف ناصر بن على عام 1905م، وفى عام 1908م عُين شريفاً على مكة المكرمة. ولما ثارت الدولة الإدريسية على الدولة العثمانية عام 1911م بقيادة محمد الإدريسى استنجدت الدولة العثمانية بالشريف حسين فى مكة فأرسل نجليه عبد الله وفيصل وسارت القوات من مكة إلى أبها وأخضعت الدولة الإدريسية وأعادتها لحكم العثمانيين. فى عام 1913م زار فيصل دمشق وتعرف على رجالها ومفكريها ومن هنا بدأ بدوره الكبير الذى قام به لإعلان الثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين كما ذكرنا سابقاً وكان فيصل يمتلك حنكة ومهارة وسياسة وخاصة بعد توليه حكم العراق وما قام به من أعمال لتوطيد العراق وتقوية جيشه لأنه فى بداية حكمه كان الجيش ضعيفاً جداً لا يقارن بما يمتلكه الشعب العراقى من أسلحة واحتمال ظهور ثورات فى أى وقت فكرَّس جهوده لحماية نفسه وحماية دولته، توفى فى عام 1933م.

ملك الملك فيصل الأول (1921م – 1933م):

تُوج الملك فيصل بالملك رسمياً فى 23 أغسطس (آب) 1921م وسار العراق مملكة ولكن سرعان ما بدأت مشكلة فى كردستان حيث لم يكن الأكراد راغبين فى الملك فيصل وصارت مدينة الموصل محل جدل بين العراق وتركيا.

---

(1) الملك فيصل الثانى أخر ملوك العراق للدكتور: لطفى جعفر فرج، فصل الملك فيصل الأول حياته ووفاته صفحة 19 – 32.

صار العراق أول دولة منتدبة تحصل على برلمان ودستور وحكومة مستقرة ورأى رجال الثورة أنهم قد حققوا هدفهم بتتويج الملك فيصل ملكاً عليهم بالرغم من أن فيصل قد نُصب من قبل بريطانيا.[1]

فى عام 1922م (1341هـ) سقطت الدولة العثمانية وأُلغيت الخلافة الإسلامية، ولا ننسى أن نذكر أن مصر قد نالت استقلالها فى عام 1919م (1338هـ) بفضل الثورة العربية المصرية وتم إلغاء الحماية البريطانية على مصر.

أصبح العراق مملكة تحت الانتداب البريطانى وتحول فيصل من أمير ضائع إلى ملك فى بلدٍ يعتبره غريباً عنه واستطاع فيصل أن يبقى على عرش الملك بدهاء لمدة أكثر من عشر سنوات جراء ما اكتسبه من تجربة سوريا بالطرق التالية:[2]

1- بث الدعاية بين الناس أنه يطالب بريطانيا بتنفيذ وعودها.

2- إعلانه للناس بواسطة أعوانه أنه مع مطالب الشعب العراقى.

3- استغلاله أغلب العناصر المتعلمة وضمها إلى جهازه الوظيفى.

4- تسامحه مع ناقديه ومعارضيه وإعلانه أن ما تأتى به المعارضة هو من دار الاعتماد.

واصل الملك فيصل جهوده لتكوين العراق على أسس قومية مركِّزاً اهتمامه على ما يمكن إنجازه عملياً وقرَّب الضباط الأشراف إليه لثقته بهم، أمثال جعفر العسكرى ورستم حيدر واعتمد أيضاً على نورى السعيد - تركي الأصل- وكان اعتماده على نورى السعيد كثيراً لأنه كان بغدادى المولد والمنشأ.

فى أكتوبر (تشرين الأول) 1922م (1341هـ) أُبرمت الاتفاقية أنجلو - عراقية[3] بين الملك فيصل وبريطانيا بحيث تبقى قوات جوية عسكرية بريطانية لحماية أمن العراق وتحسين مصالحه الداخلية من إنشاء طرقات والأشغال العامة والصحة والشرطة والبريد

(1) العراق من الانتداب إلى الاستقلال، الفصل الرابع: العلاقات الأنجلو- عراقية صفحة 105 - 136.

(2) مقالات فى تاريخ العراق المعاصر للدكتور عبد اللطيف الراوى.

(3) العراق من الانتداب إلى الاستقلال، الفصل الرابع العلاقات الأنجلو- عراقية صفحة 105 - 136.

وغيرها وكانت مبالغ هذه الاتفاقية باهظة بالنسبة للعراق. وفى نفس العام وُقعت معاهدة سلام بين تركيا والعراق وكانت هذه المعاهدة من صالح الملك فيصل لأن أوضاع العراق الداخلية لازالت غير مستقرة.

بالنسبة للاتفاقية الأنجلو – عراقية فقد لقيت معارضة من قبل الشيعة فى الجنوب ولكن بريطانيا ضغطت على الوزراء العراقيين بما فيهم الملك فيصل بالموافقة على المعاهدة وتوقيعها وتحت هذا الضغط وُقعت المعاهدة فى يونيو (حزيران) 1924م (1343هـ) وبدأت مشكلة مدينة الموصل التى لم تكن راغبة فى الملك فيصل، فمدينة الموصل الواقعة شمال العراق كانت محل نزاع بين تركيا والعراق فالأولى تريد أن تتذكر أمجادها الماضية الضائعة والثانية تريد الاستفادة من مصالحها (النفط) فرفعت قضية الموصل إلى عصبة الأمم المتحدة وفى عام 1925م (1344هـ) أُصدر قراراً هاماً بأن الموصل تكون جزءاً من العراق.

فى عام 1927م (1346هـ) بدأت الاستثمارات الاحتكارية والتنقيب عن النفط وبدأ إنشاء شركات كهرباء أجنبية بريطانية وشركات نفط، وفى نفس العام 15 ديسمبر (كانون الأول) أُبرمت معاهدة جديدة فى لندن بحضور الملك فيصل وبعض وزرائه وأعلنت بريطانيا أنها ستترك العراق إذا قام بسداد جميع ديونه لبريطانيا وهذا الأمر فى غاية الصعوبة بالنسبة للعراق لأن ديونه باهظة جداً.

لما سمع أهل العراق هذه المعاهدة فكروا فرأوا أن العراق دولة تحكمها حكومتان واحدة عربية والأخرى أجنبية فقاموا بانتقاد هذه الحكومة وبدأت الاضطرابات تعود من جديد وبدأت الصحف تنشر هذا الانتقاد.

فى فبراير (شباط) عام 1928م (1346هـ) زار الوزير الإنجليزى الصهيونى الفريد موند الملك فيصل فى بغداد فكانت القشة التى قصمت ظهر البعير، فقام الشعب العراقى بإعلان مظاهرة كبيرة واضطراب عام وشُكلت هذه المظاهرة من الطلبة والعمال فى 8 فبراير (شباط) 1928م وأدى ذلك إلى تشكيل جمعيات تعهّد أفرادها بالدفاع عن حقوقهم، وفى 27يوليو (تموز) 1929م (1347هـ) نشرت جريدة البلاد خبراً بأن عمال المطابع تطالب

وزارة الداخلية بالسماح لها بتأسيس جمعية عمال مطابع عراقية فاستجاب الملك فيصل لمطالبهم – لأنه فى وضع لا يسمح له بالمعارضة– فسمحت لهم وزارة الداخلية بمزاولة أعمالهم ونشرت الخبر فى يناير (كانون ثانى) 1930م (1348هـ)[1]

كان الملك فيصل مع بريطانيا قلباً وقالباً ولكن بريطانيا صارت تتوجس خيفة من الشعب العراقى وخاصةً بعد هذه الاضطرابات والمظاهرات المتكررة وصارت تتخوف من ثورة أخرى مثل ثورة العشرين (ثورة أكتوبر) ورأت أن مسألة الانتداب باتت خطراً عليها وعلى مصالحها وأن الفكر العربى بدأ يتنمّى ويتفهم أن الانتداب كلمة معناها الاحتلال فسارعت برفع مطالب العراق إلى عصبة الأمم المتحدة بأن العراق دولة مستقلة ضمن عصبة الأمم المتحدة وسُلّم هذا القرار فى عام 1330م (1348هـ).

فى 21مارس (آذار) 1930م (1349هـ) وبعد صلاة الجمعة فى بغداد اندلعت مظاهرة كبرى اشترك فيها العمال منددة بالانتداب والمعاهدة الأنجلو – بريطانية وكان عدد المتظاهرين قُدّر بمائة ألف متظاهراً وانتهت المظاهرة بأنها مظاهرة سلمية لم يصحبها أضراراً لا نفسية ولا مادية ولكن الجمعيات العراقية بدأت تكثر وتطالب الشباب العاطل بالالتحاق بها وفتح مجال لهم بالعمل فانخرط كثير من الشباب فى هذه الجمعيات وصار الإنجليز يتخوفون من هذه الجمعيات ويرون أن أيامهم صارت معدودة. [2]

وفى الوقت نفسه سارع الملك فيصل بالضغط على بريطانيا بإعطاء حق الاستقلال للعراق وإلغاء الانتداب وضم العراق لعصبة الأمم. استمرت مسألة ضم العراق لعصبة الأمم خلال عام 1931م (1349-1348هـ) وانتهت بالموافقة بعد جهد جهيد قام به الملك فيصل.

كان فى بداية عام 1931م (1348هـ) قد رُفعت الضرائب على العمال والفلاحين فأدّى ذلك إلى إضراب عام فى جميع المدن العراقية فى 5 يوليو (تموز) 1931م واستمر

(1) مقالات فى تاريخ العراق المعاصر للدكتور عبد اللطيف الراوى.
(2) مقالات فى تاريخ العراق المعاصر للدكتور عبد اللطيف الراوى.

الإضراب لمدة أكثر من أسبوعين وعُقد اجتماع فى بغداد حضره رئيس الوزراء ووزير الداخلية لمناقشة هذا الإضراب ولكنه انتهى بالفشل ووُجِه هذا الإضراب بالقوة والرصاص من قبل القوات العراقية والبريطانية وزُجَّ بمئات المتظاهرين فى السجون[1].

فى يناير (كانون ثانى) 1932م (1349هـ) صار العراق دولة من دول عصبة الأمم المتحدة وتم تحديد الحدود مع الدول المجاورة لأن العراق كان فى حالة اضطراب شبه دائم مع الدول المجاورة، وانتهى الانتداب البريطانى فى العراق وصار للعراق حكومة مستقرة لها استقلالها السياسى لكن حكومة الملك فيصل فى بغداد كانت لا تزال لا تملك قدرة قتالية ملائمة وبالتالى لم تكن تستطيع التصرف بطريقة حاسمة.

فى عام 1933م (1351-1350هـ) حدث إضراب عام أيضاً والسبب أن شركة الكهرباء تأخذ ضرائب عالية على الشعب العراقى بينما الضرائب مخفضة على الشركات الإنجليزية وانتهى هذا الإضراب بقبول مطالب الشعب وتخفيض الضرائب عليهم فكان لهذا الإضراب نتائجه الناجحة بينما الملك فيصل كان فى إحدى الدول الأوروبية يتلقى العلاج لأزمة ألَمَّت به.

فى يوليو (تموز) 1933م (1351هـ) حدث تمرد ثورى فى شمال العراق فاضطر الملك فيصل إلى الرجوع إلى بغداد فى 2 أغسطس (آب) للعمل على وضع حد للمشكلة ولكنه وجد أن كل شىء قد انتهى وأن الأمر قد خرج من يديه وأن هذا التمرد قد حدث على يد ابنه غازى فأصابه الاضطراب الذى أدى إلى فقدانه للنوم والشهية.

غادر الملك فيصل مرةً أخرى لمواصلة العلاج ووصل العاصمة السويسرية فى 3 سبتمبر (أيلول) 1933م، وفى صباح الجمعة 8 سبتمبر (أيلول) 1933م (1351هـ) مات الملك فيصل بعد سنوات من الصراع، وتولى الملك من بعده ابنه غازى.[2]

---

(1) مقالات فى تاريخ العراق المعاصر للدكتور عبد اللطيف الراوى.

(2) الملك فيصل الثانى آخر ملوك العراق للدكتور: لطفي جعفر فرج، فصل الملك فيصل الأول، وفاته صفحة 29 - 30.

من مقالات الملك فيصل:

(أقول: وقلبى ملآن أسىً أنه فى اعتقادى لا يوجد فى العراق شعب عراقى بعد بل توجد كتلات بشرية خيالية، خالية من أى فكرة وطنية متشبعة بتقاليد وأباطيل دينية، لا تجمع بينهم جامعة، سمّاعون للسوء، ميّالون للفوضى، مستعدون دائماً للانقضاض على أى حكومة كانت، نحن نريد والحالة هذه أن نشكِّل من هذه الكتل شعباً نهذبه وندربه ونعلمه، ومن يعلم صعوبة تشكيل وتكوين شعب فى مثل هذه الظروف، يجب أن يعلم أيضاً عظم الجهود التى يجب صرفها لإتمام هذا التكوين وهذه التشكيل).[1]

الملك غازى بن فيصل (3391 - 9391م)

نبذة عن حياته:[2]

ولد فى مكة المكرمة فى 21 مارس (آذار) 1912م (2 ربيع الأول 1330هـ) وهو الابن الوحيد للملك فيصل، انتقل إلى بغداد فى الخامس من أكتوبر (تشرين الأول) 1924م ودخل المدرسة العسكرية فى العراق فى أكتوبر 1928م، وفى 25يناير (كانون الثانى) 1934م تزوج من ابنة عمه على واسمها عالية وكان على كراهية مع شقيقها عبد الإله، تعلم الفروسية وكان طياراً ماهراً، تسلم الملك بعد وفاة أبيه مباشرة وسنلاحظ عدة انقلابات فى عهده وبالنسبة لوفاته سنذكرها فيما بعد.

نتيجة لوفاة الملك فيصل وتولى ابنه غازى للملك وكان غير مؤهل لذلك مما أدى إلى اختلال فى التوازن فى الحكومة الملكية وأدى ذلك إلى استمرارية شريعة المشايخ فصار شيوخ القبائل يهددون البلاد مرة أخرى بعد أن كادت أن تختفى فى عهد الملك فيصل وسنرى أثر ذلك فيما بعد.

---

(1) العراق، الطبقات الإجتماعية و الحركات الثورية من العهد العثمانى حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول لحنّا بطاطو، الفصل الثانى: حول تباين العراقيين وتخلخل مجتمعهم وتقدمهم فى العهد الملكى باتجاه بنية سياسية متماسكة صفحة 44.

(2) الملك فيصل الثانى آخر ملوك العراق للطفى جعفر فرج، فصل الملك غازى، مولده ونشأته صفحة 35 - 40.

كان ياسين الهاشمى قد نُصب وزيراً للمالية فى عام 1933م فى عهد الملك فيصل ونورى السعيد نُصب وزيراً للخارجية وبعد وفاة الملك فيصل ازدادت فرص ياسين الهاشمى للفوز بعرش الملك ولكنه لم يحرك ساكناً والسبب أنه رأى أن فى مثل هذه الظروف الصعبة لا يمكن أن تخدم مصالحه الخاصة ففضل البقاء على منصبه الأول.

خلف الملك غازى أباه فيصل فى الملك وكانت خبرته ضئيلة وفهمه قليل لمشاكل شعبه ولم يكن لديه دهاء سياسى بينما ياسين الهاشمى صار ينفذ مخططاته السرية فى غياب شبه كلى للملك غازى فقام ياسين بالتنسيق مع بريطانيا وأبدى موافقته للمعاهدة الأنجلو – عراقية التى سبق وأن اقترحت فى عام 1930م وصار مقتنعاً بأن العراق لا يمكنه العيش من دون تحالف مع بريطانيا العظمى، فرحت بريطانيا بهذا الاقتراح من قبل ياسين الهاشمى وخاصة أن بريطانيا لم يعد لها تدخل فى شئون العراق الداخلية خاصة بعد إلغاء الانتداب البريطانى فى عام 1932م، فرأت أن هذه هى الفرصة المناسبة للتغلغل مرة أخرى فى شؤون العراق.[1]

سؤال: من أين لياسين الهاشمى كل هذه القوة؟!

جواب: كان نصف قوة ياسين يكمن فى سيطرته على الإدارات المهمة فى الدولة فكان مسيطراً على قوات الشرطة، وكان لأخيه طه الهاشمى سلطة على التعيينات فى الميدان التعليمى الحساس، وكان طه رئيساً للأركان العامة ووسيطاً بين أخيه ياسين والجيش وخصوصاً المجموعة العروبية من سلك الضباط.

فى مارس (آذار) 1935م (1354هـ) قاد ياسين الهاشمى تمرد عشائرى كبير ضد الحكومة واستطاع أن ينصب نفسه رئيساً للوزراء بفضل هذا التمرد العشائرى وبدأ يحسن علاقته مع بريطانيا – (هؤلاء هم الضباط الأشراف الذين مكنهم الملك فيصل للأماكن العالية فى الدولة والآن ماذا يفعلون) – أدرك ياسين الهاشمى أن جعفر العسكرى ونورى

(1) العراق، الطبقات الإجتماعية و الحركات الثورية من العهد العثمانى حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول لحنّا بطاطو، الفصل الثانى: حول تباين العراقيين وتخلخل مجتمعهم وتقدمهم فى العهد الملكى باتجاه بنية سياسية متماسكة صفحة 31 – 55.

السعيد هما الوحيدان صاحبا النفوذ بالضباط الأشراف السابقين فلم يتأخر بإشراكهما فى حكومته التى شكلها فى مارس (آذار) 1935م حيث أعطى جعفر العسكرى حقيبة الدفاع وأعطى نورى السعيد حقيبة وزارة الخارجية وأبقى الملك غازى فى مكانته وبرر أفعاله أنها من صالح الدولة ومن صالح الملك غازى ولم يكن فى يد الملك غازى أى شيء فوافق على ياسين الهاشمى واعترف به رئيساً للوزراء ولكنه كان حاقداً عليه لأن ياسين الهاشمى و نورى السعيد سمحا لأخت الملك غازى - الأميرة عزة - فى يونيو (حزيران) 1936م بالهرب مع أحد الخدم إلى فندق رودان وارتدت عن دينها الإسلام فنرى أن ياسين ونورى صارا يتدخلان فى حياة الملك غازى الشخصية.[1]

التمرد العشائرى الذى قاده ياسين الهاشمى أضعف هيبة الحكومة وشجع العشائريون على القيام بثورات أخرى فهذا الذى غاب عن ذهن ياسين الهاشمى.

فى 29 أكتوبر (تشرين الأول) 1936م (1355هـ) قام بكر صدقى قائد الفرقة الأولى - وكان على تحالف سرى مع الملك غازى - بقيادة تيار إقليمى يشكله ضباط أكراد ضد ياسين الهاشمى وقام هذا التيار بإسقاط نظام ياسين الهاشمى ونفى ياسين إلى لبنان حيث لم يعش طويلاً هناك حيث توفى فى 21 يناير (كانون الثانى) 1937م. وكان سيء السيرة استولى على كثير من الأراضى بطرق غير مشروعة.

نجح بكر صدقى فى انقلاب 1936م وقام بإنشاء تنظيم باسم ((جمعية الإصلاح الشعبى)) فى 12 نوفمبر (تشرين الثانى) 1936، واستطاع تصفية ياسين الهاشمى وجعفر العسكرى ووطد علاقته مع الملك غازى - وكان الملك غازى ممن أيَّد هذا الانقلاب - وبدأت تدور الدائرة على نورى السعيد الذى لاذ بالفرار إلى السفارة البريطانية فى بغداد وهو فى حالة هيجان عصبى حاد فرتبت السفارة البريطانية له طائرة بريطانية نقلته إلى مصر ولم يعد إلى العراق إلا فى 25 أكتوبر (تشرين الأول) 1937م.[2]

---

(1) العراق، الطبقات الإجتماعية والحركات الثورية من العهد العثمانى حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول لحنَّا بطاطو، الفصل الثانى: حول تباين العراقيين وتخلخل مجتمعهم وتقدمهم فى العهد الملكى باتجاه بنية سياسية متماسكة صفحة 31 - 55.

(2) العراق،الطبقات الإجتماعية والحركات الثورية من العهد العثمانى حتى قيام الجمهورية، =

بالرغم من نجاح بكر صدقى فى انقلاب 1936م، لكن أهالى العراق الذين شاركوا معه فى الانقلاب من عراقيين وعروبيين سرعان ما اكتشفوا أن بكر صدقى يسعى وراء مصالحه الخاصة وحسب رغباته والدليل على ذلك اعتماده على العنصر الكردى فى سلك الضباط العسكرى وتركه للعراقيين والعروبيين. ونظراً لعدم ثقتهم فيه قاموا بإدارة ظهورهم له فى 19 يونيو (حزيران) 1937م (1355هـ)، وما أن تخلى الأهالى عن بكر صدقى حتى بدأ نظامه فى التحطم، وبدأ العقداء الأربعة وهم صلاح الدين الصباغ، وكامل شبيب، ومحمود سلمان، وفهمى سعيد فى تفتيت نظام بكر صدقى والذى انتهى بتدمير نظام بكر صدقى فى 11 أغسطس (آب) 1937م، أما بكر صدقى فقد اغتيل فى الموصل وهو فى طريقه إلى تركيا، وقام العقداء الأربعة بإعادة العنصر العربى إلى موقع السيطرة داخل الجيش وشكّلوا العامل الرئيسى فى سياسة البلاد[1].

فى 25 أكتوبر (تشرين الأول) 1937م (1356هـ) عاد نورى السعيد إلى العراق بعد أن تأكد أن نظام بكر صدقى قد دُمر تماماً، وكان على رأس الحكومة يومها الشريف زميل نورى وجميل مدفعى، وكان نورى السعيد على خلاف مع جميل مدفعى وكان نورى السعيد يخطط لإسقاط حكومة جميل مدفعى.

لم يمض على نورى السعيد خمسة أيام فى بغداد حتى بدأ بإقامة علاقات مع العقيد صلاح الدين الصباغ، ونجح نورى السعيد فى إقناع صلاح الدين بالتعاون مع رئيس الأركان السابق طه الهاشمى وذلك كله طمعاً فى استعادة منصبه وإسقاط حكومة جميل مدفعى.

سافر نورى السعيد إلى لندن فى يناير (كانون الثانى) 1938م (1355هـ) وقضى خلال رحلته بتوطيد العلاقة مع بريطانيا، ثم عاد إلى بغداد فى أكتوبر (تشرين الأول) 1938م

=الكتاب الأول لحنَّا بطاطو، الفصل الثانى: حول تباين العراقيين وتخلخل مجتمعهم وتقدمهم فى العهد الملكى باتجاه بنية سياسية متماسكة صفحة 31 - 55.

(1) العراق، الطبقات الإجتماعية والحركات الثورية من العهد العثمانى حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول لحنَّا بطاطو، الفصل الثانى: حول تباين العراقيين وتخلخل مجتمعهم وتقدمهم فى العهد الملكى باتجاه بنية سياسية متماسكة صفحة 31 - 55.

(1357هـ) ولم يضيِّع وقته فقام بتجديد اتصالاته بالعقيد الصباغ وأصدقائه فى تحريضهم للإطاحة بحكومة جميل مدفعى، ومع كل هذه المحاولات نجح فى قيادة انقلاب عسكرى على حكومة جميل مدفعى فى 24 ديسمبر (كانون الأول) 1938م (1357هـ) وانتهى الانقلاب بسقوط حكومة جميل مدفعى وعودة نورى السعيد إلى رئاسة الوزراء مرة أخرى.[1]

بعد عودة نورى السعيد إلى الوزارة بدأ يفكر الآن فى الملك غازى لأن الملك غازى كان من المؤيدين لحركة انقلاب 1936م التى قادها بكر صدقى، ولكن كل المحاولات التى قام بها نورى السعيد إما بالإقناع أو بالضغط فشلت مع الملك غازى - لأن الملك غازى لم ينس الحادثة التى نفذها نورى السعيد مع ياسين الهاشمى عندما تساهلا وسمحا لأخت الملك غازى (الأميرة عزة) بالهرب مع أحد الخدم إلى فندق روودان وارتدادها عن الإسلام - فالملك غازى لم ينس هذه الحادثة لأنها شوهت بيت الملك وشوهت الأشراف أنفسهم.[2]

كان نورى السعيد يواجه قوة إلى جانب الملك غازى وهو رشيد عالى الكيلانى - نُصب وزيراً بدلاً من ياسين الهاشمى بعد نفيه إلى لبنان فى يناير (كانون الثانى) 1937م - وازدادت قوة رشيد عالى عندما نصبه الملك غازى رئيساً للديوان الملكى.

قام الملك غازى بإنشاء "إذاعة قصر الزهور" التى كان يديرها بنفسه وكان مذيعها فى أغلب الأحيان وبدأ ينتقد السياسة البريطانية ويقوم بتأجيج اليقظة القومية والحماسة العربية ضد الهجمات التى شنتها بريطانيا مع المنظمات اليهودية فى فلسطين، فأدى ذلك إلى بروز حركات استقلالية وخاصة فى الكويت داعية إلى التوحد مع العراق تحت عرش الملك غازى، فصارت بريطانيا تتخوف من الملك غازى ومن حربه الإعلامية عبر "إذاعة قصر الزهور" فبدءوا يخططون مع نورى السعيد لإزاحة الملك غازى لأنه صار يشكل خطراً عليهم[3].

(1) نفس المرجع السابق.
(2) العراق، الطبقات الإجتماعية والحركات الثورية من العهد العثمانى حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول لحنَّا بطاطو، الفصل الثانى: حول تباين العراقيين وتخلخل مجتمعهم وتقدمهم فى العهد الملكى باتجاه بنية سياسية متماسكة صفحة 31 - 55.
(3) الملك فيصل الثانى آخر ملوك العراق للطفى جعفر فرج، فصل الملك غازى، إذاعة قصر الزهور صفحة 41 - 44.

أُعلنت أخبار يشكك في مصداقيتها نشرتها الصحف البريطانية والفرنسية على أن هناك مؤامرة مدبرة بين الملك غازى وبين بعثة ألمانية، زعمت هذه الصحف أن الملك غازى استدعى هذه البعثة لمناهضة مصالح بريطانيا وفرنسا في العراق والدول العربية ولذلك كان رأى السفيرالبريطاني في مارس (آذار) 1939م (1357هـ) أن الملك غازى يجب أن يُسيطر عليه أو يُخلَع.

وفي منتصف ليلة الرابع من أبريل (نيسان) 1939م (1357هـ) صُرِع الملك غازى إثر اصطدام سيارته التى كان يقودها بنفسه بالعمود الكهربائي الواقع في منحدر النهر بالقرب من قصر الحارثية.(1)

أغلب الظن حول مصرع الملك غازى أنها مؤامرة بين البريطانيين ونورى السعيد لأن مصرعه جاء بعد انتقاد الملك غازى لبريطانيا وسياستها نحو البلدان العربية وخاصة فلسطين، والدليل على ذلك علامات البِشر والمسرة التى ظهرت على وجه نورى وطه الهاشمى بعد مصرع الملك غازى. لقى الملك غازى مصرعه وترك وراءه ابنه فيصل الذى يبلغ من العمر أربع سنوات ولياً للعهد.

بعد مصرع الملك غازى، اجتمع نورى السعيد وطه الهاشمى ورستم حيدر ورشيد عالى الكيلانى وأقروا بالإجماع أن ولاية العهد ستكون لابن الملك غازى -فيصل- الذى لم يبلغ سن الرشد وجعلوا الأمير عبد الإله وصياً عليه.

عارض كلا من جميل مدفعى وعلى جودة الأيوبى ورَأَيا أن الوصاية من الأفضل أن تكون للأمير زيد بن حسين – عم الملك غازى وأخو الملك فيصل الأول- إن كانوا يريدون خيراً للعراق، لكن نورى السعيد لم يستمع إلى مطالبهما وأصر إصراراً عجيباً على تولية الوصاية للأمير عبد الإله، وأخبر الجميع أن الملك غازى قد أوصى إذا وقع له أمر على حياته فالوصى على العرش هو أخو زوجته عالية -عبد الإله- ونستنتج أن هذا الخبر الذى

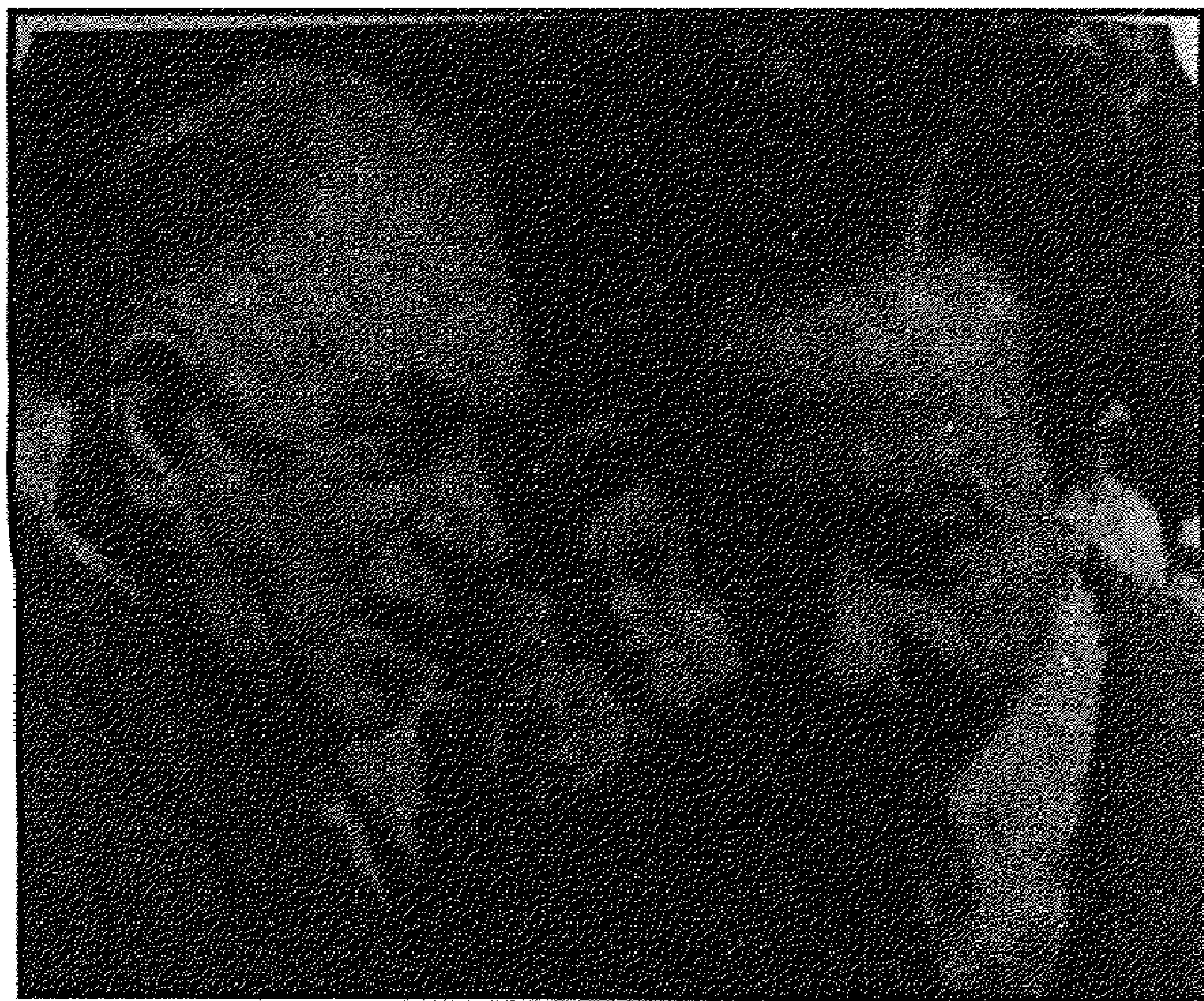
(1) الملك فيصل الثانى آخر ملوك العراق للطفى جعفر فرج، فصل الملك غازى،مصرعه صفحة 61 -63.

قاله نورى السعيد كذبة واضحة، لأن الملك غازى كان يكره ابن عمه وأخو زوجته -عبد الإله- كرهاً شديداً، حتى أنه لا يستطيع أن يراه فى مجالسه الخاصة، أيدت بريطانيا تنصيب عبد الإله على الوصاية لأنه سيحقق الرغبات البريطانية فى العراق.

لما سمع أهالى العراق بهذه المؤامرة الخبيثة ضجَّ الناس وتعالت الهتافات وظهرت المظاهرات والمصادمات التى وقعت فى بغداد وفى جميع المدن العراقية تلعن الإنجليز وأعوانهم وتقول بلا تردد أنها جريمة قتل نفذها عملاء الإنجليز إلى حد أن المتظاهرين فى الموصل هاجموا القنصلية البريطانية وهدموها وحرقوا السيارة الخاصة وقاموا بقتل القنصل البريطاني مونك، مما اضطر الحكومة أن تعلن الأحكام العُرفية فى الموصل وتعتذر للحكومة البريطانية وتدفع لها تعويضاً بمبلغ عشرين ألف باوند لأسرة القنصل القتيل.



نورى السعيد



عبد الإله على يمينه نورى السعيد

فى سبتمبر (أيلول) 1939م (1358هـ) اندلعت الحرب العالمية الثانية التى شنَّها الألمان النازية بقيادة هتلر ضد فرنسا وبريطانيا وروسيا.

كان اللواء نورى السعيد أكثر صداقة لبريطانيا وكانت بريطانيا تحاول إبقاءه لأطول مدة للاستفادة منه، وكان نورى يتخوف من رشيد عالى الكيلانى وكان يحاول أن يحيل معظم ضباطه إلى التقاعد.

فى عام 1940م (1361-1360هـ) تسلل رشيد عالى الكيلانى -وزير الديوان الملكى منذ عهد الملك غازى وأحد السادة السياسيين- إلى دائرة عطف ((العقداء الأربعة)) وهم كما ذكرنا صلاح الدين الصباغ، وكامل شبيب، ومحمود سلمان، وفهمى سعيد، وبدأ ينتقد الامتيازات التى نالها الإنجليز فى معاهدة 1930م ولما سمع الإنجليز بذلك طالبوا بطرده وإقالته عن منصبه ولكن رشيد عالى الكيلانى كان على علاقة قوية مع "العقداء الأربعة".[1]

فى يونيو (حزيران) 1940م سقطت فرنسا بيد قوات هتلر النازية، وبعد سقوط فرنسا ازداد ولاء نورى السعيد لبريطانيا وحاول نورى السعيد إقناع صلاح الدين الصباغ بالانضمام إليه ولكن صلاح الدين لم يلتفت إليه، بل وضع يده إلى جانب رشيد عالى الكيلانى، فماذا ستكون النتيجة؟!

فى عام 1941م (1361هـ) ظهرت حركة باسم رشيد عالى الكيلانى سببت أزمة لحكومة نورى والوصى عبد الإله، شكل هذه الحركة رشيد عالى الكيلانى والعقداء الأربعة وغيرهم من السادة السياسيين أمثال: ناجى السويدى وناجى شوكت، لما رأى نورى السعيد أن هذه الحركة بلغت أوج عظمتها هرب هو والوصى عبد الإله إلى مصر (القاهرة)

(1) العراق، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثمانى حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول لحنّا بطاطو، الفصل الثانى: حول تباين العراقيين وتخلخل مجتمعهم وتقدمهم فى العهد الملكى باتجاه بنية سياسية متماسكة صفحة 31 -55.

وبدأ يهوِّل أمر هذه الحركة لبريطانيا ومدى تأثيرها على حكومته وعلى المصالح البريطانية فى العراق.[1]

دخلت قوات رشيد على بغداد فى أبريل (نيسان) 1941م وتم تنصيب رشيد على رئيساً للوزراء وقامت الحركة بعزل نورى السعيد عن الوزارة وعبد الإله عن الوصاية، بينما أبقت على الملك فيصل الثانى والأسرة المالكة فى القصر ولم تتعرض إليهم بأى شىء من الإهانات.

لما سمعت بريطانيا وأحست بخطورة هذه الحركة أسرعت وتدخلت عسكرياً وبالقوة لإخماد هذه الحركة مع العلم أن بريطانيا كانت تواجه جبهة قوية خلال الحرب العالمية الثانية وهى جبهة القوات النازية، فأرادت أن تدعم أركانها لحفظ مصالحها فى البلدان العربية.

حركة رشيد عالى الكيلانى سببت أزمة كبيرة لنورى السعيد والوصى عبد الإله وأزمة للمصالح البريطانية، فى مايو (أيار) 1941م (1361هـ) دخلت القوات البريطانية العراق وقامت بمهاجمة حركة رشيد عالى الكيلانى ووقف الضباط الأشراف السابقون إلى جانب القوات البريطانية أما بقية الوزراء السابقين فقد جلسوا يتفرجون، فصارت حركة رشيد عالى الكيلانى تواجه القوات البريطانية والضباط الأشراف السابقين.

فى 3 مايو (أيار) 1941م نشبت الحرب بين قوات رشيد عالى الكيلانى وبين القوات البريطانية وعرفت هذه الحرب "بحرب الثلاثين يوماً" والتى قاوم فيها العقداء الأربعة بشكل يائس تحت الضرب بالمدفعيات والطائرات البريطانية الحديثة بينما قوات رشيد عالى الكيلانى لا تملك إلا الأسلحة الخفيفة، هزمت القوات البريطانية قوات رشيد عالى الكيلانى، ورجع نورى السعيد والوصى عبد الإله إلى العراق ونُصب نورى السعيد رئيساً للوزراء فى أكتوبر (تشرين الأول) 1941م وأُعيدت الوصاية لعبد الإله من قبل القوات البريطانية، وأقرَّ نورى السعيد أنه لا بد من وجود انتداب بريطانى لحفظ أمن البلد، فضجَّ

(1) نفس المرجع السابق.

الناس وكرهوا نورى السعيد وعبد الإله لما قاموا به من مساعدات تخدم المصالح البريطانية دون العودة إلى رأى الشعب فى ذلك.[1]

(فى نفس هذه السنة 1941م كانت هناك حركة سرية بدأت تقوى وبدأ يكثر أتباعها وهى حركة الحزب الشيوعى التى سنتحدث عنها فيما بعد).

رجع نورى السعيد رئيساً للوزراء وعبد الإله وصياً وبدأت فترة "الانتداب البريطانى الثاني" الذى لم يغادر إلا فى عام 1946م،ومع استلام نورى السعيد للوزارة ازدادت الحكومة الملكية ضعفاً إلى ضعف بينما ارتباط نورى السعيد بالسفارة البريطانية يتزايد فى غياب كلى عن رأى الجمهور والشعب.

قضى نورى السعيد فترة استلامه للوزارة بوضع المواطنين الذين اعتبرهم الخطرين فى معسكرات الاعتقال، وقام بفصل الضباط العسكريين ذوى الاتجاهات المعارضة لبريطانيا وخفض حجم الجيش.

فى عام 1943م (1364-1363هـ) رأى عبد الإله أن تصرفات نورى السعيد صارت مكروهة لدى الجميع وكل هذه التصرفات يعملها لخدمة مصالحه الخاصة، فضاق به عبد الإله وتركه، وأخذ يتقرب من شاكر الواءى - وهو ضابط شريفى سابق اشترك فى حركة بكر صدقى ومكروه لدى نورى السعيد- وفى أكتوبر (تشرين الأول) 1943م (1364هـ) وجه الوصى عبد الإله لائحة كاملة للمرشحين للنيابة وطلب من نورى توقيعها فرفض نورى وطالب بإقالة عبد الإله عن الوصاية وإعطائها لرجل آخر ذى كفاءة، فرأت بريطانيا أن نورى لا يصلح لاستلام مثل هذه المناصب ولو عزل عبد الإله عن الوصاية، فماذا سيكون موقف الشعب من نورى والانتداب البريطانى؟

قامت بريطانيا بعزل نورى السعيد عن الوزارة فى يونيو (حزيران) 1944م واستلم الوزارة الوصى عبد الإله، وصارت يده أكثر حرية فى اختيار الوزراء واختار حمدى الباجه

(1) العراق، الحزب الشيوعى - الكتاب الثانى - لحنَّا بطاطو، الفصل السادس: الشيوعيون فى فترة الانقلابات (1936-1941م) صفحة 93-115.

جى رئيساً للوزراء – وهو من عائلة من البيروقراطيين الملاكين – وبدأ حمدى الباجه جى بإقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى ذى النظام الشيوعى، وكان فى العراق حزب شيوعى يتنامى بسرية تامة، وفى 7سبتمبر (أيلول) 1944م (1363هـ) قامت إحدى شركات الاتحاد السوفيتى بنقابة سكك حديدية فى العراق والعمال الذين كانوا يشتغلون فى نقابة السكك الحديدية هم عراقيون ينتمون للحزب الشيوعى والحكومة لا تعلم بهذا الحزب الخطير، وعلى أغلب الظن كان الاتحاد السوفيتى على علم بذلك.[1]

فى أبريل (نيسان) 1945م (1364هـ) انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة ألمانيا ودول المحور واستسلامهم وانتصار الحلفاء 0.

وفى نفس السنة 1945م (1364هـ) أُعدم صلاح الدين الصباغ عند بوابة وزارة الدفاع ببغداد.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بشهر فى مايو (أيار) أعلن عمال سكة الحديد الشيوعيون إضراباً عاماً استمر لمدة خمسة عشر يوما، وشُلَّت حركة النقل العسكرى والمدنى بالقطارات وانتهى الاضراب بنيل علاوات فى أجور العمال وكان يرأس هذا الحزب رجلاً يسمى فهد[2](سنتكلم عنه فيما بعد).

فى 29يناير (كانون الثانى) 1946م (1364هـ) تبنّى الحزب الشيوعى – الذى لم يُعرَف بعد – حركة سمّاها "تكتيك النضال الثوري" والذى انتقد فيه الاستعمار البريطانى وأنه يجب على بريطانيا ألا تتدخل فى شئون الحكم العراقى وانتقد أيضاً الحركة الصهيونية فى فلسطين فتشكلت جبهة أخرى شيوعية عُرِفت باسم "الرابطة المضادة للصهيونية".

فى 31 يناير (كانون الثانى) 1946م أسقط الوصى عبد الإله حكومة حمدى الباجه جى، وتلا ذلك ما عُرِف باسم "أزمة الطبقة الحاكمة" وتأخر تشكيل هذه الوزارة لمدة 23

(1) العراق، الحزب الشيوعى – الكتاب الثانى – لحنّا بطاطو، الفصل العاشر: أوضاع جديدة، معالجات جديدة صفحة 181 – 194.

(2) فهد: هو يوسف بن سلمان بن يوسف من أصل عربى مسيحى من الطبقة الوسطى الدنيا فى المجتمع العراقى.

يوماً لأسباب سياسية. وفى 23 فبراير (شباط) 1946م عُهِدت نظام "أزمة الطبقة الحاكمة" إلى توفيق السويدى.[1]

فى 2مارس (آذار) أُلغيَت الأحكام العرفية وأُنهيَت مراقبة الصحف، وفى 2 أبريل (نيسان) مُنِحت خمسة أحزاب لمزاولة نشاطاتها وهى:

1- حزب الأحرار الوسطى.

2- الحزب الوطنى الديموقراطى.

3- حزب الاتحاد الوطنى اليسارى.

4- حزب التحرير الوطنى.

5- حزب الشعب (المتأثر بالشيوعية والذى انخرط فيه الشعب تحت نظام تكتيك النضال الثورى).

المثير للاهتمام أن قادة هذه الأحزاب يأتون بشكل أساسى من الطبقة الوسطى، مع العلم بأن الطبقة الوسطى كانت ولا تزال كارهةً لنظام "أزمة الطبقة الحاكمة" التى أسسها عبد الإله، وصارت الطبقة الوسطى تتغلغل فى نظام "النضال الثوري" الذى أسسه الشيوعيون.

فى 23مايو (أيار) حدث إضراب من الأعيان فلم يحضروا جلسة الأعيان فى حكومة توفيق السويدى وتركوها بلا مال فلم تستمر هذه الحكومة لأكثر من ثلاثة أشهر حتى سقطت.

بعد سقوط حكومة توفيق السويدى تولى الوزارة أرشد العمرى وسُميت حكومته "الحكومة الليبرالية" وكانت يده ثقيلة وسنرى ماذا سيفعل؟

فى 28 يونيو (حزيران) 1946م (1365هـ) نظمت "الرابطة المضادة للصهيونية" مظاهرة فى بغداد شارك فيها حزب التحرير الوطنى وسار فيها حوالى 3000 طالب وعامل،

(7) توفيق السويدى: ملاك سياسى ينحدر من عائلة الأشراف والعلماء.

وهتفت ضد الظلم فى فلسطين وبطرد الإنجليز من العراق، واتجهوا نحو السفارة البريطانية وفشل رجال الشرطة فى تفرقتهم بالهراوات، فأطلقوا النار عليهم بأمر من أرشد العمرى وقُتِل متظاهر ولأول مرة تحدث أن يُطلق النار على المتظاهرين فى العراق، بعدها تفرَّق المتظاهرون ساخطين على حكومة أرشد العمرى وعبد الإله وازدادوا تشبثاً بحزب النضال الثورى الشيوعى.[1]

فى 3 يوليو (تموز) نظَّم الحزب الشيوعى حركة إضراب فى غاووورباغى (حدائق الكفار)[2]، شكَّل هذا الإضراب حوالى 5000 عاملاً فى شركة النفط فى كركوك وبلغ الإضراب ذروته فى 12 يوليو عندما أطلق رجال الشرطة وابلاً من الرصاص فقُتِل مالا يقل عن عشرة وجُرِح سبعة وعشرون، فصار الناس يستاءون من حكومة أرشد العمرى وبدءوا ينظرون إلى الشيوعيين على أنهم أصدقاؤهم الحقيقيون.

دعا الحزب الشيوعى جميع المنظمات إلى توحيد عملها ونشاطها ضد الحكومة ونتيجة لذلك حدث إضراب سُمِّيَ "بإضراب تودهلد" فى حقول نفط عبادان فى 16 يوليو، ووُجه هذا الإضراب بالقمع ولكن القمع لم يعد يُجدى نفعاً بل زاد من كراهية الشعب للحكومة عندها رأى أرشد العمرى أن الأمور خرجت عن يديه فقدم استقالته فى 16 نوفمبر (تشرين الثانى) 1946م (1366هـ).[3]

رأى الوصيّ عبد الإله أن الأمور بدأت تزداد سوءاً إلى سوء وخاصةً بعد سياسة أرشد العمرى الفاشلة، فقرر أن يعيد نورى السعيد إلى الوزارة لعله يساعده فى حلّ بعض الأمور والأزمات المستعصية.

(فى هذه السنة 1946م انتهت مدة الانتداب البريطانى الثانى)

---

(1) العراق والحزب الشيوعى – الكتاب الثانى – لحنَّا بطاطو، الفصل العاشر: أوضاع جديدة، معالجات جديدة صفحة 181 – 194.

(2) غاوور باغى: سُميَّت بحدائق الكفار لأن أصحابها مسيحيون.

(3) العراق والحزب الشيوعى – الكتاب الثانى – لحنَّا بطاطو، الفصل العاشر: أوضاع جديدة، معالجات جديدة صفحة 181 – 194.

لما تسلم نورى السعيد الوزارة رأى أن "حزب النضال الثوري" قد استفحل أمره ومن الصعب السيطرة عليه، فرأى أن أفضل طريقة هى التودد إليه، فأرسل رسالة فى 1 ديسمبر (كانون الأول) 1946م إلى زعيم الحزب الشيوعى كامل الجادرجى يستعطفه فيها، لكن فهد – قائد الحزب – رفض الاستجابة لنورى السعيد ووضح لكامل الجادرجى أن حكومة نورى السعيد تسعى لتعزيز المشروعات الاستعمارية فقط لا غير.

بعد هذا الرد الشديد من فهد، وزَّع رؤساء الحزب مقالة أن حكومة نورى السعيد تسعى لكسب الوقت لكى تُسقِط نظام النضال الثورى كما أسقطت عدة حكومات سابقة وأنها تسعى لتمديد الاستعمار البريطانى فى العراق، فنادى "حزب النضال الثوري" مع نظام "الرابطة المضادة للصهيونية" أن حكومة نورى السعيد يجب أن تسقط لتعاونها الواضح مع الاستعمار البريطانى.

رأى نورى السعيد أن جميع محاولاته باءت بالفشل، فوجَّه ضربة قاصمة للحزب الشيوعى وهى فى 18 يناير (كانون الثانى) 1947م (1366هـ) اعتقلت الشرطة فجأة فهداً وشركاءه الرئيسيين، مُلحقة بالحزب الشيوعى جرحاً بليغاً، قُبِض على فهد فى منطقة الكرخ ببغداد وممن قُبِض عليه معه أقرب أصدقائه زكى بسيم وعبد العزيز عبد الهادى فى بيت الصيدلى إبراهيم ناجى شميل.

قامت الشرطة بتقييدهم ووضعهم فى مرحاض ملئ بالقذارة ثم قامت بأخذ كل واحدٍ على حدة وانهالت عليهم ضرباً بالسياط ثم التحقيق معهم، زكى بسيم تحمَّل كل هذه العقوبات ولم يدلِ بأى اعتراف، أما فهد فلم يتحمل التعذيب واعترف بأن هناك حزب سرى يُدعى "الحزب الشيوعي" ولكنه لم يُخبِر من هم الأشخاص المشتركين فى هذا الحزب، ثم قاموا بنقل فهد ومن اعتُقِل معه إلى سجن أبو غريب العسكرى، وكانت الزنزانات التى أُلقِيَ فيها المعتَقلون ضيقة ورطبة وبلا تهوية ولا إضاءة لدرجة أن السجناء ما عادوا يفرقون بين النهار من الليل وحتى أن عبد العزيز عبد الهادى أُصِيب بحالة من الجنون لفترة من الزمن. بعدها بأسبوعين سُمِح لهم بالخروج إلى الشمس لمدة ربع ساعة.[1]

(1) العراق،الحزب الشيوعى – الكتاب الثانى – لحنَّا بطاطو، الفصل الحادى عشر: اعتقال فهد وما بعده صفحة 195 – 102.

لما سمع أعضاء الحزب الشيوعى الذين لم يتم اعتقالهم بما جرى لأصدقائهم من التعذيب انتابهم الخوف ووقفوا ساكنين، وبدأ الحزب الشيوعى بالانهيار.

فى مارس (آذار) تخلّى نورى السعيد عن رئاسة الوزراء ومنحه لرجل شيعى اسمه صالح جبر.

لكن فى أبريل (نيسان) 1947م ومن داخل سجن أبو غريب أرسل فهد بتعليمات صريحة تقول: "اتصل بالرفيق كمال وسلمه المسئولية" والرفيق كمال هو الاسم المستعار لمالك سيف وكان بالبصرة حتى لا يتم اكتشافه بسهولة، فبدأ الحزب الشيوعى بالظهور مرة أخرى بعد أن كاد ينهار.

فى 13 يونيو (حزيران) أعلن فهد وجماعته إضراباً عن الطعام وقال فهد: "الموت جوعاً على الموت البطيء" وفى اليوم الثامن من الإضراب يوم 21 يونيو أُخِذ السجناء إلى المحكمة الجنائية العراقية العليا ليُحَاكموا وكانت التُهم الموجهة لهم - نذكر بعضاً منها وهى: الاتصال بدولة أجنبية (الاتحاد السوفيتى) ومع حزب توده الإيرانى والتحريض على العصيان المسلح والتهمة الأكبر نشر الشيوعية بين أفراد القوات المسلحة، ردَّ فهد على هذه الاتهامات بأنها غير صحيحة فليس هناك دليل لوجود علاقة بين الشيوعيين والاتحاد السوفيتى وأن الحزب الشيوعى أصلاً يعانى من الفقر ودخله يأتيه من بيع صحيفته "القاعدة"، أما الدعوة إلى العصيان المسلح فإن رد فهد كان، أنه لو يملك الحزب أسلحة لقام بتسليح أتباعه من باب أولى فهذا يدل على أنهم لا يملكون أسلحة أصلاً، أما تهمة بث الشيوعية بين أفراد القوات المسلحة فإن فهد لم يستطع أن يرد على هذه التهمة لأن الدليل كان واضحاً ولا مجال للإنكار.(1)

بعدها بيومين فى 23 يونيو (حزيران) أصدرت المحكمة حكمها بأن فهد مذنب وحكمت عليه بالإعدام هو وزكى بسيم وإبراهيم الناجى صاحب الصيدلية، وحكم على 13 شيوعيّاً بالأشغال الشاقة لمدد مختلفة.

---

(1) العراق،الحزب الشيوعى - الكتاب الثانى - لحنّا بطاطو، الفصل الحادى عشر: اعتقال فهد وما بعده صفحة 195 -102.

بعد إصدار حكم الإعدام بحق الثلاثة احتجت الدول العربية المجاورة والدول الأوروبية على هذا الحكم ووصفته أنه حكم سيئ، وفى 13 يوليو (تموز) عدلت المحكمة عن الأحكام، وحكمت على فهد بالأشغال الشاقة المؤبدة وزكى بسيم بالأشغال الشاقة لمدة 15 عاماً، ثم قاموا بنقلهم فى ليلة 15-14 أغسطس (آب) إلى سجن الكوت فى الجنوب الشرقى من بغداد، وفى سجن الكوت كوَّن بغداد وأتباعه مدرسة شيوعية فى السجن وبدأ ينشر أفكاره ونظامه للسجناء المحكومين عليهم بالسجن لمدة قصيرة، وكان فهد يرسل رسائل مكتوبة بعصير البصل مع السجناء الذين يتم إخراجهم ويوجهها إلى منظمة الحزب الشيوعى وكل ما عليهم هو أن يسخنوها على لهب المصباح فتظهر الكتابة أيُّ دهاءٍ سلكه هذا الرجل بالرغم من أنه سجين ولكنه لم يستسلم ولم يخف من العقوبة التى ستحل به لو كُشِف أمره؟!![1]

انتقل مالك سيف (الرفيق كمال) من البصرة إلى بغداد فى يونيو (حزيران) وبصياغة فهد للقرارات الكبرى من خلف القضبان، والإشراف اليومى من قبل مالك سيف استعاد الشيوعيون توازنهم ورفعوا جباههم من جديد، وفى نوفمبر (تشرين الثانى) اتَّحد الحزب الشيوعى مع حزب الشعب الذى وُجِه بالقمع واتَّحد معهم الديموقراطيون الأكراد والجناح التقدمى من الوطنين الديموقراطيين تحت لواء جبهة موحدة سُمِّيَت "بلجنة التعاون" وقام بقيادتها مالك سيف.

فى 28 ديسمبر (كانون الأول) 1947م (1367هـ) دعا نورى السعيد الوصـــى عبد الإله بعد تفاوض سرى مع الحكومة البريطانية حول إقامة معاهدة أخرى مع بريطانيا.

فى 4 يناير (كانون الثانى) 1948م (1367هـ) عُقِد اجتماع سرى فى مقر حزب الاستقلال حضره أعضاء اللجنة العليا للحزب الشيوعى وطلاب الحقوق وتحدث الجميع بشأن مظاهرة، وشددوا على الحاجة إلى النزول إلى الشوارع، وفى صباح اليوم التالى 5 يناير (كانون الثانى) نزل طلاب مدرسة الكرخ الثانوية إلى الشوارع وخرج طلاب الأعظمية فى

---

(1) العراق،الحزب الشيوعى - الكتاب الثانى - لحنًّا بطاطو، الفصل الحادى عشر: اعتقال فهد وما بعده صفحة 195 - 102.

مظاهرة سلمية تنوى التقدم إلى القصر الملكى وما إن اقتربت من مدرسة الحقوق حتى ظهر رجال الشرطة وسدُّوا الطريق، وسارع طلاب الحقوق إلى الخروج من قاعتهم للانضمام إلى المتظاهرين لكنهم صُدُّوا بواسطة الهراوات أولاً ثم بإطلاق النار، وسقط العديد منهم جرحى واعتقل 39 آخرون، وأُغلِقت مدرسة الحقوق وما إن سمع طلاب الكليات الأخرى بهذا الخبر حتى أعلنوا إضراباً عاماً فى جميع الكليات فى اليوم التالى للمظاهرة.

فى يوم6 يناير (كانون الثانى) لانت الحكومة وأفرجت عن المعتقلين وأعادت فتح مدرسة الحقوق فى يوم 8 يناير (كانون الثانى).

هذه الأحداث ستكون تمهيداً لحدث خطير وهو حدث "الوثبة".

عام الوثبة (1948م) (1367 - 1368 هـ)[1]

كانت مظاهرة 5 يناير (كانون الثانى) منظمة من قبل حزب الاستقلال وانتهت المظاهرة فى 8 يناير، وساد بغداد هدوء كامل من 8 إلى 15 يناير وخلال هذه الفترة توجه وفد رسمى عراقى برئاسة صالح جبر ونورى السعيد إلى لندن لتوقيع المعاهدة الجديدة والتى تحوى ما يلى: (نذكر بعضاً منها وأهمها) التزام العراقين بتحالف وثيق مع بريطانيا، وتعهد العراق بدعوة قوات بريطانية إلى أراضيه فى زمن الحرب أو التهديد به، وأن تُمد هذه القوات بالمساعدة، وأن يُسمَح باستمرار القوات الملكية الجوية البريطانية فى قاعدتى الشعيبة قرب البصرة والحبانية غرب الفرات الأعلى حتى انسحاب الجيوش المعادية (وكان هذا الانسحاب لا يبدو قريباً فى الوقت الحالى).

وُقِّعَت هذه الاتفاقية فى بورتسماوث فى لندن فى 15 يناير وسميت معاهدة بورتسماوث وفى اليوم التالى فى 16 يناير أُعلِن عن هذه الاتفاقية.

لما سمع الناس بهذه الاتفاقية المبرمة بين الحكومة وبريطانيا وإخفاء أمرها عن الشعب أضرب الناس إضراباً عاماً فى جميع المدن العراقية وبدأت المظاهرات تنتشر،

(1) العراق، الحزب الشيوعى - الكتاب الثانى - لحنَّا بطاطو، الفصل الثانى عشر: الوثبة صفحة 203 -224.

وعندما سمع فهد وهو فى السجن بهذه الاتفاقية أرسل رسالة من سجن الكوت يطلب الحزب الشيوعى استعدادات لإنزال قواته إلى الشارع.

فى يوم 20 يناير بدأت حركة "الوثبة" فخرجت قوات الحزب الشيوعى واشترك معها الأكراد الديموقراطيون والحزب الوطني الديموقراطى وحزب الاستقلال وغيرهم من الشرقاوية (طبقة فقيرة).

امتلأت شوارع بغداد بالمتظاهرين، وردَّت الشرطة بإطلاق النار لتفرقهم ولكن هذه الجموع أصبحت أكثر مرارة وأشد جرأة ومن الذين قتلوا من جراء إطلاق النار طالب فى كلية الصيدلة، فجرت رصاصة دماغه وحمله رفاقه إلى عميد الكلية فارتعد اشمئزازاً وقدم استقالته وسار على منواله أساتذة كليتى الطب والصيدلة وأطباء المستشفى.

اشتبك المتظاهرون مع رجال الشرطة بالعصى الفخمة فتركوهم كالحطام فى بحر هائج.

شعر الوصى عبد الإله بالرعب من هذه الأحداث فظهر فى تلك الليلة وتبرَّأ علناً أمام المتظاهرين من هذه الاتفاقية، لما سمع حزب الاستقلال كلام الوصى انسحب من المظاهرة لكن البقية استمروا، وفى 22 يناير تعالت الهتافات "تعيش الجمهورية"، "يعيش نضال الشعب"، "يعيش الحزب الشيوعي"، "أفرِجوا عن أُسود الكوت" يقصدون فهد ومن معه فى سجن الكوت.

ازداد عدد المتظاهرين من الطلبة وانضم إليهم عدد كبير من العمال وبعض النسوة.

عاد نورى السعيد وصالح جبر إلى بغداد، ورأى نورى أن ليس هناك غير طريقة واحدة لمواجهة الحشود الثائرة، وهى سحقهم حتى تستعيد الحكومة هيبتها، والمتظاهرون يصيحون بأعلى أصواتهم بإسقاط حكومة صالح جبر وتشكيل "حكومة وطنية ديموقراطية".

فى يوم 23يناير (كانون الثانى) اشتبك المتظاهرون مع قوات الشرطة وأطلقت الشرطة وابلاً من الرصاص وقتل الكثير من المتظاهرين، ولكن المتظاهرين استطاعوا أن يشتتوا قوات الشرطة وقاموا بإحراق عربة مدرعة وأجبرت قوات الشرطة على الانسحاب.

لما سمع صالح جبر بهذه التطورات الخطيرة هرب إلى الفرات ثم إلى إنجلترا فى النهاية، فقام الوصى عبد الإله بتنصيب محمد الصدر على الوزارة وهو سيد شيعى ورجل دين.

كانت الشاحنات تنقل المتظاهرين باستمرار من أماكن عدة والقطارات تنقلهم من الجنوب، والذى قام بتمويل حركة الوثبة هم اليهود التجار الشيوعيون الساكنون العراق أمثال إبراهيم شاءول ومير يعقوب وصهيون البزاز. (أعطت الوثبة الحزب الشيوعى دفعة قوية إلى الأمام، واتسع نطاق جاذبيته وتنامى عدد أتباعه).

من الأشياء التى حققتها"الوثبة"خلال الفترة من 27يناير (كانون الثانى) وصيف 1948م "ذروة الوثبة" ما يلى:

أُعلن الإضراب فى السكك الحديدية فى 18 مارس و 14أبريل و 12مايو وفى الميناء أُعلنت إضرابات فى 4و6 أبريل و 2و18مايو،وشُلت محطة ضخ النفط k3 من 23أبريل إلى 15 مايو.

من الذين اشتركوا في"الوثبة"إلى جانب الحزب الشيوعى حزبان قويان وهما: حزب الأحرار والوطنيون الديموقراطيون، وكان فهد يخاطب رؤساء حزبه بتقوية العلاقة مع هذين الحزبين، لكن فيما يبدو ومع مرور الأيام اتضح أن هذين الحزبين لم يشتركوا فى "الوثبة" إلا لكى يخدموا مصالحهم الخاصة ولا أدل من ذلك إلا انسحابهما من جموع "الوثبة" وتركهم للحزب الشيوعى يواجه مصيره.

فى الأشهر الأخيرة من عام 1948م تمزق مركز الحزب الشيوعى وأُعتقل أفضل منظميه وزج بهم فى السجون وتوالت المصائب على الشيوعيين بعد خيانة عبد

الوهاب بن عبد الرازق - العضو المرشح السابق للجنة المركزية للحزب الشيوعى - حصل هذا فى يوم 9أكتوبر (تشرين الأول) 1948م (1368هـ) عندما ذهب عبد الوهاب إلى السلطات وكشف لهم عن شخصية مالك سيف - المسئول الأول للحزب الشيوعى - وأخبرهم بمكان إقامته فى حى الهيتاويين فى بغداد، بعدها بثلاثة أيام هاجم الشرطة منزل مالك سيف واعتقلوه مع عدد كبير من الثوريين.

سؤال: لماذا اختار عبد الوهاب طريق الخيانة؟!

لأنه تعب من العيش مختبئاً فى الجحور والظلمات فقدم مصلحته على مصلحة أصدقائه فى الحزب الشيوعى.

بالقبض على مالك سيف انكشفت معظم أوراق الشيوعيين ومما اكتُشف تحريض فهد للحزب الشيوعى وهو فى السجن.

فى 10 فبراير (شباط) 1949م (1368هـ) أُحضِر فهد ومعه زكى بسيم وحسين محمد الشبيبى وحُكِم عليهم بالإعدام شنقاً حتى الموت.

نُفذّت الأحكام فى فجر يومى 14 و 15 فبراير (شباط) وشُنِق الثلاثة فى ساحات مختلفة من مدينة بغداد، ويُقَال أن فهد هتف بجرأة قبل نهايته وقال:

((لن يموت شعب يقدم الضحايا، الشيوعية أقوى من الموت)).

(هناك نقطة يجب التنويه عليها وهى؛ فى 15/5/1948م قامت حرب 48 بعد الإعلان عن قيام دولة إسرائيل فى فلسطين وانتهاء الانتداب البريطانى فى فلسطين وكانت الحرب بين القوات العربية من مصر والأردن وسوريا ولبنان والعراق، فى بداية الأمر كان الانتصار للعرب ولكن فى النهاية هُزمت القوات العربية فى 9/7/1948م وسُمِّى هذا العام بـ"عام النكبة" وفى عام 1949م اعتَرِف بدولة إسرائيل لدى الأمم المتحدة).

آثار تدمير القيادات الشيوعية: تعليقات صدرت عن أركادى سوفوروف سكرتير المفوضية السوفيتية حيث تحدث لبعض زواره وقال: (هل ظن نورى السعيد والطبقة

الحاكمة أن شنق هؤلاء الرجال أو غيرهم سيضع نهاية للحركة الشيوعية فى العراق؟ إن الأوضاع المتعفنة ستدفع الشعب بالضرورة، وليس الشيوعيون فقط إلى الاحتجاج ثم الثورة فى النهاية).

فى الأشهر الأخيرة من 1948م والنصف الأول من 1949م (1368هـ) بدأ الكثير من الأطفال والشباب اليافع فى الانخراط فى عضوية الحزب الشيوعى بالسر وسميت هذه الفترة بفترة "الشيوعيون الأطفال" أو فترة "الشيوعيون اليافعون".

سؤال: هل الاتحاد السوفيتى يسعى لمساعدة الشيوعيين أم هناك سبب آخر؟

لو نظرنا إلى الاتحاد السوفيتى فإننا نرى أن حكومته حكومة شيوعية وتريد أن تطبق هذا النظام فى العراق لتضع مصالحها والدليل على ذلك أن الشيوعيين كانوا ينتقدون السياسة البريطانية فى فلسطين وتوطيد اليهود، بينما الاتحاد السوفيتى أبدى تأييده لقرار تقسيم فلسطين إلى دولتين دولة عربية وأخرى إسرائيلية ولم يكتف الاتحاد السوفيتى بذلك بل ضغط على الحزب الشيوعى فى العراق حيث فى النهاية فى يوليو (تموز) 1948م وبعد هزيمة الجيوش العربية ضد إسرائيل فى حرب 48، دعا البيان المعنوى للحزب الشيوعى تأييده لإقامة دولة عربية ديموقراطية مستقلة فى الجزء العربى من فلسطين ووافق على قرار التقسيم فهذا القرار التافه قلل من نفوذ الشيوعيين بين الفلاحين والعمال العرب.

فى النصف الثانى من 1949م (1369هـ) بدأ النظام الشيوعى ينشط من جديد وبدأ الناس المرتدون بالالتفاف حوله، فتم تشكيل اللجنة المركزية فى يونيو (حزيران) 1949م، وفى فبراير (شباط) 1950م (1369هـ) عادت صحيفة القاعدة للظهور من جديد، وغادر حوالى مائتى شاب إلى روسيا لتلقى تدريب منتظم على ممارسات الثورة والعصيان، والفضل فى إعادة النشاط إلى الحزب الشيوعى يعود إلى بهاء الدين نوري[1].

(1) بهاء الدين نورى: شاب كردى سنى، اتصف بالهدوء والرزانة، ولد فى عام 1927م فى قرية دالوجة فى محافظة السليمانية.

استلم بهاء الدين مسئولية الحزب فى الأقطاع الشمالية، وسلَّم مسئولية الجنوب لرجل اسمه زكى وطبان[1] ولكن بعد اعتقال زكى وطبان فى سبتمبر (أيلول) 1949م تسلم بهاء الدين مسئولية الحزب كاملة وبقى فى موقع السيطرة حتى فبراير (شباط) 1953م.

- فى ديسمبر (كانون الأول) 1950م ماتت الأميرة عالية أم الملك فيصل الثانى وزوجة الملك غازى وأخت الوصى عبد الإله بسبب مرض خبيث انتقل فى سائر جوفها فماتت منه.

فى عام 1951م (1370هـ) حدث حادث لملك العراق فيصل الثانى وهو أنه أُصِيب بحالة أزمة حادة وصعوبة فى التنفس (وهى حالة ربو حادة) حاول أطباء القصر مساعدته وإعطاءه الأدوية المفتحة للشعب الهوائية ولكنها لم تسفر عن نتيجة، فاستدعوا الدكتور محمد حسن سلمان فقدم فرأى أن حالة الملك ميئوس منها حتى أن الملك نفسه يرى أنه لا مفرَّ من الموت فعندها قرر الدكتور محمد أن يعطيه حقنة أدرينالين على الرغم من أن هذه الحقنة ممكن أن تؤدى إلى وفاة الملك. حقن الدكتور حسن الملك بالحقنة وانتظر وما هى إلا دقائق حتى فاق الملك من علته وشعُر بتحسن غير طبيعى وفرِح الجميع بنجاة الملك من موت محقق.[2]

فى يونيو (حزيران) 1952م (1371هـ) وقع إضراب وصدام بين قوات الحزب الشيوعى مع قوات القاعدة العسكرية البريطانية فى الحبانية ووقع مصابون من أفراد القاعدة، وفى الفترة 23 إلى 27 أغسطس (آب) شلت الاحتجاجات الميناء ومنشآت الماء والكهرباء فى البصرة وأدت هذه المظاهرة إلى مقتل ثلاثة عمال وجرح 29 آخرين.

فى أواخر 1952م ومطلع 1953م (1372هـ) اندلع تمردان قادهما الفلاحون أحدهما فى الجنوب والآخر فى الشمال، التمرد الجنوبى كان فى مدينة العمارة والسبب أن الحكومة قررت تحويل ملكية الأراضى إلى المشايخ وعائلتهم، فتفجر غضب الفلاحين وحدثت

---

(1) زكى وطبان: شاب عربى سنى، ولد فى البصرة فى عام 1924م، واشتغل فى التقنية.

(2) الملك فيصل الثانى آخر ملوك العراق، للدكتور لطفى جعفر فرج، فصل الملك فيصل الثانى صفحة 120 - 124.

الاشتباكات فقتل فلاحان وأُحرِق أحد رجال المشايخ حياً حتى الموت فاستنجد المشايخ برجال الشرطة فأتت الشرطة وردَّت على التمرد بالقوة وبوحشية وسقط الكثير من الفلاحين قتلى.

أما التمرد الشمالى فكان فى كردستان وقاد هذا التمرد الشيوعيون أنفسهم وانتهى التمرد بالهزيمة وقُتل عشرة فلاحين وطُرِد بضعة آلاف من بيوتهم، ونتيجةً لهذين التمردين اندلعت فى بغداد فى شهر نوفمبر (تشرين الثانى) 1952م عاصفة من الجمهور الغاضب عُرِفت بِـ "انتفاضة تشرين الثاني".

انتفاضة تشرين الثانى (نوفمبر) 1952م [1]

ما الأسباب لاندلاع انتفاضة تشرين الثانى 1952م (1372هـ)؟

من الأسباب:

ضياع فلسطين وتخلى القوات العربية عنها.

عدم الاهتمام بمصالح العامة من الناس فمثلاً الطبقة الأدنى "الشرقاوية" فى بغداد كانوا لا يزالون يعيشون فى أكواخ من الطين ويأكلون الطعام الملوَّث ويكدحون فى العمل الشاق بأجور غير معقولة.

المعاهدة مع بريطانيا وضعف حكومة النظام الملكى حيث إن الوصى عبد الإله لا يملك من الأمر شيئاً وإنما ينفذ ما تأمره به بريطانيا.

فى 17 نوفمبر (تشرين الثانى) 1952م، عُقد اجتماع سرى للأفراد الشيوعيين وحضره فائق السامرائى وكامل الجادرجى وطه الهاشمى وعبد الوهاب بن محمود وتضمن التفاهم على إيجاد " لجنة اتصال " الهدف منها تسهيل تبادل وجهات النظر وتأمين الانسجام فى العمل.

---

(1) العراق والحزب الشيوعى - الكتاب الثانى - لحنَّا بطاطو الفصل العشرون: انتفاضة تشرين الثانى (نوفمبر) صفحة 329 - 333.

بعد خمسة أيام فى 22نوفمبر (تشرين الثانى) تعالت الصيحات "يسقط الوصى عبدالإله الخائن" وأخرى تقول "اخرجوا من بلدنا أيها الإمبرياليون الأنجلو-أمريكيون" وأدى ذلك إلى اشتباك وتبادل إطلاق النار بين المتظاهرين ورجال الشرطة فقتل شخص واحد وجرح 52 منهم 38 شرطياً، وفى اليوم التالى 23نوفمبر (تشرين الثانى) استمرت المظاهرة وصارت أكثر اتساعاً وشارك إلى جانب الشيوعيين "رابطة الشباب القومي" وهى فرع عراقى وليد من حزب البعث، هاجم المتظاهرون مكتبة "مكتب المعلومات الأمريكي" وقاموا بإضرام النار فيها، وكان بهاء الدين نورى مشاركاً فى هذا اليوم وقام المتظاهرون باحتلال مخفر الشرطة عند باب الشيخ ببغداد، وما أن غابت الشمس حتى أُستدعى الجيش على عجل وكُلف الزعيم نور الدين محمود – رئيس أركان الجيش، كردى الأصل – بإخماد هذه الثورة، وفى صباح اليوم التالى 24 نوفمبر (تشرين الثانى) أطلقت قوات الجيش العيارات النارية على المتظاهرين وقتلت 18 وجرحت 84 وبدأت الاعتقالات فى صفوف الشيوعيين وبحلول نهاية نوفمبر (تشرين الثانى) كان قد أُلقى بـ 958 شخصاً فى السجن وتم اعتقال 2041 شخصاً بشكل مؤقت وحُكم على اثنين بالإعدام.

بعد القضاء على ثورة تشرين الثانى بدأ الحزب الشيوعى فى الانشقاق والتزعزع وبدأ كبار التنظيم فى الحزب بالانسحاب، وفى 13 أبريل (نيسان) 1953م (1372هـ) قُبض على بهاء الدين النورى – سكرتير اللجنة المركزية للحزب- وانتقلت السلطة إلى عبد الكريم بن أحمد الداوود[1]، عبد الكريم لم يكن بذاك الرجل الذى يستحق قيادة الحزب الشيوعى ففى عهده تم إقناع اللجنة المركزية بالتخفيف من تصلبها وحماستها ونُودى بإنشاء "حكومة وطنية ديمقراطية تخدم السلام وتحقق مطالب الشعب".

فى يونيو (حزيران) 1954م (1373هـ) هرب حميد بن عثمان[2] من السجن وتسلم قيادة الحزب وكان أكثر تألقاً وأكثر تهوراً، وكان يُظهر فى كل ما يفعله حماسة كبيرة وخبرة

---

(1) عبد الكريم بن أحمد الداوود: كردى سُنى من مواليد 1922م فى أربيل متخرج من معهد المعلمين الابتدائى، من الطبقة الوسطى الدنيا، التحق بالحزب الشيوعى عام 1945م.

(2) حميد بن عثمان: كردى سُنى ولد فى عام 1927م فى قرية بير داوود، كاتب عرائض من الطبقة الوسطى الدنيا، سُجن فى عام الوثبة 1949م وهرب من السجن عام 1954م وتسلم قيادة الحزب.

ضئيلة، وفى عهده ظهرت مواجهات بين حزبه والشرطة، مواجهات مكلفة لا معنى لها، ولما رأى أعضاء الحزب من تهوره ما رأوا، أزاحوه عن منصبه فى يونيو (حزيران) 1955م (1374هـ) وطُرد من الحزب فى عام 1956م، بعد إزاحة حميد بن عثمان عن منصبه تسلم القيادة حسين بن أحمد الرضى بينما بقى حميد بن عثمان سكرتيراً للحزب وتم تشكيل اللجنة المركزية من جديد التى ضمت ثلاثة رجال عُرفوا بأقوياء الحزب الجديد وهم:

1) حسين الرضي

2) عامر العامرى

3) جمال الحيدرى

ولكن قبل التحدث عن هؤلاء الأعضاء نرجع إلى لُبِّ موضوعنا وهو الملك فيصل الثانى بن الملك غازى وما واكبه من أحداث.

الملك فيصل الثانى(1)

هو فيصل بن غازى بن فيصل بن حسين بن على الشريفى، ولد فى يوم الخميس الموافق 2 مايو (آيار) 1935م فى قصر الزهو ببغداد، بويع بولاية العهد بعد مصرع أبيه فى 1939م وأخذ خاله عبد الإله الوصاية فكانت الفترة من 1939 - 1953م فترة غياب سياسى للملك فيصل الثانى، وقد عمل خاله عبد الإله على تعويمه وإبقائه تحت تأثير الطاعة العمياء عاش الملك فيصل فى كنف أخواله حيث عاش مع أمه الأميرة عالية وأخوها عبد الإله وأخواتها الثلاثة، عابدية الأخت الكبرى وبديعة وجليلة، حاول خاله عبد الإله أن يبعده كل البعد عن سياسة أبيه الحازمة خاصة ضد الإنجليز، كان الملك فيصل يعانى من داء الربو منذ صغره، فى عام 1947م سافر إلى لندن برفقة والدته عالية والتحق بمدرسة ساندرويد ووصفوه معلموه الإنجليز أنه كان فتاً هادئاً ذكياً محباً للعلم والتعلم، ثم التحق بكلية هارو الإنجليزية فى عام 1949م، عاد إلى بغداد مع أمه عالية فى عام 1950م بعد أن

(1) الملك فيصل الثانى آخر ملوك العراق للدكتور لطفى جعفر فرج، فصل الملك فيصل الثانى، نشأته صفحة 89 -98.

استفحل بها المرض وجلس إلى جانبها حتى ماتت فى ديسمبر (كانون الأول) 1950م، رجع فيصل إلى بريطانيا فى فبراير (شباط) 1951م لمواصلة دراسته فى كلية هارو برفقة خاله عبد الإله، وزار نيويورك مع خاله عبد الإله فى 21 أغسطس (آب) 1952م، أنهى دراسته من كلية هارو فى أكتوبر (تشرين الأول) 1952م بعد أن حصل على النجاح بتفوق وعاد إلى عاصمة ملكه بغداد فى 30 أكتوبر (تشرين الأول)، فى 2 مايو (آيار) 1953م (1372هـ) تم تتويج الملك فيصل وأصبح ملكاً للعراق عندما أكمل السنة الثامنة عشرة من عمره وأعلن خاله عبد الإله انتهاء الوصاية.

تسلم الملك فيصل المُلك وكان بعيداً عن ميدان التفاعل والاحتكاك بشباب بلده، فلم يتعرف على مشاكلهم وتطلعاتهم والسبب فى كل هذا يرجع لخاله الوصى عبد الإله.

اقترحت الأميرة عابدية - أخت عبد الإله - على عبد الإله أن يترك الملك فيصل ليحكم البلاد بمفرده، فأوضح لها أنه سيمكث معه لمدة سنة ولكن بعد السنة قال: "ينبغى أن أمكث معه، فالملك ما زال بحاجة إليَّ".

بدأ الملك فيصل عهده بافتتاح المشروعات والجسور وزيادة معسكرات الجيش والمؤسسات التقنية، وقام بتحسين العلاقات مع الدول المجاورة وتبادل الزيارات معها، فقام بزيارة ملك الأردن فى عمان الملك حسين بن طلال وزار رئيس الجمهورية اللبنانية الرئيس كميل شمعون وزار الملك السعودى سعود بن عبد العزيز فى الدمام وزار اسطنبول فى تركيا وطهران عاصمة إيران.

كان الملك فيصل يتصف بحبه للقومية العربية والدليل على ذلك توطيده للعلاقات مع جيرانه العرب وكان يحب شعبه العراق ويريد أن ينهض بهم ولكن فى وجود خاله عبد الإله ورئيس الوزراء نورى السعيد الذى يعتبر من أخبث الوزراء الذين مروا على الأمة العربية - وسنرى ذلك فيما بعد - تعتبر النهضة بالشعب العراقى من قبل الملك فيصل مستحيلة، لأن مقاليد الحكم أصلاً بيد عبد الإله ونورى السعيد الذين لا يهمهما سوى إرضاء بريطانيا.

الحزب الشيوعى فى عهد حكم الملك فيصل الثانى[1]

انتهى بنا الحديث إلى إزاحة حميد بن عثمان من قيادة الحزب الشيوعى فى يونيو (حزيران) 1955م (1374هـ) وتسلم أقوياء الحزب الجديد للسلطة المركزية وهم: حسين الرضى[2] وعامر العامرى[3] وجمال الحيدرى[4]، ومن هنا بدأ تعريب الحزب ووضع حداً للأكراد - لأن حميد كردى الأصل -.

فى عام 1956م (1375هـ) كان جمال عبد الناصر يحكم مصر وأقام علاقة مع الاتحاد السوفيتى من حيث استيراد الأسلحة حيث منعت بريطانيا وأمريكا بيع الأسلحة لمصر، وفى 27 يوليو (تموز) 1956م قام جمال عبد الناصر بالإعلان عن تأميم قناة السويس حيث إن قناة السويس كانت تابعة لشركة بريطانية وتذهب أرباحها وفوائدها لهذه الشركة فقام جمال عبد الناصر بتأميمها حيث تذهب الفوائد لمصر، فوصلت برقية إلى رئيس إنجلترا (أنطونى إيدن) وكان عنده الملك فيصل الثانى والوزير نورى السعيد، فقام نورى السعيد الخبيث بدفع أنطونى إيدن إلى اتخاذ إجراء عسكرى سريع ضد مصر وإلا فإن العلاقة المصرية السوفيتية إذا قويت فإنها ستكون خطراً على إنجلترا والشرق الأوسط معاً، الملك فيصل لما سمع هذه المؤامرة لم يكن مؤيداً لها لأنه بطبعه كان قومياً عربياً محباً للتواصل العربى والوحدة العربية ولكن ماذا يفعل وهو يعلم أن الأمور كلها بيد خاله الذى أيّد فكرة نورى السعيد ضد مصر؟!!

بعد ذلك عُقد اتفاق سريّ من أخطر الاتفاقيات بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على خطة هجوم ثلاثى على مصر، فبادرت إسرائيل بالهجوم فى 29/10/1956م فضُربت

(1) العراق، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الكتاب الثالث لحنا بطاطو الفصل الثانى: أقوياء الحزب الجدد حسين أحمد الرضى و عامر عبدالله وجمال الحيدرى صفحة 17-27.

(2) حسين الرضى: عربى شيعى ولد فى عام 1924م فى النجف متخرج من معهد المعلمين الابتدائى، التحق بالحركة الشيوعية عام 1943م واعتقل فى عام 1963م.

(3) عامر العامرى: عربى سنى، ولد فى عام 1924م فى قرية عان، محام متخرج من كلية الحقوق، التحق بالحركة الشيوعية عام 1951م، تزوج من امرأة بلغارية اسمها أنانكوفا عام 1959م.

(4) جمال الحيدرى: كردى سنى، ولد فى عام 1926م فى أربيل، التحق بالحركة الشيوعية عام 1945م، اعتقل فى يوليو (تموز) 1963م.

المطارات المصرية واُحتُلّت غزة[1] وسيناء ثم قامت بريطانيا وفرنسا بضرب ميناء بورسعيد واحتلال قناة السويس فصارت سيناء بيد إسرائيل وصارت قناة السويس بيد بريطانيا وفرنسا، عُرفت هذه الحرب بـ "حرب 56".

لما سمع الشعب العراقى والحزب الشيوعى - الحزب المعارض للحكومة - بالعدوان الثلاثى البريطانى - الفرنسى - الإسرائيلى على مصر فى أواخر أكتوبر (تشرين الأول) ضج الناس وتعالت الهتافات والمظاهرات فى المدن العراقية وعُلقت الملصقات فى الشوارع تحمل كتابات مثل "تسقط المحاكم العرفية" و "يسقط المجرم نورى السعيد" و "عاش جمال عبد الناصر" بينما نورى السعيد التركى الأصل وعبد الإله الشريفى صارا يخططان مع بريطانيا لضرب سوريا.

فى أول نوفمبر (تشرين الثانى) 1956م بدأت المظاهرة فى بغداد وتزايد المتظاهرون وبدأت الإضرابات تشل حركة السوق، وفى 24نوفمبر (تشرين الثانى) حدثت اشتباكات بين المتظاهرين وقوات الشرطة فضربت الشرطة بالأسلحة النارية فرد المتظاهرون بالنار أيضاً لأنهم كانوا مسلحين مما أجبر نورى السعيد إلى استدعاء قوات الجيش فقدم الجيش ولكن الجيش كان متساهلاً مع المتظاهرين فلم يشتبك معهم، ازدادت المظاهرات فى معظم المدن العراقية مثل النجف والكوفة والكوت وكركوك والحلة، لما سمع نورى السعيد بتطور هذه الأحداث الخطيرة والتى كانت لها ثمرة طيبة وهى كف يد نورى السعيد من التآمر ضد سوريا، ماذا فعل نورى السعيد ؟ بالنسبة لمظاهرة بغداد فهو يعرف نفسه أنه قادر على إخمادها سواء باللين أو بالقوة لكن المظاهرات فى المدن الأخرى فقد قام باستدعاء وزيرين سابقين من الشيعة ليتكفلوا بالمظاهرات فى النجف والكوفة وبالنسبة لمظاهرة الحلة فقد استدعى أكبر ملاكى الأراضى فى الحلة وهو عبد الوهاب مرجان، وهذا دهاء ومكر تعلمه من بريطانيا.

(1) غزة: من المدن التابعة لمصر فى ذلك الوقت.

أولاً: مظاهرة بغداد:

قام نورى السعيد باستدعاء تاجر الأعظمية وهو عبد الهادى الجلبى ليستفيد من دعمه المادى وقام نورى السعيد باستنكار شكلى صرح به ضد العدوان الثلاثى على مصر للجماهير الغاضبة ونشرت هذه المقولة فى الصحف، فبهذا التصريح الكاذب امتص غضب الجمهور وبدأت المظاهرة تقل شيئاً فشيئاً[1].

ثانياً: المظاهرة فى النجف:

توجه الوزيران السابقان الشيعيان إلى النجف فى 28 نوفمبر (تشرين الثانى) 1956م إلى علماء الشيعة بهدف تهدئة الناس، فأبدى العلماء موافقتهم ولكنهم ربطوا تدخلهم بالإفراج عن السجناء السياسيين وتعويض أهالي

الضحايا ومعاقبة رجال الشرطة ونقلهم من النجف فوافقت الحكومة على طلباتهم وبالتالى خمدت المظاهرة فى النجف ثم بعدها خمدت فى الكوفة وكربلاء بسبب تدخل علماء الشيعة وموافقة الحكومة لطلباتهم[2].

ثالثاً: المظاهرة فى الكوت:

بالنسبة لمظاهرة الكوت فقد بلغ الإضراب هناك أوج عظمته فى 17 ديسمبر (كانون الأول) فقد قام المتظاهرون بقطع خطوط الاتصال الهاتفية وضرب رجال الشرطة بالنار مما أجبرها على الانسحاب، لكن فى اليوم التالى 18 ديسمبر (كانون الأول) قامت قوات الشرطة بهجوم وحشى على المتظاهرين فقتلت من المدنيين أعداداً لم تعرف من كثرتها، وفى يوم 21 ديسمبر (كانون الأول) تم اعتقال الشيخ حمود سكرتير اللجنة الحزبية ومساعده الأساسى عطا مهدى، وفى 10 يناير (كانون الثانى) 1957م (1376هـ) مات الاثنان على حبل المشنقة التى أقيمت فى الساحة العامة، وبالتالى خمدت مظاهرة الكوت[3].

---

(1) العراق الكتاب الثالث: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار لحنا بطاطو الفصل الرابع: تعريب توجه الحزب الشيوعى وانتفاضات النجف والحى صفحة 57 - 65..

(2) نفس المرجع السابق.

(3) العراق الكتاب الثالث: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار لحنا بطاطو، الفصل الرابع تعريب توجه الحزب الشيوعى وانتفاضات النجف والحى صفحة 57-65.

على الرغم من أن نورى السعيد خرج من هذه العاصفة سالماً لكن هذه المظاهرات أثمرت عن أشياء طيبة التى لو حصلت لكانت مأساة للوطن العربى:

كفت يد نورى السعيد وشغلته عن التآمر ضد سوريا.

انشغل نورى السعيد بإخماد تلك المظاهرات ونسى تنفيذ بعض المخططات بعد الهجوم العدوانى على مصر فصار منشغلاً بنفسه وصارت مصر تخطط للرد على العدوان الثلاثى.

فى بداية عام 1957م (1376هـ) اشتعلت مقاومة إسلامية فى غزة ضد الاحتلال الصهيونى والاحتلال البريطانى والفرنسى لسيناء فكبدت هذا العدوان الثلاثى خسائراً مما اضطر هذا العدوان الثلاثى إلى الانسحاب من غزة وسيناء بفضل هذه المقاومة والضغط العالمى فى 6 مارس (آذار) 1957م (1376هـ).

الأسباب التى أدت إلى انسحاب العدوان الثلاثى كانت:

- مقاومة الشعب المصرى.

- تهديد روسيا للغرب.

- إصرار" أيزنهاور" بانسحاب المعتدين.

بعد فشل العدوان الثلاثى على مصر والموقف الشريف الذى وقفه الشعب العراقى أرسل الملك فيصل رسالة تبين مدى فرحة هذا الشاب وحبه للوحدة العربية وكراهيته لبريطانيا، نذكر بعضاً من تلك الرسالة: "تلقيت بسرور بالغ نبأ انسحاب القوات المعتدية من بورسعيد، وإنى انتهز هذه المناسبة لأعبر لسيادتكم وللشعب المصرى الكريم عن أصدق مشاعر الاغتباط والإعجاب، راجياً أن يتحقق فى وقت قريب بفضل تضافر جهود العرب ووحدة كلمتهم جلاء قوات الغدر الإسرائيلية....."[1]

(1) الملك فيصل الثالث آخر ملوك العراق للدكتور لطفى جعفر فرج، فصل الملك فيصل الثالث صفحة 180.

كان نورى السعيد يسعى إلى زيادة ثقل سلطانه وهو لا يعلم أن هناك تطور خطير جداً قد حدث، ما هو هذا التطور الخطير؟!

هو اتحاد الحزب الشيوعى مع حزب البعث العراقى وكونوا جبهة فى أواخر فبراير (شباط) 1957م (1376هـ) سُميت بـ "اتحاد الجبهة الوطنية" وكانت نقطة التجمع المركزية للجبهة فى "اللجنة الوطنية العليا" التى نشرت برنامج مؤلف مما يلى:

(إزاحة حكومة نورى السعيد وانسحاب العراق من حلف بغداد، اتباع سياسة الحياد الإيجابى وإطلاق الحريات الديمقراطية، إلغاء الأحكام العرفية وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين). طُبع فى المطبعة السرية للحزب الشيوعى فى 9 مارس (آذار) 1957م (1376هـ) ووزع فى أنحاء العراق.

تمثلت "اللجنة الوطنية العليا" من أربعة أشخاص هم: محمد حديد – نائب زعيم الديمقراطيين

- فؤاد الركابى – الأمين العام لحزب البعث
- محمد مهدى كُبَّة – زعيم الاستقلاليين
- عزيز الشيخ – العضو المرشح للجنة المركزية للحزب الشيوعى.[1]

نجحت الجبهة فى توحيد سلوك الأحزاب وإقامة رابط بين اللجنة الوطنية العليا والضباط الأحرار.قبل التحدث عن هذا الاتحاد الخطير سنعطى نبذة مختصرة عن حزب البعث وكيف نشأ.

(1) العراق الكتاب الثالث: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار لحنا بطاطو الفصل الخامس: تشكيل اللجنة الوطنية العليا فى شباط (فبراير) 1957م، صفحة 67 – 72.

حزب البعث[1]

أهدافه:

الدعوة إلى وحدة عربية قومية ليست وحدة لغاية وإنما هى حق طبيعى، لأن الأمة العربية عبارة عن مخلوق حى والرابط بين الإنسان العربى والأمة العربية رابط عضوى.

نلاحظ أن داخل حزب البعث قوة قومية علمانية لم تضع للدين موضعاً فى قوة الحزب، على العكس بل أن قوة الإسلام فى مبادئ حزب البعث يجب أن تكون بصيغة جديدة هى القومية العربية وأن المشاعر التى يثيرها الإسلام لخدمة القومية العربية يجب أن تستخدم لخدمة حزب البعث.

اعتمد حزب البعث على طريقة وهى الانقلاب على الدولة وذلك بنشر أفكاره بين ضباط الجيش وبدخول ضباط الجيش تحت نظام حزب البعث فإن قوة الحزب تعتمد على الجيش ويتسنى لهم عملية الانقلاب بكل سهولة وهذا على عكس ما لاحظناه فى الحزب الشيوعى الذى اعتمد على الإضرابات والمظاهرات التى عادة ما تنتهى بالفشل، ونلاحظ أن الجيش العراقى اندمج تحت نظام حـزب البعث فى مظاهرة بغداد فى نوفمبر (تشرين الثانى) 1956م عندما استدعى نورى السعيد قوات الجيش لإخماد المظاهرة ولكن الجيش عندما قدم كان متساهلاً مع المتظاهرين ولم يفعل لهم شيء والغريب فى الأمر أن نورى السعيد لم يلاحظ ذلك ولم يعطه أى اهتمام.

الخلاصة:

إذن نلاحظ أن حزب البعث اعتمد على ثلاثة أشياء أساسية وهى:

القومية العربية (العصبية القبلية) بغض النظر كون الإنسان مسلماً، سنياً شيعياً، نصرانياً، أرثوذكسياً أو كاثوليكياً.

---

(1) العراق الكتاب الثالث الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار لحنا بطاطو، الفصل الثالث: حزب البعث فى الخمسينات: أصوله معتقداته وتنظيمه وعضويته صفحة 29-56

النظام العلمانى لأن المشتركين فيه كانوا من ديانات مختلفة مسلمون ونصارى تجمعهم مصلحة واحدة (الوحدة العربية).

اعتماده على قوة الجيش لتنفيذ خطة الانقلاب وبعد تولى الحزب للسلطة فإن الجيش هو من يقوم بحماية الدولة داخلياً من المظاهرات الخطيرة وخارجياً من الهجمات المعادية.

مكان نشأة حزب البعث ومن هم مؤسسوه؟

فى عام 1932م عاد من باريس قادماً إلى دمشق كل من ميشيل عفلق (نصرانى أرثوذكسى) وصلاح البيطار بعد دراستهما العالية محملين بأفكار قومية وثقافة أجنبية وأخذا ينشران أفكارهما بين الطلاب والشباب.

نشأ حزب البعث العربى الاشتراكى فى سوريا فى منطقة لواء الأسكندرون فى أنطاكية على عدة مفكرين هم أكرم الحورانى وزكى الأرسوزى وميشيل عفلق و صلاح البيطار وجلال السيد.

* أكرم الحورانى: مسلم سنى محامٍ ولد فى مدينة حماة.
* زكى الأرسوزى: معلم ثانوى مسلم علوى ابن محامٍ فى لواء الأسكندرون فى إنطاكية.
* ميشيل عفلق: معلم مسيحى أرثوذكس وابن تاجر حبوب ولد فى دمشق.

العوامل التى أدت إلى ظهور حزب البعث هى:

- الاحتلال الفرنسى لسوريا.
- تقسيم الولايات العربية للإمبراطورية العثمانية وما نجم عن ذلك من قطع لخطوط التجارة القديمة.
- انحطاط النظام الاجتماعى الإسلامى.
- تأثير الأفكار الأوربية.
- ضعف الوطنيين العربيين.

فى 29 نوفمبر (تشرين الثانى) 1940م أسس زكى الأرسوزى حزبه القومى العربى "البعث العربي" الذى أُطلق على مكتبة أُستخدمت كمكان للقاء بأفراد جماعة الحزب وكان غالبية أفراد الحزب من الطلاب.

سبب تأسيس زكى الأرسوزى لهذا الحزب هو طرده من لواء الاسكندرون السورى العسكرى عندما قام بتحرك مكثف ضد الأتراك بين العامين 1936 و 1938م وانتهى هذا التحرك بسقوط لواء الاسكندرون بيد الأتراك وطرد زكى الأرسوزى.

فى عام 1944م (1363هـ) انضم إلى ذلك الحزب ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار، ميشيل عفلق كان فى الرابعة والثلاثين من عمره وهو كما قلنا مسيحى أرثوذكسى، صلاح الدين البيطار كان فى الثانية والثلاثين من عمره وهو مسلم سنى، كان عفلق والبيطار قد التقيا فى عام 1929م وصارا صديقين حميمين، وفى عام 1939م كانا قد شكلا جماعات سرية.

فى أبريل (نيسان) عام 1947م (1367هـ) افتتح المؤتمر الأول للحــزب وانتخب ميشيل عفلق عميداً للحزب والبيطار أميناً وجلال السيد ووهيب الغانم أعضاءً فى الحزب، وقرروا إصدار مجلة باسم البعث.

فى نوفمبر (تشرين الثانى) 1952م (1372هـ) اتحد حزب البعث بقيادة ميشيل عفلق والبيطار والسيد مع الحزب الاشتراكى الذى كان يقوده أكرم الحورانى ومن هذه الساعة بدأت قوة حزب البعث وصار يسمى بـ "حزب البعث العربى الاشتراكي".

كان معظم حزب عفلق من الطلاب وحزب الحورانى من الضباط والفلاحين فرأى عفلق أن فكرة حزب البعث صارت تسيطر على جميع الطبقات فقام بنشر منشورات بين جميع الطبقات توضح لهم أهدافه وماذا يسعى من أجله وشدد على أن تكون المنشورات سرية وتنقل إلى صف الضباط فى الجيش ولم يكتف بنشر منشوراته فى سوريا بل صار ينشرها فى العراق وخاصة فى وجود مثل هذه الاضطرابات فإن الإقبال على هذه الأفكار التى تدعو إلى توحيد العرب وقطع العلاقات الأجنبية سيكون إقبالاً واسعاً لأن الشعب العراقى طول هذه الفترة وهو يتمنى أن تنفذ مثل هذه الأفكار.

انتشر دعوة حزب البعث فى العراق انتشاراً سريعاً ويعود الفضل فى نشر هذه الدعوة إلى الرجل الشيعى فؤاد الركابى الذى تكفل بنشر هذه الأفكار منذ عام 1951 ميلادى واستطاع بدهائه أن يشكل حزباً بعثياً من الطلاب والمعلمين والأطباء والصيادلة والفلاحين والمحامين وغيرهم فى بغداد والناصرية - المحافظة التى ينتمى إليها-.

- من الذين تأثروا بأفكار البعثيين وأفكار عفلق "صدام حسين" الذى التحق بحزب البعث فى عام 1956م وبدأ يشارك الحـــزب فى الآراء والموضوعات المهمة، وهو لا يزال طالباً فى المرحلة الثانوية.

استمر أتباع حزب البعث العراقى فى التزايد حتى وصل الأمر إلى اتحاد حزب البعث بالحزب الشيوعى فى 9 مارس (آذار) 1957م (1376هـ) حيث تمثلت "اللجنة الوطنية العليا" من فؤاد الركابى (الأمين العام لحزب البعث) ومحمد حديد (نائب زعيم الديموقراطيين) ومحمد مهدى كُبّة (زعيم الاستقلاليين) وعزيز الشيخ (العضو المرشح للجنة المركزية للحزب الشيوعى)، وفى النهاية استطاعوا أن يرتبطوا برابطة مع الضباط الأحرار فى الجيش العراقى ومن هنا يطبق حزب البعث هدفه السامى وهو الانقلاب على الدولة لأن الجيش صار على علاقة مع حزب البعث.

فى يناير (كانون الثانى) 1958م (1977هـ) أُعتقل عزيز الشيخ - المرشح للجنة المركزية للحزب الشيوعى - وحلَّ محله كمال عمر نظمى وهو محام شيوعى.

الاتحاد العربى بين العراق والأردن[1]

فى 14 فبراير (شباط) 1958م (1377هـ) تحرك عبد الإله لإقامة اتحاد عربى بين العراق والأردن باعتبارها خطوة ضد الزحف القومى، واتفق كل من الملك فيصل الثانى والملك حسين بن طلال ملك الأردن على أن يكون ترأس الاتحاد بالتناوب لكن عبد الإله عارض بشدة هذا الاقتراح وانتهى هذا الاتحاد بالفشل بسبب سياسة عبدالإله ونورى السعيد.

---

(1) الملك فيصل الثالث آخر ملوك العراق للدكتور لطفى جعفر فرج، فصل الملك فيصل الثالث، ترأسه الاتحاد العربى صفحة 187 - 191.

الضباط الأحرار وثورة تموز (يوليو) 1958م (1377هـ)

الضباط الأحرار[1]

من هم الضباط الأحرار؟

نذكر أهم الشخصيات وهم:

- الرئيس الأول المهندس رفعت الحاج سرى الذى يعتبر المؤسس الفعلى لحركة الضباط الأحرار.
- الرئيس الأول المهندس رجب عبد المجيد وهو أول من ناقش فكرة نشر شبكة من الخلايا السرية فى صفوف القوات المسلحة.
- الزعيم ركن عبد الكريم قاسم آمر لواء المشاة 19 من الفرقة الثالثة من معسكر المنصور.
- الزعيم ركن يحيى الدين عبد الحميد رئيس أركان الفرقة الرابعة المدرعة من معسكر الوشاش.
- الزعيم ركن ناجى طالب آمر لواء المشاة 15 من الفرقة الأولى بالبصرة.
- العقيد ركن عبد السلام عارف آمر الكتيبة الثالثة من لواء المشاة 20 فى الفرقة الثالثة بمعسكر جلولاء.
- العقيد عبد الرحمن عارف آمر فوج فيصل المدرع فى اللواء 6 من الفرقة المدرعة الرابعة بمعسكر الوشاش.
- الرئيس أول جوى متقاعد محمد سبع.

---

(1) العراق الكتاب الثالث الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار لحنا بطاطو، الفصل السادس: الضباط الأحرار والشيوعيون وثورة تموز (يوليو) 1958م صفحة73 -103.

في عام 1952م (1372هـ) وخاصة بعد انقلاب جمال عبد الناصر ومجموعته الصغيرة من الضباط الأحرار ضد الملك فاروق في 23 يوليو (تموز) نظَّم رفعت الحاج سري مع صديقه رجب عبد المجيد خلية سرية يهتم رفعت الحاج سري بسلاح المهندسين ورجب عبد المجيد بوحدات الهندسة الميكانيكية والكهربائية بحيث تبقى كل مجموعة منفصلة عن الأخرى، وهكذا ولدت الحركة، وبدأ رفعت سري يبحث بلا تأخير عن التأييد للحركة وبدأت الحركة تنشط وبسرية تامة خاصة بعد توقيع اتفاقية الأسلحة السوفيتية - المصرية في عام 1955م وتأميم قناة السويس في عام 1956م، وفي نهاية صيف 1956م كان رجب عبد المجيد قد نظَّم أربع خلايا من الضباط الأحرار:

* واحدة في مقر سلاح الجو.
* واحدة في معسكر الرشيد.
* واحدة في معسكر الوشاش.
* واحدة في معسكر المسيِّب.

وفي الوقت نفسه كان رفعت الحاج قد اجتذب الكثير من الشخصيات المهمة إلى مجموعته.

بالرغم من سرية حزب الضباط الأحرار إلا أن أخباره تسربت إلى الحكومة في أواخر صيف 1956م (1375هـ) أُستدعي رفعت الحاج سري للحكومة للاستجواب ولكن رفعت الحاج سري أنكر ذلك وأن كل الأدلة التي كانت ضده مزورة، وفي النهاية أُطلق سراحه، فماذا فعل؟

انتقل إلى الكوت ليكون بعيداً عن الرقابة وقام بنفي الضباط الذين كانوا متهمين معه أو إرسالهم إلى الخارج بغرض مهمات سياسية.

من الذين نُفوا إلى الخارج إسماعيل العارف نفيً إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهذا نوع من التعتيم بحيث تقل الرقابة على الخلايا الأخرى للحزب.

ضُيِّق الخناق على حزب رفعت الحاج سرى ولكن خلاياه لم تتفكك، أما خلايا رجب عبد المجيد فبقيت سليمة، بعد العدوان الثلاثى (البريطانى - الفرنسى - الإسرائيلى) على مصر، تزايدت روح الثورة عند الضباط الأحرار حتى أن بعضهم كاد أن يرتكب مغامرات حمقاء ولكن زملاءهم الأكثر حذراً أخضعوهم فى اللحظة الأخيرة وبعد هزيمة العدوان الثلاثى أدى ذلك إلى تقوية عزيمة الضباط الأحرار وزيادة إصرارهم على تحقيق هدفهم.

فى نهاية 1956م كانت الخلايا قد تضاعفت، فعُقد مؤتمر للحزب فى بيت رئيس أول جوى المتقاعد محمد سبع فى منطقة الأعظمية ببغداد فى ديسمبر (كانون الأول) 1956م، واتفقوا على تشكيل "لجنة عليا" ضمت الزعيم الركن محى الدين عبدالحميد والعقيد الركن ناجى طالب والعقيد الركن عبد الوهاب أمين والعقيد الركن محسن حسين الحبيب والمقدم المهندس رجب عبد الحميد والمقدم الركن عبد الكريم فرحان والمقدم وصفى طاهر والرئيس أول الركن صبيح عالى غالب والرئيس أول الجوى المتقاعد محمد السبع، ثم بعد أسبوع من المؤتمر عُين الركن محى الدين عبدالحميد رئيساً للجنة العليا ورجب عبد المجيد أميناً سرياً، واللذان سيلعبان الدور الأول فى الثورة هما: الزعيم الركن عبد الكريم قاسم والعقيد الركن عبد السلام عارف، وقررت اللجنة العليا أن تمنع كل الاتصالات بين الضباط الأحرار والمدنيين لأنه لو وصل الخبر إلى المدنيين فإنه سيصل إلى الحكومة.

خلال عام 1957م (1376هـ) قضت اللجنة العليا وقتها فى كسب قادة الوحدات القوية الجديرين بالثقة حتى وصل إلى التطور الخطير وهو اتحاد كلا من: الحزب الشيوعى وحـزب البحث واللجنة العليا للضباط الأحرار فى مارس (آذار) 1957م (1376هـ).

هناك مصالح تجمع كل هذه الأحزاب، فما هى هذه المصالح والأهداف؟

1. الحزب الشيوعى طوال ثوراته ومظاهراته رأى أن رجال الشرطة أناس ميئوس منهم، لأنهم ضد الشعب ومع الحكومة. ورأى أنها الفرصة الوحيدة للانتقام من الحكومة ورجال الشرطة.

2. حزب البعث من أهدافه الانقلاب العسكرى ولن يتحقق هذا الهدف إلا بوجود الضباط الأحرار المسيطرين على الجيش.

3. الضباط الأحرار يرون أنه فى حالة عدم نجاح الانقلاب فإنه يبقى لهم قوة كامنة فى العراق يمكن اللجوء إليها من الحزب الشيوعى وحزب البعث وهم فى حاجة إلى ضم الكثير من الناس حولهم حتى تبقى الحكومة ورجال الشرطة محاصرين ولا ناصر ولا داعم لهم.

فى أوائل عام 1958م (1377هـ)، ناقشت اللجنة العليا للضباط الأحرار أنه فى حالة عدم نجاح الانقلاب فما العمل؟

قررت أن توطد علاقتها خارجياً بعد أن وطدتها داخلياً فأرسلت صدِّيق شنشل - من جبهة الاتحاد الوطنى للحزب الشيوعى - فطار إلى القاهرة فى فبراير (شباط) حيث قابل الرئيس جمال عبد الناصر، فأخذ المواعيد والمواثيق من الرئيس جمال والسفير السوفيتى فى القاهرة أن الجمهورية العربية المتحدة[1] وروسيا أنه فى حالة وجود عمل مضاد من الحكومة أو من أى دولة أخرى (مثل بريطانيا) فإنهم سيقفون إلى جانبهم كما وقف العراقيون إلى جانب مصر أثناء العدوان الثلاثى عام 1956م.

إذن اتحاد جميع الأحزاب وتوطيد العلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر وروسيا، فماذا بعد؟ التخطيط لإعلان الثورة والانقلاب.

(1) الجمهورية العربية المتحدة هى اتحاد بين مصر وسوريا وهى من أفكار جمال عبد الناصر.

ثورة تموز (يوليو) 1958م (1377هـ).

بدأ سير انقلاب الضباط الأحرار فى مظاهرة بغداد 1956م عندما تساهل الجيش مع المتظاهرين ولم يسبب لهم أذى فمن هنا بدأت بوادر العصيان والغريب فى ذلك أن نورى السعيد لم يلاحظ ذلك، لأنه لو لاحظ ذلك لكان قد تعامل معه بحزم وجدية.

كان هدف الضباط الأحرار أنهم يريدون اغتيال نورى السعيد وعبد الإله، أما الملك فيصل فتقرر اعتقاله فقط كونه لا يفقه من الأمور السياسية أى شيء وقد جرت محاولات لاغتيال الاثنين ولكنها لم تنجح.

تسربت أخبار الانقلاب الذى سيقوم به الضباط الأحرار إلى تركيا والأردن فحذرت تركيا نورى السعيد وعبد الإله من احتمال حدوث انقلاب عسكرى من قبل الجيش العراقى، لكن الاثنين ردا باستخفاف شديد أن الجيش لا زال يدين بالولاء للملك، أما ملك الأردن حسين بن طلال فقد حذرهما ولكنهما لم يستجيبا فحذر ابن عمه الملك فيصل فى رسالة تحذيرية مهولاً فيها الأمور التى ربما ستحدث وما سيواكبها من مخاطر جسيمة، فبعث الملك فيصل رئيس أركان الجيش الفريق محمد رفيق عارف ليتحقق من الأمر فى بداية تموز، ولما وصل محمد رفيق قدم إليه ضابط الاستخبارات الأردنية وأخبره بمدى مصداقية هذه الأخبار لكن محمد رفيق ردَّ عليه بضحكة فى استهزاء وأخبره أن الجيش العراقى مؤسس على تقاليد متينة لا يعرف المشاكل، وكرَّ راجعاً إلى بغداد[1].

انتشرت أخبار الانقلاب بين الناس حتى وصلت إلى أعضاء الحكم الملكى، وفى اليوم العاشر من تموز (يوليو) رجع عبد الإله إلى العراق قادماً من تركيا بعد أن حذرته الاستخبارات التركية عن احتمال حدوث الانقلاب خلال هذه الأيام القادمة القريبة.

ازدادت الشكوك بين أفراد الحكم الملكى فى القصر فبدءوا بتحذير نورى السعيد وعبد الإله وأنهم يجب عليهم معالجة الأمر قبل حدوثه ولكن الاثنين - سبحان الله - كانا يردان وبأصوات عالية أن هذه الأخبار مجرد إشاعات أتت من الخارج ليزعزعوا أمن هذا البلد.

(1) الملك فيصل الثالث آخر ملوك العراق للدكتور لطفى جعفر فرج، فصل الملك فيصل الثالث، محاولات الضباط الأحرار لتغيير النظام صفحة 205 -215.

(سبحان الله، لك أن تسأل عزيزى القارئ أن نورى السعيد الداهية الذى استطاع أن يقضى على كثير من الثورات التى قام بها الحزب الشيوعى بدهائه ومكره، وعندما يسمع بمثل هذا الخبر الخطير الذى لا يستهان به حتى ولو كان كذبة مفتراه فإنه يجب عليه أخذ الاحتياط ولكنه عقاب من الله لنورى السعيد وعبد الإله جزاء ما اقترفوه فى حق الشعب العراقى من قمع وتنكيل).

اتفق جميع أعضاء الضباط الأحرار على أن الثورة ستكون فى ليلة السبت – الأحد 13 – 14تموز (يوليو)، لكنهم تفاجئوا عندما أخبرهم عبد الكريم قاسم بأن موعد الثورة قد أُجل وأن كتيبته لواء المشاة العشرين التى كان يقودها لن تذهب إلى بغداد، بل تمر ببغداد قادمة من جلولاء ثم تسير إلى الفلوجة ثم يتم الاتفاق بعد ذلك على موعد محدد للثورة لكن بقية الضباط لم يثقوا بهذا الكلام وبقوا مستعدين لساعة الصفر.

كان عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف يخططان لما بعد الثورة وهى أن ينتهى أمر الحكومة إليهما بحيث يتولى أحدهما رئاسة العراق وأما بقية زملائهم من الضباط الأحرار فسيتم استبعادهم.

يوم الأحد 14 تموز (يوليو) 1958م[1].

عند الساعة 21 من ليل 13 – 14 تحركت كتيبة اللواء العشرين من معسكر جلولاء تجاه بغداد، بأمر من عبد الكريم قاسم، وأمر عبد السلام عارف الكتيبة الثالثة بالتقدم نحو بغداد وانضم إليهم من الكتائب من استطاع إقناعه عبد السلام عارف.

عند الساعة 4.30دخل لواء المشاة العشرين بغداد.

عند الساعة 6.30 أعلن عبد السلام عارف عبر الإذاعة أول نبأ عن الانقلاب فى خطاب طويل قرأه عبر الإذاعة.

(1) العراق، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الكتاب الثالث لحنا بطاطو، الفصل السادس: الضباط الأحرار والشيوعيون وثورة تموز (يوليو) 1958م، صفحة 105 -117
وفيصل والملك فيصل الثالث آخر ملوك العراق للدكتور لطفى جعفر فرج فصل الملك فيصل الموقف من الملك فيصل الثانى عند نجاح الثورة ومصرعه والعائلة الحاكمة وثورة 14 تموز 1958م فى العراق صفحة 217-231.

كان الملك فيصل وقتها يجمع أغراضه استعداداً للسفر إلى استنبول فى تركيا ومعه خاله عبد الإله ورئيس الوزراء نورى السعيد ثم السفر بعد ذلك إلى لندن ليلتقى بخطيبته الأميرة فاضلة وحضور اجتماع حلف بغداد حيث سيعقد مؤتمر بريطانى - عراقى لبحث الموضوع حول الكويت.

فجأة أتى أحد الخدم راكضاً إلى الملك فيصل فى قصر الرحاب وأخبره بما سمعه فى المذياع فسارع الملك بإخبار خاله عبد الإله فتجمعت الأسرة الملكية، بدأت رشقات الرصاص تضرب نوافذ قصر الرحاب، اتصل الشريف حسين - زوج الأميرة بديعة شقيقة عبد الإله - وكانت داره مجاورة لقصر الرحاب، اتصل بالملك فيصل وأخبره بأن كتيبة من الجيش تحاصر قصر الرحاب، لم يرد الملك فيصل من هول المصيبة وحاول سائقه الشخصى إقناعه بالخروج من أحد جوانب القصر ومغادرة بغداد إلى الديوانية، لكن الملك فيصل رفض ذلك.

أما خاله عبد الإله فقد حاول كسب الوقت ليتمكن من الهرب فأمر جنود الحرس الملكى بإطلاق النار على الضباط المهاجمين الذين سيدخلون القصر للتفاوض معه، لكن ضباط الثورة كانوا مدركين لحيل عبد الإله فرفضوا وطالبوا باستسلام العائلة المالكة، فأسقط فى يد عبد الإله والأسرة المالكة وخاصة بعد أن بدأت المدفعيات بقصف الطابق العلوى للقصر.

لاحظ عبد الإله أنه لا مفر من التسليم، مطمئناً من معه أن أسوأ ما يمكن أن يصادفوه هو تجريدهم من العرش وإبعادهم خارج العراق أسوة بما صنع جمال عبد الناصر بالملك فاروق.

خرج عبد الإله والملك فيصل مستسلمين ومعهم من أفراد العائلة المالكة الملكة نفيسة أم عبد الإله والأميرة عابدية شقيقة عبد الإله والأميرة هيام زوجة عبد الإله وغيرهم من أفراد الحاشية الملكية.

وصلت العائلة المالكة إلى وسط حديقة القصر، والقوة المهاجمة ملتفة حولهم على شكل نصف دائرة، وفجأة يطلق النقيب عبد الستار سبع العبوس رصاصات على الأسرة فاعتقد الثوار بأن الطلقات فتحت عليهم من جهة القصر فقاموا بإطلاق الرصاص العشوائى على

العائلة المالكة وحاشيتها، فمات الملك فيصل وعبد الإله والملكة نفيسة والأميرة عابدية ومات معظم أفراد الحاشية، أما الأميرة هيام زوجـة عبد الإله فقد أصيبت برصاصة غير قاتلة أثر سقوط الملك فيصل فى أحضانها الذى أنقذها من الرصاصات المباشرة.

كان الاتفاق ألا يقتل الملك فيصل ولكن عبد الستار برر إطلاقه للنار بأنه سمع طلقات نارية تجاهه، ولكن فيما بعد صرح بحادثة 1941م عندما شنق عبد الإله ضباط الثورة.

قامت الحشود الغاضبة بسحب جثة عبد الإله وتعليقها على بوابة وزارة الدفاع فى نفس المكان الذى أُعدم فيه الشهيد صلاح الدين الصباغ عام 1945م.

أما نورى السعيد فقد تمكن من الهرب ولكنه قبض عليه فى اليوم التالى 15 تموز (يوليو) متنكراً بزى امرأة وقتل فوراً بيد رقيب من سلاح الطيران، ودفنت جثته، وبعد دفنه، قامت الحشود الغاضبة بإخراج جثته من القبر وسحبتها فى الشوارع، ثم شنقت الجثة ومزقتها إرباً ثم أحرقتها فى النهاية.

بمقتل الملك فيصل الثانى، انتهى العهد الملكى فى العراق الذى راح ضحيته الملك فيصل الثانى الذى وصف بأنه كان مسكين لا ذنب له وسبب قتله أسفاً كثيراً حتى فى نفوس عدد كبير من ضباط الثورة.

لم ينج من العائلة المالكة إلا الأميرة بديعة شقيقة عبد الإله لأنها لم تكن ساكنة فى القصر بل كانت مع زوجها الشريف حسين وأولادهما الثلاثة -محمد وعبدالله وعلي- الذين استطاعوا التسلل خلسة إلى سفارة المملكة العربية السعودية فى بغداد التى أمنت لهم الحماية وتم نقلهم إلى السعودية ثم إلى القاهرة ثم إلى لندن حيث أقاموا هناك.

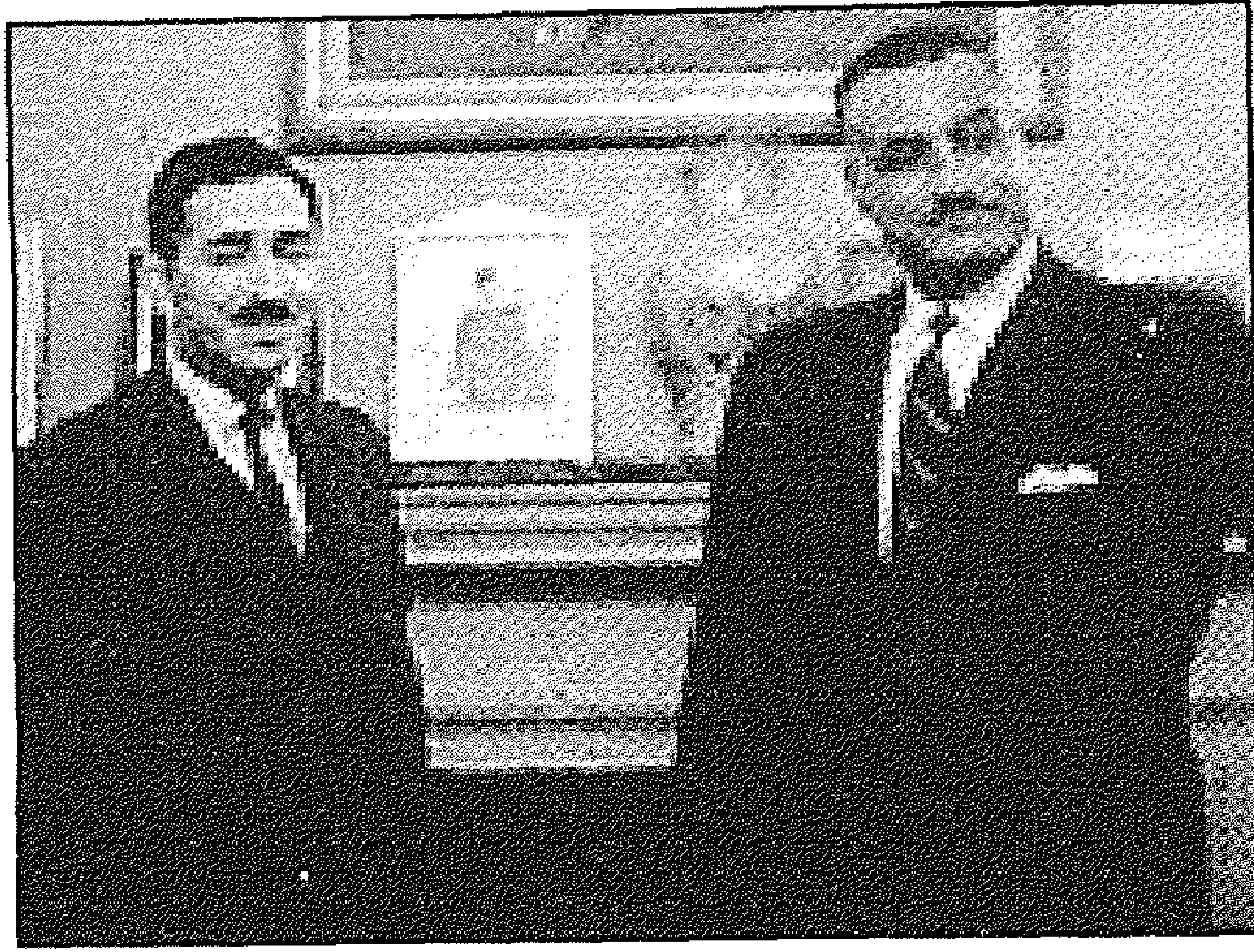
بعد القضاء على الأسرة المالكة ونجاح الانقلاب، ازدحمت شوارع بغداد بالناس وتعالت الهتافات " الموت للخونة وعملاء الإمبريالية " والتفت الحشود محيطة ببيت نورى السعيد والقصر الملكى وسرعان ما امتدت إلى القنصلية والسفارة البريطانية وقامت الحشود الغاضبة بإسقاط تمثال فيصل الثانى الذى كان يرمز للملكية فى القصر وألقوه مفتتاً على الأرض ودُمر القصر وبيت نورى السعيد.

بعد فترة وجيزة من الانقلاب أُعلنت الأحكام العرفية وتم إحالة جميع رؤساء ووزراء العهد الملكى إلى محكمة الشعب التى ترأسها العقيد فاضل عباس المهداوى والادعاء العام الذى يمثله العقيد الركن ماجد محمد أمين.

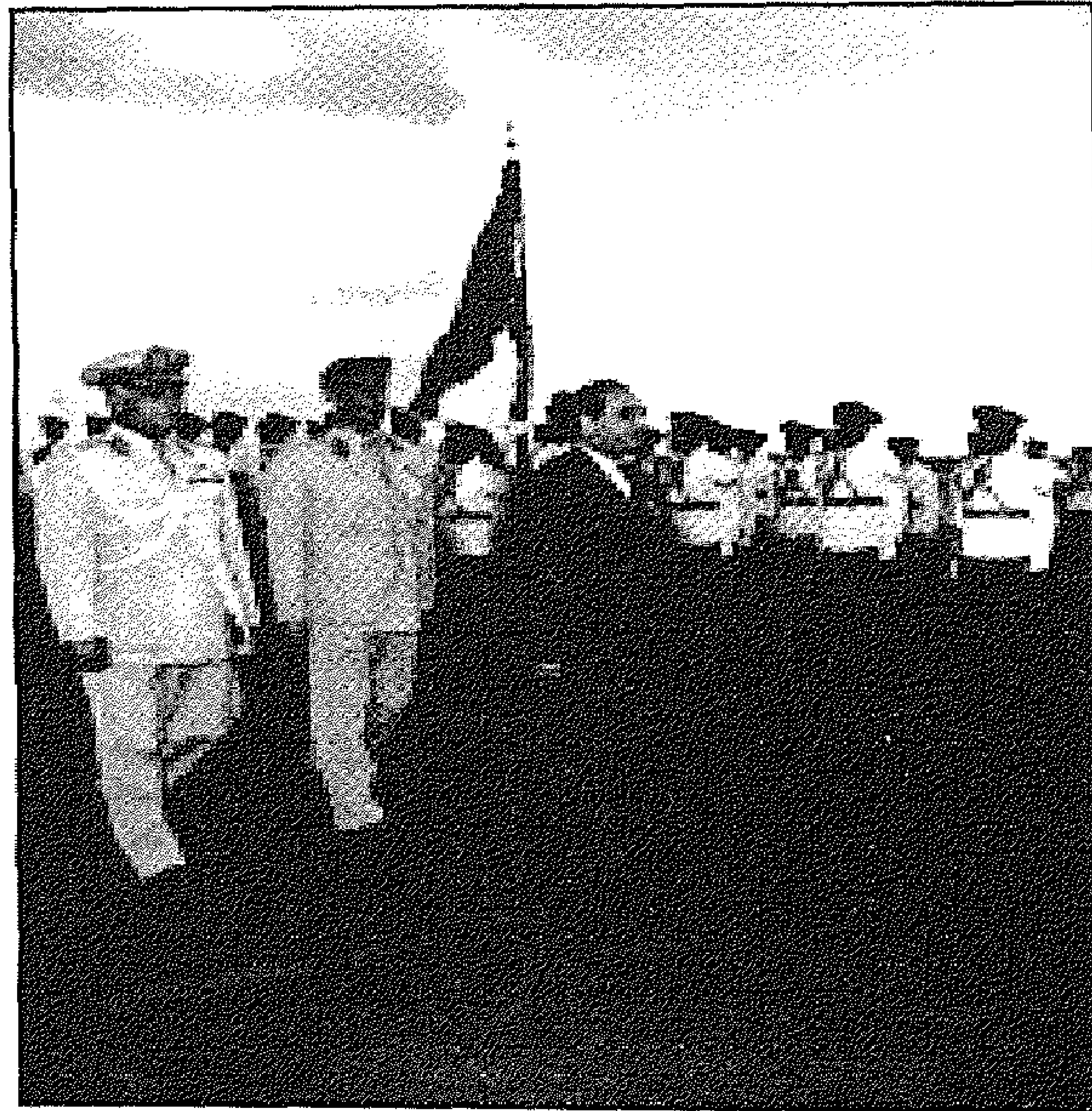
فى 27 تموز (يوليو) صار مجلس الوزراء محكوم من قبل السلطتين التشريعية والتنفيذية، ولكن العقيد عبد السلام كان يتمتع بهيبة كبيرة بصفته كآمر للوحدة العسكرية التى نفذت الانقلاب، والزعيم عبد الكريم قاسم أيضاً يتصرف بصفته رئيساً للضباط الأحرار، وبدأ الكثير من الضباط الأحرار يستاءون من عبد الكريم قاسم وعبد السلام لأنهما قطفا ثمار المجد بالرغم مما قدمه الضباط الأحرار من تضحيات.



عبد الكريم قاسم



عبد الرحمن عارف يمين جمال عبد الناصر



عبد السلام عارف

الفصل الثاني

الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار فى العراق

سلطة عبد الكريم قاسم وعودة الشيوعيين (1)

صار عبد الكريم قاسم زعيم ركن وقائد أعلى للقوات المسلحة، وعبد السلام عارف عقيد ركن ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، بينما رفعت الحاج سرى لم يُعترف به كمؤسس لحركة الضباط الأحرار إلا بعد وقت طويل، وأما العقيد رجب عبدالمجيد فقد عُين أمين سر هيئة التنمية فلم يناسب منزلته، وعُين جلال الأوقاتى عقيد جوى ركن وآمر للقوات الجوية.

بعد ثورة تموز، فكر أعضاء حزب الضباط الأحرار بالوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة - التى أسسها جمال عبد الناصر، وكانت مبنية على الأساس الشيوعى - وخاصة بعد اتحاد سوريا إلى جانب الجمهورية العربية المتحدة، وهذه كانت ضربة موجهة لحزب البعث فى سوريا والعراق، لكن ميشيل عفلق توجه إلى بغداد ووصلها فى 24 يوليو (تموز) ولم يضع وقتاً، فبدأ بتقوية حزب البعث واستطاع أن يضم حوله الكثير من الأتباع فى وقت قصير.

فى 23ديسمبر (كانون الأول) 1958م (1378هـ) وجه جمال عبد الناصر ضربة شهيرة انتقادية للشيوعيين فى سوريا واتهمهم برفض القومية العربية المتحدة فأثر ذلك على الشيوعيين فى العراق فصارت العلاقة متوترة بين الشيوعيين واللجنة الحاكمة بقيادة عبد الكريم قاسم الذى كان على علاقة وطيدة مع جمال عبد الناصر واستطاع عبد الكريم أن يكسب الشيوعيين إلى جانبه عندما استجاب لمطالبهم وقام بإطلاق سراح جميع المساجين الشيوعيين، فمن هنا بدأ الحزب الشيوعى يصل إلى مناصب السلطة بعد أن فتح عبد الكريم المجال لهم وتخلى عن الضباط الأحرار الآخرين والبعثيين والسبب هو علاقته مع

(1) العراق الكتاب الثالث: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار لحنا بطاطو، الفصل السابع: زعيم أوحد وسلطة مزدوجة صفحة 119 -172.

جمال عبد الناصر و الجمهورية العربية المتحدة، شُكلت لجنة مركزية ثالثة للحزب الشيوعى ضمت أعضاء السكرتارية أمثال حسين الرضى وبهاء الدين نورى وهادى الأعظمى، وضمن أعضاء فى المكتب السياسى أمثال عامر العامرى وجمال الحيدرى، وأعضاء آخرون أمثال حمزة الجبورى وعزيز الشيخ وعزيز الشريف، وترأس الحكومة عبد الكريم قاسم وقام بإقامة تماثيل لشخصه ونُصبت فى أقطار مختلفة من العاصمة بغداد - وهو أول رئيس وزراء عراقى يقيم تمثال وهو على قيد الحياة -.

بعد تحسن العلاقة بين عبد الكريم والشيوعيين صار عبد الكريم مهتماً بأحوال البلاد الداخلية وترك اهتماماته المسبقة بالجمهورية العربية المتحدة، فانتقدت الجمهورية العربية المتحدة سلطة عبد الكريم وبدأت تضغط عليه ولكن عبد الكريم لم يستجب لهذه الضغوط، فبدأت الجمهورية العربية المتحدة تخطط لإسقاط سلطة عبد الكريم ففكرت ورأت أن مدينة الموصل هى المدينة المناسبة لاندلاع ثورة منها، لماذا الموصل بالذات؟ لأن الموصل يحتوى على عرقيات وديانات مختلفة، فهناك العرب من البوميتوث وشمر والأكراد والمسيحيون والآشوريون.

كان العقل المفكر والمدبر لهذه الثورة هو رفعت الحاج سرى من بغداد - المؤسس الفعلى لحزب الضباط الأحرار - وكان الهدف من الثورة هو إشغال الحزب الشيوعى بمواجهتها ثم يقوم حزب الضباط الأحرار فى بغداد بقيادة رفعت الحاج سرى بالقضاء على حكومة عبد الكريم قاسم ومن ثم تسلم الحكومة من قبل الضباط الأحرار.

الخلاصة: (نستنتج مما سبق أن الحزب الشيوعى صار مسيطراً على مقاليد الحكم بقيادة عبد الكريم، حزب الضباط الأحرار بقيادة رفعت الحاج سرى يريد السيطرة على الحكم، حزب البعث بقيادة ميشيل عفلق يحاول النهوض واسترداد قوته بسرية تامة وتجميع الكثير من الأتباع حوله).

ثورة الموصل، ثورة مارس (آذار) 1959م (1378هـ)(1)

وصلت الأخبار إلى عبد الكريم والشيوعيين بهذا التطور الخطير فى الموصل، فلجأ عبد الكريم إلى الحيلة فطلب عقد اجتماع لأنصار السلم فى الموصل فى 6 مارس (آذار) والهدف من هذا التجمع هو انتقال الكثير من الشيوعيين والمؤيدين لعبد الحكيم إلى الموصل وإظهار تأييدهم له، وبالتالى إذا رأى الناس فى الموصل كثافة المؤيدين لعبد الكريم فإن الثورة ستبدأ فى الاختفاء والاضمحلال، لكن عندما سمع رفعت الحاج سرى بتجمع أنصار السلم، أرسل رسالة من بغداد بأن الثورة يجب أن تعلن فى 4 مارس (آذار) أى قبل اجتماع أنصار السلم لكن الرسالة لم تصل إلى الموصل أبداً.

فى اليوم الخامس من مارس (آذار) تدفق الشيوعيون وأنصار عبد الكريم إلى الموصل حتى وصلوا إلى 250 ألف وتعالت أصواتهم فى الشوارع "زعيمنا الأوحد عبد الكريم قاسم"، صار كل شيء بسلام وبقى القوميون الثوار فى بيوتهم لعدم رغبتهم فى الدخول فى معركة، فى 7مارس (آذار) ازدحمت الشوارع بالمتظاهرين القوميين ضد الشيوعيين وضد عبد الكريم وانضم إلى المتظاهرين القوميون البعثيون، وأحرق المتظاهرون المكتبات اليسارية - مكان لقاء الشيوعيين - واشتبك البعثيون بالشيوعيين وصحب ذلك إطلاق النيران وتدخل الجيش وفرض منع التجول.

فى 8 مارس (آذار) الساعة السابعة صباحاً أُعلن بيان أذيع فى راديو الموصل بأن عبد الكريم خان ثورة 14 يوليو (تموز) وخان إخوته الضباط الأحرار وسمح للبلاد أن تغرق فى الفوضى...، حمل البيان اسم العقيد ركن عبد الوهاب الشوَّاف - على أنه قائد الثورة، فانتشرت حملة اعتقالات فى الموصل لمن لهم علاقة بالشيوعيين، فتم اعتقال حوالى ستين شيوعياً، وسيطر الثوار على مدينة الموصل.

---

(1) العراق الكتاب الثالث لحنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الفصل التاسع: الموصل- آذار (مارس) 1959م صفحة 179 - 200.

عندما سمع الشيوعيون بثورة الموصل، أعلنت المنظمات الشيوعية نداءً إلى كل الشجعان للاستعداد للقضاء على الخيانة فى مهدها، وفى الساعة الثامنة صباحاً من اليوم التاسع من مارس (آذار) قامت أربع طائرات من سلاح الجو العراقى الذى يقوده عبد الكريم بقصف اللواء الخامس فى الموصل وقصف الثوار وبالتالى خمدت الثورة بسهولة كبيرة جداً، أما عبد الوهاب شوَّاف فقد انتهى به الأمر إلى الموت مقتولاً على يد جنود فوج الهندسة فى رواية، وفى رواية أخرى أُغتيل على يد خادم طبى كُردى، وبعد إخماد الثورة قام جنود فوج الهندسة باقتحام السجون وإطلاق سراح المعتقلين الشيوعيين.

أسباب فشل ثورة الموصل فى مارس (آذار):

1. أن الثورة جرت بتسرع وبلا عناية وبدون تنسيق دقيق مع قيادة رفعت الحاج سرى فى بغداد.
2. أن رفعت الحاج سرى نفسه كان يخضع لرقابة شديدة من قبل الشيوعيين.
3. أن الجمهورية العربية المتحدة تجاهلت الثورة ولم تقم بإرسال القوات الجوية لحماية الثوار كما وعدت مسبقاً.

بعد الهزيمة التى حلت بالقوميين الثوار والبعثيين، قام الشيوعيون وجنود فوج الهندسة وغيرهم من المتحالفين معهم بحملات تفتيش لمنازل كل من يُشك بوضعه، لكن الكثير منهم اتهم بحمل السلاح ضد الحكومة فأُعدموا فوراً بإطلاق النار وأمام أفراد عائلاتهم، واستمرت الإعدامات وشنق من يُتهم بالتآمر ضد الدولة لمدة يومين، كانت كافية لقتل المئات من القبائل العربية من قبيلة شمر والناصريين والأكراد، أما من يُقبض عليه من البعثيين فإنه يُعدم فوراً، وساد الاضطراب مدينة الموصل، بل وصل الأمر بالشيوعيين إلى اقتحام البيوت الثرية ونهبها وسلبها، وعندما قدم الزعيم حسن عبود المكلف بقيادة حامية الموصل رأى من وسائل الإرهاب ما يعجز اللسان عن وصفه، فقام حسن عبود بطلب حضور كتيبتين من اللواء الأول ومنح الوحدات السابقة المكافآت متى ما خرجت من

المدينة، خرجت القوات السابقة فى 12 مارس (آذار) وبعدها عاد الأمن إلى المدينة بعد أن خُربت خراباً شبه كلياً، وبعد أن رجع القادة من الموصل قام عبد الكريم قاسم بمنحهم مكافآت مالية.

لا شك أن مثل هذه الأمور الإرهابية من قبل الشيوعيين ستولد كراهية كبيرة جداً لدى القوميين وحزب الضباط الأحرار والبعثين وسيكون لديهم اقتناع كامل بأن حكومة عبد الكريم لا بد وأن تسقط ولا بد أن يُحاكم الشيوعيون على ما ارتكبوه من جرائم فى الموصل.

بعدها قام الشيوعيون بإحالة الضباط الذين يُشك فى أمرهم إلى التقاعد وطرد المسئولين غير المرغوب فيهم أو جرهم إلى السجون، وقام الشيوعيون باعتقال رفعت الحاج سرى وزُج به فى السجن بعد اتهامه بالمشاركة فى ثورة الموصل.

قام الحزب الشيوعى بتنصيب ضباط شيوعيين أمثال: جلال الأوقاتى، وطه الشيخ أحمد، وداوود الجنابى، ووصفى طاهر، وفاضل البياتى، وحسين خضر الدورى، صارت الشيوعية فى أوج عظمتها، فهنا الشيوعيون فى العراق وهناك الشيوعيون فى الاتحاد السوفيتى والصين.

فى 4 يوليو (تموز) 1959م (1378هـ) حدثت مواجهات دموية فى منطقتى الأعظمية والفضل فى بغداد بين الشيوعيين وأعضاء المقاومة الشعبية من جهة والبعثين والعناصر المحافظة من جهة أخرى وانتهت بجرح ستة عشر من الطرفين.

أحداث كركوك الدموية فى تموز (يوليو) 1959م[1] (1378هـ)

السبب فى قيام تلك الأحداث هو بعد أن اكتشف النفط فى كركوك وكان يسكنها الأغلبية من التركمان، فبدأ تدفق الأكراد يتزايد على كركوك- كان معظم الأكراد منخرطين

---

(1) العراق الكتاب الثالث لحنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الفصل الحادى عشر: كركوك تموز (يوليو) 1959م صفحة 223 -232.

تحت النظام الشيوعي- فبدأ القادة الأكراد للتنظيمات الشيوعية يمارسون عمليات إرهابية ضد شعب كركوك التركمانى ووصل الأمر إلى إجبار التركمان للاحتفال بذكرى 14 تموز 1958م.

فى 14 تموز (يوليو) خرجت مسيرات للاحتفال بذكرى 14 تموز 1958م وفجأة سُمع دوى إطلاق نار لم يُعرف من أى جهة، فهاج المتظاهرون من التركمان لأنهم اعتقدوا أن إطلاق النار جاء من جهة القادة الشيوعيين ورد عليهم الشرطة ومكافحة الشغب بإطلاق النار معتقدين أيضاً أن إطلاق النار من جهة التركمان، فقُتل عشرون تركمانياً وجُرح 130 جريحاً.

فى اليوم التالى 15 تموز (يوليو) قام الجنود الأكراد بقصف سينما أطلس والعلمين وبعض منازل التركمان مدَّعين أن إطلاق النار أتى منها، وفى اليوم التالى 16 تموز (يوليو) قام أفراد الشرطة العسكرية بحملة اعتقالات فى التركمان وكل من يُشك بأمره بأنه معادياً للحكومة يُعدم فى الحال، فخاف التركمان وهربت حوالى أربعمائة عائلة خارج كركوك، وقام أفراد الشرطة بنهب وتدمير المنازل التركمانية حتى وصل مستوى التدمير إلى 120 وحدة من المنازل والمقاهى والمخازن.

بعد هذا التصرف الهمجى من قبل الشيوعيين فى كركوك ومن قبله فى الموصل، رأى عبد الكريم قاسم أن الشيوعيين بدأت تكبر شوكتهم ويتصرفون فى الأمور بفجاعة دون الرجوع إليه، فقام فى الفترة بين 19 يوليو (تموز) - 12أغسطس (آب) باعتقال المئات من الشيوعيين وألغى قوة المقاومة الشعبية.

فى 20 سبتمبر (أيلول) 1959م تم إعدام مؤسس حركة حزب الضباط الأحرار رفعت الحـــاج السرى ومعه ناظم الطبقجلى وأحـد عشر ضابطاً آخرين بموافقة عبد الكريم قاسم بسبب مشاركتهم فى ثورة الموصل، تضايق الناس من حملة الإعدامات التى قام بها عبد الكريم، فسار حزب البعث يخطط لاغتيال عبد الكريم، وفى يوم 7 أكتوبر (تشرين الأول) بينما كان عبد الكريم يقود سيارته فى شارع الرشيد ببغداد، أُطلقت عليه

النار وأُصيب بجروح طفيفة فى الكتف والذراع وكان ممن اشترك فى هذه العملية صدام حسين حيث إنه أُصيب بطلقة فى ساقه وتمكن من الهرب حيث لجأ بعد ذلك إلى سوريا ثم انتقل إلى مصر حيث أكمل دراسته فى كلية الحقوق بالقاهرة، وممن هرب فؤاد الركابى - أمين القطر العراقى - وعلى صالح السعدى هربوا إلى سوريا بسبب مشاركتهم فى محاولة الاغتيال.

فى يناير (كانون الثانى) 1960م (1379هـ) تأسس فى دمشق جهاز خاص سُمى مكتب العراق وترأسه ثلاثة أعضاء، هم: على صالح السعدى، وفيصل حبيب الخيزران، وطالب شبيب، وفى أبريل (نيسان) كُلف على صالح السعدى بالعودة إلى بغداد بسرية ليُصبح مسئولاً عن الفرع العراقى لحزب البعث.

خلال عام 1960م، بدأ عبد الكريم بتوجيه ضربته القاسية تجاه الشيوعيين فبدأ بإزاحة كل مؤيدى الحزب تدريجياً من كل المناصب الحكومية الحساسة ومن الذين أُزيحوا حسن عبود، أُزيح عن قيادة حامية الموصل وتبع ذلك استقالات متواصلة من قبل الأعضاء الشيوعيين خلال عام 1961م أمثال: هاشم عبد الجبار وطه الشيخ أحمد، ولم يبق إلا جلال الأوقاتى إلى جانب عبد الكريم قاسم وبالتالى نجح عبد الكريم فى إضعاف قوة الشيوعيين، ثم بدأت بعد ذلك سلسلة اغتيالات متعددة فى صفوف الشيوعيين، فكان لا يُسمع إلا بشيوعى اختفى عن الأنظار ولا يُعرف أين مكانه، وبدأت تُنشر فتاوى فى الجرائد من قبل الشيوخ أن الانتماء إلى الشيوعية من أكبر الآثام التى يستنكرها الإسلام، وأن صلاة المسلمين الذين يعتنقون الشيوعية وصومهم غير مقبولين، فبدأ العامة من الناس بمقاطعة الشيوعيين فى تجارتهم والابتعاد عنهم.

فى صيف 1961م (22 يونيو - 23 أغسطس) قام عبد الكريم بسياسة قمعية ضد شعب الأكراد فى كردستان، فاندلعت الحرب الكردية ووُجهت بالقوة من قبل عبد الكريم، فاستاء الناس من سياسة عبد الكريم ورأى حزب البعث أنه إذا أراد الإطاحة بحكومة عبد الكريم، فإنه لابد من إقامة علاقة مع الحزب الشيوعى لتوافق المصالح.

وافق الحزب الشيوعى على إقامة العلاقة مع حزب البعث وخاصة بعد حملة التنكيل التى قام بها عبد الكريم ضد الشيوعيين، فقامت العلاقة بين البعثيين السريين والشيوعيين برئاسة حسين الرضى، وبعدها اتهم حسين الرضى عامر عبد الله العامرى بأنه عميل سرى لعبد الكريم فطالب بإخراجه وزملائه من المكتب السياسى، فقام الشيوعيون بنفى عامر العامرى مع زوجته البلغارية إلى بلغاريا (هل سيكون نفى عامر العامرى إلى بلغاريا فى مصلحته أم لا؟!، سيكون فى مصلحته وسنلاحظ ذلك فى عام 1963م).

فى يونيو (حزيران) 1961م (1380هـ) كان قد أعلن أن للعراق حقوقاً فى الكويت وهذا قبل سياسة عبد الكريم القميعة ضد الأكراد، وحدثت المفاجأة فى 30نوفمبر (تشرين الثانى) عندما انتسبت الكويت إلى الأمم المتحدة، طبعاً كانت ضربة موجهة لعبد الكريم، مما اضطره إلى التوجه إلى الشيوعيين مره أخرى على عدم علمه بالرابطة السرية بين الشيوعيين والبعثين، لكن عبد الكريم يُفاجأ مرة أخرى بمظاهرة نظمها الشيوعيون فى مايو (أيار) 1962م (1381هـ) تطالب بالسلم مع الأكراد، الأمر الذى جعل عبد الكريم يعتقل الكثير من أتباعهم بينها القادة الرئيسيون لازالوا أحراراً ثم بدأ عبد الكريم يتجه نحو القوميين.

فى نهاية مايو (أيار) استطاع على صالح السعدى أن يوسع قاعدته حيث ضمت ضباطاً قوميين وبقايا حزب الاستقلال وأعضاء الاتحاد الوطنى للطلبة واتحاد المعلمين وكانت الخطة العسكرية البحته من وضع مكتب عسكرى مؤلف من ستة أشخاص، الأمين العام هو على صالح السعدى، وأعضاؤه: حازم جواد وطالب شبيب وأحمد حسن البكر وصالح مهدى عماش وعبد الستار عبد اللطيف، وتم عقد مؤتمر سرى لحزب البعث للإعداد لانقلاب يطيح بعبد الكريم قاسم.

انقلاب شباط (فبراير) 1963م (1382هـ)[1]

كان لعبد الكريم قاسم قوتان متمركزتان وهى: وزارة الدفاع الموجودة فى العاصمة على الضفة الشرقية لنهر دجلة، ومعسكر الرشيد على بعد ستة أميال إلى الجنوب الشرقى من بغداد.

كان حزب البعث يخطط للتخلص من قوات عبد الكريم الدفاعية، فكان لدى حزب البعث ما يكفى من المؤيدين فى كتيبة الدبابات الرابعة فى أبو غريب ولواء المشاة فى الحبانية[2]، وكان السرب السادس لوحدات الطيران فى الحبانية فى متناول يد البعثيين.

فى منتصف ديسمبر (كانون الأول)1963م، تقررت الخطة وحددت ساعة الصفر فى الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة 18 يناير (كانون الثانى) 1963م، تم اختيار يوم الجمعة لأنه يوم العطلة الأسبوعية التى يكون فيها معظم المدافعين خارج الخدمة_ وأن تقوم طائرات الحبانية بقصف قاعدة الرشيد الجوية لتمنع أى تدخل عسكرى مضاد.

وصلت أخبار الانقلاب إلى الشيوعيين الذين لا يزالون موالين لعبد الكريم، فأخبروا عبد الكريم بخطورة الأمر فى 3 يناير (كانون الثانى)1963م، فقام عبد الكريم بإحالة عدد من ضباط الجيش المتورطين إلى التقاعد فى 6يناير، فقام البعثيين بتأجيل موعد الانقلاب إلى 25 فبراير (شباط) أول أيام عيد الفطر (1/10/1382هـ) ولكن عبد الكريم ضرب ثانية فى 3و4 فبراير (شباط) بإحالة المزيد من الضباط إلى التقاعد، وقبض على على صالح السعدى، فخاف البقية من القادة البعثيين من حملات الاعتقالات والإحالة إلى التقاعد، فقرروا تنفيذ ضربتهم فى يوم الجمعة 8 فبراير (شباط).

فى يوم الجمعة 8 فبراير (شباط) 1963م الموافق 14 رمضان 1382هـ بدأ تنفيذ الخطة.

---

(1) العراق الكتاب الثانى لحنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الفصل الثامن عشر: أكثر السنوات مرارة صفحة 289 - 308.

(2) قاعدة الحبانية تقع على بعد حوالى 45 ميلاً إلى الغرب من بغداد.

خرج القائد الشيوعى للقوات الجوية_قوات عبد الكريم_ الزعيم جلال الأوقاتى وهو يقود سيارته برفقة ابنه الصغير فى الساعة الثامنة والنصف، وما إن نزل من السيارة توقفت مركبة أليه وخرج المهاجمون منها وأطلقوا عليه النار فأردوه قتيلاً ثم سارعوا بالهرب ولم يخرق صمت الشارع إلا صرخات الطفل: (بابا.. بابا).

فى الساعة التاسعة قامت طائرتان نفاثتان من طراز هوكر هنتر من السرب السادس من قاعدة الحبانية بقصف مطار الرشيد العسكرى وخلال دقائق جعلته غير قابل للاستخدام_ قام بتنفيذ الهجوم الرئيس الجوى البعثى منذر الونداوى.

فى الوقت نفسه ظهر حرس قوميون من الأعظمية وانضمت إليهم عناصر من كتيبة الدبابات الرابعة، وانضم إليهم العديد من الضباط المتقاعدين وحاصروا معسكر الرشيد واستطاعوا السيطرة عليه، وفى تلك الأثناء كانت وحدة أخرى من كتيبة الدبابات الرابعة تضم العقيد عبد السلام عارف والعقيد أحمد حسن البكر قد استولت على محطة البث فى أبى غريب.

فى الساعة 9:40 صباحاً صدر البلاغ رقم (1) لزعماء الانقلاب الذين سموا أنفسهم (المجلس الوطنى لقيادة الثورة) وبُث على الهواء عبر الإذاعة.

بعد بث الخبر خرجت الحشود الغاضبة ضد الانقلابيين وتعلوهم هتافات ببقاء الزعيم عبد الكريم قاسم، لأن عبد الكريم كان حسن السيرة مع العامة من الناس، فكان معظم الجمهور يحبونه، ولكن هذه الحشود الغاضبة ووجهت بالقوة وإطلاق النار بعد أن حاولت مراراً وتكراراً فك الحصار عن رئيسهم عبد الكريم.

قامت بعض قوات الحرس القصرى بتوجيه من الزعيم الشيوعى طه الشيخ أحمد ببعض الهجمات ولكنها باءت بالفشل.

عند الساعة الثالثة مساءً بدأت معركة مقر القيادة عبد الكريم وأبدى المدافعون شجاعة وشراسة فى القتال واستمرت المعركة طوال تلك الليله ولم تنته إلا فى ظهر اليوم التالى 9 فبراير (شباط) الموافق 15 رمضان حيث تم اعتقال عبد الكريم قاسم عند الساعة

12:30 ظهراً ومعه طه الشيخ أحمد وغيره من الأعضاء، أُجريت لعبد الكريم محكمة ميدانية عسكرية سريعة وحُكم عليه بالإعدام بإطلاق النار عليه، وتم تنفيذ الحكم عند الساعة 13:30 من اليوم نفسه، ثم قام البعثيون بحملات اعتقالات وإعدامات للشيوعيين حتى قدر القتلى على أقل تقدير بخمسة ألاف قتيل من 8 إلى 10 فبراير (شباط)، بالنسبة للمدن السنية لم تبد أى مقاومة ضد البعثيين أما المدن الشيعية مثل البصرة والكاظمية والشاكرية وعقد الأكراد فقد قاومت هذا التيار البعثى ولكن سرعان ما انهارت مع غروب يوم 12 فبراير (شباط).

نظام البعث الأول[1]

بعد سقوط حكومة عبد الكريم قاسم شكل البعثيون (المجلس الوطنى لقيادة الثورة) الذى ضم أعضاءه كلاً من: رئيس الوزراء أحمد حسن البكر ونائب الوزراء ووزير الخارجية طالب شبيب، ونتيجة لسقوط سلطة عبد الكريم عاد معظم البعثيين الذين هربوا إلى الخارج ومن بين الذين عادوا صدام حسين.

استمرت حملة الاعتقالات وجرى إعدام كل شيوعى لمجرد الاشتباه بنيته فى المقاومة، كان البعثيون يحصلون على أسماء الشيوعيين عن طريق استخبارات أمريكية كما ورد فى بعض الصحف (الأهرام) وكانت تعقد اجتماعات بين البعثيين والاستخبارات الأمريكية فى الكويت خلال الفترة من 1958 _ 1959م _ ومع هذا الإرهاب الذى سلكه البعثيون هرب الكثير من الشيوعيين إلى كردستان وغيّروا أسماءهم وعناوينهم، والبعض هرب خارج البلاد، وفى 20 فبراير (شباط) أُعتقل حسين الرضى_السكرتير الأول للحزب الشيوعي_ وأُستخدمت جميع وسائل التعذيب معه ليتكلم ويعطى معلومات عن الحزب الشيوعى وأعضاءه ولكنه لم يخضع ومات تحت التعذيب بعد اعتقاله بأربعة أيام فى 24 فبراير (شباط) أما عامر العامرى فقد حفظ الحزب الشيوعى له حياته عندما نفوه مع زوجته البلغارية إلى بلغاريا فنجا من الموت بفضل نفيه من قبل حزبه الشيوعى.

---

(1) العراق الكتاب الثالث: لحنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الفصل العشرون: النظام البعثى الأول أو نحو حكم الحزب الواحد صفحة 317 - 339.

خفت درجة القمع نسبياً فى أبريل (نيسان) ومن الذين نجوا من حملة الاعتقالات جمال حيدرى ومحمد صالح العبدلي_ عضو المكتب السياسى اللذان ورثا القيادة المباشرة للحزب الشيوعى فبدءوا بإنقاذ ما يمكن إنقاذه وسحب من نفى من بغداد والمدن الأخرى إلى ريف كردستان، وما إن استعاد الشيوعيون شيئاً من معنويتهم حتى قاموا بمقاومة السلطة البعثية فى 11 يونيو (حزيران) 1963م، ووقفوا إلى جانب الأكراد، فوقعت حرب بين البعثيين من جهة والشيوعيين والأكراد من جهة أخرى واستمرت المناوشات لمدة أكثر من شهر انتهت بهزيمة الشيوعيين والأكراد واعتقال جمال حيدرى ومحمد صالح العبدلى، ونُفذ فيهما حكم الإعدام فى 21 يوليو (تموز) 1963م، ورجع حزب البعث إلى القمع مرة أخرى الذى كان الشيوعيون ضحيته، وتم سجن ما يزيد عن 7000شيوعى، واستخدمت جميع وسائل التعذيب بما فيها الأسلاك الكهربائية وخوازيق الحديد المدببة، طبعاً كل هذه التجاوزات المفرطة أثارت خلافاً داخل حزب البعث نفسه وكان ميشيل عفلق_ مؤسس الحزب وأمينه العام_ قد اهتم بإعلان عدم موافقته على ما يجرى.

فى أغسطس (آب) قرر حازم جواد وطالب شبيب وأحمد حسن البكر وعبد السلام عارف إخراج على صالح السعدى من المجلس الوطنى لقيادة الثورة لأن وجوده أصبح استفزازاً للآخرين ولكنهم أمسكوا عن هذا التصرف خشية على أنفسهم من بطش هذا النظام القامع (أى نستنتج أن البعثيين أنفسهم لا يثقون فى بعضهم البعض).

بعد ذلك بفترة عُقد مؤتمر قومى سادس لحزب البعث وساد ذلك المؤتمر الكثير من النزاعات والاختلافات وانقسم الحزب إلى فئتين:

1. فئة على صالح السعدى.
2. فئة حازم جواد وطالب شبيب.

فئة (1) وقف إلى جانب على صالح السعدى كلا من: حمدى عبد المجيد، ومحسن الشيخ راضى، وهانى الفكيكى، ومنذر الونداوى واتحاد الطلاب ونقابات من العمال.

فئة (2) وقف إلى جانب حازم جواد وطالب شبيب معظم الضباط البعثين منهم: محمد الهداوى آمر كتيبة الدبابات الثالثة، ورئيس الأركان طاهر يحيى وقائد سلاح الطيران حردان التكريتى، ووزير المواصلات عبد الستار وعبد اللطيف.

أما أحمد حسن البكر ووزير الدفاع صالح مهدى عماش فقد اتخذوا خطاً وسطاً فلم يميلوا لأى واحد من الجانبين، أما ميشيل عفلق _المؤسس الفعلى لحزب البعث_ فكان يظهر عدم التحيز فى العلن أما فى الخفاء فكان يعُتقد أنه يحث ويؤيد خصوم على صالح السعدى (الفئة الثانية).

فى 11 نوفمبر (تشرين الثاني) عُقد مؤتمر قطرى استثنائى للحزب فى بغداد، وأثناء الاجتماع اندفع حوالى خمسة عشر ضابطاً مسلحين إلى قاعة الاجتماع وتقدم أحدهم وهو العقيد محمد مهداوي_ المتحيز إلى فئة حازم جواد وطالب شبيب_ وقام هؤلاء الضباط بانتخاب قيادة قطرية جديدة، وكانت هذه القيادة المنتخبة هى فئة حازم جواد وطالب شبيب بالطبع، وأضافوا إليها القليل من فئة على صالح السعدى مثل: منذر الونداوى، وضموا إليهم أحمد حسن البكر وعبد الستار عبد اللطيف وصالح مهدى عماش وطارق عزيز وطاهر يحيى وغيرهم، وما انتهت هذه التمثيلية حتى قام الضباط باعتقال على صالح السعدى وحمدى عبد المجيد ومحسن الشيخ راضى وهانى الفكيكى وأبو طالب الهاشمى وتحت تهديد السلاح أُرسلوا على وجه السرعة وعلى متن طائرة عسكرية إلى مدريد عاصمة أسبانيا.

فى صباح 13 نوفمبر (تشرين الثانى) خرجت حشود غاضبة من جماهير مؤيدى الحزب والحرس القومى إلى شوارع بغداد، فقاموا بمهاجمة مخافر الشرطة ومبنى الهاتف والإذاعة، لكن وزير الدفاع صالح عماش فى الساعة 11:00 صباحاً أعلن عبر الإذاعة أن هناك محاولات لجعل البعثين يقتلون رفاقهم البعثيين.

طالبت الحشود الغاضبة بإعادة على صالح السعدى ورفاقة الأربعة ولكن هذه المطالب لم تحصل على إجابة.

كل هذه الأمور جعلت الرياح تهب فى صالح عبد السلام عارف ـ وهو قومى مستقل ناصرى الميول وليس بعثياً وإنما صديقاً للبعثيين ـ فقام إلى العمل بالتنسيق مع شقيقه قائد الفرقة الخامسة عبد الرحمن عارف، وقائد الفرقة الأولى الزعيم ركن عبد الكريم فرحان، وآمر الشرطة العسكرية العقيد سعيد صليبى، ورئيس الأركان طاهر يحيى، وقائد سلاح الجو حردان التكريتى لتنفيذ انقلاب ضد النظام الغير مستقر.

فى صباح يوم 18 نوفمبر (تشرين الثانى) 1963م قامت طائرات من قاعدة الرشيد الجوية بقصف قيادة الحرس القومى فى الأعظمية وسرعان ما أنضمت إليها الدبابات ووحدات المشاة، واستمرت الهجمات حتى أضعفت كل معسكرات الحرس القومى ومع حلول المغرب قُضى على جميع المقاومات، وبدأ حكم عبد السلام عارف حيث قام بملاحقة القادة البعثيين وسجن بعضهم ومن بين الذين حُكم عليه بالسجن صدام حسين الذى استطاع الاختفاء فى العراق وبدأ بتوثيق صلته بقريبه رئيس الوزراء أحمد حسن البكر الذى عُين فيما بعد نائب رئيس الجمهورية عبد السلام عارف، ولكن عبد السلام شدد فى ملاحقته للبعثيين فلجأ معظمهم إلى الهرب إلى خارج البلاد، أما صدام حسين فقد هرب إلى دمشق حيث التقى بميشيل عفلق وقويت صلته بحزب البعث السورى حيث أُنتخب عضواً فى القيادة القطرية لحزب البعث العربى الاشتراكى العراقى فى نهاية عام 1963م.

سؤال: لماذا هذه الحملة التى قام بها عبد السلام عارف ضد البعثيين؟!

لأنه لم يكن بعثياً فى الأصل وإنما صديق للبعثيين وكان ناصرياً، وكلمة ناصرى أو الجماعة الناصرية هى نسبة إلى جمال عبد الناصر لأنهم كانوا مؤيدين لجمال عبد الناصر ومعجبين بأفكاره ووقفوا إلى جانب الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة.

سلطة عبد السلام عارف[1]

مر النظام خلال فترة تراس عبد السلام عارف بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: العارفيون والعسكريون البعثيون والناصريون.

المرحلة الثانية: الناصريون فى المقدمة.

المرحلة الثالثة: الضباط من أفراد قبيلة عبد السلام عارف.

المرحلة الأولى:

العارفيون والعسكريون البعثيون والناصريون العارفيون تألفوا من رئيس مجلس قيادة الثورة عبد السلام عارف، ورئيس الأركان بالوكالة عبد الرحمن عارف، وقائد حامية بغداد سعيد صليبى.

- الضباط البعثيون تألفوا من القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع حردان التكريتى، ورئيس الوزراء طاهر يحيى، ونائب رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر ووزير الداخلية رشيد مصلح.
- الشخصيات الناصرية شملت مدير التخطيط العسكرى محمد مجيد وقائد سلاح الطيران عارف عبد الرزاق.

كان عبد السلام ناصرياً وكانت ناصريته متلازمة مع التصاق ملحوظ بالإسلام ففى عهده مُنع تقديم المشروبات الروحية فى حفلات الدولة ومُنع خرق صيام رمضان علانية، لكن الناصريين صاروا يرتبطون بالحركيين القوميين (حركة القوميين العرب) والرئيس عبد السلام لم يبذل إلا جهداً صغيراً لإخراج الناصريين من مواقعهم واحداً بعد الآخر، وسرعان ما سيطروا على مناصب هامة فى الحكومة.

---

(1) العراق الكتاب الثالث لحنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الفصل الحادى والعشرون: عارف الأصغر والناصريون والشيوعيون صفحة 341 - 375.

المرحلة الثانية:

الناصريون فى المقدمة:

فى 26 مايو (أيار) 1964م (1383هـ) اتفقت حكومة العراق مع الجمهورية العربية المتحدة على تشكيل مجلس رئاسى مشترك وقامت حكومة بغداد بتأميم كل المصارف والشركات والمؤسسات الصناعية.

فى 15سبتمبر (أيلول) حاول الحركيون القوميون والناصريون الاستيلاء على السلطة مستفيدين من تغيب عبد السلام لحضور قمة عربية فى الدار البيضاء، ولكن العقيد سعيد صليبي_ آمر حامية بغداد_ كشفهم وقام بتوجيه ضربة أخيرة ضدهم فهرب الضباط الناصريون الرئيسيون خارج البلاد وبالتالى انتهت المرحلة الثانية، شددت السلطة فى مطاردة كل من يشك فى أمره، فتم اعتقال صدام حسين فى 14 أكتوبر 1964م_ لأنه قد عاد خلسة إلى العراق_ وتم سجنه فى زنزانة انفرادية بتهمة التخطيط مع البعثيين للانقلاب ضد النظام الحاكم.

المرحلة الثالثة:

أصبح عبد السلام عارف والضباط من أفراد قبيلته هم الحكام الأخيرين والوحيدين فى الدولة.

حاول المجلس إلزام نفسه بتحقيق وحدة العراق والتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة، وقبل أن يسمح الوقت لمجلس الوزراء بتحقيق أهدافه مات عبد السلام عارف فجأة فى 13 أبريل (نيسان) 1966م إثر تحطم طائرته الهليكوبتر فى عاصفة رملية قرب مدينة القرنة فى جنوب العراق وبالتالى انتهت المرحلة الثالثة دون تحقيق أهدافها.

نلاحظ أن عهد عبد السلام عارف كان عهد استقرار، فلم يكن هناك اضطرابات، وساد الأمن والاستقرار البلاد.

سلطة عبد الرحمن عارف[1]

تولى عبد الرحمن عارف شقيق عبد السلام السلطة فى 16 إبريل (نيسان) 1966م (1385هـ) وكان على علاقة وطيدة مع زعيم حامية بغداد سعيد صليبى، وكان نظامه استمراراً لنظام شقيقه، وبقى محوره الحرس الجمهورى، لكن عبد الرحمن كان سلطاناً ضعيفاً، وأصبحت الحكومة فى عهده ألعوبة، وفى نفس السنة 1966م قام الناصريون بمحاولة للاستيلاء على السلطة ولكن رئيس الحرس الجمهورى إبراهيم الداوود استطاع أن يفشل هذه المحاولة وقام بسجن جميع المتآمرين.

فى أغسطس (آب) 1966م شكلت حكومة جديدة ترأسها ناجى طالب وتألفت من سبعة ضباط، ولكن الأجنحة العسكرية المختلفة من البعثيين والناصريين بدءوا بالضغط على حكومة ناجى طالب ونجحت ضغوطهم فى تولى عبد الرحمن عارف رئاسة الوزراء فى 10 مايو (أيار) 1967م (1387هـ) لمعرفتهم بضعف سلطته ولتهدئة حماس هذه الأجنحة فقد أختير طاهر وعبد الغنى الراوى وإسماعيل مصطفى وفؤاد عارف نواباً لعبد الرحمن عارف.

فى وجود حكومة ضعيفة وبتسلط من ناجى طالب وغياب لعبد الرحمن عارف، بدأ الحزب الشيوعى ينشط بشكل ملحوظ، وكان الحزب موجوداً منذ عهد شقيقه عبد السلام ولكن بغاية السرية.

فى 5 يونيو (حزيران) 1967م (1387هـ) اندلعت الحرب العربية_ الإسرائيلية اشترك فيها كلاً من مصر وسوريا ولبنان والأردن والقليل من القوات العربية المشاركة من العراق، وانتهت الحرب بانتصار إسرائيل وهزيمة الجيوش العربية واحتلال سيناء والجولات وانكشف ضعف قوة الجيش العربى أمام العالم، والسبب فى الهزيمة هو أن الجيوش العربية فى الليلة السابقة لاندلاع الحرب كانوا يقضونها فى الأنس والسهر وشرب الخمر بينما الجيش الإسرائيلى كان مستعداً كامل الاستعداد، وكردة فعل تولى طاهر يحيى

---

(1) العراق الكتاب الثالث حنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار الفصل الثانى والعشرون: فى ظل عارف الأكبر أو التصدع فى صفوف الشيوعيين صفحة 377 - 387.

منصب الوزارة وقام بإقامة علاقة مع شركة فرنسية فى 23نوفمبر (تشرين الثانى) 1967م للتنقيب عن النفط فى منطقة الرميلة الشمالية، وفى 24ديسمبر (كانون الأول) توصلت الحكومة إلى اتفاق مع الاتحاد السوفيتى للتنقيب عن النفط فى منطقة الرميلة والمساعدة على تسويق النفط.

بالنسبة للحزب الشيوعى فقد تشكلت منظمة باسم (الحزب الشيوعى العراقي_ القيادة المركزية) ودعت إلى القضاء على الدولة الصهيونية العنصرية واستبدالها بديموقراطية عربية_ يهودية على أساس أن هذا هو الحل الممكن، وانتقد الحزب الشيوعى النظام الحاكم على مشاركته الكلامية فى حرب يونيو (حزيران) 67وتبديد قوة الجيش فى أعمال عدوانية متكررة ضد شعب الأكراد.

بعد حرب يونيو (حزيران) قام عبد الرحمن عارف بإطلاق سراح جميع المعتقلين الناصريين الذين شاركوا فى محاولة السيطرة على السلطة فى عام 1966م، وعارض إبراهيم الداوود إطلاقهم وخاطب عبد الرحمن قائلاً : (إنهم يستفيدون من طيبة قلبك ليتسللوا فى أعماق الجيش).

فى 23 يوليو (تموز) 1966م (1386هـ) استطاع صدام حسين الهرب من السجن حيث لجأ إلى الاختفاء مرة أخرى بسبب مطاردة الشرطة السرية له.

انقلاب 17 تموز (يوليو)1968م[1]

فى بداية عام 1968م (1388هـ) حصل تطور خطير جداً، وهو التخطيط لانقلاب ضد عبد الرحمن عارف، هذا التخطيط جرى بين جماعة ضباط القصر، وكان نواة هذه الجماعة رئيس شبكة الاستخبارات العسكرية عبد الرزاق النايف، ورئيس الحرس الجمهورى إبرهيم الداوود، وقائد الدبابات الملحقة بالحرس الجمهورى سعدون غيدان،هؤلاء الثلاثة

---

(1) العراق الكتاب الثالث لحنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار الفصل الثالث والعشرون: النظام البعثى الثانى صفحة 389 -393.

جلبهم سعيد صليبى قائد حامية بغداد وكان عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداوود على علاقة حميمة مع عبد الرحمن عارف.

سؤال: ما الذى أخرج هؤلاء الرجال عن إخلاصهم لعبد الرحمن عارف وجعلهم ينقلبون عليه؟!

إن عبد الرحمن عارف كان يتحدث فى مجلسه بأن عبد الرزاق النايف مجرد أداة حركها إغراء المال، لما وصلت هذه الكلمات إلى عبد الرزاق ثار غضبه وبدأ يفكر فى الانتقام، أما إبراهيم الداوود فالذى جعله ينضم إلى عبد الرزاق هو خوفه من الناصريين الذين قرروا الانتقام منه خاصة بعد أن أبطل محاولتهم فى الاستيلاء على السلطة فى عام 1966م، نتيجةً لخوف إبراهيم الشديد ضحّى بصديقه وقدم مصلحة نفسه.

هؤلاء جماعة ضباط القصر سموا أنفسهم (الثوريون العرب) وارتبطوا بعلاقة وطيدة مع قادة حزب البعث أحمد حسن البكر وحردان التكريتى وصالح مهدى عماش وأنور عبد القادر الحديثى وصدام حسين وغيرهم، واتفقوا على أن يكون الانقلاب سيكون فى الساعة الثانية من فجر يوم 17 يوليو (تموز) 1968م، لأن خلال هذه الأيام كان سعيد صليبى مريضاً ويتلقى العلاج فى لندن.

كان الهدف من الانقلاب هو الإطاحة بسلطة عبد الرحمن عارف وتسلم عبد الرزاق للسلطة، بينما حزب البعث كان يخطط بسرية تامة على أن تكون السلطة بيد أحمد حسن البكر خاصةً أن البعثيين على علاقة وطيدة مع الحرس الجمهورى.

فى الساعة الثانية من فجر يوم 17 تموز (يوليو) 1968م، دخل سعدون غيدان بسيارته إلى كتيبة دبابات الحرس الجمهورى التى كانت يقودها البعثيون أحمد حسن البكر وحردان التكريتى وصالح مهدى عماش وأنور عبد القادر الحديثى، وفى الوقت نفسه احتل إبراهيم الداوود مبنى الإذاعة بعدد من الدبابات ونخبة من الحرس الجمهورى، بينما سيطر عبد الرزاق النايف على وزارة الدفاع.

فى الساعة 3:30صباحاً كان طاهر يحيى وغيره من شخصيات النظام قد أصبحوا قيد الاعتقال وكانت السلطة قد انتقلت، وعندما سمع عبد الرحمن عارف بهذه الأخبار رأى أنه لا فائدة من المقاومة فاستسلم فوراً، وبعد ست ساعات تم وضعه على طائرة نقلته لينضم إلى زوجته المريضة فى إنجلترا.

أذيع البلاغ فى الساعة 7:28 صباحاً ومنح البلاغ قادة الانقلاب تغطية لبقة وعرض توقعات حل للمشكلة الكردية وحياة ديموقراطية للمواطنين وتأييد للمقاومة الفلسطينية.

ترأس عبد الرزاق النايف الحكومة، وتولى إبراهيم الداوود رئاسة الجمهورية وفاز بمنصب رئيس الأركان وقائد سلاح الطيران حردان التكريتى ونال صالح مهدى عماش منصب وزير الداخلية.

فى نفس اليوم 17 يوليو (تموز) شن البعثيون حملات تفتيش فتم اعتقال يحيى طاهر نائب عبد الرحمن عارف، ولم يفرج عنه إلا فى عام 1973م، خرج وهو أعمى ولازم بيته حتى وفاته، وتم اعتقال فؤاد الركابى بالأمر بمقتله بطعنه بسكين أحد المساجين فى نوفمبر (تشرين الثانى) 1971م.

كان حزب البعث يخطط لتسلم السلطة وتنصيب أحمد حسن البكر، فلذلك لم يتأخروا عن تكملة تنفيذ مخططهم، وبعد الانقلاب بثلاثة عشر يوماً فى 30 يوليو (تموز) وفى غياب إبراهيم الداوود حيث كان مكلفاً بمهمة فى الأردن، أما عبد الرزاق النايف فقد دعا إلى اجتماع طارئ وتناول مائدة الغداء مع رهط من الرجال المسلحين فأمروا عبد الرزاق بالخروج من البوابة الرئيسية وأوصوه ألا ينسى أن يقوم بتحية الحرس قبل صعوده سيارته إذا كان يريد البقاء على قيد الحياة، بعد تم نقله على متن طائرة إلى المغرب، وتم عزل باقى وزرائه، أما سعدون غيدان فقد كسبوه إلى جانبهم. فى نفس الوقت كان حردان التكريتى قد سيطر على الحرس الجمهورى بينما دخلت دبابات اللواء العاشر وقامت باحتلال النقاط الأساسية فى الحكومة.

نظام حزب البعث الثانى ورئاسة أحمد حسن البكر[1]



أحمد حسن البكر

ترأس أحمد حسن البكر الحكومة وصار الأمين العام القطرى وعين قريبه صدام حسين[2] نائب رئيس المجلس الوطنى لقيادة الثورة وعين خير الله طلفاح حاكماً لبغداد، وقام أحمد حسن البكر بتعيين جميع أعضاء حزب البعث من تكريت بالضبط بالأصل أو بالمولد، ونصب الوزير صلاح عمر العلى عضواً فى مجلس قيادة الثورة واتسم حزب البعث بالسمات السنية التكريتية أمثال حردان التكريتى وسعدون غيدان وصالح مهدى عماش وحماد شهاب وعبد الكريم الشيخلى وعزت إبراهيم الدورى وعبد الخالق السامرائى وغيرهم لكن سيطرة صدام حسين على مكتب الأمن القومى جعلته يسيطر على إدارات الأمن الداخلى والاستخبارات العسكرية.

صار حزب البعث فى عهد أحمد حسن البكر يتكون من ثلاث كتل:

الكتلة الأولى: كتلة أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية ومعه قريبه صدام حسين.

(1) العراق الكتاب الثالث لحنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الفصل الثالث والعشرون: النظام البعثى الثانى صفحة 398 - 416.

- بعث العراق سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية الفصل الثالث: صدام يقود الحزب إلى السلطة صفحة 39، الفصل الرابع: ثالوث تكريت والجيش والحزب صفحة 53.

(2) مات والد صدام وصدام لازال فى بطن أمه فتولى تربيته خاله خير الله طلفاح، وخير الله طلفاح هو ابن عم أحمد حسن البكر.

الكتلة الثانية: كتلة حردان التكريتي بصفته وزيراً للدفاع.

الكتلة الثالثة: كتلة الضابط البعثى العراقى القديم صالح مهدى عماش بصفته وزيراً للداخلية.

فى 5 يناير (كانون الثانى) 1969م (1389هـ) جئ بالدفعة الأولى من الجواسيس إلى المحاكم العلنية، فتم شنق 14 متهماً منهم أربعة يهود وبقيت الجثث معلقة لعدة أيام مما أثار الرعب فى قلوب الكثير من الناس، بعدها خرج الوزير البعثى صلاح عمر العلى على التلفزيون مخاطباً الجمهور قائلاً: (يا شعب العراق العظيم، عراق اليوم سوف لن يتسامح مع أى خائن أو جاسوس أو عميل للطابور الخامس، أنت يا إسرائيل اللقيطة، أنتم أيها الإمبرياليون الأمريكان، وأنتم أيه الصهاينة، اسمعونى، سوف نكتشف كل ألاعيبكم القذرة، سوف نعاقب كل عملائكم، سوف نعدم كل جواسيسكم حتى لو كان هناك الآلاف منهم).

أحس حزب البعث أن وسيلة القمع والإعدامات التى يسلكها تزيد من قوته فواصل حملة القمع والإعدامات فى كل من يتهم بالعمالة للطابور الخامس ورجع إلى قمع الشيوعيين من جديد، ومع هذا القمع المتواصل ضد الشيوعيين قرر الشيوعيون تشكيل فصيل مسلح صغير فى يناير (كانون الثانى) 1969م، وقاموا بمهاجمة وإطلاق النار على منزل صدام حسين ومنزل صلاح عمر العلى، بعدها قام البعثيون باعتقال سكرتير القيادة المركزية للشيوعيين، عزيز الحاج، والكثير من معاونيه، فى فبراير (شباط) وتحت التعذيب مات أكثر من عشرين شخصاً، أما عزيز الحاج فقد انهار وظهر فى يوم 3 أبريل (نيسان) 1969م على شاشة التلفزيون داعياً أتباعه إلى التخلى عن العنف والتعاون مع حزب البعث، وبعدها بفترة صار التعاون ظاهراً بين البعثيين والشيوعيين حيث انتهى الأمر بتوليه الشيوعى عزيز شريف وزيراً للعدل.

فى يناير (كانون الثانى) 1969م (1389هـ) كشفت أجهزة الأمن العراقية مؤامرة للإطاحة بالنظام الحاكم وكانت مدعومة من قبل إيران فى وجود زعيمهم شاه إيران، فهذه المؤامرة كشفت عن مطامع شاه إيران وتم القبض على المتآمرين وشكلت لهم محكمة خاصة

مكونة من طه ياسين رمضان، وناظم كزار، ونفذت حكم الإعدام فيهم فأُعدم 42 شخصاً فى يناير (كانون الثانى) 1970م.

فى أوائل مارس (أذار) 1969م شن الأكراد هجوماً على كركوك، فلم ينسها لهم حزب البعث، فقام الجيش العراقى فى 8 أغسطس (آب) 1969م بارتكاب مذبحة فى قرية داكان الكردية التى تقع بجوار الموصل وأجبرهما على الدخول تحت السيطرة وحتى تكون عبرة لغيرها من القبائل الكردية، وكان قبلها فى 1 مايو (أيار) قد عقدت الحكومة اتفاق كبريت مع البولنديين ثم معاهدة للتعاون الاقتصادى والفنى مع برلين عاصمة ألمانيا الشرقية آنذاك وأخرى مع موسكو فى يوليو (تموز).

فى أكتوبر (تشرين الأول) صدر الحكم على عبد الرحمن البزاز بالسجن لمدة 15 سنة بتهمة العمالة للصهاينة.

أحداث عام 1970م[1]

استنكر الشيوعيون استمرار الموقف السلبى للنظام البعثى ضد الحريات العامة، فعندما عقد النظام البعثى الحاكم فى 11 مارس (أذار) 1970م (1390هـ) اتفاقية مع الأكراد مع زعيمهم المخضرم الملا مصطفى البرازنى،[2] وكان يترأس الحزب الديمقراطى الكردستانى ومعه جلال الطالبانى وإبراهيم أحمد، وأقرت الحكم الذاتى للأكراد فى المناطق التى يشكلون أغلبيتها، وبعدها شنّ البعثيون حملة اغتيالات فى صفوف الشيوعيين، وكان يعبّر النظام البعثى عن استنكاره لما يحدث من اغتيالات بالرغم من أنها مدبرة من جهته وبالأخص من جهة قوات الأمن التى يمسك بها صدام حسين، ولم تتوقف الاغتيالات بل استمرت حتى عام 1971م، ومعظم الذين اعتقلوا ماتوا تحت التعذيب، طبعاً هذه الاتفاقية

(1) بعث العراق سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل الخامس: تأسيس جمهورية الخوف صفحة 67 - 78.
العراق الكتاب الثالث لحنا بطاطو الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الفصل الثالث والعشرون: النظام البعثى الثانى صفحة 416- 419.

(2) الملا مصطفى البرزانى كان قد استقبل فى بغداد بعد انقلاب يوليو (تموز) 1958م بعد إقامة طويلة فى موسكو، وقد قامت السلطة العسكرية فى عهد عبد الكريم قاسم بمساعدته على إخضاع العشائر المنافسة له وجعلها تحت سيطرته مع وضع سلام فى كردستان.

بين حزب البعث والأكراد أجبرت الملا مصطفى البرزانى على قطع علاقته مع إيران.

فى سبتمبر (أيلول) 1970م، وضعت الحكومة العراقية قوات عراقية فى الأردن إلى جانب الملك حسين للتدخل فى حالة حدوث أى هجوم على الأردن من قبل إسرائيل، لكن هذه القوات العراقية لم تتدخل وخاصة بعد ضرب إسرائيل للأردن، والسبب يعود إلى الضغوطات الأمريكية والسوفيتية والضعف العسكرى فى مواجهة إيران، فأدى ذلك إلى الإطاحة بحردان التكريتى قائد الكتلة الثانية فى الحزب، والسبب أنه على ما يبدو كان مسئولاً جزئياً عن عدم التحرك فى الأردن، وأيضاً تخوف أحمد حسن البكر وصدام حسين من تزايد نفوذه داخل الجيش، فتم طرده من منصبه فى 15 أكتوبر (تشرين الأول) 1970م، وفى النهاية تم اغتياله فى الكويت فى 30 مارس (أذار) 1971م، وبالتالى انتهت الكتلة الثانية، كتلة حردان التكريتى، وبقيت الكتلة الثالثة، كتلة صالح مهدى عماش.

فى نفس الفترة سبتمبر (أيلول) مات الرئيس المصرى جمال عبد الناصر، وفى نوفمبر (تشرين الثانى) تمكن وزير الدفاع السورى حافظ الأسد فى عملية انقلاب من إبعاد اليساريين وتسلم السلطة.

أحداث عام 1971م[1]

كانت حكومة أحمد حسن البكر وصدام حسين غير قادرة على مقاومة قوات شاه إيران لأنه كان متحالفاً مع الولايات المتحدة الأمريكية، بينما علاقات العراق مقطوعة مع الولايات المتحدة منذ عام 1967م وليس للعراق علاقة إلا مع الاتحاد السوفيتى، وكان وراء العراق وقت طويل حتى يغير سلاحه السوفيتى القديم المستخدم منذ عام 1958م، فقام الرئيس العراقى أحمد حسن البكر فى 9 أبريل (نيسان)1971م (1391هـ) بتوقيع معاهدة مع رئيس الوزراء السوفيتى ألكسى كوسيفين فى العاصمة العراقية وكانت مدة المعاهدة

(1) بعث العراق سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل السادس: محنة الشيوعيين صفحة 81-82.

العراق الكتاب الثالث لحنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الفصل الثالث والعشرون: النظام البعثى الثانى صفحة 419- 424

15 سنة قابلة للتجديد وتربط الطرفين بصداقة دائمة وعدم اتخاذ أى قرار يضر بالطرف الآخر.

فى 28 سبتمبر (أيلول) تم طرد العميد صالح مهدى عماش من وزارة الداخلية وطرد عبد الكريم الشيخلى من وزارة الخارجية، وقد تم طردها بعد تولى صدام حسين نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، وانتهى الأمر بصالح مهدى عماش بنفيه إلى فنلندا ومات على ما يشبه أنه قتل مسموماً، أما عبد الكريم الشيخلى فقد عُين سفيراً ثم عاد إلى بغداد بعد تقاعده وانتهى به الأمر مقتولاً بطلقات نيران مجهولة المصدر فى عام 1982م، وهكذا قضى على الكتلة الثالثة.

فى 29سبتمبر (أيلول) كان هناك محاولة غامضة لاغتيال الملا مصطفى البرزانى زعيم الحزب الكردى.

فى أوائل نوفمبر (تشرين الثانى) استولى شاه إيران _ محمد بهلوى _ على جزر أبو موسى وطنب الصغرى والكبرى العربية بدعم من أمريكا وكان الشاه يطمح للهيمنة على الخليج وثرواته، وفى 15 نوفمبر (تشرين الثانى) أعلن أحمد حسن البكر لائحة العمل الوطنى التى مهدت الطريق إلى الجبهة، فأكدت على محورية التصدى لشاه إيران وجميع المؤامرات الإمبرالية والصهيونية كما دعت إلى تحالف وطنى واسع وضمان كل الحريات الديمقراطية.

أحداث أعوام 1972م،1973م،1974م،1975م(1)

فى أبريل (نيسان)1972م (1392هـ) بدأ النظام الحاكم بالإنتاج الوطنى للنفط من حقل الرميلة الشمالية بمساعدة سوفيتية، وفى 14 مايو (أيار)1972م عرض حزب البعث على الشيوعيين المشاركة فى الحكم وأن تكون لهم حصة فى السلطة ماعدا الجيش وثلاث

(1) بعث العراق سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية الفصل السادس: محنة الشيوعيين صفحة 83 - 91.

العراق الكتاب الثالث لحنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار الفصل الثالث والعشرون: النظام البعثى الثانى صفحة 424- 425.

وزارات هى: الدولة والرى والعدل، وفى نفس الشهر تولى صدام حسين رئاسة اللجنة البعثية_ الكردية.

فى سبتمبر (أيلول) 1972م (1392هـ) حاول ناظم كزار قتل الزعيم الكردى الملا مصطفى البرزانى بطريقة جهنمية حيث قام رجال أمن ناظم كزار بتفخيخ ستة رجال دين من السنة والشيعة فى غفلة منهم ودون علمهم، وفى مجلس الملا مصطفى البرزانى انفجرت القنابل وقتلت الكثير، لكن الملا مصطفى نجا منها بأُعجوبة، وأثناء التحقيق فى هذه الجريمة، كان ناظم كزار يخطط أيضاً مع الشيوعيين على تنفيذ انقلاب ضد النظام الحاكم، ولكن مؤامرة ناظم كزار كشفت فى النهاية، فاضطر ناظم كزار إلى اعتقال وزير الدفاع حماد شهاب التكريتى ووزير الداخلية العميد سعدون غيدان واصطحبهما معه كرهينتين ليتمكن من الهرب إلى إيران، وأثناء هربه قام بقتل حماد شهاب التكريتى وسعدون غيدان فى 30 يونيو (حزيران)1973م واستطاعت قوات حزب البعث القبض على ناظم كزار ومن معه قرب الحدود العراقية الإيرانية، وتحت التعذيب اعترف ناظم كزار بشيعيته وأن مؤامرته كانت مدعومة من قبل إيران، فتم تنفيذ حكم الإعدام لناظم كزار ومعه 35 شخصاً على الأقل فى 8 يوليو (تموز)1973م، كما أُعدم رئيس مكتب البعث العسكرى محمد فاضل فى اليوم التالى فى 9 يوليو، وتم الحكم بالسجن المؤبد لعبد الخالق السامرائى لاتهامه بأنه كان على صلة بالمؤامرة المضادة للحكم التى تزعمها العقيد ناظم كزار (وهناك شكوك بأن الحكام استغلوا هذه المؤامرة للتخلص من عبد الخالق السامرائى) ثم تم إعدام عبد الخالق بعد سجنه بست سنوات.

بعد الحادثة، صار حزب البعث أكثر حرصاً، فقام بحملات تطهير فى الحزب لعدد من الضباط أمثال: حسين حياوى، وداوود الجنابى، وحسين مصطفى، وصادق مصطفى، وطه شكرجى، وقام بترحيل الكثير ما بين أربعين إلى خمسين ألف من ذوى الأصول الإيرانية وقام بتهجير الكثير من اليزيديين.

فى 6 أكتوبر (تشرين الأول) 1973م (فى العاشر من رمضان 1393هـ) شنت القوات المصرية والسورية حرباً على إسرائيل، فاستطاعت القوات المصرية أن تحطم خط بارليف وأن

تسترجع شبه جزيرة سيناء، بينما القوات السورية استطاعت أن تسقط الحماية الإسرائيلية فى الجولان وأن تستعيدها، لكن جسر الطيران العسكرى الذى كانت تمده أمريكا لإسرائيل استطاع أن يقلب النصر إلى هزيمة، واستطاعت الطائرات الإسرائيلية أن تدمر المضادات المصرية للطيران وصارت تجول فى الأجواء المصرية بدون مقاومة، كما أُحكم الحصار على الجيش المصرى الثالث فى سيناء، وعندما سمعت سوريا بانهيار الجيش المصرى انسحبت من الجولان بدون مقاومة.

بعد حرب 73، دب الخلاف بين سوريا والعراق وصارت سوريا تتهم العراق بالتقاعص عن نصرتهم فى الحرب ضد إسرائيل، بينما العراق مشغول بمشاكله السياسية ضد إيران والأكراد، طبعاً العرب يحتاجون إلى من يلمهم وإلى توحيد كلمتهم، لكننا نلاحظ هنا أن العلاقات السياسية فيما بينهم كافية لوصف الحال الذى كانوا عليه.

فى أواخر عام 1973م، قامت صحيفة الثورة العراقية بنشر مقالات ضد قيادة الملا مصطفى البرزانى وعلاقته مع إيران، واتهمت الأكراد بأعمال تخريبية لمنشآت عامة فى الشمال وزاد ذلك الخلاف النزاع الذى دب بين حزب البعث والأكراد فيما يخص نفط كركوك، فرأى حزب البعث بقيادة أحمد حسن البكر وصدام حسين أن الأكراد صاروا يتصرفون وكأنهم دولة مستقلة واتضح ذلك فى:

* بناء علاقة مع إيران العدو الأول لحزب البعث وخاصة بعد احتلال الجزر الثلاثة.
* رغبة الأكراد فى أن تكون كركوك عاصمة لهم بدلاً من أربيل مع حق الاستفادة من نفطها.
* الأعمال التخريبية للمنشآت العامة فى الشمال.

طبعاً هذه الأمور جعلت حزب البعث يتوجس خيفة من الأكراد، فتحولت هذه النزاعات إلى حرب علنية بين حزب البعث الحاكم والأكراد فى مارس (أذار)1974م (1394هـ)، فقامت الطائرات بقصف شامل على مواقع الأكراد الحساسة مثل موقع زاخو وقلعة ديزا، واستمرت الحرب حتى مارس (أذار)1975م (1395هـ).

فى 6 مارس (أذار) 1975م كانت اتفاقية الجزائر التى حضرها صدام حسين وشاه إيران والرئيس المصرى أنور السادات الذى أوغر صدر الشاه ضد الأكراد ودفعه إلى التخلى عن دعمهم وانتهت بالاتفاقية العراقية_ الإيرانية بين شاه إيران وصدام حسين التى تضمنت، تخلى الشاه عن دعم الأكراد وفيها تنازل صدام حسين عن نصف شط العرب وخوزستان وعربستان، التى تعتبر من أغنى المناطق بالنفط، وأن يتوقف حزب البعث عن دعم المعارضة الإيرانية، بعدها قامت إيران بقطع علاقتها مع الأكراد وقامت بسحب قواتها العسكرية، فعندما لم يتباطأ حزب البعث فقام بهجوم مكثف على الأكراد نتج عنه سقوط الآلاف من القتلى ولجوء أكثر من 200 ألف كردى، حاول الملا مصطفى التفاوض مع بغداد، لكن صدام رد قائلاً: (لا مجال للتفاوض ما دام الملا مصطفى باقياً فى قيادة الأكراد) وتحت هذا الضرب القوى من قبل حزب البعث استسلم معظم الأكراد وانتهت الحرب بانهيار الملا مصطفى البرزانى وقتل ثلاثة من أبنائه: لقمان وعبيد الله وصابر، وفى عام 1976م نُقلت عشيرة البرزانى إلى جنوب العراق حيث بقيت حتى عام 1981م.

بعد نكبة الملا مصطفى البرازانى تم نفيه إلى إيران، بدأ حزبه الحزب الديمقراطى الكردستانى بالانهيار، وصارت الطريق مفتوحة أمام جلال الطالبانى وجماعته ليكونوا حزباً يسارياً (شيوعياً اشتراكياً) أسموه بحزب الاتحاد الوطنى الكردستانى فى يونيو 1975م، وبقى الحزب الديمقراطى الكردستانى على تحكم من بعد من إيران بواسطة نجلى الملا مصطفى، إدريس ومسعود، ولكن لم تكن هيمنتهما بنفس هيمنة جلال الطالبانى، فبدأت الخلافات السياسية تبدو واضحة على كلا الحزبين.

كانت سوريا قد اتجهت لدعم الشعب الكردى أثناء حربه ضد النظام الحاكم، وفى نفس الشهر مارس (أذار) 1975م كشفت سوريا مؤامرة عسكرية مدعومة من العراق، فهذا زاد الطين بلة وجعل العلاقات العراقية السورية تزداد ضعفاً إلى ضعف ويغمرها الخلاف بين الدولتين.

فى ديسمبر (كانون الأول) 1975م زار صدام حسين لبنان كى يسجل دعمه للحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية، لكن سوريا ما لبثت أن سيطرت على الساحة كلها فى لبنان،

وقامت بإدخال قواتها فى عام 1976م (1396هـ) وانتهت كل هذه النزاعات باتفاقيات بين الطرفين فى القمتين العربيتين فى القاهرة والرياض عام 1976م.

كان الشاه إيران وإسرائيل قد تم التفاهم بينهما، ولم يكن هذا التفاهم بغاية السرية، فى نهاية عام 1974م، على إبقاء العراق ضعيفاً لأطول مدة ممكنة.

أحداث عام 1976م

عام الاغتيالات المتكررة الفاشلة[1]

فى أبريل (نيسان) 1976م اكتشفت مؤامرة سورية لاغتيال صدام حسين فى العراق، فقرر صدام القيام برحلة إلى الخليج، وفى يونيو (حزيران) قام حزب البعث العراقى بتحريك جيشه إلى الحدود الغربية وطالب دمشق أن تسمح للجيش بالعبور إلى الجولان ومن ثم إلى فلسطين، لكن الحكومة السورية رفضت متهمة العراق بالسعى لغزوها، بعدها طالب العراق سوريا بالانسحاب من لبنان ووصفه بالاحتلال السورى للبنان ولكن سوريا لم تعط هذه المطالبة اهتماماً.

فى نفس العام 1976م (1396هـ) جرت محاولة اغتيال للرئيس السورى حافظ الأسد فى اللاذقية وباءت بالفشل، كما جرت محاولة اغتيال ناجحة للبعثى أحمد الغزاوى فى سوريا بعد أن هرب من بغداد خوفاً من اغتياله من قبل السلطة فى عام 1974م، هرب إلى سوريا وقام ببناء تنظيم حزبى ولكنه فى النهاية اغتيل من جهة غير معروفة.

فى 1 ديسمبر (كانون الأول)1976م استهدفت محاولة اغتيال باءت بالفشل وزير الخارجية السورى عبد الحليم خدام، ولم يمر عليها سوى 13 يوماً حتى انفجرت عبوة فى مطار بغداد قتلت ثلاثة وجرحت الكثير.

---

(1) بعث العراق سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل العاشر: حرب الزعامة الإقليمية صفحة 133 - 145..

أحداث عام 1977م[1]

فى يناير (كانون الثانى) 1977م (1397هـ) حكمت محكمة أمن الدولة السورية العليا بالموت على مجموعة من المجرمين العراقيين اتهموا بزرع متفجرات فى أماكن مأهولة بالسكان فى دمشق وحلب، واتهمت بغداد بقتل محمد الفاضل فى فبراير (شباط) 1977م.

فى فبراير (شباط) 1977م فى يوم عاشوراء محرم سنة 1397هـ، انطلق موكب دينى مكون من 30 ألف شخص من النجف إلى كربلاء مردداً أناشيد دينية تتخللها شعارات مناهضة للبعث، فهاجمه اللواء المدرع السادس للجيش تعززه المروحيات، وهكذا عرفت الشيعة يومين أسودين قُتل فيهما من قتل واعتقل الآخرون، وأعدم الأشخاص الذين كانوا وراء هذا التجمع واختفى الكثير، وكانت المرة الأخيرة التى يحتفل الشيعة فيها علناً بمصرع الحسين بن على بن أبى طالب، بعدها اتهم العراق سوريا بالوقوف وراء أحداث النجف وكربلاء.

فى 19 نوفمبر (تشرين الثانى)1977م قام الرئيس المصرى أنور السادات بزيارة لإسرائيل لبحث موضوع من أجل عملية سلام بين مصر وإسرائيل، طبعاً كانت هذه الزيارة ضربة قوية للدول العربية حيث قامت سوريا بقطع علاقتها مع مصر وفى نفس الوقت كانت تواجه تياراً معادياً من العراق.

أحداث عام 1978م و1979م[2]

خلال ربيع وصيف 1978م (1398هـ) (من 21 مارس (أذار) إلى 22 ديسمبر (كانون الأول) عصفت بسوريا نشاطات إرهابية متتالية ولم تتوقف إلا بعد سماح دمشق لوحدة من المتطوعين العراقيين بالعبور إلى الجنوب اللبنانى الذى اجتاحته إسرائيل.

---

(1) بعث العراق، سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل الثامن: محنة الشيعة صفحة 115 -118، الفصل العاشر: حرب الزعامة الإقليمية صفحة 133 -145.

(2) بعث العراق، سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل الحادى عشر: الحرب على إيران صفحة 147 -148.

- أهم الأحداث التاريخية 1680ق.م19-39 لحمد وطهاس، اندلاع الثورة الإسلامية فى إيران عام 1978م صفحة 385.

في1 سبتمبر (أيلول)1978م وقّع أنور السادات مع الرئيس الإسرائيلي اتفاقية كامب ديفيد في أمريكا في وجود الرئيس الأمريكي كارتر، وكانت عبارة عن معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل، وبعدها طُردت مصر من جامعة الدول العربية.

مع تخلي مصر عن الدول العربية وما تواجهه من تيارات عارمة اتفق الرئيس السوري حافظ الأسد والرئيس العراقي أحمد حسن البكر وصدام حسين على توقيع ميثاق العمل القومي المشترك في 26 أكتوبر (تشرين الأول) 1978م.

خلال هذا العام 1978م وكتكمله لأحداث النجف وكربلاء استمرت حملات البعث التفتيشية على الشيعة ومؤسساتهم الدينية في الجنوب وشُدّد التفتيش على رجال الدين الشيعة وكان ممن قُبض عليه رجل ديني شيعي متشدد هو: آية الله الخميني الذي كان لاجئاً في النجف منذ عام 1965م، وعندما قُبض عليه من قبل حزب البعث، قاموا بإذلاله ومن معه من رجال الدين ثم نفوه وأبعدوه عن العراق في أكتوبر (تشرين الأول)1978م ليستقر بعد ذلك في ضاحية بالقرب من باريس حاملاً معه الأحقاد الضغينة ضد السلطة البعثية جراء ما ارتكبوه من إعدامات في حق أصدقائه رجال الدين الشيعة.

وخلال هذا العام1978م (1398هـ) ازداد نفوذ المعارضة الإيرانية ضد الحكومة الإيرانية، وترأسها الزعماء الدينيون الذين دعوا إلى العودة إلى مبادئ الإسلام الأصلية وكانت هذه الحركة مدعومة من قبل أية الله الخميني ورجاله، تفاقمت المعارضة وسادت المظاهرات الشوارع، فرد جيش الشاه على المتظاهرين بإطلاق النار، فأريقت الدماء وتعاظمت أعمال الشغب وصار الشاه نفسه مهدد هو وعائلته لأن الثورة التي عرفت بالثورة الخمينية كانت قد حققت أهدافها وضيقت الخناق على الشاه محمد بهلوي وجماعته، فعندها حمل حقائبه وغادر طهران في 16 يناير (كانون الثاني) عام 1979م (1399هـ) وكان مريضاً بالسرطان، وصار يائساً من رخاوة الزعيم الأمريكي كارتر، ثم مات بعد ذلك في منفاه في مصر عام1980م (1400هـ).

في 1 فبراير (شباط) 1979م (1399هـ) وصل الشيخ آية الله الخميني إلى طهران بملابس سوداء حيث قام بتسلم السلطة من فوره، وكان شغله الشاغل هو الانتقام من سلطة البعث في العراق.

مع تسلم آية الله الخمينى للحكم فى إيران، خاف حزب البعث العراقى بقيادة أحمد حسن البكر، فما لبث أحمد حسن البكر أن استقال فى 16 يوليو (تموز) 1979م، مخلفاً الرئاسة لنائبة صدام حسين، أحمد حسن البكر استقال لأن صدام حسين هدده بالقتل فاستقال وأوجد لنفسه سبباً لاستقالته وهو اعتلاله بالمرض.

تولى صدام حسين السلطة فأول عمل قام به هو إعدام مالا يقل عن عشرين من المنافسين له من أعضاء حزب البعث والعسكريين، وأعطى إبراهيم عزت الدورى منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، واعتمد على وجوه بعثية خبيرة كسعدون حمادى ونعيم حداد ومحمد سعيد الصحاف.

بتولى صدام حسين السلطة وبعد أن ثبت سلطته البعثية ومع التهديدات المتكررة من إيران الشيعية، خاف صدام من شيعة العراق فى الجنوب فبدأ بالضغط عليهم وأجبر الكثير ممن يُشك فى عدم أصوليتهم بالعراق بالهجرة، فهاجر الكثير من الشيعة إلى إيران وسوريا والأردن وبلدان الخليج وبريطانيا والولايات المتحدة، وسلك صدام سياسة القمع والإعدام تجاه الشيعة حيث أعدم خلال عام 1979م أربعة عشر شيخاً من رجال الدين الشيعة.

الباب الرابع

سلطة صدام حسين التكريتي

- الرئيس البعثي صدام حسين.
- حرب الخليج الأولى (الحرب العراقية الإيرانية).
- حرب الخليج الثانية (غزو العراق للكويت).
- سنوات الحصار.
- حرب الخليج الثالثة (غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق).

الرئيس البعثى صدام حسين

نبذة عن حياته حتى تسلمه السلطة:[1]

ولد فى قرية العوجة قرب مدينة تكريت فى 28أبريل (نيسان)عام 1937م،توفى والده حسين قبل ولادته، فقامت أمه بتربيته مع زوجها إبراهيم حسن، أقام مع خاله خير الله طلفاح لتكملة دراسته فى مدينة تكريت، تسلم أول سلاح، وهو عبارة عن بندقية، فى العاشرة من عمره، وفى سن التاسعة عشره قتل أول ضحية له وكان الضحية أحد منافسى عمه، تزوج من بنت خاله خير الله طلفاح ساجدة وله منها خمسة أبناء، ثم تزوج من واحدة من إحدى الأسر العريقة واسمها سميرة شاهبندر، انضم إلى حزب البعث فى عام1956م،اشترك كواحد من صغار الجيش السرى الناشطين الذين أطاحوا بالملكية فى العراق عام1958م، اشترك فى محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم حيث أطلق النار على موكبه فى شارع الرشيد ببغداد فى عام1959م،وانتهت المحاولة بالفشل وأصيب صدام برصاصة فى ساقه من جراء نيران رفاقه، وبعد ذلك استقل سيارة وهرب عن مكان وقوع الحادث، وقام باستخراج الرصاصة من ساقه فى السيارة، صار ملاحقاً من قبل شرطة عبد الكريم، فهرب إلى دمشق ثم إلى القاهرة حيث التحق بكلية الحقوق، اعتقلته السلطات المصرية بتهمة تهديده أحد الناصريين بالقتل، لكن الرئيس جمال عبد الناصر سارع وأطلق سراحه، رجع إلى بغداد فى أعقاب انقلاب14 يوليو (تموز)1963م والذى أسفر عن الإطاحة بنظام عبد الكريم قاسم، لما تولى عبد السلام عارف السلطة دب خلاف بينه وبين أعضاء حزب البعث، فقام بانقلاب ضدهم، وتمكن صدام من الهرب إلى دمشق، ثم عاد إلى بغداد فاعتقل في14 أكتوبر (تشرين الأول)1964م، ووضع فى زنزانة انفرادية وأعتقل معه قريبه أحمد حسن البكر وبعثيون آخرون، قضى صدام أياماً صعبه فى السجن لكن زوجته ساجدة أمكنها أن تزوره باستمرار

---

(1)) العراق الكتاب الثالث لحنا بطاطو، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الفصل الثالث والعشرون: النظام البعثى الثانى صفحة 399 -400.

- بعث العراق لحازم صاغية، سلطة صدام قياماً وحطاماً، الفصل الثالث: صدام يقود الحزب إلى السلطة صفحة 39- 51.
- العراقيون والمغول لأستاذ الدكتور سعد حذيفة الغامدى صفحة 152 - 158

ولعبت دور الارتباط بينه وبين البعثيين فى الخارج، ونقلت رسائل ملفوفة بثياب طفلها البكر عدى بن صدام، فى 23يوليو (تموز)1966م وبعد عشرين شهراً من سجنه، تمكن صدام من الهرب من السجن وكان سعدون شاكر مرتب هذه العملية، انتخب فى سبتمبر (أيلول)1966م أميناً مساعداً لقيادة قطر العراق لحزب البعث، وفى عهد نظام عبد الرحمن عارف الضعيف استطاع صدام أن يتوسع فى إنشاء الخلايا العسكرية التابعة لحزب البعث، وكان ممن برز فى القيادة الشيخلى وطه ياسين رمضان وعزت الدورى وصلاح عمر العلى، شارك فى انقلاب17 يوليو (تموز)1968م، الذى أطاح بنظام عبد الرحمن عارف ومارس مهماته كنائب لرئيس مجلس قيادة الثورة اعتباراً من30يوليو (تموز)1968م بعد تسلم أحمد حسن البكر لسلطة حزب البعث، خلال فترة سلطة أحمد حسن البكر، رأينا أن صدام كان يتصرف وكأنه رئيساً للوزراء حيث سيطر على إدارات الأمن الداخلى وجهاز الاستخبارات العسكرية من خلال سيطرته على مكتب الأمن القومى التابع للحزب عرفوه شجاعاً متهوراً طاغية، قاسى القلب وحشى، وبصفته رئيساً لجهاز الاستخبارات السرية، كان كل من يتطاول عليه فإنه يقوم بإلصاق تهمة به وتنفيذ حكم الإعدام فيه فوراً، ذات يوم قام بإلصاق تهمة التجسس بستة عشر رجلاً فأصدر أمراً بقتلهم جميعاً فى عام1979م، قام بتهديد قريبه أحمد حسن البكر بنفس المصير إن لم يستقل بالحسنى، ففعل أحمد حسن البكر ذلك تحت زعم الاعتلال بالمرض، فتسلم السلطة وعمره42سنة فى 16يوليو (تموز) 1979م، فى عهده أوصى المعلمين بتعليم الأطفال فن التجسس على بيوت أهلهم، فأصبح الرجل لايأمن أبناءه ولا زوجته وأصبح الفرد لايأمن الآخر، حتى البعثيون الذين يشتغلون إلى جانبه صاروا لا يثقون فى بعضهم لبعض، فنشر الخوف والهلع فى البلاد وأصبح الناس لا يهنئون بالحياة.

خلق لنفسه أعداءً على رأسهم إسرائيل ليتلاعب بالقضية الفلسطينية، عُرف عبداً لطموحاته ولو كانت طموحاته إبادة جيشه بالكامل مادام باقياً فى الزعامة، اتسم بالغرور والتغطرس أو ما يسمى بجنون العظمة والشراسة، وفى أى حرب يشترك فيها سواءً كانت داخل العراق أم خارجه فإنه يستخدم كل ما يملك من أسلحة عسكرية ومحظورة غير مبالياً بما يمكن أن ينتج عنها من قتل أطفال ونساء وعجزة، قام بتجسيد شخصيته

وبنيته على شكل تماثيل وفوقها فى كثير من المدن العراقية بأشكال مختلفة منها الكبير الحجم والمتوسط والصغير....... هذه نبذة مختصرة عن حياة هذا الحاكم المتسلط.



صدام حسين مع نجليه عدى عن يمينه وقصى عن يساره

1980م (سنة سلطة صدام الأولى)[1]

فى عام 1980م (1400هـ) أعلن عن موت غامض حل بعدنان التكريتى الذى تولى إمرة الحرس الجمهورى بعد عام 1968م، وفى 8أبريل (نيسان)1980م، أعدم النظام الحاكم بقيادة صدام حسين المرجع الشيعى آية الله الصدر وأخته بنت الهدى، وفى ي26ونيو (حزيران)1980م جرت محاولة اغتيال لرئيس سوريا حافظ الأسد، وفى أغسطس (آب)1980م كشفت قوات الأمن العراقية عن كمية من الأسلحة فى السفارة السورية ببغداد وبعدها بشهرين قطع العراق علاقاته بسوريا بذريعة مدها إيران بالأسلحة وكانت حجة سوريا التى كررتها مراراً فيما بعد أن إيران معادية للإمبريالية فيما العراق لم يقبل على غزوها إلا ليمنعها من ضم جهدها إلى الجهد العربى ضد إسرائيل، لكن العراق استطاع النجاح فى تأمين الدعم العربى له فى القمة العربية فى عمان-عاصمة الأردن-فى نفس العام1980م (1400هـ) وصارت سوريا تدعم حزب المعارضة العراقية وصار العراق يدعم حزب المعارضة السورية.

حرب الخليج الأولى

الحرب العراقية الإيرانية (1980-1988).[2]

فى نوفمبر (تشرين الثانى)1979م، قام الشبان الخمينيون باحتلال السفارة الأمريكية فى طهران، واحتجاز العاملين فيها (السفراء الأمريكيون) كوسيلة ضغط على أمريكا لتسليم شاه إيران محمد بهلوى، فكانت ضربة موجعة لأمريكا، بعدها بارك آية

---

(1) بعث العراق لحازم صاغية، سلطة صدام قياماً وحطاماً، الفصل العاشر: حرب الزعامة الإقليمية صفحة 141 - 142.

(2) - بعث العراق لحازم صاغية، سلطة صدام قياماً وحطاماً، الفصل الحادى عشر: الحرب على إيران، صفحة 147 - 149.

العراقيون والمغول لـ أ.د. سعد حذيفة الغامدى، القسم الثانى، الفصل الثانى:التحريضات الخارجية وعواملها صفحة 121 - 144.

مقاتل من الصحراء لسمو الأمير: خالد بن سلمان، الفصل العاشر: رياح الشرق صفحة 171 - 187.

الله الخمينى احتلال السفارة ووصف أمريكا بالشيطان الأكبر وقام بتمزيق الاتفاقيات الإيرانية الأمريكية التى أبرمت فى عهد شاه إيران، وانسحب من منظمة المعاهدة المركزية (السنتو) التى أنشأتها واشنطن، وقام بتحويل السفارة الإسرائيلية فى طهران إلى مقر لمنظمة التحرير الفلسطينية.

فى ديسمبر (كانون الأول)1979م، حدث الغزو السوفيتى لأفغانستان.

هذه الأحداث المتضاربة من احتلال السفارة الأمريكية بطهران والغزو السوفيتى المهدد لمصالح أمريكا، جعلت أمريكا فى عهد الرئيس جيمى كارتر تفكر فى أن الخليج منطقة حيوية للولايات المتحدة الأمريكية فى تنفيذ ما تصبو إليه فبدأت تسلك سياسة (اضرب العدو بالصديق) فرأت الفرصة المناسبة هى ضرب إيران بالعراق، فقامت كلا من أمريكا والدول الأوربية وإسرائيل بدس عملاء وجواسيس فى العراق وإيران حيث بدءوا نشاطهم بإشعال فتنة بين البلدين.

الرئيس صدام حسين الذى نشأ يتيماً منفصلاً عن أمه،بدأ يفكر أن الحل الوحيد لتثبيت سلطته يكمن فى حربه ضد إيران، وخاصة بعد الإخفاقات المتكررة لحزب البعث منذ عام1963م وفقدان شط العرب بموجب اتفاقية الجزائر، فرأى صدام أنه لا بد من استعادة كل ما تنازل عنه من أراضي-شط العرب وخوزستان وعربستان- والنهوض بسلطته حتى تصبح دولته من أقوى دول العالم كما فى مخيلته، فقام مخاطباً الدول العربية المجاورة ومستجدياً المعونات منهم باعتبار العراق البوابة الشرقية للوطن العربى.

هذه الحرب أعطت المجال للولايات المتحدة أن تتدخل إلى جانب الدول العربية وتدعم العراق ضد إيران، فبدأت العلاقات العربية الأمريكية تعود من جديد بعد أن دنسها التوتر وخاصة عندما دعمت أمريكا إسرائيل ضد العرب، فهذه الأحداث جعلتهم يصرفون النظر عن الاحتلال الإسرائيلى ويتجهون إلى الخطر الأكبر وهو الثورة الخمينية ضد العرب والغزو السوفيتى ضد الأفغان المسلمين، وبدأت العلاقات الأمريكية_الإسرائيلية تتوتر ولكن سرعان ما عادت فى عهد الرئيس الأمريكى الجديد رونالد ريغن.

لنا أن نتخيل كيف هو حال العالم العربى والإسلامى، الفلسطينيون يواجهون الاحتلال الصهيونى الإسرائيلى المدعوم من أمريكا والعراق البعثى المدعوم من أمريكا يواجه الثورة الخمينية الإيرانية، والشعب الأفغانى المدعوم من أمريكا يواجه الهجوم السوفيتى الكاسح؟!

كانت جزيرة شط العرب محل نزاع بين العراق وإيران منذ عام 1974م، وبعد تسلم آية الله الخمينى للسلطة الإيرانية وتسلم صدام حسين للسلطة العراق، ازدادت المناوشات حول جزيرة شط العرب، وصار كل طرف يهدد بإعلان الحرب، فقامت إيران فى 4 سبتمبر (أيلول)1980م (1400هـ) بقصف مدن عراقية حدودية، فعندما قام العراق فى 17 سبتمبر (أيلول)1980م (1400هـ) بإلغاء اتفاقية الجزائر 1975م بإغراء من أمريكا والدول الأوربية، ولم تنقض سوى خمسة أيام حتى غزت القوات العراقية إيران وقامت بقصف القواعد الجوية الإيرانية فى مدينتى خورمشهر وعبدان الساحلية الغنية بالنفط، وسيطر الجيش العراقى على خورمشهر.

بعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية، زار الرئيس السورى حافظ الأسد موسكو، وأصدر بياناً مشتركاً مع الزعيم السوفيتى ليونيد بريجنيف بدعم إيران فى تقرير مصيرها بشكل مستقل، وأذنت موسكو لسوريا ببيع السلاح الروسى إلى النظام الإيرانى الخمينى.

عندما باشر صدام هجومه على إيران أتبعه بهجوم على الشيعة العراقيين فى الجنوب، ومع هذا القمع المفرط قام الشيعة فى الجنوب بأعمال تخريب ضد منشآت حكومية، وحاولوا اغتيال صدام وطارق عزيز ولكنهم لم ينجحوا.

فى عام1981م (1401هـ)استطاع الجيش الإيرانى إخراج الجيش العراقى من خورمشهر وأن يعبروا حدود العراق، فطالبت العراق بمفاوضة سلام ولكن إيران رفضت وطالبت بإزاحة صدام ودفع تعويضات لها، لكن صدام رفض وردّ بردة المتباهى دائماً، وبدا ذلك واضحاً عندما فاتحه وزير الصحة رياض إبراهيم أحمد بموضوع تنحيه ليجنب شعبه ويلات الحرب فماذا ردّ صدام؟!

ردّ صدام على وزير الصحة بقتله فوراً.

عندما رأى الخميني عدم إذعان صدام للتنحى وعدم موافقته على مطالب إيران أعلن الخميني في يونيو (حزيران) عام 1982م (1402هـ) الجهاد ضد الشيطان كما سماها، وبدأ الهجوم الإيراني يركز على البصرة والمنطقة الجنوبية للعراق.

قبل الدخول في عام1982م، هناك أحداث مهمة في عام1981م:

في أبريل (نيسان) 1981م، اندلع قتال في طرابلس بشمال لبنان بين القوات السورية من جهة وميليشيات التوحيد الإسلامية وقوات البعث العراقية وحركة فتح من جهة أخرى وكان العراق على علاقة قوية مع مسيحيي لبنان.

في نفس العام1981م (1401هـ) قام خبراء فرنسيون ببناء المفاعل الذرى العراقي قرب بغداد وعندما انتهوا من بناءه أغروا إسرائيل بضربه لأنه تهديداً لأمنها فأغارت إسرائيل عليه ودمرته تدميراً شاملاً وكأنه لم يكن، فكسبت فرنسا المال من العراق وإسرائيل، بعدها قامت ألمانيا الغربية وغيرها من الدول الأوربية وأمريكا ببناء مصانع لإنتاج أسلحه ذات تدمير شامل في كثير من المدن العراقية مثل سامراء والحلة والسماوة، وقامت بعض الشركات الأوربية بتصدير بعض المواد المحظورة إلى العراق مثل مادة الكولاك وغاز الخردل وغاز الأعصاب وبالتالي استفادت الدول الأوربية وأمريكا اقتصادياً ببيع هذه المواد.

رد العراق على إسرائيل بعد تدمير مفاعل بغداد الذرى بمحاولة لاغتيال السفير الإسرائيلي في لندن، شلومو أرغوف، فاستخدمتها إسرائيل ذريعة فقامت بغزو لبنان في 8 يوليو (تموز) 1981م، بينما العراق مشغول بحربه ضد إيران.

في نفس العام1981م (1401هـ) اغتيل الرئيس المصري أنور السادات.

في يناير (كانون الثاني) عام1982م (1402هـ) كشفت دمشق مؤامرة مدعومة من قبل بغداد قام بها الضباط والإسلاميون السوريون لعمل انقلاب ضد الحكومة السورية وكان التخطيط للمؤامرة بضرب جوى لمقرى قيادة البعث والرئيس السوري حافظ

الأسد، وانتهت المؤامرة بالقبض على الضباط ومن شاركهم من الإسلاميين وأعدموا فى الحال، ثم قامت قوات الحكومة السورية بضرب مدينة حماة بقصف جوى وبرى مكثف، لأن مدينة حماة كانت مقر التخطيط للانقلاب وتحت الضرب المكثف تحولت المدينة إلى خرابة، بعدها قام الرئيس حافظ الأسد بإلقاء خطاب فى 7مارس (آذار)1982م وحّمل العراق مسئولية أحداث حماة.

فى يوم الخميس 8 يوليو 1982م وأثناء مرور موكب الرئيس العراقى صدام حسين فى حى الدجيل الذى يسكن معظمه الشيعة شمال بغداد، تعرض الموكب لإطلاق نار فى محاولة اغتيال فاشلة، بعدها قامت قوات الحرس الجمهورى بمهاجمة الحى والقبض على المتهمين، وقامت الطائرات المروحية بقصف وتخريب حى الدجيل وإحراق المزارع والبساتين وتم إعدام جميع المتهمين بالتورط فى محاولة اغتيال الرئيس.

بانشغال سوريا بالمعارضين والعراق بحربه ضد إيران ودول الخليج مشغولة أيضاً بدعم العراق، استغل أبناء القردة والخنازير هذا الوضع، فماذا كانت النتيجة؟!

مذبحة صبرا وشاتيلا فى 16سبتمبر (أيلول) عام1982م (18/11/1402هـ) التى صار ضحيتها الشعب الفلسطينى والذى قام بتلك المذبحة القوات الصهيونية بقيادة إيريل شارون مع الميليشيات اللبنانية الموالية لإسرائيل، واكتفى العالم بالاستنكار ضد هذه الجرائم البشعة ضد الإنسانية وضد هذا الشعب الأعزل.

فى نفس شهر سبتمبر1982م خلال مؤتمر القمة العربية التى عقدت فى المغرب، اقترح الملك فهد _ملك المملكة العربية السعودية_ تسوية سلمية للحرب تقوم على انسحاب العراق انسحاباً كاملاً من الأراضى الإيرانية وحصول إيران على تعويضات مالية تدفعها دول الخليج العربى، إلا أن إيران رفضت ذلك الاقتراح فى الوقت الذى قبل به العراق.

فى مايو (أيار) عام 1983م (1403هـ) نشبت الحرب فى لبنان بين القوات السورية وقوات ياسر عرفات المدعومة من قبل العراق وفى نفس العام1983م ظهرت مقاومة

فى جنوب لبنان باسم حركة أمل اللبنانية_ وكانت مقاومة شيعية_ وتتلقى دعمها من إيران.

فى هذا العام1983م (1403هـ) واصلت القوات الإيرانية تقدمها حتى احتلت 270 ميلاً من الأراضى العراقية فى أكتوبر (تشرين الأول)، فردت بغداد بقصف المدن الإيرانية والميناء النفطى فى جزيرة خرج مما جعل إيران تهدد بإغلاق مضيق هرمز.

فى نفس العام1983م (1403هـ) غيّر صدام سياسته تجاه الشيعة فى الجنوب فأبدى رغبته لكسب الشيعة حيث إن المعارك تدور معظمها على أرضهم، فقام صدام وباقى المسئولين بزيارات متكررة إلى النجف وكربلاء حيث قاموا بإصلاح بعض المبانى العامة فى مدن الجنوب.

فى فبراير (شباط)1984م (1404هـ) هاجمت القوات الإيرانية الحقل النفطى العراقى فى جزر مجنون وما جاورها داخل العراق الجنوبى فى منطقة الأهوار وتمكنت من الاستيلاء عليها، واتخذ الخمينى تكتيك جديد سماه الموجات الإنسانية وأوصى الشبان والاطفال بالانخراط فى حقول الألغام فإنها طريقهم إلى الجنة كما وعدهم ومناهم، لكن الطيران العراقى ردّ بهجمات على محطات التصدير النفطى الإيرانى فى الخليج وتوسع الهجوم العراقى إلى هجوم على السفن الإيرانية وناقلات النفط، ثم أعقب صدام حربه باستخدام الأسلحة الكيميائية والجرثومية _التى زوده بها الغرب_ ضد الشعب الإيرانى، فقتلت عشرات الآلاف من الإيرانيين، وكانت تخاطب دول العالم باستخدام صدام لأسلحة محظورة ولكن لا مجيب.

بعدها اقترح العراق وقف إطلاق النار، لكن إيران رفضت ذلك الاقتراح، ثم بدأت إيران بعد ذلك بحرب الناقلات، فهاجمت ناقلات النفط السعودية والكويتية مدعية أن تلك الهجمات جاءت رداً على مهاجمة العراق لناقلاتها، وتبع تلك الهجمات تهديدات شفوية على لسان الخمينى بقصف الموانئ وأنابيب النفط السعودية.

بدأ الخمينى بتنفيذ تهديداته وبدا ذلك واضحاً عندما عبرت طائرة إيرانية خط فهد (وهو خط حدودى عبر الخليج العربى تم تحديده أثناء الحرب العراقية الإيرانية)،

تجاهلت تلك الطائرة إنذارين بالعودة، فعندها قامت طائرة سعودية بإسقاطها،بعدها قام كلا الطرفين بإرسال المزيد من الطائرات الجاهزة للاشتباك، لكن إيران سحبت طائراتها وأمرتها بالعودة إلى قواعدها، لأنها لا تريد أن تفتح عليها جبهة أخرى من جهة السعودية.

فى مارس (آذار) عام 1985م (1405هـ) عبرت القوات الإيرانية نهر دجلة فى النصف الجنوبى بخمسين ألف جندى لتغلق الطريق الأساسى الذى يربط بغداد بالبصرة، لكن القوات العراقية ردت بهجوم مضاد داخلى أراضى العراق، وأدى ذلك إلى سقوط أعداد هائلة من القتلى من الجانبين وقام الطيران العراقى بقصف طهران وأصفهان وشيراز ومدن إيرانية أخرى، ونالت العراق تضامناً عربياً ضد إيران.

فى إبريل (نيسان) 1985م (1405هـ) حاولت الأمم المتحدة التدخل لوقف إطلاق النار لكن إيران رفضت الاستجابة إلا بتنحى صدام، وقامت القوات الإيرانية بشن هجمات شمالاً فى كردستان وجنوباً فى الأهوار، فرد العراق بهجمات على جزيرة إيرانية ليدمروها تدميراً، ثم اتسع نطاق الحرب حين أطلق كلا الطرفين عشرات الصواريخ على الأماكن المأهولة بالسكان، وعُرف ذلك القصف بحرب المدن.

فى مايو (أيار) 1985م (1405هـ) نجا أمير الكويت من الموت بأعجوبة حين تعرض موكبه فى الكويت لهجوم انتحارى بالقنابل شنته إحدى المجموعات الموالية لإيران.

بعد تلك التطورات الخطيرة، قام الملك فهد بتجديد مساعيه الدبلوماسية مرة أخرى لإحلال السلام، فأرسل سعود الفيصل ـ وزير الخارجية السعودية ـ إلى طهران حاملاً عرضا جديداً من العراق بوقف إطلاق النار حقناً لدماء المسلمين وسد السبيل أمام المتربصين بالعالم الإسلامى، وأن استمرار الحرب إنما هو إضعاف للأمة الإسلامية واستنزاف لمواردها البترولية،ولكن إيران وللمرة الثالثة ترفض ذلك الاقتراح!

فى نفس الشهر مايو (أيار) 1985م (1405هـ) قامت حركة أمل اللبنانية الشيعية بقيادة زعيمها نبيه برى بمحاصرة منظمة التحرير الفلسطينية حتى تفسح المجال لقواتها بالتوسع، ومع اتساع رقعة حركة أمل بدأت أخيراً تؤثر على القوات السورية المعسكرة فى لبنان، وكما ذكرنا حركة أمل الشيعية مدعومة من قبل إيران، فبدأت العلاقات بين سوريا

وإيران تتردى، ورأت سوريا والعراق أن كلتيهما تتعرضان لضغط عسكرى إيرانى، فالعراق يواجه إيران فى حرب ضروس، وسوريا تواجه قوات حركة أمل اللبنانية الشيعية المدعومة من إيران، فرأى كلا الطرفين أن السبيل الوحيد لإيقاف إيران هو الوحدة بينهما لكن هذه الوحدة لم تتم إلا بعد جهود من الملك الأردنى حسين وجهود من موسكو حيث نجحا أخيراً فى جمع حافظ الأسد وصدام حسين فى أواخر أبريل (نيسان)1987م فى الصحراء الأردنية، لكن سوريا وإيران كانتا قد جددتا الاتفاقية النفطية فى نفس الشهر.

فى يناير (كانون الثانى)1986م (1406هـ) استطاعت القوات العراقية أن تستعيد جزر مجنون، لكن فى 9فبراير (شباط) 1986م (1406هـ) عبر 85ألف جندى إيرانى شط العرب واحتلوا جزيرة الفاو مهددين اتصال العراق بالخليج وقامت القوات الإيرانية بمهاجمة القوات العراقية مابين الفاو والبصرة. قامت الولايات المتحدة بتزويد العراق بصور ملتقطة بالساتلايات لأماكن تجمع الجنود الإيرانيين، فكانت لها فائدة عسكرية قصوى.

فى فبراير (شباط)1986م (1406هـ) كان هناك تطور خطير جداً داخل العراق حيث قامت إيران بفتح جبهة جديدة فى كردستان وقام الزعيمان الكرديان مسعود مصطفى البرزانى،رئيس الحزب الديمقراطى الكردستانى، وجلال الطالبانى،رئيس حزب الاتحاد الوطنى الكردستانى، بالتحالف مع إيران، عندها قام صدام بتنصيب ابن عمه على حسن المجيد (على الكيماوى) أميناً للمكتب الشمالى لحزب البعث فى عام 1987م (1407هـ) وكانت مهمته تأديب الأكراد، وفى أبريل (نيسان)1987م قام على الكيماوى بانتهاج مقتلة فظيعة فى حق الشعب الكردى حيث قام باستخدام الأسلحة الكيميائية وأول ما ابتدأ بتجربتها، قام باستخدامها ضد قرية شيخ ويسان فى وادى بليسان، وتوالت استخدامات المواد الكيميائية المحظورة لمدة شهر كانت كافية لتدمير أكثر من700 قرية كردية بعدها دُفن القتلى فى مقابر جماعية.

كانت الكويت قد طالبت بحماية لسفنها الملاحية من الهجمات الإيرانية، فمنذ يوليو (تموز)1987م راحت السفن الأمريكية ترافق الناقلات الكويتية ودعت الولايات المتحدة فى عهد الرئيس رونالد ريغن إلى مقاطعة إيران عسكرياً، لأنها صارت تهدد أمن

الخليج وملاحته، فقامت فرنسا وانجلترا وبلدان أخرى فى حلف شمال الأطلسى بتأييد المقاطعة العسكرية لإيران.

فى موسم الحج عام1407هـ (1987م) استغل الإيرانيون موسم الحج فقاموا بمظاهرات سياسية ضخمة فى مكة المكرمة فعم الاضطراب الأماكن المقدسة وسقط بعض القتلى وتمكن قوات أمن الحرم السعودية من جمع المتظاهرين وتطهير الحرم من دناستهم.

فى فبراير (شباط) عام1988م (1408هـ)، اختيرت قرية ياخ سيمار قرب السليمانية لتجربة السلاح الكيماوى، فأحرقت وأُحرق كل من يدب عليها، وفى مارس (آذار)1988م، حاولت إيران أن تتدخل كحليف إلى جانب بلدة حلبجة الكردية الحدودية لإيران فرد حزب البعث بسلاحه الفتاك الكيماوى على بلدة حلبجة، فقتل ما بين أربعة إلى خمسة الآف إنسان، وجُرح وشُوه قرابة ألف وشوهدت جثث النساء والشيوخ والأطفال متناثرة فى أماكن عدة، فيما فرّ الباقى شرقاً إلى إيران وبقيّ العالم صامتاً ولم يحرك ساكناً.

فى إبريل (نيسان)1988م (1408هـ) انفجر لغم بسفينة ملاحية فى الخليج مما دعا الولايات المتحدة إلى مهاجمة منشآت نفطية إيرانية على الساحل وإغراق ست سفن بحرية، بينما واصلت القوات العراقية تقدمها فكبدت القوات الإيرانية خسائر بفضل الصور التى تلتقطها الأقمار الصناعية التى تقدمها أمريكا للعراق، واستطاعت القوات العراقية أن تستعيد جزيرة الفاو وأن تكبد القوات الإيرانية خسائر كبرى فى شملشة قرب البصرة وفى مجنون ومهران وكردستان.

فى يونيو (حزيران) 1988م (1408هـ) عيّن الخمينى هاشمى رفسنجانى قائداً للقوات المسلحة، فرأى هاشمي أن إيران لا تواجه العراق وحده بل تواجه إلى جانبه دول الخليج وأمريكا وناقش الخمينى فى هذا أمر وقف إطلاق النار، فأعلنت إيران موافقتها على وقف إطلاق النار بدون شروط فى 18 يوليو (تموز) 1988م.

فى أغسطس (آب) عام1988م (1408هـ) وقعت إيران والعراق اتفاقية وقف إطلاق النار، وانتهت الحرب بانتصار صدام حسين بعد مدة أكثر من 8 سنوات من الحروب الضارية، خسر فيها الطرفان ما يزيد عن مليون جندى.

ما بعد الحرب

انتهت الحرب العراقية الإيرانية بانتصار العراق وهزيمة إيران وأُثقل البلدين بالديون التى يستهلك سدادها سنوات طويلة قادمة.

سؤال: من كسب هذه الحرب؟

فى نظرى أن كلا الدولتين العراق وإيران خسرتا هذه الحرب وأن المستفيد الأول والأخير هى أمريكا وإسرائيل والدول الأوربية ويتضح ذلك فى النقاط التالية:

1 - أن العراق المنتصر كان يملك قبل الحرب فائض اقتصادى مهول، وبعد الحرب خرج بديون تقدر بأكثر من مائة مليار دولار (أكثر من 375 مليار ريال سعودى) ناهيك عن الخسائر البشرية.

2 - خلال هذه الحرب باعت الدول المتقدمة أسلحتها القديمة لكلا الدولتين المتحاربتين بأسعار باهظة، وبالتالى تخلصت الدول المتقدمة من أسلحتها القديمة وقبضت ثمناً باهظاً فى النهاية.

3 - خلال هذه الحرب باعت الدول المتقدمة أسلحتها فى البداية العراق وكان الانتصار حليفاً له فى بادئ الأمر، ثم أوقفت عنه بيع قطع الغيار وتحولت إلى دعم إيران، فاستطاعت إيران التقدم واحتلال أراضى وجزر عراقية، وبعد الانتصارات الإيرانية تحولت الدول المتقدمة إلى دعم العراق فهذا هو سبب طول مدة الحرب.

4 - توقف الدعم العربى للمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلى أعطى الفرصة لإسرائيل لتثبيت وضعها لأن الدعم العربى تحول بالكامل إلى العراق، وازدادت الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتى إلى فلسطين.

5 - قبل انتهاء الحرب بفترة، بدأت الشركات الأجنبية فى الدول المتقدمة بالتجهيز لعمل آخر وهو إعادة إعمار ما سببته الحرب من خراب، فصارت الدول المتقدمة مستفيدة أثناء الحرب وبعده.

6 - يكفى ما صرح به مسئول بريطانى على وسائل الإعلام البريطانية فى يوم الإثنين 4/2/1991م (20/ 7/1411هـ) قائلاً: (كانت العراق تحارب معركة الولايات المتحدة ضد إيران).

7 - نلاحظ أن الدول المتقدمة تضع حكومة لمدة معينة (4 سنوات) ثم تأتى بعد ذلك حكومة بشكل جديد ووجه جديد، وأول عمل يقوم به هو تجديد العلاقة مع الدول العربية والإسلامية، وتقوم هذه الحكومة بانتقاد الحكومة السابقة وأن عليها وعلى الدول العربية نسيان ما فات وفتح صفحة جديدة لبناء علاقات جديدة أفضل.

فى أواخر عام1988م، قامت شركات ألمانية بتطوير صاروخ سكود (SCUD)الروسى القصير المسافة حتى يصل إلى900كلم، فأصبح من السهل على العراق ضرب عواصم الدول المجاورة، ولكن أمريكا على علم بذلك فماذا فعلت؟ قامت بصنع السلاح المضاد وهو صاروخ باتريوت (PATRIOT) والذى سيستخدم فى حرب الخليج الثانية كما سنرى.

فى عام1989م (1409هـ) صار العراق من أقوى دول العالم عسكرياً من حيث امتلاكه الجيوش القوية وجميع الأسلحة الحربية والكيميائية، وصار العراق قادراً على امتلاك وتصنيع الأسلحة المحظورة، وصار زاخراً بالعلماء المتمرسين فى هذا المجال، وقد بلغ عدد القوات العراقية أكثر من مليون جندى، وساهمت دول الخليج وخاصة المملكة العربية السعودية والكويت فى بناء تلك القوة العسكرية بجميع معداتها.

بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية، بدأ الخوف يلم بإسرائيل مرة أخرى ورأت أن السلام لو عمّ بين الدول العربية والإسلامية فإن هذا خطر عليها وعلى أمنها، فبدأت تفكر بمساعدة من الولايات المتحدة والدول الأوربية لإثارة فتنة فى العمق العربى، وبدأت أمريكا تفكر فى الثروات النفطية التى تمتلكها دول الخليج، حيث يرون أن البترول هو عصب حياة العالم بأجمعه فاتفقت جميع الدول على ما يلى:

1 - إيجاد الفرقة بين العرب والمسلمين، فما دام المسلمين متفرقين ولا تجمعهم كلمة فإن إسرائيل والدول الغربية فى أمان.

2 – إنهاكهم اقتصادياً بخلق الفتن بينهم. فيظل الواحد متخوف من الآخر بصفتهم المالكين لعصب الحياة، وهو البترول.

3 – بث شبكات التجسس فى كل قطر عربى ومسلم ورصد تحركاته وإبقائه ضعيفاً حيث لو قامت أى دولة إسلامية بالتقدم فى صناعة الأسلحة، فإن دول العالم ستقيم الدنيا وتقعدها.

بعد وقف إطلاق النار بين العراق وإيران، اتجه العراق غرباً ليثأر من جارته سوريا، فظهرت فى لبنان حكومتان واحدة برئاسة سليم الحص مدعومة من سوريا، والأخرى عسكرية مدعومة من العراق يترأسها قائد الجيش ميشال عون وفى أغسطس (آب)1989م، أفضى النزاع إلى حرب أهلية فى لبنان شهدت أعداد من القتلى ثم انتهى النزاع باتفاقية الطائف التى عُدت نصراً لدمشق وهزيمة لبغداد على إثرها انتهت الحرب الأهلية فى لبنان وبقيت القوات السورية فى لبنان لحماية لبنان.

حرب الخليج الثانية

(غزو العراق الكويت)[1]

أسباب الاجتياح العراقى للكويت:

1 - إن دولة الكويت والإمارات زادتا حصة إنتاجهما من النفط فى عام1986م زيادة عن الكمية المخصصة لهما من قبل منظمة الدول المصدرة للبترول، فانخفضت الأسعار المحددة لكل برميل مما سبب ضرراً للعراق حيث إن العراق فى أمس الحاجة لكل فلس وخاصة أثناء وبعد حربه مع إيران.

2 - كان هناك منطقة اسمها (المنطقة المحايدة) واقعة بين العراق والكويت ولم تحدد حدودها بعد، اتهم العراق الكويت بأنها سرقت نفطاً قيمته 2.4بليون دولار من حقول الرميلة فى المنطقة المحايدة بينما العراق وقتها كان مشغولاً فى حربه ضد إيران، وأن الكويت قد استغلت الموقف وقامت باستغلال النفط على أرضه وبدون إذن مسبق أو اتفاق خطى بين البلدين.

3- يقع إلى الشمال الشرقى من أراضى الكويت جزر تابعة لها فى الخليج العربى اسمها (جزر بوبيان) فأخذ العراق يعلن عن رغبته فى استخدام هذه الجزر لكونها موقعاً هاماً، فبدأ العراق بالإلحاح على الكويت إما بالتنازل أو بمبادلتها بأراضى أخرى ولكن الكويت رفضت، لأنها رأتها أن هذه أراضيها ومن حقها أن ترفض.

كما ذكرنا مسبقاً أن العراق خرج من الحرب مثقلاً بالديون تقدر بأكثر من مائة مليار دولار (أكثر من375 مليار ريال سعودى)، فرأى النظام البعثى الحاكم أن هذه الديون

---

(1) العراقيون والمغول لـ أ.د. سعد حذيفة الغامدى، القسم الثانى: الاجتياح العراقى لأراضى الكويت وتشريد شعبها صفحة 81 -200.
بعث العراق لحازم صاغية، سلطة صدام قياماً وحطاماً، الفصل الثانى عشر: غزو الكويت، صفحة 161 - 174.
مقاتل من الصحراء لسمو الأمير خالد بن سلمان بن عبد العزيز، الفصل الثانى: القرار التاريخى صفحة 37- 47.

أوقعته فى مأزق وأن عليه سدادها والتخلص منها فطالب العراق دول مجلس التعاون الخليج العربي- خاصة الكويت والمملكة العربية السعودية- بالأموال أو الاستحواذ على منابع النفط للتخلص من هذه الديون، وبرّ حربه ضد إيران بأنها كانت دفاعاً عن العروبة ضد الفرس الذى يرجع أصلهم إلى المجوسية فمن هنا بدأت تشتعل فتنة بين دول الخليج العربى.

باشتعال هذه الفتنة التى أوجدها نظام صدام حسين مع جيرانه استغلتها إسرائيل والولايات المتحدة والدول الأوربية ورأت أنها الفرصة المناسبة للتخلص من آلة العراق العسكرية القوية التى خرجت بها من حربه ضد إيران وطورتها خلال السنوات التى تلتها، وأيضاً فرصة لتجربة الأسلحة الغربية الجديدة كدبابة (م) وطائرة الشبح.

أيام ما قبل الغزو

- فى يوم الأربعاء 4 ابريل (نيسان)1990 م (9رمضان 1410هـ) قام وفد من مجلس الشيوخ الأمريكى بزيارة العراق، وكان الهدف من الزيارة توثيق العلاقات الثنائية بين البلدين فى الظاهر لكن فى الباطن تخفى أشياء أخرى.
- فى يوم الثلاثاء 24أبريل (نيسان) 1990م (29رمضان1410هـ)، عقد مؤتمر لزعماء دول التعاون العربى فى عمان الذى ضم فى عضويته دولاً كمصر والأردن والعراق، وفى هذا المؤتمر صرح الوفد العراقى انزعاجه الشديد من ديونه التى خرج بها نتيجة حربه ضد إيران ثم أباح لهما بأنه سيطالب كلاً من المملكة العربية السعودية والكويت بأمرين هما:
- أن تلغى الدولتان السعودية والكويت جميع ديونها على العراق والتى تقدر بعشرات المليارات من الدولارات.
- أن تقوم كلا الدولتين السعودية والكويت بإعطاء العراق مثلها نقداً لمساعدته فى حل مشاكل الديون ولسد العجز فى ميزان مدفوعات بلده.

- فى أواخر أبريل (نيسان)1990م (أوائل شوال 1410هـ) قام حزب البعث الحاكم بقيادة صدام بإعداد خطة انتقام بدءً بالكويت حيث أعد خطة سرية لاجتياح الكويت.

- فى يوم الإثنين 28مايو (أيار)1990م (4ذى القعدة 1410هـ) عُقد مؤتمر قمة عربية فى بغداد حضره زعماء الدول العربية فتصرف صدام فى ذلك المؤتمر بكبرياء وعنف وخاطب الدول العربية بحل مشكلته مع الكويت.

- فى أواخر يونيو (حزيران)1990م (بداية ذى الحجة 1410هـ) أعلن صدام حسين بأنه سوف يضرب إسرائيل ضربة كفيلة بتدمير نصفها ويثنيها بأخرى ولا تبقى لها أثر، (كان صدام يأخذ القضية الفلسطينية كدرع يحمى به نفسه ويجمع العرب حوله، وفى نفس الوقت بدأت إسرائيل تعلن مخاوفها من هذه التطورات الخطيرة، فبدأت تفكر بجدية فى إشعال فتنة بين صدام وجيرانه لأنهم رأوا فى صدام الشخص المناسب لإشعال مثل هذه الفتنة بصفته يركض وراء طموحاته دون تفكير لعواقبها).

- فى يوم الأربعاء 11يوليو (تموز) 1990م (19 ذى الحجة 1410هـ) عُقد مؤتمر للدول المصدرة للنفط وطالب المندوب العراقى الدول المصدرة للبترول برفع أسعار النفط لكن بقية الدول لم توافق فاتهم المندوب العراقى دول الخليج بأنها تسعى لتدمير العراق.

- فى يوم الإثنين 16 يوليو (تموز) 1990م (24 ذى الحجة 1410هـ) عُقد مؤتمر للدول العربية فى تونس، حضره عزت الدوري_ نائب رئيس مجلس قيادة الثورة وأدلى بتصريحه قائلاً): بعض الدول العربية تآمرت على العراق ولكننا لن نسمح بأن يُذل العراق أو أن ينحى رأسه لهذه المؤامرة، فلن يصبح نساؤه داعرات، ولن يستطيع أحد أن يمنع أطفال العراق الطعام ثم أخذ يكيل كلمات التهديد والوعيد لمن سماهم بالمتآمرين)

- فى نفس اليوم صّرح جهاراً السفير الأمريكى فى بغداد إدوارد غنيم، بأن سلطة العراق لن تقوم بغزو الكويت، مغرراً بذلك الكويت وغيرها.

- فى اليوم التالى يوم الثلاثاء 17 يوليو (تموز) 1990م (25 ذى الحجة 141هـ) وبذكرى الاحتفال بالذكرى الحادية عشرة لتسلم صدام السلطة، تقدم عزت الدورى بطلبٍ فيه

جلافة، أنه يجب على الكويت والسعودية أن تعفيا العراق من الديون وأن تلبيا طلب العراق بدفع 20 مليون دولار (750 مليار ريال سعودى).

- فى يوم الجمعة 20 يوليو (تموز) 1990م (28 ذى الحجة 1410هـ) قام وزير الخارجية الإسرائيلي ـ موشى أرن ـ بزيارة الولايات المتحدة ومعه تقرير سرى عن وضع العراق العسكرى وإنه أصبح يهدد أمن إسرائيل وحياتها،

- فى اليوم التالى السبت 21 يوليو (تموز) 1990م (29 ذى الحجة 1410هـ) رصدت الأقمار الصناعية السرية حشوداً عراقية عسكرية تقدر بثلاثين ألف جندى يتجهون نحو الجنوب.

- فى يوم الثلاثاء 24 يوليو (تموز) 1990م (2 محرم 1411هـ) لّمحت وزارة الخارجية الأمريكية للعراق على لسان الآنسة ماركريت تتوايلر بأن الولايات المتحدة لن تعمل شيئاً لو قام العراق باجتياح الكويت، وبررت ذلك بأنه لا يوجد أى معاهدة دفاع مشتركة بين أمريكا والكويت فكانت هذه إشارة لصدام وحزبه ألا مانع من غزو الكويت.

- فى اليوم التالى يوم الأربعاء 25 يوليو (تموز) 1990م (3 محرم 1411هـ) التقى صدام حسين بسفيرة الولايات المتحدة فى بغداد الآنسة إبريل غلاسبى التى حلت محل إدوارد غنيم وأبدى الرئيس صدام تذمره من جارته الكويت، فأوضحت إبريل غلاسبى للرئيس صدام أن دول الخليج تسعى إلى دمار العراق بواسطة تدميره اقتصادياً عن طريق السعى لتخفيض أسعار النفط وأن علاقة العراق بدول الخليج مما لا يخص بلدها، ففهم صدام من إجابتها أن واشنطن لا تمانع فى غزو الكويت وبينت للرئيس صدام أن علاقة العراق بالولايات المتحدة قوية ولا يمكن أن تتأثر باجتياح بلده للكويت وأوضحت مدى إعجابها بجهود العراق الجبارة لإعادة إعمار بلاده... بعدها اعتذرت ورحلت للتمتع بإجازتها كما ادعت.

- فى يوم الخميس 26 يوليو (تموز) 1990م (4 محرم 1411هـ) تزايدت الحشود العراقية العسكرية المرابطة على الحدود العراقية الكويتية إلى أكثر من تسعين ألف جندى بينما الكويت فى سبات عميق لا يعلمون بما يدور حولهم.

- فى يوم الاثنين 30يوليو (تموز)1990 م (8محرم 1411هـ) جاءت تقارير المخابرات الأمريكية تثبت أن العراق قد حشد أكثر من مائة ألف جندى لغزو الكويت.
- فى يوم الثلاثاء 31 يوليو (تموز) 1990م (9محرم 1411هـ) أعطت واشنطن الضوء الأخضر لزعامات العراق باجتياح الكويت، وفى نفس اليوم التقى مندوبو العراق والكويت فى مدينة جدة بالسعودية ولكن المفاوضات انهارت فى اليوم التالى يوم الأربعاء 1 أغسطس (آب) 1990م (10محرم 1411هـ).
- فى نهاية يوم الأربعاء 1أغسطس (آب) 1990م (ليلة الأربعاء_ الخميس10_11 محرم1411هـ)، قدمت وكالات الاستخبارات الأمريكية معلومات هامة للأسرة الكويتية الحاكمة_آل الصباح_ بأن العراق مقدم على غزوهم ونصحتهم بالهرب، ففعلوا ذلك فى الساعة الواحدة صباحاً من يوم الخميس 2 أغسطس (آب) 1990م (11محرم 1411هـ).

الاجتياح العراقى لدولة الكويت

فى صباح يوم الخميس 2 أغسطس (آب) 1990م (11 محرم 1411هـ) قامت جحافل الجيوش العراقية التى قُدرت بأكثر من مائة ألف جندى باجتياح أراضى الكويت واحتلال كل شبر من أراضيها فى غضون خمس ساعات ونتج عن هذا الاجتياح قتل الكثير واستسلام الجنود الكويتين، وشُرد أهل الوطن إلى الدول المجاورة كالمملكة العربية السعودية والبحرين وقطر وبقية دول الخليج.

(لازلت أتذكر تلك الليلة، ليلة الخميس_ الجمعة 11_12 محرم 1411هـ عندما أخبرنى والدى بهذا الخبر الفاجع خبر احتلال العراق للكويت).

بعد الاجتياح العراقى للكويت سارع مجلس الأمن إلى تمرير ما عُرف بالقرار 660 الذى يدين الغزو معلناً أنه ما لم ينسحب العراق فوراً وبلا شروط فسوف تستخدم ضد القوة والعقوبات لإخراجه.

بعد الاجتياح العراقى للكويت بيوم التقى فى القاهرة 21وزيراً فدان 12 منهم الغزو محذرين التدخلات الأجنبية فى الشئون العربية وبدا الانقسام واضحاً، فجمهورية اليمن بقسميها الشمالى والجنوبى والجماهيرية الليبية وتونس والجزائر وموريتانيا والسودان والأردن وفلسطين، كل هذه الدول الثمان أيدّن الغزو العراقى للكويت وعارضت تحرير الكويت.

بعد احتلال العراق للكويت، حاولت المملكة العربية السعودية ودول الخليج إفهام صدام بأن احتلاله للكويت سيوقع الأمة العربية فى مأزق يصعب إيجاد حلاً له ولكن صدام لم يستمع إليهم، وبدأت كل دولة خليجية تتخوف من مطامع صدام، ووصف الملك فهد غزو الكويت بأنه أفظع عدوان عرفته الأمة العربية فى تاريخها.

بعدها رأت السعودية أن نسبة قواتها البرية إلى القوات العراقية البرية 15:1، ونسبة القوات البرية لجميع الدول الخليج العربى 7:1، وإذا قدم الجيش المصرى بكامله فستظل النسبة 2:1، أما إذا أستقدم الجيش المصرى والسورى عندها تصل النسبة 1:1، ولكن لم يكن الأمر واقعياً أن ترسل مصر وسوريا كل قواتها، فسوريا مرتبطة بجبهة مع إسرائيل ولبنان، ولم يكن فى وسع المملكة استقدام قوات إسلامية، فباكستان مشغولة بمواجهتها مع الهند، بينما بنجلادش وماليزيا لا تملكان القوة الكافية.

تلاحقت قرارات وتطورات بارزة فصدر فى 6 أغسطس (آب) 1990م (15 محرم 1411هـ) عن مجلس الأمن القرار 661 الذى كان نصه، فرض عقوبات اقتصادية على العراق وبعدها بيوم فى 7 أغسطس (آب) 1990م (16محرم 1411هـ) ومع تكرار تهديدات صدام الهمجية بقصف مصالح الدول المجاورة، واستخدام الغازات السامة إذا لزم الأمر، والانقسام العربى الواضح وتخلى الدول العربية عن بعضها فى هذا الوقت العصيب، وافقت المملكة العربية السعودية على السماح لدخول قوات أجنبية على أراضيها للدفاع عنها وعن الخليج، ورأت أن القوات الأمريكية هى القوات المناسبة لأنها تمتلك القدرة على الردع وحماية خطوط الإمداد وخاصة البحرية، والهدف منها هو تحرير الكويت بأسرع وقت ممكن، وبالفعل أرسلت واشنطن بما عُرف (بعملية درع الصحراء).

فى 8 أغسطس (آب) 1911م (17محرم1411هـ) أعلن صدام عن وحدة بين البلدين تعيد الفرع إلى الأصل ومنح الملازم الكويتى علاء حسين رتبة عقيد ونُصب رئيساً للحكومة الكويتية المؤقتة، فيما الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب، كان يؤكد بالصوت والصورة أن استقلال الكويت مصلحة حيوية لبلاده، فيما بدأت انجلترا وفرنسا بإرسال قوات إلى الخليج العربى فى مقابل التهويل الغربى بخطر الخصم (صدام حسين) بينما صدام كان يستصغر خصومه وبثقة مفرطة يلوح بالانتصار.

فى 9 أغسطس (آب) 18 محرم صدر قرار عن مجلس الأمن يعتبر ضم الكويت للعراق لاغياً ويقضى بتشكيل لجنة للإشراف على مدى التقيد بالعقوبات على العراق.

فى 10 أغسطس 19محرم التقى فى القاهرة 12 عضواً من أصل 21وصوتوا على إرسال قوات إلى الخليج دفاعاً عن بلدانه، أيد القرار دول الخليج ومصر وسوريا ولبنان والمغرب والصومال وجيبوتى، لكن اليمن ومنظمة التحرير الفلسطينية وليبيا أيدت العراق بينما أيّد الأردن والسودان وموريتانيا القرار بتحفظ، وامتنعت الجزائر عن التصويت وتغييت تونس... بعدها ربط صدام انسحابه من الكويت بالانسحابين السورى من لبنان والإسرائيلى من الضفة الغربية وغزة والجولان وجنوب لبنان فيما رفضت واشنطن هذا الربط واعتبرته لصوصية.

فى 15 أغسطس، فاجأ صدام حسين العالم حين عرض على إيران فرصة لتحقيق السلام، فقد وافق صدام بالكامل على الشروط الإيرانية، بما فى ذلك سحب جميع القوات العراقية من الأرضى الإيرانية التى استولى عليها العراق بعد الحرب العراقية – الإيرانية فى اليوم التالى، وإطلاق جميع الأسرى الإيرانيين والتقيد ببنود اتفاقية الجزائر عام 1975م، ومع انسحاب قوات صدام من الأراضى الإيرانية التى خاض من أجلها حرباً دامت 8سنوات، وألحقت الخسائر بالطرفين أثبتت للعالم وللعرب خاصة أنها ذهبت هباءً منثوراً، وبدأت قواته المنسحبة تتجه نحو الحدود السعودية، عندها أيقنت المملكة أن الحرب واقعة لا محاله، لكن محاولة صدام لإقامة سلام مع إيران باءت بالفشل بعد الزيارة التى قام بها الرئيس السورى حافظ الأسد لإيران بين 22 و 25 سبتمبر بألا تمكن صداماً من الاستفادة من هذه

الفرصة، وبدا ذلك واضحاً عندما أرسل صدام قسماً كبيراً من قواته الجوية إلى إيران طلباً للنجاة، فقامت إيران باحتجازها ولم تعدها له.

بعدها ازداد الحصار الاقتصادى على العراق ففرضت إدارة جورج بوش الأب قراراً بمنع تصدير النفط العراقى ومنع الاستيراد العراقى للمواد الغذائية ومع هذه الضغوط أصدر صدام حسين فى 28 أغسطس (آب) أن الكويت هى المحافظة التاسعة عشرة فى العراق وسوف يمتد فوقها حكم عسكرى معهود به إلى على حسن المجيد (على الكيماوى).

حاولت الأمم المتحدة وقف التدهور فى 1سبتمبر (أيلول) وامتدت إلى مفاوضات بين وزير الخارجية العراقى طارق عزيز والأمين العام للأمم المتحدة بيريزدى كويار فى عمان ولكن المفاوضات لم تصل إلى نتيجة فيها استمرت انجلترا وفرنسا فى إرسال المزيد من القوات إلى الخليج العربى وقامت مصر بإرسال قوات مصرية حتى بلغت 20 ألف جندى.

فى 23سبتمبر (أيلول) 1990م هدّد صدام بإحراق نفط الكويت ومهاجمة إسرائيل فتعالت الهتافات من قبل منظمة التحرير الفلسطينية ومن قبل الشارع الفلسطينى، وفى 27 سبتمبر (أيلول) 1990م تمّ استئناف العلاقات الدبلوماسية ما بين إيران وانجلترا.

فى 29 سبتمبر (أيلول) استقبلت الجمعية العامة للأمم المتحدة أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح فشبه غزو بلاده بالغزو الإسرائيلى للضفة الغربية وجنوب لبنان وتواصلت المحادثات حتى صدر القرار 674 فى 29 أكتوبر (تشرين الأول) متهماً بغداد بانتهاك حقوق الإنسان وبإنزال خسائر اقتصادية بالكويت وبعدها مضى الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب ووزير خارجيته بيكر فى بناء تحالف للحرب شمل ثلاثين دولة وقام الرئيس الأمريكى بزيارة للرئيس السورى حافظ الأسد فى دمشق فى 23 نوفمبر (تشرين الثانى) وأعلن الرئيس السورى مشاركته للتحالف.

بلغ عدد الجنود العراقيين فى الجنوب والكويت حوالي700ألف ثم صدر القرار 678 الذى يأذن لكل الدول الأعضاء باستخدام كافة الوسائل الضرورية لفرض القرار 660 مالم ينسحب العراق قبل 15 يناير (كانون الثانى) عام 1991م.

فى 5 ديسمبر (كانون الأول) أدلى وليم ويستر مدير المخابرات المركزية الأمريكية بشهادة خطيرة أمام لجنة القوات المسلحة فى الكونغرس، فذكر أن استمرار العقوبات العسكرية على العراق سيحرمه فى ثلاثة أشهر قدرته على الطيران الجوى أما قواته البرية فستخسر خلال تسعة أشهر طاقتها على القتال.

دخل عام 1991م، وباتت أيام معدودة عن 15 يناير (كانون الثانى) وبلغ عدد الجنود الأمريكيين فى الخليج يتجاوز 380 ألفاً، وخلال الأيام الأوائل من يناير فشلت كل المحاولات بإقناع صدام وحزبه بالانسحاب من الكويت.

فى 14 يناير (كانون الثانى) تعهدت إسرائيل بأن لا تمارس ضربة وقائية للعراق مستجيبة لضغوط أمريكية منعاً لإحراج العرب وحتى لا تسبب ضرراً لقوات التحالف المعسكرة فى الخليج.

عاصفة الصحراء[1]

فى 15 يناير (كانون الثانى) 1991م، انتهت مهلة الأمم المتحدة للعراق، وفى 16 يناير بدأت عملية (عاصفة الصحراء) على الكويت وبغداد، فقامت الطائرات المهاجمة التى لا يكتشفها الرادار بقصف وزارة الدفاع العراقية والمطار ومصافى النفط والقصر الجمهورى ثم ضربت قوات الحرس الجمهورى على الحدود بين الكويت والسعودية والغريب فى الأمر هو أن قوات صدام لم تظهر مقاومة كما كانت تتوقعها قوات التحالف.

(1) العراقيون والمغول لـ أ.د. سعد حذيفة الغامدى، القسم الثانى: الاجتياح العراقى لأراضى الكويت وتشريد شعبها صفحة 81 -200.
بعث العراق لحازم صاغية، سلطة صدام قياماً وحطاماً، الفصل الثانى عشر: غزو الكويت، صفحة 161 - 174.
مقاتل من الصحراء لسمو الأمير خالد بن سلمان بن عبد العزيز، الفصل التاسع عشر: الحرب الجوية وصواريخ سكود صفحة 389- 417.

فى 17 يناير (كانون الثانى) قام صدام بإطلاق سبعة صواريخ سكود على إسرائيل فأحدثت دماراً فى تل أبيب وقتلت إسرائيلياً واحداً وأُصيب سبعة بجروح، وفى اليوم التالى سقطت أربعة صواريخ سكود على تل أبيب أو بالقرب منها، فماذا حدث؟!

لم ترد إسرائيل على ضربة صدام والتزمت بالصمت كما أوصتها أمريكا ودول التحالف بينما تعالت الهتافات فى الشارع الفلسطينى، وبدأ الفلسطينيون بنشر وتعليق صور صدام على أنه المحرر لفلسطين فماذا نتج عن ذلك؟

سادت الفرقة بين دول الخليج ومنظمة التحرير الفلسطينية وقلّ الدعم العربى لها.

صواريخ سكود كانت السلاح الوحيد الذى فى ترسانة صدام، لكن تلك الصواريخ لم تكن دقيقة فى إصابة أهدافها، وإنما الهدف منها إرهاب المدنيين، وكان يتم اكتشافها بواسطة الأقمار الصناعية بعد إطلاقها.

بدت مطامع صدام واضحة عندما قام بإطلاق صاروخ سكود على مدينة الظهران والرياض بالسعودية فى الأيام 20، 21، 22، 23 من يناير حتى بلغ عددها 20 صاروخاً، وبلغ إجمالى صواريخ سكود التى أطلقها العراق 88صاروخاً، منها 42 على إسرائيل، و43 على المملكة، و3 على البحرين.

صواريخ سكود لم تكن دقيقة وغالباً ما كانت تسقط قبل أن تصيب أهدافها أو يتم إسقاطها بواسطة صواريخ باتريوت.

ومع هذه الأزمة المتواصلة هبط سعر برميل النفط من 30 دولار إلى 18 دولار، وحصلت إسرائيل على امتيازات، فقد قامت أمريكا بإرسال أعداد هائلة من جنودها وخبرائها للتعاون مع إسرائيل لإدارة منصات لإطلاق صواريخ مضادة لصواريخ سكود، وانهالت الأموال بالبلايين على إسرائيل من قبل دول حلف شمال الأطلسى بينما تعهدت ألمانيا بإرسال منصات مضادة للصواريخ مع خبرائها وبإرسال معدات واقية للأسلحة السامة والكيميائية والجرثومية فبفضل صواريخ صدام نالت إسرائيل تعاطف دولى وتقنيات حديثة من الأسلحة المضادة.

فى 26 يناير والأيام الثلاثة التى تلتها، أرسل صدام 80 طائرة من طائرات العراق إلى إيران، لأن صداماً كان قد عقد صفقة مع إيران لتوفير الحماية لطائراته، ثم تبعها هروب جماعى ما بين 6 إلى 10 فبراير وكان الإجمالى 135 طائرة فى إيران، لكن على عكس ما توقع صدام، فقد قامت إيران بالاستيلاء على الطائرات ولم تعدها للعراق حتى بعد انتهاء الحرب.

معركة الخفجي[1]

فى ليلة 29-30 يناير عبرت مجموعة قتال عراقية الحدود السعودية الكويتية وتحركت بمحاذاة ساحل الخليج العربى حتى وصلت مدينة الخفجى السعودية - الواقعة فى الجنوب الشرقى لدولة الكويت- وقامت باحتلالها، إذ لم يكن بها أى تواجد عسكرى، وبدأت محطات الإذاعة فى بغداد وعمّان وصنعاء تنشر الخبر وكأنه نصر مبين.

بعدها بدأت القوات السعودية بمساندة من قوات التحالف تخطط لاستعادة مدينة الخفجى وبأسرع وقت ممكن، حيث إنها لم تمهل القوات العراقية فرحة النصر، حيث قامت القوات السعودية بالهجوم على محورين فى صباح يوم 31 يناير 1991م، المحور الأيمن نفذته الكتيبة الثامنة مشاة آلية من لواء الحرس الوطنى مدعمة بسرية مشاة آلية قطرية، والمحور الأيسر نفذته الكتيبة السابعة مشاة آلية من لواء الحرس الوطنى مدعمة بسرية دبابات قطرية.

بدأت معركة الخفجى فى صباح يوم 31يناير 1991م، وفى البداية واجهت قوات التحالف مقاومة شرسه من قبل القوات العراقية استمرت المعركة لمدة ثلاثين دقيقة، تم فيها تدمير 12 آلية عراقية مما أجبرهم على الانسحاب لإعادة تنظيم قواتهم ولكن طائرات التحالف كانت لهم بالمرصاد، فتكبد العراقيون خسائر جسمية، مما أجبر بقية قواتهم على التقهقر.

(1) مقاتل من الصحراء لسمو الأمير خالد بن سلمان بن عبد العزيز، الفصل العشرون: معركة الخفجى صفحة 419 - 450.

بعدها دخلت القوات المهاجمة المدينة لتقضي على ما تبقى للعراقيين من قوات مقاومة، فخاضت عدداً من الاشتباكات تكبد فيها العراقيون خسائر فادحة، وتم أسر الكثير منهم، والبقية انسحبوا شمالاً عن طريق الطرق الساحلية الوعرة، ولكنهم لم يسلموا من الهجمات الجوية.

انتهت المعركة وحُررت مدينة الخفجي أثناء المعركة قُتل 32 جندياً عراقياً وجُرح 35 وتم أسر 463، وتم تدمير 11 دبابة T-55 و51 ناقلة جند مدرعة وتم الاستيلاء على 19 عربة مدرعة، أما الخسائر فى الجانب السعودى فكانت استشهاد 18، وجرح 32 آخرين، وفى المعدات، فكانت 3 دبابات وراجمة صواريخ واحدة وسيارتى إسعاف.

وتحت الضرب الصاروخى المتواصل والقصف بالطائرات الذى لم يشمل القوات العراقية المعسكرة فى الكويت فقط شمل حتى المدن العراقية أولها العاصمة بغداد.

بعدها سُدت الأبواب فى وجه القادة العراقيين فتوجه المندوب الخاص للرئيس الروسى غورباتشوف، يفغينى بريماكوف، فى 5 فبراير (شباط) 1991م، والتقى بالرئيس العراقى صدام فأعلن صدام موافقته على التفاوض حول وضع الخليج لكنه ربط استعداده بالانسحاب من الكويت بوقف إطلاق نار شامل ووقف قرارات مجلس الأمن عام 1990م.

رفض الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب هذه الشروط لأن قوات التحالف كانت وقتها تحرز تقدماً فى حربها ضد صدام.

حاول وزير الخارجية العراقى طارق عزيز حل مشكلة العراق مع موسكو ولكن واشنطن رفضت ورأت مبادرة طارق عزيز متأخرة بعدها أقدم الجيش العراقى على أبشع الممارسات الحربية، فعندها قامت القوات العراقية المعسكرة فى الكويت بإشعال 517 بئراً نفطية فى الكويت من أصل 950 بئراً، مما أدى إلى أضرار مادية وبيئية.

فى 15 فبراير (شباط) عام1991م، وجهه الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب وخطاباً قائلاً فيه:أن نظام وهيمنة صدام حسين قد تم القضاء عليهما وأن على الشيعة فى

الجنوب والأكراد فى الشمال الخروج من السجن الذى فرضه صدام عليهم... (أدعو جيش العراق وشعبه إلى أخذ المبادرة والتحرك وإجبار صدام حسين على التنحى).... طارت هذه الكلمات ووصلت إلى أسماع الشيعة فى الجنوب فماذا ستكون النتيجة؟

معركة المائة ساعة[1]

بعد أن دُمرت القوى التحتية لنظام صدام، بدأ الهجوم الكبير فى الساعة 4 صباحاً من يوم الأحد 24 فبراير (شباط) 1991م لتحرير الكويت، وتكبدت القوات العراقية خسائر كبيرة إضافة إلى غياب المقاومة من قبل الجنود العراقيين والسبب قلة التدريب والتجنيد الإجبارى والعقوبات الصارمة من قبل النظام فى حالة مخالفة الجنود للأوامر، وكان معظم الجنود العراقيين يسارعون إلى الاستسلام أو التراجع بشكل فوضوى إلى مدينة الكويت.

فى يوم الاثنين 25 فبراير (شباط) أُمرت القوات العراقية بالانسحاب من الكويت، فبادرت القوات العراقية بالانسحاب سالكة الطريق الشمالية السريعة لتواجه القصف الجوى العنيف بعد ظهر يوم الثلاثاء 26 فبراير وصباح يوم الأربعاء 27فبراير حتى أُطلق على تلك الطريق طريق الموت.

قبل فجر يوم الأربعاء 27فبراير تمكنت فرقة المشاة البحرية الأمريكية من السيطرة على مطار الكويت بعد معركة حامية لم تستغرق الكثير من الوقت.

بعد المناورات التى دامت مائة ساعة، ابتداءً من الساعة الرابعة صباح يوم الأحد 24 فبراير (10/8/1411هـ) إلى الساعة الثامنة من صباح يوم الخميس 28 فبراير (14/8/1411هـ) هزمت قوات التحالف قوات صدام حسين وقُتل فى هذه الحرب حوالى من 150 ألف إلى 200 ألف جندى عراقى فى أكبر مجزرة لحقت بالجنود العراقيين فى أقصر مدة (100 ساعة)، لما رأى

---

(1) العراقيون والمغول لـ أ.د. سعد حذيفة الغامدى، القسم الثانى: الاجتياح العراقى لأراضى الكويت وتشريد شعبها، الفصل الرابع: إغراءات وأطماع، صفحة 188 -189.
بعث العراق لحازم صاغية، سلطة صدام قياماً وحطاماً، الفصل الثانى عشر: غزو الكويت، صفحة 161 - 174.
مقاتل من الصحراء لسمو الأمير خالد بن سلمان بن عبد العزيز، الفصل الواحد والعشرون: حرب تحرير الكويت صفحة 451-504.

الجنود الباقون هذه المجزرة استسلم الباقى حتى قُدر عدد الأسرى من الجنود العراقيين بأكثر من 80 ألف جندى عراقى لم يتذوقوا الطعام لأيام وتم تدمير أكثر من 7000 قطعة حربية من سلاح الجيش العراقى، وتم تحرير الكويت فى 27 فبراير (شباط) 1991م (13/8/1411هـ).

واصلت القوات الأمريكية تقدمها شمالاً نحو البصرة، فاشبكت مع قوات الحرس الجمهورى على بعد خمسين ميلاً غربى البصرة وأبلى الحرس الجمهورى شجاعة فائقة بعكس ما فعل الجنود العراقيون فى الكويت فعندما رأى صدام أن ورقته الأخيرة وهى الحرس الجمهورى أنه إذا قُضى عليه فليس لديه أى قوة أخرى فأمر صدام قوات الحرس الجمهورى بالانسحاب إلى بغداد حيث تمّ توزيعهم حول بغداد، فيما تُرك الباقى من الجيش يواجه الهزيمة والحتف التعيس.

فى صباح يوم الخميس 28 فبراير أصدر الرئيس الأمريكى جورج بوش أوامره بوقف العمليات العسكرية.

فى 2مارس (آذار) أعلن مجلس الأمن القرار 686 الذى يطالب العراق القبول بالاثنى عشر قراراً السابقة وبإطلاق المحتجزين المدنيين والموافقة على دفع تعويضات عما نزل بالكويت، وفى اليوم التالى 3 مارس أذعن ضباط صدام فى خيمة صفوان فى أقصى الجنوب الشرقى للعراق موقعين على استسلامهم الذليل، وتم مناقشة عدة موضوعات منها تبادل الأسرى وإعادة جثث القتلى والفصل بين القوات وتحديد مواقع الألغام وحضر الطيران العراقى.

هُزم الجيش العراقى هزيمة نكراء سببها لهم رئيسهم المنجرف وراء طموحاته المهلكة، وحررت دولة الكويت، ورجع أهالى الكويت الذين تمّ استضافتهم بصدر رحب فى المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى إلى بلدهم الكويت.

كانت الولايات المتحدة قد وجدت ضالتها المنشودة فى صدام حسين، فبسببه امتلأت مياه الخليج العربى بالأساطيل العسكرية الغربية، وسمح لهم بتجربة جميع الأسلحة والتكنولوجيا الحديثة، فأنزلت بالعراق وبشعبه أقصى أنواع الدمار والهلاك، ودمرت البنية الاقتصادية والعسكرية للعراق وجرى إذلال جيشه وشعبه.

استغرقت الحرب 40 يوماً تم إلقاء أكثر من مائة ألف طن من المتفجرات على العراق بما فى ذلك مئات الأطنان من ذخائر اليورانيوم وكانت نتائج الحرب كما يلى:

خسائر العراق:

- مابين سبعين ألف إلى مائة ألف قتيل عراقى فى صفوف الجنود.
- أربعة آلاف دبابة.
- 240 طائرة.
- 3100 قطعة مدفعية.
- 1856عربة لنقل القوات.
- 30 ألف جندى عراقى أسير.
- بلغت خسائر العراق 230بليون دولار.

خسائر دول التحالف:

- الولايات المتحدة خسرت 79جندياً و213 جريحاً و44مفقوداً.
- بريطانيا خسرت 13 جندياً.
- فرنسا خسرت جنديين.
- البلدان العربية المشاركة خسرت 13جندياً.

الكويت خسرت 168 بليوناً فى عدادها إطفاء وإصلاح الآبار التى أشعلها العراقيون وحفر آبار جديدة للتعويض عن التالف منها.

انسحبت قوات الجنود العراقيين من الكويت مكسورة الجناح ولازالت كلمات جورج بوش الملقاة فى 15 فبراير ترن فى أذهانهم مع تزايد موجة الغضب والحقد ضد نظام صدام حسين.

انتفاضة الشيعة والأكراد[1]

(انتفاضة مارس 1991م)

بعد انسحاب الجيش العراقى من الكويت أشعلت نار الحقد والغضب بين صفوف الجنود المنسحبين ضد النظام الحاكم وخاصة بعد ما تعرض الجنود لوابل القذائف التى استهدفتهم ولم تستهدف النظام الحاكم وعلى رأسه صدام حسين ومع انسحاب القوات العراقية، توقف رتل من الدبابات العسكرية فى البصرة والتفت إحدى الدبابات ووجهت فوهة مدفعها نحو تمثال لصدام حسين، وأطلقت قذيفتها عليه، فكانت أول شرارة لاندلاع انتفاضة فى البصرة فى يوم الجمعة 1 مارس (آذار) عام 1991م، وسرعان ما اشتعلت الانتفاضة لتشمل سائر مدينة البصرة واتحد الجيش المنسحب مع الشيعة فى الجنوب، فقاموا بالقبض على محافظ البصرة وأُطلق سراح كافة المسجونين، ورغم كل المحاولات التى قام بها الحرس الجمهورى لاستعادة المدينة إلا إنها باءت بالفشل.

فى يوم الأحد3 مارس سرت الانتفاضة سريان النار فى الهشيم، فامتدت الانتفاضة إلى محافظة العمارة وتم تحريرها من قبضة النظام البعثى بعد معركة عنيفة استمرت لمدة ساعتين، وانتهت باستسلام قوات النظام الصدامى، وأخذ لهيب الانتفاضة يمتد ليشمل مدينة الكوت والناصرية وكربلاء والنجف، وقبض المنتفضون الشيعة على عشرات المسئولين البعثيين والمشكوك ببعثيتهم وتم اعدامهم بمحاكمات شكلية سريعة وصحب هذه الانتفاضة أعمال سلب ونهب وعبث بالجثث.

فى يوم الإثنين 4 مارس استطاعت قوى الانتفاضة أن تبسط سيطرتها على مدينتى العمارة وعلى الغربى واستولت على 13 طائرة مروحية عسكرية.

فى يوم الأربعاء 6مارس، عُين على حسن عبد المجيد (على الكيماوى) وزيراً للداخلية ليتولى قمع انتفاضة الجنوب.

(1) المعارضة العراقية والصراع لإسقاط صدام - إبراهيم نوار - صفحة 71 - 100 .

لما سمع الأكراد بالانتفاضة فى الجنوب وما حققته من انتصارات، انتفض الأكراد فى الشمال ضد نظام صدام وقامت قوات البشمركة الكردية باحتلال السليمانية وأربيل ودهوك.

فى يوم الجمعة 8 مارس، وقعت معركة عنيفة حول البصرة بين قوات صدام وقوات الانتفاضة، واستطاعت قوى الانتفاضة دحر قوات صدام وإحراق عشر دبابات والاستيلاء على ثلاثين دبابة وتم إحكام السيطرة على البصرة وحاولت قوات صدام القيام بهجوم جديد من الجهة الشرقية للبصرة ولكن الهجوم باء بالفشل فصارت الانتفاضة مسيطرة على سائر المدن العراقية فى الجنوب.

فى نفس اليوم يوم الجمعة 8 مارس، حدثت مظاهرات عنيفة فى مدينتى الموصل والرمادى ولكن قوات صدام كانت مستعدة لها فقامت بقمعها فوراً.

أما الأكراد فى الشمال فقد بسطوا سيطرتهم بالكامل على مدينة السليمانية وأربيل ودهوك وانضمت إليهم مدينة كركوك بعدما استطاعت تحرير نفسها من قوات صدام وبالتالى انضمت كركوك إلى انتفاضة الأكراد.

فى بغداد قامت مظاهرات صاخبة فى أحياء الشعلة والحرية والكاظمية والثورة لكن القوات الصدامية التى كانت متواجدة بكثافة لحدوث أى طارئ قامت بقمع المظاهرات بأقصى أساليب العنف واستطاعت السيطرة على الموقف.

تقدمت الانتفاضة فى الجنوب شمالاً نحو الفرات الأوسط، واستطاعت السيطرة على مدينة الحلة بعد قتال شرس مع قوات صدام، وتم اعتقال جميع المسئولين الحكوميين فى الحلة، حاولت قوات صدام التصدى لهذا السيل الجارف ولكن الانتفاضة التى كانت تحركها القوى والشعارات الدينية استطاعت سحق قوات صدام.

فى يوم الأربعاء 13 مارس أعلنت القيادة السياسية للجبهة الكردستانية سيطرتها التامة على كافة منطقة كردستان وقامت بإحلال المجلسين التشريعى والتنفيذى للنظام الصدامى البعثى وتشكيل إدارة مؤقتة لحين إجراء انتخابات عامة فى كردستان.

فى يوم الخميس 14 مارس أحكمت قوات الانتفاضة سيطرتها على محافظة العمارة وامتدت شمالاً حتى سيطرت على معظم مدن محافظة بابل حيث فرضت سيطرتها على مدينة المحمودية القريبة من بغداد كما تمكنت الانتفاضة من السيطرة التامة على مدينة النعمانية، ورغم استخدام قوات صدام للطائرات المروحية فى قمع الانتفاضة إلا أنها لم تجد نفعاً، وتمكنت قوات الانتفاضة من إسقاط 3 مروحيات.

فى يوم الجمعة 15 مارس تم تطهير محافظة العمارة من قوات صدام تطهيراً تاماً بعدها حاولت قوات صدام السيطرة على مدينة جلولاء ودارت معارك شرسة انتهت بانتصار قوى الانتفاضة واستيلائهم على أربع دبابات.

استطاعت الانتفاضة السيطرة على الجنوب بالكامل والفرات الأوسط بينما الأكراد لازالوا مسيطرين على كردستان بالكامل فى خلال أسبوعين وبدا نظام صدام قاب قوسين أو أدنى على السقوط حيث لم يبق فى يد نظام صدام سوى بغداد والموصل والرمادى ومحافظة صلاح الدين بما فيها تكريت وغيرها من المدن ذات الأهمية القليلة.

طبعاً الذى كان يحرك الانتفاضة فى الجنوب القوى الإسلامية وصحبها تدخل قوات الحرس الثورى الإيرانى فهذه الأمور جعلت قوى التحالف بقيادة الولايات المتحدة تقلق من سيطرة الانتفاضة الشيعية الموالية لإيران مما يسبب خطراً على مصالحها فى المنطقة فرأت أنه لابد من التدخل، فماذا فعلت؟

سمحت لقوات الحرس الجمهورى بالعبور وسمحت لقوات صدام استخدام المروحيات بل ودعمت الولايات المتحدة قوات صدام بمروحيات وصواريخ أرض- أرض، ووقفت قوات التحالف تراقب قوات صدام وهى توجه كل أسلحتها تجاه الشعب المنتفض وأيضاً انضم الكثير من القوى السنية لقوات صدام لمقاومة الشيعة لأنهم خافوا من أن يقع العراق فى أيدى الشيعة وهذا خطر كبير يهدد الطائفة السنية.

بدأت قوات صدام والحرس الجمهورى بقصف المدن العراقية فى الجنوب بالمروحيات وصواريخ أرض- أرض، ولما سمع الأكراد بما تلاقيه قوى الانتفاضة من فتك توقفت

الانتفاضة الكردية عن التقدم نحو محافظة صلاح الدين وبغداد فأعطت الفرصة لقوات صدام فى تكثيف جهدها لقمع الانتفاضة فى الفرات الأوسط والجنوب، ففى يوم الأحد 17 مارس هاجمت قوات صدام مدينة الكوت واستبسلت قوات الانتفاضة فى الدفاع عن المدينة واستطاعت أن تنزل الخسائر بقوات صدام لكن فى النهاية نفذت العدة لدى قوات الانتفاضة وانتهت المعركة بخسارة قوى الأنتفاضة.

فى يوم الاثنين 18 مارس قامت قوات صدام بهجوم واسع على مدينة كركوك واستطاعت السيطرة عليها، ثم قامت فى نفس اليوم بقصف جوى مكثف على مدن خانقين وجلولاء ومعظم مدن الفرات الأوسط بصواريخ أرض_ أرض ثم أعقبتها بهجوم برى بالدبابات وجوى بالطائرات مما سبّب وقوع خسائر فى صفوف المدنيين والعسكريين.

فى يوم الثلاثاء 19 مارس هاجمت قوات صدام مدعومة بقوات الحرس الجمهورى المسلح بالأسلحة الثقيلة مدينة كربلاء والنجف والكوفة والديوانية، وجرى قصف هذه المدن بشكل مركز بمختلف أنواع الأسلحة وراح ضحية هذا القصف 15 ألف مواطن فى النجف فقط وتم اعتقال المرجع الشيعى السيد أبو القاسم الخوئى فى يوم الاربعاء 20 مارس، ثم نقله إلى بغداد فيما واصلت القوات الصدامية تقدمها بمهاجمة مدينة البصرة والناصرية بمختلف أنواع الأسلحة.

فى يوم الخميس 21 مارس اقتحمت قوات الحرس الجمهورى مدينة الناصرية وتمكنت من السيطرة على المدينة بينما المدن الأخرى لم تستطع قوات صدام والحرس الجمهورى السيطرة عليها السيطرة الكاملة، واستمرت المعارك الشرسة التى أظهر فيها قوات الانتفاضة بطولات نادرة.

نرجع إلى الوراء قليلاً إلى انتفاضة الأكراد فى الشمال فى يوم الاربعاء 20 مارس وأثناء انشغال قوات صدام والحرس الجمهورى بالانتفاضة فى الجنوب قامت قوات الأكراد بتحقيق انتصارات متتالية حيث تمكنت من السيطرة مرة أخرى على مدينة كركوك وأجزاء من محافظة صلاح الدين وبعض قرى محافظة نينوى واستطاعت الاستيلاء على مقر الإذاعة والتلفزيون فى كركوك وثلاثة مطارات عسكرية ومدينة وجميع مناطق آبار النفط.

بعد أن انسحبت قوات صدام من كركوك قامت بضرب مدينة كركوك بالقنابل الفسفورية والصواريخ مستخدمة الطائرات الحربية ذات الأجنحة والطائرات السمتية ولكن المدينة بقيت تحت سيطرة الأكراد.

فى يوم السبت 23 مارس جرت معارك عنيفة شمال الموصل فى منطقة فايدة على طريق دهوك وأوقعت قوات الانتفاضة خسائر جسمية فى صفوف القوات الصدامية واحتلت المزيد من الأراضى وصارت تتقدم نحو الموصل.

إذن نرى أن قوات الانتفاضة فى الجنوب لازالت مسيطرة على معظم المدن ما عدا الناصرية والنجف وغيرها من المدن الصغيرة، لكن البصرة وكربلاء والكوفة والديوانية والعمارة لازالت بيد الانتفاضيين.

الانتفاضة فى الشمال مسيطرة على كردستان بالكامل وكركوك وخانقين وجلولاء ودهوك وصارت تهدد الموصل المدينة التى لازالت بيد قوات صدام، فماذا ستفعل قوات صدام؟!

فى يوم الاثنين 25 مارس قامت قوات صدام بهجوم برى على مدينتى خانقين وجلولاء والهدف من ذلك السيطرة عليها ثم التقدم إلى كركوك بينما قامت الطائرات فى نفس اليوم بقصف كركوك فيما واصلت قوات صدام مع قوات مجاهدى خلق الإيرانية المعارضة تقدمها فى الجنوب فاستطاعت الاستيلاء على مدينة كربلاء فى يوم الثلاثاء 26 مارس واستطاعت قوات صدام فى اليوم التالى الأربعاء 27مارس من الاستيلاء على المدن الباقية فصارت مسيطرة على البصرة والعمارة والكوفة بعد أن لجأت إلى استخدام أسلحة محظورة ثم قامت القوات الصدامية بتدمير الأماكن المقدسة لدى الشيعة وبقتل الآلاف من النساء والأطفال والشيوخ بعدها هربت قوات الانتفاضة والكثير من العوائل نحو الكويت، وطالبت قوات الانتفاضة من الجنود الأمريكيين المساعدة وإمدادهم بالسلاح لتستمر الانتفاضة لكن القوات الأمريكية امتنعت ولم تمدهم بشىء وبررت ذلك باستلامها أوامر بعدم إمداد الانتفاضة بأى نوع من أنواع المساعدة بينما طلبت العوائل اللاجئة الطعام والدواء وكانت آثار الحروق الكيميائية ظاهرة على أجسامهم.

بعد القضاء على الانتفاضة فى الجنوب ارتكبت قوات صدام والحرس الجمهورى بقيادة حسين كامل صهر صدام حسين أبشع أنواع المجازر والتعذيب حيث بلغ عدد القتلى ما يزيد عن 300 ألف وأدى ذلك إلى فرار حوالى 60 ألف شيعى جنوباً إلى قوات التحالف والمملكة العربية السعودية وشرقاً نحو إيران.

هكذا تم القضاء على الانتفاضة فى الجنوب والفرات الأوسط بعد التخلى الأمريكى الكامل وفى غياب كامل لوسائل الإعلام والتلفزة.

فى يوم الخميس 28 مارس بدأت قوات صدام بهجوم واسع على مدينة كركوك واستخدمت الدبابات والمدفعيات والصواريخ بإسناد من الطائرات وبدأ القصف الشديد على مدينة كركوك الذى أدى إلى وقوع خسائر كبيرة فى المدنيين خاصة الأطفال والنساء واستطاعت قوات الحرس الجمهورى دخول المدينة والسيطرة عليها وعلى كثير من القرى حول مدينة كركوك مما اضطر حوالى أكثر من 100 ألف من السكان إلى التوجه إلى أربيل والسليمانية.

فى يوم الجمعة 29 مارس قامت قوات صدام بقصف مدينة جمجمال الكردية بالقنابل الفسفورية والنابالم، ثم قامت قوات الحرس الجمهورى باحتلالها وبدأت قوات صدام بالتوجه شمالاً نحو مدينتى السليمانية وأربيل مستخدمة كل ما تملك من أنواع الأسلحة والمعدات الثقيلة والطائرات.

فجأة بدأت العوائل الكردية مع عناصر قوات الانتفاضة بالهرب والنزوح شمالاً خوفاً من بطش قوات صدام ولإحساسهم بالخيانة وأنهم سيواجهون مصيرهم المحتوم كما وجهه الشيعة فى الجنوب فتوجه مليون إنسان كردى نحو الجبال هرباً من الحرب ليواجه المناخ البارد والثلوج ونقص الماء والغذاء والدواء الذى صار ضحيته الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ ومما زاد الطين بلة إقدام الحكومة التركية على إغلاق حدودها بوجه النازحين الأكراد.

كان الأكراد أكثر حظاً من الشيعة فقد تسنى لوسائل الإعلام نقل المأساة والمعاناة التى يواجهها الأكراد فى الخيام التى لم تحميهم من البرد القارص وأيضا شهادتهم على أنفسهم بالموت التى ستوجهه لهم قوات صدام، عندما شاهد العالم المأساة ضج العالم، فعندها منعت حكومة جورج بوش وبريطانيا قوات صـدام من التحليق فوق منطقة الأكراد وبالتالى أذعن صدام لهذه الأوامر وقام الأكراد بالعودة مرة أخرى إلى مساكنهم تحت حماية الولايات المتحدة وبريطانيا وتخلص الشعب الكردى من سيطرة نظام صدام الفاشى وتم تنظيم إدارة جديدة فى كردستان.

فى يوم الجمعة 29 مارس حضر وفد ضخم ضم قادة العشائر إلى القصر الجمهورى، فبايع الرئيس صدام حسين على السمع والطاعة وأعطاه الولاء.

سنوات الحصار

1. كان مجلس الأمن الدولى قد استصدر مجموعة من القرارات وخاصة القرار661 (1990م) والقرار670 (1990م) التى حولت نظام العقوبات إلى حصار شامل، الحصار الاقتصادى الذى يعتبر أقوى أنواع العقوبات بل يعتبر حرباً أقوى من الحروب العسكرية فماذا كانت نتائج هذا الحصار؟!

2. انخفاض الناتج المالى الإجمالى فى العراق إلى مالا يزيد على ثلث المستوى الذى بلغه قبل عام 1991م.

3. تدمير البنى التحتية الاقتصادية والصناعية للعراق.

4. حوالى 170 ألف طفل دون سن الخامسة يموتون كل سنة نتيجة لظروف سوء التغذية وضعف الخدمات الصحية ونقص الدواء.

5. ظلت الولايات المتحدة وبريطانيا بعد فرضهما حظر جوى للعراق تقصفان العراق وتراقبان مجاله الجوى دون الاستناد إلى المنظمة الدولية، فقد قامت الطلعات الجوية بإلقاء حوالي88 ألف طن من الذخيرة فحطمت نظام توليد الطاقة الكهربائية ومصافى النفط والوحدات الصناعية الرئيسية ونظام معالجة المياة فضلاً عن الطرق والجسور ووسائل الاتصال السلكى واللاسلكى.

بدأت سنوات الحصار وبقى صدام فى السلطة وكان نظامه مكونًا من:[1]

- النجل الأكبر عدى بن صدام رئيس اللجنة الأولمبية العراقية ورئيس تحرير معظم الصحف الأسبوعية وصحيفة بابل اليومية ومدير تلفزيون الشباب.
- النجل الأصغر والمحبوب لدى الرئيس صدام، قصى بن صدام قائد الحرس الجمهورى.

---

(1) ملاحظه هامة: هذه الأسماء يجب حفظها جيداً لأن لكل واحد من هؤلاء الأعضاء قصة ستأتى فيما بعد، وخاصة ماهر سفيان.

- حسين كامل، زوج ابنة صدام حسين رغد ونجل ابن عم صدام حسين، قائد جهاز الأمن الخاص المكلف بحماية الرئيس صدام.
- عز الدين محمد حسن مجيد، نجل ابن الرئيس صدام وصهر حسين كامل نُصب فى رئاسة الحرس الجمهورى.
- ماهر سفيان أيضاً من قواد الحرس الجمهورى.
- على عبد الرشيد التكريتى قائداً عاماً للجيش.
- مزاحم صعب التكريتى قائد سلاح الطيران.

بدأ بعث صدام عن طريق الاستخبارات العامة بالتركيز على رقابة سلك الضباط فى الداخل ورصد المعارضين فى الخارج واغتيالهم إذا لزم الأمر.

كان الشعب العراقى هو ضحية الحصار، فبينما يعانى الشعب العراقى من أسوأ أحوال المعيشة سواءً النقص فى الغذاء أو النقص فى الدواء، كان الرئيس صدام حسين وحزبه على العكس تماماً فكان الرئيس صدام يتفنن فى بناء وسكن أروع وأفخم القصور وكان يرتدى أرقى أنواع الملابس بينما شعبه كان يدفع الثمن وكان يواجه الموت من جهة الحصار ويواجه القمع من جهة رئيسهم صدام وحزبه.

بعد القضاء على انتفاضتى الشيعة والأكراد مارست دول التحالف والأمم المتحدة ضغوطاً على العراق لاحتوائه أسلحة دمار شامل، ونتيجة لهذه الضغوط وخاصة بعدما استنزفته الانتفاضة، أذعن صدام وحزبه بالموافقة على دخول فرق التفتيش التابعة للأمم المتحدة (أونسكوم) فى 6 أبريل (نيسان) عام 1991م، ونجحت فرق التفتيش فى تدمير جزء كبير جداً من الأسلحة فى العراق فصار العراق يعانى من حصار اقتصادى وحظر جوى فى الجنوب والشمال وفرق التفتيش فى البر.

استمر الرئيس العراقى فى تحدياته، فقام بجعل صورة جورج بوش الأب جزءاً من أرضية مدخل فندق الرشيد ببغداد تطأها أقدام من يدخلون الفندق ومن يخرجون منه الذى قام بتصميم ورسم صورة جورج بوش الأب الفنانة العراقية ليلى العطار.

فى نوفمبر (تشرين الثانى)1991م، عُين سبعاوى إبراهيم، الأخ غير الشقيق لصدام حسين فى منصب مدير الأمن العام.

فى نفس العام1991م أرسل الرئيس صدام ستة أشخاص من الحرس الرئاسى إلى عز الدين محمد حسن مجيد، نجل ابن عم صدام حسين للتحقيق معهم بتهمة قيامهم بسرقة حاجيات الرئيس صدام وتنفيذ حكم الإعدام فيهم، وما هى هذه الحاجيات (ملابس داخلية وعطورات وكريمات وصابون....)، لما تسلم عز الدين القضية ردّ بقوة، وقال: إذا كان يريد أن يعدمهم، فلماذا لا ينفذ هو الإعدام دون أن يورطنى، وإذا كان يريد أن أحكامهم، فليترك لى الصلاحية فى تقرير مصيرهم، وصلت هذه الكلمات إلى الرئيس العراقى صدام فأمر باعتقاله، قاوم عز الدين فى البداية ولكنه فى النهاية استسلم وأودع فى السجن لعدة أشهر ثم أُطلق سراحه وأُحيل إلى التقاعد، أما الحراس الستة فقد تمّ إعدامهم أمام 1500 شخص من الحرس الرئاسى ليكونوا عبرة لهم[1].

عام1992م[2].

فى عام1992م، انفجر النزاع بين عسكريين جبوريين وآخرين تكارتة، واتهم الضباط التكارتة الضباط الجبوريين بالتخطيط لانقلاب، وبالفعل اعتقل بعض الضباط الجبوريين وأُعدموا.

فى نفس العام1992م، أنشأ الرئيس العراقى صدام حسين جهاز جديد سماه (جهاز الأمن العسكرى) وهو فرع من الاستخبارات تولاه خليل ثابت التكريتى وهو جهاز يرصد تحركات الجيش، ويقوم بتوصيل الأخبار مباشرةً إلى الرئيس صدام دون المرور لأى حلقة أخرى.

(1) الحياة السرية لصدام حسين من القصور إلى الجسور لأنيس الدغيدى، فصل مذابح صدام حسين أوامر بالقتل صفحة 266.
(2) بعث العراق، سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل الثالث عشر: من الحداثة الحديدة إلى أصالة العشائر صفحة 175 -190.

فى نفس العام عُين على حسن المجيد (على الكيماوى)، ابن عم صدام حسين، منصب وزير الدفاع، وتم تعيين محمد سعيد الصحاف وزيراً للخارجية.

فى 19 مايو (أيار1992م) أجرى الأكراد انتخابات محلية وشكلوا المجلس الوطنى الكردستانى وُوزعت المناصب بالتساوى، 50 مقعداً للحزب الديموقراطى وخمسين مقعداً لحزب الاتحاد الوطنى الكردستانى وأُعطى الآشوريون الخمسة المقاعد المتبقية، وصار مسعود مصطفى البرازانى للحزب الديموقراطى الكردستانى، وجلال الطالبانى أميناً عاماً لحزب الاتحاد الوطنى الكردستانى، لكن هذين الحزبين لم يتحدا بل سادتهما الفرقة والانقسام بعد فترة.

وفى نفس العام1992م قام ثلاثة من المسلمين السنة الذين يشتغلون لدى الرئيس صدام فى المطبخ بدس السم فى الطعام الذى يتناوله الرئيس وعند تقديمه للرئيس ظهرت علامات الاضطراب على وجه الرجل ولاحظ ذلك أفراد الحماية، فقام أحد أفراد الحماية باستدعائة وما إن رفع صوته عليه حتى اعترف بكل شيء، تم القبض عن الاثنين الآخرين ونُفذ فى الثلاثة حكم الإعدام، وطُرد كل أقاربهم وأصدقائهم من العمل فى القصر الجمهورى، وتم التشديد بالرقابة على المسلمين العاملين فى المطبخ الرئاسى واستبدالهم بمسيحيين.

عام 1993م

تسلم بيل كلنتون رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية بعد هزيمته لجورج بوش الأب فى الانتخابات.

بين 13 و 18 يناير (كانون الثانى) 1993م، شنت قوات أمريكية وبريطانية غارات على الجنوب من العراق، وعلى مصنع فى ضواحى العاصمة ما أسفر عن مقتل 44 شخصاً، بعدها تضجر نظام صدام وشعبه من سياسة الولايات المتحدة، ورأوا أنها لم تكتف بالحصار بل تقصف متى ما رأت الوقت مناسباً، بعدها قام جهاز صدام الأمنى بمحاولة اغتيال

للرئيس الأمريكى السابق جورج بوش الأب أثناء زيارة له فى الكويت فى أبريل (نيسان) 1993م، بعدها قامت حكومة بيل كليتنون فى 27 يونيو (حزيران) بإطلاق 23صاروخاً من نوع (توماهوك) على مقر الاستخبارات العراقية فى بغداد فى عملية رد مباشر على محاولة اغتيال الرئيس السابق جورج بوش الأب.[1] نتيجة لهذا القصف أصيب منزل الفنانة ليلى العطار مما تسبب فى مقتلها، وبررّت الإدارة الأمريكية أن الصاروخ أخطأ هدفه، لكن السبب ربما يعود لتصميمها صورة جورج بوش الأب عند مدخل فندق الرشيد.

عام 1994م وعام 1995م

فى هذا العام اتفق ثلاثة من العاملين فى المطبخ الرئاسى بدس مادة السيانيد السامة فى الطعام المهيأ للرئيس صدام حسين، وأثناء إجراء المكالمة بينهم كان خط الهاتف مراقب من جهة مسئولة فى القصر، فانكشفت الخطة بسبب هذا الاتصال فى اللحظات الأخيرة، وأُخبر الرئيس صدام بالأمر وعند تقديم الطعام على السفرة طلب الرئيس صدام من العامل تذوق الطعام والأكل منه، عرف العامل أن الخطة قد كشفت ففضل الموت بالسم بدلاً من الموت بالتعذيب على يدى صدام حسين فقام بالأكل من الطعام وما هى إلا لحظات وقد فارق الحياة ثم جيء بشريكيه فقام الرئيس صدام بإطلاق النار عليهما من مسدسه فأرداهما قتيلين.[2]

فى اكتوبر (تشرين الأول) أُعلن عن تشكيل جهاز أمنى جديد عُرف باسم (فدائيو صدام) ترأسه نجل صدام الأصغر قصى، عُرف أفراد هذا الجهاز بالصلابة وأكلهم الأفاعى وفى نفس الشهر حشدت بغداد قوات قرب الحدود الكويتية رداً على إرسال القيادة الأمريكية 29ألف جندى إلى الحدود الكويتية العراقية، وبعد أن حشد صدام قواته إلى الجنوب خاف على قواته من الشيعة، فأرسل قواته الخاصة فدائيى صدام إلى الجنوب فأثاروا الرعب فى قلوب الشيعة مما رأوه من صلابة وجلافة هذا الجهاز الأمنى الجديد.

---

(1) بعث العراق، سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية الفصل الثالث عشر: من الحداثة الحديدة إلى أصالة العشائر صفحة 175 - 190.

(2) الحياة السرية لصدام حسين من القصور إلى الجحور لأنيس الدغيدى، فصل أرقى المعاهد الفندقية العالمية فى خدمة صدام صفحة 228.

فى نفس العام 1994م، قرر حزب البعث عقوبات صارمة لمن يفر من الجيش، فالعقوبات إما بقطع الأذن أو سمل العين أو قص اللسان أو بتر الأعضاء، وأيضاً أعلن حزب البعث عقوبات صارمة تجاه النساء العراقيات العاهرات وتصدرها شعار "تعيش الماجدة العراقية وتسقط العاهرات" وبات يُقطع رأس كل من تثبت أدانتها بالبغاء، ويعاقب بالمثل الرجال الذين يسهلون عملها وكان يتم تنفيذ قطع رأس المرأه أمام دارها فى بغداد وحدها.

انهيار المؤتمر الوطنى العراقي[1]

المؤتمر الوطنى العراقى: هو حزب أسسه المعارض العراقى المنفى أحمد الجلبى كمنظمة شاملة تشكل المعارضة العراقية مدعومة من قبل وكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA)، هذه الجماعة تأسست منذ عام 1992م فى محافظة صلاح الدين قرب مدينة أربيل.

الوفاق الوطنى العراقى: هى جماعة معارضة ضمت ضباط ساخطين من الجيش البعثى العراقى ويترأس هذه الجماعة الشيعى العلمانى الدكتور إياد علاوى، بالرغم من أن معظم أفراد هذه الجماعة من السنة، هذه الجماعة تأسست منذ عام 1992م فى محافظة صلاح الدين قرب مدينة أربيل أيضاً.

كلا الحزبين، المؤتمر الوطنى العراقى برئاسة أحمد الجلبى والوفاق الوطنى العراقى برئاسة إياد علاوى تسودهما الفرقة والانقسام ولا يجتمعا إلا فى مصالحهما الخاصة، وكلاهما كانا يحاولان التغلغل فى الأكراد بصفتهم الجماعة العرقية المختلفة التى لا تزال فى العراق ولا تزال كارهة لنظام صدام حسين وبدا ذلك واضحاً حين جعل الحزبان مركزهما فى محافظة صلاح الدين قرب أربيل.

نجح كلا الحزبين، المؤتمر الوطنى العراقى والوفاق الوطنى العراقى فى إقامة علاقة مع حزب الاتحاد الوطنى الكردستانى بقيادة مسعود مصطفى البرازانى والحزب الديموقراطى الكردستانى بقيادة الأمين العام جلال الطالبانى وهذان الحزبان الكردستانيان سبقا وأن تأسسا فى عام 1992م، وكان هدف كل هذه الأحزاب هو إسقاط نظام صدام حسين.

(1) عراق المستقبل لـ ليام أندرسن وغاريث ستانسفيلد، الفصل الرابع: تدمير العراق صفحة 180 -182.

تفوق حزب الوفاق الوطني العراقي برئاسة إياد علاوى على المؤتمر الوطني العراقي بأنه استطاع التغلغل إلى نظام صدام حيث استطاع أن يوجد له جماعة سرية داخل الحرس الجمهوري وإدارة خدمة الأمن في الدولة وهذه الجماعة السرية تزوده بالمعلومات ومن ثم التخطيط لعمل انقلاب ضد نظام صدام حسين.

كيف انهار المؤتمر الوطني العراقي؟

نجح رئيس المؤتمر الوطني العراقي أحمد الجلبي في تنفيذ خطة مع الأكراد كلا الحزبين الحزب الديموقراطي الكردستاني بقيادة مسعود مصطفى البرازاني وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني بقيادة جلال الطالباني في محافظة صلاح الدين بقصد إثارة تمرد عسكري وانتفاضة شعبية ضد نظام صدام حسين بدعم من وكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA) وتعهدت الإدارة الأمريكية بتقديم الدعم العسكري حالما يشرع الهجوم.

في أوائل مارس 1995م عند اقتراب موعد تنفيذ الخطة، حدث تغير جذري حيث أقنع حركة الوفاق الوطني بقيادة إياد علاوى وكانت الاستخبارات الأمريكية (CIA) أنه في حالة وقوع هجوم على القوات العراقية فان القوات العراقية لا زالت تمتلك قوة عسكرية وسترد بهجوم مضاد مدمر، عندها سحبت وكالة الاستخبارات الأمريكية نفسها من الخطة وأرسلت لقادات المؤتمر الوطني العراقي بقيادة المعارض العراقي أحمد الجلبي بأنها لن تتدخل في هذه العملية لا مادياً ولا عسكرياً، ولما وصلت هذه الرسالة إلى مسعود البرازاني رئيس الحزب الديموقراطي الكردستاني انسحب هو أيضاً من العملية، بينما شرعت قوات المؤتمر الوطني العراقي وقوات البشمركة من الاتحاد الوطني الكردستاني بقيادة جلال الطالباني بهجومهما على القوات العراقية في 4مارس (آذار) 1995م دون دعم من الإدارة الأمريكية والحزب الديمقراطي الكردستاني، وسرعان ما انتهى هذا الهجوم بالفشل وانتهت العملية التي خُطط لها على فترة أكثر من سنتين بالفشل، وكان هدفهما احتلال الموصل وكركوك لتعزيز انتفاضة وطنية ضد صدام حسين.

في 4 أبريل (نيسان) 1995م اعتمدت الأمم المتحدة صيغة "النفط مقابل الغذاء" فسُمح للعراق أن يبيع نفطه مقابل ضرورياته في الغذاء والدواء وباقي السلع الأساسية... خففت المحنة ولكنها لم تزل.[1]

(1) بعث العراق، سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل السابع عشر: ختام بلا مسك صفحة 244.

هروب غير متوقع:[1]

في 7 أغسطس (آب) 1995م كان الرئيس صدام حسين وعائلته ونظامه يحتفلون بذكرى إيقاف الحرب مع إيران الذى يعتبره يوم انتصار عظيم ولكن فجأة يصل خبر سيىء يفسد بهجة وسرور الاحتفال، ما هذا الخبر؟! الخبر هو هرب الفريق أول حسين كامل، نجل ابنة صدام حسين مع شقيقة العقيد صدام كامل مع زوجتيهما ابنتا الرئيس صدام حسين وأطفالهما، رغد صدام حسين زوجة حسين كامل ورنا صدام حسين زوجة صدام كامل وهرب معهما ابن عمهما عز الدين محمد حسن مجيد مع زوجته أم عمر وكامل أفراد عائلته، أم عمر زوجة عز الدين هى شقيقة لحسين كامل وصدام كامل، وهرب معهم شقيقهم الأصغر عبد الحكيم كامل، كل أولئك هربوا إلى الأردن لطلب اللجوء السياسى، هذا الخبر أقام الدنيا وأقعدها وحرك جميع وسائل الإعلام لاستطلاع مدى دقة هذا الخبر.

كان حسين كامل يشغل منصب وزير الصناعة والتصنيع العسكرى وصدام كامل هو المرافق الأقدم للرئيس صدام حسين، بينما عز الدين كان رائداً متقاعصاً بعد أزمته مع الرئيس صدام حسين عام 1991م، وكلهم أباؤهم أبناء عمومة للرئيس صدام حسين.

أسباب هرب حسين كامل وشقيقه صدام كامل مع زوجتيهما وأطفالهما وهرب عز الدين مع أفراد عائلته، وهل كانتا ابنتا صدام حسين راضيتين بالهرب، أم ماذا؟

كان الفريق أول حسين كامل قد رتب الوضع قبل الهرب بأربعة أيام حيث قام بإبلاغ زوجته رغد صدام وشقيقه صدام كامل وابن عمه عز الدين بأنه يرغب فى أن يرافقوه عندما يسافر إلى بلغاريا بقصد السياحة.

فى اليوم السابع من أغسطس، اجتمع الثلاثة حسين كامل وصدام كامل وعز الدين فى مزرعة فخمة فى حى الدورة ببغداد، وناقش الثلاثة أمور عدة منها أن الفريق حسين كامل قال: أن الأوضاع ما عادت تحتمل ويبدو أن الرئيس صدام فقد السيطرة على أولاده- لأن حسين كامل كان على خلاف دائم مع عدى صدام- وتابع حسين كامل كلامه بأنهم هم

(1) الحياة السرية لصدام حسين من القصور إلى الجحور لأنيس الدغيدى، فصل اغتيال حسين كامل صفحة 159 - 194.

الذين حفظوا النظام من السقوط وخاصة بعد انتفاضة الشيعة والأكراد، وأضاف قائلاً: أن عدى حاول استفزازه وإهانته وخاصة عندما أرسله صدام حسين إلى موسكو، فى نفس الوقت عُقد مؤتمر قطرى للحزب، بعد عودة حسين كامل تكلم عدى مع حسين كامل وقال: لقد تم إيفادك إلى موسكو لتمنع من حضور المؤتمر القطرى للحزب وقد تم انتخاب قيادة قطرية جديدة استبعدوك منها، كان حسين كامل يطمح منذ زمن طويل أن يكون أحد أعضاء القيادة القطرية، دار فى ذهن حسين كامل أن الرئيس صدام حسين لا يريد أن يمنحه الفرصة كعضو فى القيادة القطرية للحزب، وأضاف حسين كامل جميع استفزازات عدى له وانتفاه بشكل علنى فى جريدة بابل التى يملكها عدى، وأخبر ابن عمه عز الدين أن رأسه مطلوبة عاجلاً أم أجلاً وخاصة بعدما قام به عندما أوكل صدام إليه تنفيذ حكم الإعدام فى الحراس الستة عام 1991م.

سأل صدام كامل شقيقه، ماذا تريد من هذا الخروج؟

ردّ حسين كامل قائلاً: نخرج نقيم فى عمان بضيافة الملك حسين ونكتب للرئيس صدام حسين ونقول له لن نعود إلا بشروط، أولها أن يبعد ابنه عدى عن جميع المناصب، وأن توكل إلينا مهمات فى قيادة الدولة وإما أن يسلمنى رئاسة الوزراء أو أن أكون نائباً له، فنحن من حمى النظام وليس عدى من حماه، وأن يعفى أخاه وطبان من منصب وزارة الداخلية، لأن تصرفاته المجنونة تلحق الضرر بمؤسسة النظام وإن رفض سنعيش فى الأردن وفى النهاية سيلبون مطالبنا.

رتب الثلاثة للهرب فى الساعة الرابعة عصراً وتوجهت سيارتهم الخاصة نحو الحدود العراقية الأردنية، ونجحت هذه السيارات فى الدخول إلى الأردن والتوقف فى العاصمة عمان للإقامة فى ضيافة الملك حسين.

أقام الثلاثة فى عمان فترة وقام حسين كامل بتقديم معلومات للمخابرات المركزية الأمريكية طمعاً فى إسقاط نظام عمه صدام حسين وتسلمه بدلاً عنه، ونلاحظ أن حسين كامل لم يعط أى معلومات عن أسلحة الدمار الشامل بالرغم من أن مصلحته كانت تستدعى الإدلاء بمثل هذه المعلومات، وهذا يدل على خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل.

غضبت زوجة حسين كامل رغد صدام من زوجها ورأت أنها خيانة كبيرة لأبيها، وصارت لا تتكلم مع زوجها إلا فى حدود المعقول.

ضاقت الحكومة الأردنية بحسين كامل ومن معه ولم يعد فى وسعها تحملهم، فرفعت الحكومة الأردنية قضية ضد حسين كامل مفادها أن حسين كامل توجه بالسب والشتم والقذف فى حق مواطن أردنى، طبعاً نزل هذا الكلام على حسين كامل كالصاعقة، ورجع إلى شقيقة صدام كامل وأخبره بالأمر واتفق الاثنان بالرحيل إلى سوريا، وعندما جهزا حقائبهما للسفر إلى سوريا منعت الحكومة الأردنية ابنتى صدام رغد ورنا وأطفالهما من السفر إلى سوريا ولم تسمح لهما بالسفر إلا إلى بغداد، وبررت الحكومة الأردنية ذلك بأن الملك حسين قد تعهد للرئيس العراقى صدام حسين بالمحافظة على ابنتيه ويجب عليه أن يسلمهما إلى أبيهما فى بغداد، كانت رغبة رغد ورنا العودة إلى بغداد ولما سمعا بهذا الخبر فرحتا غاية الفرح ورأيا أن الكابوس الذى استمر معهما لمدة أشهر على وشك النهاية.

بعدها أُسقط فى يدى حسين كامل ورأى أن الوسيلة الوحيدة هى التوسط بالسفير العراقى فى عمان نورى إسماعيل الويس لدى السلطة العراقية بالموافقة بعودة الثلاثة طالبين الأمان من الرئيس صدام حسين وأن يعلن ذلك عبر وسائل الإعلام.

لم يبد الشقيق صدام كامل موافقته بالعودة ورأى أنها مثل الذهاب إلى الموت، تكلم صدام كامل مع زوجته بالأمر وكان على وفاق تام معها فألحت عليه بالعودة أو أن يسمح لها ولأطفالها بالعودة مع حسين كامل فوافق على عودتها مع أطفالها مادامت رغبتها تريد ذلك.

فى اليوم التالى سلّم السفير العراقى نورى الويس رسالة سرية من صدام حسين إلى حسين كامل تتضمن عفواً شاملاً مع وعد بنشر هذا العفو عبر وسائل الإعلام، فرح حسين كامل بذلك وذهب وأخبر زوجته رغد بالأمر فكادت تطير من الفرح ثم أخبر شقيقه صدام كامل بصدور العفو بحقهم، عارض شقيقه صدام كامل العودة ووصفها بالانتحار وقرر السفر إلى أوروبا ولكن تحت الضغط من قبل شقيقه حسين وعبد الحكيم الشقيق الأصغر أذعن للعودة إلى بغداد بالرغم من عدم رضاه.

اتصل حسين كامل بابن عمه عز الدين وكان فى تركيا وأخبره بالأمر فجنّ جنون عز الدين ونصح حسين مراراً وتكراراً بعدم العودة ووصفها (كأنك تحفر قبرك بنفسك)، ولكنه عندما رأى إصرار حسين على العودة طلب منه ألا يأخذ زوجته أم عمر وأطفاله معهم، أم عمر هى شقيقة حسين كامل وصدام كامل، لأنه لا يريد أن يرسلهم إلى الموت، فردّ عليه حسين كامل بأنهم جميعاً ناوون للعودة إلى بغداد، اتصل عز الدين فوراً بالديوان الملكى الأردنى وطلب منهم ألا يسمحوا لحسين كامل بأخذ زوجته وأطفاله معه إلى بغداد،أثناء وضع الحقائب فى السيارات جاء شخص من الديوان الملكى الأردنى وأبلغه بعدم السماح لزوجة عز الدين وأطفاله بالذهاب معه، فرد عليه بغضب: هل تستطيعون أن تمنعونى من اصطحاب شقيقتى؟ قل للذى أرسلك بأننى سأطلق الرصاص على كل من يعترض طريقى وسآخذها معى، اتصل أحد المسئولين الأردنيين بعز الدين وأخبروه بما جرى، فعرف عز الدين أنه لن يرى زوجته وأطفاله مرة أخرى، وانتظر يترقب ماذا سيجرى لهم؟

غادرت السيارات محملة بالحقائب وعبرت الحدود الأردنية وعند دخولها العراق أتت مروحية وفيها عدى وأمه ساجدة مستقبلة ابنتيها رغد ورنا وأحفادها وتبادلت العائلة الدموع والأخذ بالأحضان، وأيضاً قدمت سيارة محملة بفدائيى صدام والحرس الجمهورى، فنصح صدام كامل شقيقه بالعودة إلى الأردن لأن استقبال عدى يوحى بأن هناك خطة مرتب لها، لكن حسين كامل رفض العودة وقال: أن الرئيس سيحترم توقيعه والعهد الذى قطعه بالعفو، أخذ عدى وأمه رغد ورنا وأطفالها فى المروحية وترك حسين كامل ومن معه فى السيارات ليلحقوا بهم، ويبدو أن هناك تعليمات واضحة بعدم السماح لهم بالخروج ثانية، والدليل بقاء فدائيى صدام والحرس الجمهورى عند نقطة طريبيل الحدودية لإفشال أى محاولة بالخروج من العراق.

فى المروحية وضحتا الشقيقتان رغد ورنا أنهما كانتا أشبه بالمعتقلين، وأن الهرب كان خدعة تعرضتا لها من قبل حسين كامل وكيف غرر بهما بحجة الذهاب للسياحة، فتوقد قلب عدى حقداً على حسين كامل، أما رنا زوجة صدام كامل فقد حاولت أن تقول أن زوجها لا علاقة له بكل ما حدث وإنما أُرغم على ذلك ولكن عدى لم يقتنع بذلك.

فى يوم الجمعة 19 فبراير (شباط) 1996م، هبطت المروحية على سطح أحد القصور ومن هناك انتقلوا بالسيارات لمقابلة الرئيس صدام فى أحد المواقع السرية، أما حسين كامل وصدام كامل ومن معهم شقيقهم عبد الحكيم وزوجة عز الدين أم عمر وأطفالها الخمسة فقد ذهبوا إلى منزل يملكه أبوهم فى منطقة السيدية فى بغداد.

فى يوم السبت20 فبراير (شباط) ذهب عدى إلى شقيقته رغد ورنا وطلب منهما التوقيع على طلبات القاضى الشرعى ليتم طلاقهما من زوجيهما، رغد وقعت بالموافقة أما رنا زوجة صدام كامل فرفضت وحاولت الدفاع عن زوجها ولكن لا فائدة، وتحت الضغط وقعت ثم تمّ استدعاء كل من حسين كامل وصدام كامل وأجبرا على تطليق زوجتيهما إذا كانا يريدان البقاء على قيد الحياة، بعدها بفترة قصيرة وصلت الأخبار إلى الحاج كامل والد حسين وصدام بأن ابنيه حُكم عليهما بالإعدام، والذين سيقومون بتنفيذ الإعدام هم عشيرتهم بقيادة عمهم على حسن المجيد (على الكيماوى) وقد أمرت الحكومة العراقية كل جيرانهم بالخروج من الحى والسكن فى فنادق أعدها لهم الرئيس صدام حسين ذهب الحاج كامل للتوسط عند الرئيس صدام ولكنه لم يتمكن من مقابلته.

فى ليلة 22 _23 (الاثنين_ الثلاثاء) فبراير (شباط) بقى الشقيقان يقظين تحسباً لأى هجوم خاصة بعد أن علموا بحكم الإعدام، وفى صباح الثلاثاء 23 فبراير ذهبت أم حسين كامل وصدام كامل للتوسط عند الرئيس صدام حسين للعفو عن ابنيها.

فى العاشرة صباحاً من نفس اليوم نادى على الكيماوى شقيق الحاج كامل عبر المكبرات أن على شقيقه الحاج كامل أن يخرج من المنزل ومعه النساء والأطفال وإلا سيقتل كل من فى المنزل، رفض الحاج كامل المغادرة وقال لهم: سأموت مع أولادى.

بدأ الهجوم من قبل فدائيى صدام والحرس الجمهورى بقيادة على حسن المجيد (على الكيماوى) بالأسلحة الخفيفة، وأبدى الشقيقان مقاومة واستمر الهجوم لمدة 6 ساعات أسفر عن مقتل وجرح 60 شخصاً من فدائيى صدام، كان الهجوم بالأسلحة الخفيفة فرأى على الكيماوى أن الأسلحة الخفيفة لم تجد نفعاً، فأمر بالهجوم بالأسلحة المتوسطة فأحرقت كل من فى المنزل وخرج حسين كامل جريحاً معلناً الاستسلام فأردوه قتيلاً بإطلاق الرصاص،

دخل المهاجمون المنزل فوجدوا المنزل فوجدوا القتلى هم الحاج كامل وابنه صدام كامل وابنه عبد الحكيم وابنته زوجة عز الدين أم عمر وأطفالها الخمسة، بينما الأم زوجة الحاج كامل لا زالت تنتظر حتى يسمح لها بمقابلة الرئيس صدام حسين لطلب العفو، تُركت الجثث أربعة أيام حتى انتفخت وانبعثت منها رائحة كريهة حتى اشتكى جيران المنزل الذين سُمح لهم بالعودة فى اليوم الرابع من الهجوم، بعدها سُحبت الجثث ودُفنت.

عز الدين ترك الأردن لاحقاً بسبب المضايقات من قبل السلطات الأردنية وانتقل إلى بريطانيا وأبو ظبى أما أُم حسين كامل فقد بقيت مع ولدها جمال وبعد عدة أشهر وُجدت مذبوحة فى بيتها والسبب أنها كانت تسب الرئيس صدام حسين وتنتقده، ولكن النظام وضحها على أنها جريمة قام بها مجرمون يحاولون السرقة وأن النظام سيتعقبهم لينالوا جزاءهم.

عام 1996م

بين مارس (آذار) ويونيو (حزيران)1996م، مُنعت فرق التفتيش (أونكسوم) من الوصول إلى مواقع عسكرية حساسة.[1]

انهيار الوفاق الوطنى العراقي[2]

سبق وأن ذكرنا أن حزب الوفاق الوطنى العراقى هو عبارة عن جماعة عراقية معارضة بقيادة الشيعى العلمانى الدكتور إياد علاوى استطاعت التغلغل فى الحزب الجمهورى وأن توجد لها جماعة سرية فى نظام صدام وأن تستميل إليها الكثير من المسئولين البارزين فى الحرس الجمهورى الخاص والمخابرات والأمن الخاص.

بدأ التخطيط لعمل انقلاب ضد صدام وخاصة بعد فشل محاولة المؤتمر الوطنى العراقى وحُدد موعد الانقلاب فى الأسبوع الثالث من يونيو (حزيران) 1996م وبدعم

(1) بعث العراق، سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل السابع عشر: ختام بلا مسك صفحة 240.

(2)عراق المستقبل لـ ليام أندرسن وغاريث ستانسفيلد الفصل الرابع: تدمير العراق صفحة 180 -182

من وكالة الأنباء الأمريكية (CIA)، لكن عملاء مخابرات صدام حسين استطاعوا كشف الخطة قبل تنفيذها بستة أشهر، وانتظرت قوات صدام إلى حتى يوم واحد قبل تنفيذ المخطط حيث فاجأت قوات صدام جماعة الوفاق الوطنى العراقى ومن معها من العملاء فى الحرس الجمهورى والأمن الخاص بحملات اعتقالات وحوصر حوالى 100 ضابط من فروع القوات العراقية من الحرس الجمهورى والأمن الخاص وأُعدموا فورا.

هذه المحاولة أعطت المعارضة العراقية ووكالة المخابرات الأمريكية انطباعاً أن القوات والمخابرات العراقية لا زالت تمتلك قوة وأعطت انطباعاً لدى صدام حسين أنه لم يعد بالإمكان الوثوق بالحرس الجمهورى وبالتالى منع صدام حسين قوات الحرس الجمهورى من دخول العاصمة بغداد وطلب منها التعسكر خارج العاصمة لحمايتها واستدعائها عند الضرورة.

بعد الانهيار والنكبة التى لحقت بحزب الوفاق الوطنى العراقى بقيادة الدكتور إياد علاوى وصلت أخبار فى منتصف أغسطس (آب)1996م مسعود البرزانى، رئيس الحزب الديموقراطى الكردستانى، أن حزب الاتحاد الوطنى الكردستانى بقيادة جلال الطالبانى يتلقى الدعم من الحرس الثورى الإيرانى وهذا يشكل خطر عليه وعلى حزبه، فعندها حاول الارتباط بالإدارة الأمريكية ولكنها لم تعطه اهتماماً، ففكر ورأى أن الحل الوحيد هو الرجوع إلى العدو السابق وإقامة علاقة مع الرئيس صدام حسين طبعاً صدام حسين رأى أنها فرصة مناسبة لضرب الأكراد بعضهم ببعض وللنيل من جماعة أحمد الجلبى (جماعة حزب المؤتمر العراقى).

فى 31 أغسطس (آب) 1996م هاجمت القوات العراقية التابعة لنظام صدام حسين ومعها القوات الكردية التابعة لمسعود البرزانى مدينة أربيل واستطاعت الحاق هزيمة فادحة بقوات جلال الطالبانى (حزب الاتحاد الوطنى الكردستانى ومن معه من قوات أحمد الجلبى (حزب المؤتمر الوطنى العراقى) وتم أسر الكثير من رجال أحمد الجلبى.

بعد الهزيمة التى تعرضت لها جماعة جلال الطالبانى فرت إلى مدينة السليمانية ثم إلى إيران، فأتت قوات مسعود البرزانى وأكملت انتصاراتها باحتلال مدينة السليمانية ولكنها لم

تهنأ بالانتصار حيث استطاع جلال الطالبانى تجميع قواته فى إيران والهجوم مرة أخرى على السليمانية حيث تمكنت قواته من استعادتها.

بعدها تم الاتفاق بين الطرفين على وقف إطلاق النار ووضع حدود بينهما خط يمتد من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى (من كوسينجق إلى الحاج عمران)، وصار الحزب الديموقراطى الكردستانى بقيادة مسعود البرزانى محتفظاً بمحافظة دهوك ومحافظة أربيل ومركز القيادة يكون فى محافظة صلاح الدين، بينما احتفظ حزب الاتحاد الوطنى الكردستانى بقيادة جلال الطالبانى بمحافظة السليمانية مع قطاع كبير من محافظة كركوك (لا يشمل مدينة كركوك لأنها تحت سيطرة حكومة صدام حسين).

فى ديسمبر (كانون الأول)1996م، تعرض عدى بن صدام لمحاولة اغتيال كاد يقضى بسببها حتفه، ودخل بسببها المستشفى ـ مستشفى ابن سينا وهو المستشفى الخاص بأفراد العائلة الحاكمة، والسبب أن عدى كان لا يهمه سوى السعى وراء ملذاته وترفيه نفسه والحصول على أى فتاة وقيادة السيارة بسرعة جنونية، وبصفته عدى كان أشد إجراماً من أبيه فضاق الشعب العراقى منه فكانت هذه النتيجة التى سببت فى إقعاده على الكرسى المتحرك.

كانت تلك الحادثة التى لم تنجح ولكنها نجحت فى هز واختراق واحد من أشد أجهزة الأمن الخاص فى العالم، الجهة المسئولة عن هذه الحادثة لم تعرف ولكن هناك شكوك أن هناك الكثير من المعارضين والكارهين لعدى أكثر من كراهيتهم لأبيه وأخيه قصى، فهنا يدور الشك حول الشعب العراقى من قام بالمحاولة، وأيضاً كان لأقارب حسين كامل نصيباً فى الحادثة بصفته آمر الكتيبة المهاجمة والتى سببت فى قتل عائلة الحاج كامل، فالله أعلم.

عام 1997م[1]

فى العام 1997م، أقرت التقارير الدولية أن العراق من أعلى بلدان العالم فى معدلات وفيات الأطفال حيث ارتفعت نسبة وفيات الأطفال إلى 85فى الألف، وأن نسبة السكان

(1) بعث العراق سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل السابع عشر: ختام بلا مسك صفحة 240.

الذين يستطيعون الحصول على مياه نقية لا تزيد عن 41%، وأن نسبة الذين هبطوا تحت خط الفقر زادت إلــى 75%، وانخفضت نسبة التعليم فقد تم إغلاق قرابة 900 مدرسة وحوالى نصف الطلاب غدو بلا مقاعد دراسية وارتفعت نسبة الرسوب 71% لأن الطلاب صاروا يركزون على العمل الخارجى لينال لقمة العيش.

فى 21 يونيو (حزيران) 1997م، طلبت الأمم المتحدة من العراق أن يسمح لها بتفتيش المواقع المشتبه بها وعندما ذهبت فرق التفتيش بعد الموافقة العراقية طلبت العراق سحب المفتشين الأمريكيين من الفرق فى 29 أكتوبر (تشرين الأول) ثم قامت بطردهم فى 20 نوفمبر (تشرين الثانى)، وفى المقابل كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تزيدان من رفع العقوبات على العراق بسبب عدم تعاونه مع فرق التفتيش وبسبب وجود صدام فى السلطة.

فى نفس العام1997م، قامت العلاقات العراقية السورية من جديد وبصورة أقوى وصارت سوريا تدعم مواقف العراق ضد الولايات المتحدة وبدأ تشغيل أنابيب النفط العراقى مع سوريا وبلغت موارد التجارة السورية مع العراق بليون دولار سنوياً، وصار العراق المحاصر الشريك التجارى لسوريا.

رأت فرنسا أنها الفرصة المناسبة فى الاستفادة من نفط العراق وخاصة بعد فرض (النفط مقابل الغذاء)، فصارت السلع والأدوية الفرنسية تتدفق بكثرة نحو العراق حتى بلغت الصادرات الفرنسية إلى العراق حوالى 3.5 بليون دولار، ثم ما لبثت فرنسا أن طورت صادرتها إلى الاتصالات والهندسة والسيارات، فكسبت أرباحاً ضخمة فى العراق.

فى نفس العام1997م، أجبر الأولاد الذين تتراوح أعمارهم من 12 إلى 17 سنه على الانتساب إلى معسكرات تُجرى فيها تدريبات قاسية.

عام 1998م وعام1999م وعام 2000م

فى يناير (كانون الثانى) 1998م، توقف العراق عن التعاون مع فرق التفتيش بحجة أن الكثير من أعضاء الفرق أمريكيون وبريطانيون وبعد ظهور أدلة على تعاون فرق التفتيش مع إسرائيل فى جمع المعلومات وتبادلها، لكن مع الضغوط المستمرة ومناشدة العالم للعراق

بالتعاون والسماح للمفتشين وافق النظام العراقى فى 14 نوفمبر (تشرين الثانى)1998م على السماح للفرق بالتفتيش، لكن فرق التفتيش انسحبت من مواقعها في16 ديسمبـــر (كانون الأول) 1998م بحجة أن العراق لم يوفر لها التعاون المطلوب.

فى سبتمبر (أيلول)1998م قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإبرام اتفاقية واشنطن التى دعت إلى التعاون المشترك بين الحزب الديموقراطى الكردستانى بقيادة مسعود البرزانى وحزب الاتحاد الوطنى الكردستانى بقيادة جلال الطالبانى مع تركيز مستقبل على الانتخابات من اجل توحيد الدويلتين والإدارتين، وعلى اثر ذلك تأسست وزارتان كرديتان بينهما الانقسام لا زال موجوداً.

- الوزارة الأولى فى أربيل تحت رئاسة الدكتور نجرفان برزانى، ابن أخ مسعود البرزانى.
- الوزارة الثانية فى السليمانية تحت رئاسة برهم صالح.

فى العام التالي1999م وافق العراق مرة أخرى على التعاون مع فرق التفتيش، لكن القوات الأمريكية والبريطانية شنت هجوماً فى 16 يناير (كانون الثانى)1999م فى عملية عُرفت بعملية (ثعلب الصحراء) استمرت لمدة أربعة أيام، تعرض فيها العراق لضربات جوية مكثفة، فقد تمّ إطلاق حوالي500 صاروخ قيل أنها استهدفت مواقع لبرامج التسلح النووية والكيميائية والبيولوجية، وفى نفس الشهر مرر مجلس الأمن القرار 1284الذى أسس نظام تفتيش جديدة وعلى ضوئه نشأت لجنة الأمم المتحدة للمراقبة والتدقيق والتفتيش (أنمو فيك) التى طالبت بغداد أن تتيح لمفتشيها العبور الفورى غير المشروط، وغير المقيد إلى كل منطقة وإلى جميع المناطق التى يشتبه بها، طبعاً بغداد بدورها رفضت هذا القرار رفضاً جازماً واعتبره تطاول على النظام.[1]

فى نفس العام 1999م تم اغتيال المرجع الشيعى آية الله محمد صادق الصدر، وكان للرئيس صدام دور هام فى اغتياله.

---

(1) بعث العراق، سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل السابع عشر: ختام بلا مسك صفحة 241.

في أواخر عام 2000م بدأ الرئيس العراقي صدام حسين يلعب بالورقة الفلسطينية وخاصة بعد انتفاضة الأقصى الثانية، فقام الرئيس صدام حسين بإنشاء جيش القدس الذي بلغ متطوعيه حوالي 6 ملايين ثم رأى صدام أنه يملك النفط عصب الحياة الذي لم يستفد منه خارجياً، فبدأ في عام 2001م بتصدير النفط شبه المجاني إلى كل من سوريا والأردن لدعم الانتفاضة في القدس.

عام 2001م

في عام 2001م تسلم جورج بوش (أو جورج بوش الابن) رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، وفيما يبدو كان يرغب في مواصلة مسلسل العراق وبات يشغله صورة أبيه التي يطؤها الداخلون إلى فندق الرشيد وجعل إدارته مكونه من:

- نائب الرئيس ديك تشيني- الذي شغل منصب وزير الدفاع في عهد جورج بوش الأب.
- وزير الدفاع دونالد رمسفيلد- الذي كان رئيساً لعدد من الشركات العامة والخاصة في الأعوام 1977 _ 1993م.
- كبير مستشاري الأمن القومي الأمريكي _الآنسة كوندليزا رايس.
- وزير الخارجية الأمريكي_ كولن باول.

مع تسلم جورج دبليو بوش للسلطة الأمريكية بدأت الطائرات الأمريكية والبريطانية بقصف رادارات الدفاع العراقي التي تشوش على طيران التحالف في منطقتي الحظر الجوي. في شهر مارس (آذار) 2001م، جاء في تقارير الصحافة أن الولايات المتحدة تخطط لغزو أفغانستان في شهر أكتوبر (تشرين الأول) 2001م.[1]

في إبريل (نيسان) 2002م تم نقل محمد سعيد الصحاف من وزارة الخارجية إلى وزارة الإعلام العراقية.

---

(1) أوكار الشر،دراسة حول آل بوش ووكالة المخابرات الأمريكية والشكوك حول هجمات11/ 9 لكينيون غيبسون، الفصل الثامن: تصاعد الشبهات صفحة 195.

فى 22 مايو (أيار) 2001م تقدمت الولايات المتحدة وبريطانيا بمشروع (العقوبات الذكية) على العراق الذى ينص على القيود فى التجارة المدنية وعزز المراقبة على السلع ذات الطبيعة العسكرية وتهريب النفط.[1]

فى يونيو (حزيران) 2001م وقعت شركة (براون آند رون) مع البنتاغون اتفاقاً يتضمن إنشاء مخيم اعتقال يضم 408 زنازين انفرادية فى منطقة ريديو رانج التابعة للبحرية الأمريكية فى خليج غوانتا نامو فى كوبا.

فى نفس الشهر يونيو (حزيران) 2001م أرسلت وكالة الاستخبارات الألمانية (بى أن دى) تحذيراً للولايات المتحدة بأن إرهابيين يخططون لخطف طائرات تجارية لاستخدامها كأسلحة فى الهجوم على رموز عمرانية أمريكية وإسرائيلية، الحكومة الأمريكية لم تأخذ هذا التحذير بعين الاعتبار بينما إسرائيل دققت وراء هذا التحذير.[2]

11 سبتمبر (أيلول) عام 2001م[3]

بدأ صباح يوم الثلاثاء 11 سبتمبر (أيلول) 2001م، ويتجه كل مواطن أمريكى إلى عمله ويصعد ركاب الطائرة المتجهة إلى لوس أنجلوس فى مطار بوسطن على متن رحلة خطوط أمريكان إيرلايتد رقم 11، أقلعت الطائرة من نوع بوينغ 767فى تمام الساعة الثامنة صباحاً، فى الثامنة والربع تغير الوضع وصارت الطائرة تطير فى غير مسارها، واشتبه مراقبوا حركة الطيران بحدوث أمر غير طبيعى، فى الساعة 8:46 صباحاً، اصطدمت الطائرة بالواجهة الشمالية للبرج الشمالى أحد برجى التجارة العالمية بين الطابقين 49و98 فى حادثة لم يُسبق وأن تعرضت لها أمريكا فى عقر دارها.

---

(1) بعث العراق سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل السابع عشر: ختام بلا مسك صفحة 240

(2) أوكار الشر، دراسة حول آل بوش ووكالة المخابرات الأمريكية والشكوك حول هجمات 11/ 9 لكينيون غيبسون، الفصل الثامن: تصاعد الشبهات صفحة 202.

(3) أوكار الشر دراسة حول آل بوش ووكالة المخابرات الأمريكية والشكوك حول هجمات 11/ 9 لكينيون غيبسون، الفصل السادس: الهجمات صفحة 149 -157.

- أسرار الحروب، 11 أيلول 2001: سيناريو أمريكى لحروب مقبلة صفحة 297-327.

فى الساعة 8:43صباحاً، خرجت أيضاً طائرة الرحلة رقم 175 من نوع بوينغ 767 عن مسارها المحدد، وفى الساعة9:02 صباحاً اصطدمت الطائرة بالوجهة الشمالية للبرج الجنوبى بين الطابقين 78و84.

فى الساعة 9:95 صباحاً انهار البرج الجنوبى بعد ساعة تقريباً من الصدمة، وفى الساعة 10:28 صباحاً انهار البرج الشمالى، خلال ساعة وأربعين دقيقة اختفى المبنيان عن النظر.

فى الساعة 8:20 صباحاً غادرت طائرة رقم 77 من نوع بوينغ 757مطار دوليس فى واشنطن متجهة نحو لوس أنجلوس، وفجأة غيرت مسارها إلى الشمال ثم إلى الغرب ثم إلى الجنوب نحو واشنطن، وفى الساعة 9:43 صباحاً، انقضت على مبنى البنتاغون واصطدمت أولاً بالأرض ثم بالجانب الغربى لمبنى البنتاغون.

فى الساعة 8:42صباحاً، غادرت طائرة نيو أرك إنترناشيونال من نوع بوينغ 757فى نيوجرسى وكانت وجهتها إلى سان فرانسيسكو وكان من المفترض أن تقلع الطائرة الساعة 8 صباحاً، لكن حدث أمر ما جعل تنتظر، خطفت الطائرة عند الساعة 9:10صباحاً فى الوقت الذى صار معلوماً لدى العالم ما حدث من ضرب برجى التجارة العالمية، انتهى الأمر بالطائرة بالسقوط فوق حقل فى شانكسفيل بولاية بنسلفانيا بين الساعة 10:06-10:3 صباحاً، قيل أن الطائرة أُسقطت وقيل أن الركاب تهجموا على الخاطفين.

عند الظهر تم إلغاء رحلات الطيران فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وعُطلت خطوط الاتصال.

بعد الهجمات مباشرة صرح الرئيس الأمريكى وإدارته معه متهماً تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن بالتورط وراء الهجمات وذكرت أسماء أشخاص لهم علاقة بأسامة بن لادن، لكن الغريب فى الأمر أن معظم الأشخاص الذين أُعلنت أسماؤهم أحياء يرزقون وأن العديد منهم تعرضوا لسرقة وثائقهم الشخصية.

الجواب غامض، لكن هناك تكهنات أن من قام بهذا العمل كان لديه عناصر داخلية مؤثرة وقادرة على إدخال أسلحته إلى قلب الطائرات والسيطرة الإلكترونية داخل الطائرة وخارجها، إذن الفاعل على أغلب الظن من أهل البيت، ولا يمكن لأحد أن يتصور أن تنظيم القاعدة الذى يعيش أفراده فى كهوف أفغانستان أن لديه القدرة فى التوصل إلى مهاجمة أمريكا بهذه الدقة المتناهية، ولو أن هناك بعض التقارير أثبتت أن الأفراد الذين خطفوا الطائرات تعلموا على يدى بن لادن ثم انتشروا فى العالم وبالأخص الولايات المتحدة لينفذوا مخطط تمّ التخطيط له من قبل أحداث 11 سبتمبر بعدة سنوات.

هناك بعض الأدلة التى أدلى بها بعض المحللين وهى أن سقوط برجى التجارة العالمية كان نتيجة انفجارات داخل المبنيين وأن تحطم الطائرة الثالثة كان خارج مبنى البنتاغون وأن الدمار الذى لحق بالمبنى كان نتيجة تفجيرات داخل المبنى نفسه.

غرقت أمريكا فى الأحزان، وظن الشعب الأمريكى أن أمريكا الدولة العظمى على وشك الانهيار وبعد هذه الأحداث المثيرة لم يتأخر الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش وإدارته على اتهام شخص ما بعينه، اتهمته الإدارة الأمريكية بأنه المتسبب الأول فى الهجمات وبدون أدلة واضحة، الشخص هو أسامة بن لادن وجماعته فى أفغانستان حركة طالبان بزعامة الملا محمد عمر، وظلت جميع وسائل الإعلام الأمريكية تنشر هذا الخبر، فعندما لم تتأخر إدارة جورج دبليو بوش، فقامت فى الحال بإرسال حاملة الطائرات إلى المحيط الهندى معلنة حربها ضد أفغانستان لإيوائها المطلوب الأول أسامة بن لادن المتهم بالهجمات، وادعت الولايات المتحدة أن حملتها هى حرب ضد الإرهاب كما تسميه الإدارة الأمريكية.

مع تحرك أمريكا للحرب ضد تنظيم القاعدة وحركة طالبان بقيادة أسامه بن لادن والملا محمد عمر، وجدت أمريكا ضالتها فى تحالف الشمال الأفغانى المناوئ لحركة طالبان وسمحت باكستان برئاسة برويز مشرف لأمريكا بشن الحرب ضد طالبان بالرغم من أن معظم أفراد طالبان يعودون لأصول باكستانية.

بدأ الشهر الأسود على أفغانستان، شهر أكتوبر (تشرين الأول) 2001م، قامت القوات الأمريكية الجوية بقصف المدن الأفغانية بأقوى أنواع الأسلحة الدمارية والقنابل العنقودية حتى أن بعض القنابل أبادت قرى بكاملها كان يقطنها المدنيين.

في19كتوبر (تشرين الأول) أصاب صاروخ أمريكى مكتب أحد الوكالات التابعة للأمم المتحدة فى كابول العاصمة الأفغانية مما أدى إلى مقتل أربعة أفغان، وفي16أكتوبر (تشرين الأول) دُمر أحد مخازن الصليب الأحمر التاسع لطالبان فى كابول، وفي20 أكتوبر سقطت قنبلتان زنة الواحدة 500رطل على المناطق السكنية فى شمال غرب كابول وقتلت العشرات من المدنيين، وفي22 أكتوبر أسقطت طائرة إف18 قنبلة زنتها 1000 رطل على منطقة سكنية فى كابول فأصابت دار للمسنين وقتلت20 مدنياً، وغيرها من الأحداث كثير مثل المرأة الأرملة التى فقدت زوجها وسبعة أطفال، المرأة التى ألحت على زوجها بمغادرة منزلها إلى منطقة زراعية صغيرة طلباً للأمان وكأنها تذهب لقدرها حيث قُتلت فى نفس المنطقة الصغيرة من جراء القصف الأمريكى وآخر ما فعلته هى أن ألقت بنفسها فوق ابنها البالغ من العمر أربع سنوات لتنقذ حياته.

سقطت المدن الأفغانية الشمالية بأيدى تحالف الشمال وبدءوا بالتقدم نحو العاصمة كابول التى لم تكن أكثر حظاً من المدن الشمالية، فسقطت هى الأخرى ثم تلتها مدينة قندهار المعقل الأخير لحركة طالبان ومسقط رأس زعيمهم الملا محمد عمر.

انتهت الحرب الأمريكية ضد تنظيم القاعدة بسقوط نظام حركة طالبان وسيطرة تحالف الشمال على الحكومة، وكانت معاناة أفغانستان أكثر من أى أمة أخرى بسبب أحداث 11 سبتمبر، وعدد القتلى الأفغان من المدنيين من أطفال ونساء وشيوخ أضعاف أضعاف الذين ماتوا فى برجى التجارة العالمية ناهيك عن الذين قتلوا من أفراد طالبان بعد وقوعهم أسرى ودون علم أحد، الأسرى الآخرون انتقلوا إلى معاملة أسوأ من الموت، وهى نقلهم إلى زنزانات قاعدة غوانتا نامو الأمريكية فى جزيرة كوبا بالمحيط الأطلسى ليواجهوا أشرس الانتهاكات الإنسانية وبدون أدلة وفى غياب كامل لمنظمة حقوق الإنسان.

تسلم رئاسة أفغانستان محمد كرازى وبقيت القوات الأمريكية وواصلت مطاردتها لأفراد طالبان الذين سمتهم بالإرهابيين ولم تتوقف الحملة الأمريكية بل استمرت حتى عام 2002م ولازالت مستمرة.

هذه نبذة بسيطة عن الحملة الأمريكية ضد أفغانستان ونرجع لموضوعنا الأساسى.

حرب الخليج الثالثة

غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق

يعتبر الكثير أن حرب الخليج الثالثة حرباً منفصلة، لكن فى نظرى أرى أن هذه الحرب هى تكمله لحرب الخليج الثانية، فمنذ ضرب العراق على أيدى القوات الأمريكية فى فبراير (شباط) عام 1991م فى عهد الرئيس جورج بوش الأب والحصار الذى استمر لمدة أكثر من عشر سنوات، أتى الرئيس الابن ليكمل الحرب بعد تحطم البنى التحتية والعسكرية للعراق وامتلاك العراق للمعدات الحربية الروسية المتواضعة، وبالتالى يظهر لنا أنها سلسلة حرب لحرب الخليج الثانية (1991م).

فى 25 نوفمبر عام 2001م، هدَّد الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش بأن العراق سيكون هدفاً تالياً بعد أفغانستان إذا لم تسمح بعودة المفتشين الدوليين.

فى يناير (كانون الثانى) عام2002م تحدث جورج دبليو بوش عن (محور الشر) الذى ضم العراق وإيران وكوريا الشمالية، وبدأ التهديد بالحرب ضد العراق لامتلاكه أسلحة دمار شامل تهدد أمن العالم، ورأى الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش أنه على الولايات المتحدة التدخل ونشر السلاح والديمقراطية فى البلدان التى تهدد أمن العالم التى عبّر عنها بمحور الشر، وخصص العراق، بالرغم من أن كوريا الشمالية هى الدولة التى تمتلك أسلحة الدمار الشامل والعالم كله يعلم بذلك.

فى يونيو2002م ألقى الرئيس الأمريكى جورج بوش خطاباً أمام جمع من العسكريين الأمريكيين قال فيه:"إن من حق الولايات المتحدة أن تسدد ضرباتها الوقائية على أى أمه تعتقد أنها تمثل خطراً عليها..." وواصل حديثه بالتهديد بضرب العراق وبررّ ذلك بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل التى يمكن أن يسلمها سراً إلى المنظمات الإرهابية الحليفة لهم.

فى الأسبوع الأول من أغسطس (آب) بينت صور الأقمار الصناعية قاعدة جوية أمريكية فى قطر، وقد قُدر تكاليف بنائها ببليون دولار أمريكى، وهى (قاعدة العُديد) التى تحتوى على ملجأ يتسع لمائة طائرة ومساكن لعشرة آلاف موظف، وأطول مهبط طائرات

فى المنطقة بطول 15 ألف قدم، فهذا يدل على أن هناك تجهيزات مسبقة لشن الحرب ضد العراق وأن الحرب بدأت ولكنها لم تُعلن بعد.

فى أواخر سبتمبر (أيلول) 2002م، ساد الشارع الأمريكى مظاهرات تندد بالحرب ضد العراق، فووجه المتظاهرون بحملة اعتقالات بحجة عدم إطاعة أمر قانونى والتظاهر بدون رخصة،وفى نفس الوقت، كان الرئيس الأمريكى يواجه انتقادات من الرؤساء الأمريكيين السابقين أمثال جيمى كارتر وبل كلينتون.

فى أكتوبر (تشرين الأول) 2002م، توجهت السفيرة الأمريكية، ماريسالينو، إلى أوربا لكى تحصل على ضمانات بعدم محاكمات الأمريكيين أمام المحكمة الدولية، لكن هذا الطلب رفُض من قبل الاتحاد الأوربى بحجة أن الولايات المتحدة كقوة عظمى تسعى للحصول على الاستثناءات الواسعة.

فى 8 نوفمبر (تشرين الأول)2002م، مرّر مجلس الأمن القرار 1441مطالباً العراق بكشف برامجها لإنتاج أسلحة كيماوية وبيولوجية ونووية وصواريخ باليستسة، هكذا استأنف خبراء الأمم المتحدة بعد أيام عمليات تفتيش لأسلحة الدمار الشامل التى أكّد الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش وجودها فى العراق، أما مهمة المفتشين فقد رضخ لها الرئيس العراقى صدام حسين دون شروط.[1]

فى نفس العام2002م أجرى الرئيس العراقى صدام حسين انتخابات فى العراق وانتهت الانتخابات بفوز صدام حسين بالأغلبية العظمى.

بدأت حملات التفتيش فى العراق بزعامة هانزبليكس الذى رأى أن مهمة المفتشين فى العراق ليست مضايقة أو إذلال الحكومة أو الشعب العراقى ولكن التأكد فقط من وجود أو عدم وجود أى إمكانيات أو مواد تساعد على أنتاج أسلحة دمار شامل.

أظهر العراق تعاوناً طيباً مع فرق التفتيش، وصرح بذلك هانزبليكس ومحمد البرادعى بأن التعاون العراقى مثمر للغاية، ولكن الولايات المتحدة لم تقتنع واتهمت

(1) بعث العراق سلطة صدام قياماً وحطاماً لحازم صاغية، الفصل السابع عشر: ختام بلا مسك صفحة 248.

هانزبليكس والبرادعى بأن مهمتهم فى الكشف عن برامج العراق النووية باءت بالفشل.

بعدما انتهت فرق التفتيش من مهمتها أعلن هانزبليكس والدكتور محمد البرادعى فى مجلس الأمن خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل وكانت صدمة موجهة للرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش.[1]

أكد جورج دبليو بوش بأن حربه ضد العراق مفروغ منها وبرر ذلك بأنه لن ينتظر صدام حسين حتى يرسل طائرة وبدون طيار لضرب واشنطن ومن التبريرات الأخرى:

* التأكيد بامتلاك الرئيس العراقى صدام حسين لأسلحة دمار شامل التى تهدد مصالح وأمن الولايات المتحدة.
* التأكيد بأن صدام حسين على علاقة وطيدة مع تنظيم القاعدة ومع أسامة بن لادن
* التأكيد على أن العراق قادر على تطوير قنبلة نووية فى مدة قصيرة قدرها ستة أشهر.
* استخدمت الولايات المتحدة المعارضة العراقية فى الخارج لتشويه الحكم فى العراق والمناداة بتطبيق قرار مجلس الأمن رقم688 المتعلق بوقف انتهاكات حقوق الإنسان فى العراق.

عارض الحرب على العراق عدة دول من أهمها فرنسا وألمانيا وبلجيكا واليونان والسويد والنرويج، وأيّد الحرب بريطانيا وأسبانيا وإيطاليا بغرض التقرب إلى أمريكا وأيضا أيدت الحرب دول أوروبا الشرقية والوسطى، فبولندا والتشيك والمجر ودول البلطيق تسعى لتوطيد علاقتها مع أمريكا فى ظل شبح عودة الهيمنة الروسية، وفى أوروبا الغربية أيدت هولندا والدنمارك، وأيدت أستراليا الحرب وشاركت بقوات.

أيدت بريطانيا الحرب وبدا ذلك واضحاً فى تصريح الرئيس البريطانى تونى بلير، البعيد عن الحقيقة الذى قال فيه: (إن الإطاحة بنظام صدام حسين أمر واقع لاشك فيه

---

(1) قصة الخيانة والسقوط ماذا حدث فى بغداد؟! خفايا الانهيار المفاجئ لنظام صدام لفريد الفلوجى، الفصل الأول: المفتشون فى بغداد صفحة 24 -29.

لإنقاذ العراق من دمويته المرعبه وأن أربعمائة ألف طفل عراقى ماتوا خلال الأعوام الخمسة السابقة بسبب سوء التغذية، أن كميات من المساعدة الإنسانية تنتظر فى الكويت، لكن صدام حسين رفض دخولها).

الجميع يعلم أن موت الأطفال فى العراق كان سببه الحصار المؤلم الذى استمر لمدة 12 سنة.

الإمدادات الإنسانية المتجهة إلى العراق منعتها واشنطن من الدخول بالرغم من استعداد الحكومة العراقية بدفع قيمتها بالكامل وموافقة الأمم المتحدة على ذلك.[1]

مع التهديد بالحرب على العراق، ساد العالم مظاهرات صاخبة حاشدة فى أرجاء مختلفة من مدن العالم حتى فى الولايات المتحدة نفسها وعلق المتظاهرون شعارات ينددون بالحرب على العراق، لكن الولايات المتحدة استمرت فى طريقها غير ملتفتة لمعارضى الحرب على العراق وغير ملتفتة لما يسود العالم من مظاهرات، حيث ولأول مرة يرفع المتظاهرون صور صدام حسين بنظرة عاطفية، وفى المقابل ساد العراق مظاهرات، كان المتظاهرون يحملون الرشاشات ويتوعدون الجنود الأمريكيين والبريطانيين.

ضمنت الولايات المتحدة الجبهة الجنوبية بمرافقة من الكويت وقطر والبحرين وتحولت الآن تركيا لفتح جبهة فى الشمال لتجبر العراق على الحرب على جبهتين لكن تركيا رفضت السماح بتواجد قوات برية أمريكية على أرضها والسبب يعود لتخوف تركيا من الأكراد الذين كان لديهم الرغبة فى إقامة دولة كردية مستقلة.[2]

مبررات الحرب على العراق:[3]

رغبة الإدارة الأمريكية على السيطرة على نفط العراق فى إنتاجه ومخزونه.

(1) قصة الخيانة والسقوط ماذا حدث فى بغداد؟! خفايا الانهيار المفاجئ لنظام صدام لفريد الفلوجى، الفصل الأول: سياسات التحالفات صفحة 81 - 92.

(2) قصة الخيانة والسقوط، ماذا حدث فى بغداد؟! خفايا الانهيار لنظام صدام لفريد الفلوجى الفصل الأول: الساعات الأخيرة قبل الحرب صفحة 93 - 101.

(3) حرب العراق، الحقائق والأوهام، للعميد مهندس ركن: سبأ عبدالله باهبرى الفصل الأول: الدوافع والذرائع والأهداف صفحة 11 - 36.

تحقيق الأمن لإسرائيل وحصار سوريا وإيران وخاصة بعد الدعم المتواصل الذى كان يقدمه العراق حوالي25 ألف دولار لعائلة كل استشهادى مما جعله مصنف ضمن محور الشر.

فى الخامس من فبراير (شباط)2003م أكد وزير الخارجية الأمريكى كولن باول بأن لدى العراق برنامجاً لصنع أسلحة نووية.

فى أول مارس 2003م، كانت الضغوط الدولية لمنع الحرب قد وصلت ذروتها وذلك عقب فشل المفتشين الدوليين فى العثور على أسلحة الدمار الشامل فى العراق. ولكن الولايات وبريطانيا رأت أن الحرب لابد منها لإسقاط نظام صدام حسين، اشتد الصراع الدبلوماسى عندما تزعمت فرنسا وروسيا وألمانيا المعارضة الشديدة ضد الحرب، وهددت فرنسا باستخدام حق الفيتو.[1]

فماذا فعلت الولايات المتحدة الأمريكية...... ألغت حق الفيتو فى الحرب على العراق.

مستوى القوة العسكرية عند الطرفين:

1. القوات الأمريكية والبريطانية مكونة من ست حاملات طائرات أساسية وطائرات الشبح وإف 16 وإف 17 وأباتشى وتورنيدو وبي52 وقوات المارينز والفرقة المدرعة 101 إضافة إلى الطائرات العمودية والدبابات والعربات العسكرية.

2. القوات العراقية، طبعاً ليس هناك وجه مقارنة لها مع القوات الأمريكية والبريطانية فالقوات العراقية معتمدة على الأسلحة الروسية القديمة المتواضعة فالدفاع الجوى يعتمد على صواريخ (سام (2و (سام 3) والدفاع البرى يعتمد على الدبابات والقوات البرية مثل قوات الحرس الجمهورى وفدائيي صدام ومليشات حزب البعث وبعض المروحيات.

---

(1) الفيتو: تأسس عام 1945م بعد الحرب العالمية الثانية، ويبلغ عدد أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة 184 دولة، بينها مجلس الأمن يتشكل من15 عضواً منهم الخمسة الكبار الدائمين هم: أمريكا والصين وبريطانيا وفرنسا وروسيا ولهذه الدول الخمسة فقط حق الاعتراض (الفيتو).

لم تبدأ الولايات المتحدة حربها ضد العراق حتى ضمنت التحالف الكامل مع القوات الكردية (البشمركة) التى وعدت بالانقضاض نحو الموصل وكركوك تحت حماية الطائرات الأمريكية للسيطرة على النفط، وأيضاً أوهمت المعارضة العراقية فى الخارج والتقارير الإسرائيلية أن الشيعة فى الجنوب سيستقبلون القوات الأمريكية بالورود وسيقفون إلى جانبهم ليواصلوا الزحف معهم نحو بغداد، فنستنتج أن الأكراد فى الشمال على تحالف مع القوات الأمريكية بينما الشيعة فى الجنوب تحالفهم مجرد شكوك.

الحرب على العراق

كانت الخطة الأمريكية تعتمد على:

1. الوصول إلى بغداد بأقصى سرعة ممكنة محددة ذلك ما بين خمسة إلى سبعة أيام بحيث تقوم القوات بمحاصرة العاصمة بغداد واقتحمتها من قبل الفرقة 101 لإسقاط النظام العراقى وبالتالى تنتهى المعركة الكبرى.
2. مهاجمة قوات الحرس الجمهورى براً ثم دعوة السلاح الجوى لتدميرها تماماً بعد إجبارها على الخروج من خنادقها.
3. تحاشى الدخول فى حرب مدن والاكتفاء بحصارها وترك المقاومة تتآكل ذاتياً تحت تأثير القصف الجوى والمدفعى.

مرت أيام شهر مارس 2003م (17محرم 1424هـ) سريعاً على الطرفين حتى أتى يوم بدء الحرب.

أيام الحرب

فى يوم الخميس 20 مارس2003م (17محرم1424هـ)

الساعة الثانية والنصف بتوقيت جرينتش، قامت الطائرات الأمريكية والبريطانية بقصف العاصمة بغداد بضربة صاروخية قوامها أربعين صاروخاً وامتد القصف إلى مدينة البصرة فى الجنوب، ثم قامت القوات الخاصة الأمريكية والبريطانية والفرقة المدرعة داخل

الأراضى السابعة (فئران الصحراء) بالتقدم من الكويت داخل الأراضى العراقية لمهاجمة ميناء أم قصر وشبه جزيرة الفاو، استطاعت القوات البريطانية السيطرة على موطئ قدم فى أرصفة ميناء أم قصر وكانت المفاجأة أن قام بعض الجنود العراقيين بالاستسلام بينما قام البقية بإحراق بعض حقول النفط على الحدود العراقية الكويتية.

واصلت القوات البريطانية تقدمها نحو مدينة البصرة بالرغم من عدم سيطرتها التامة على ميناء أم قصر لاعتقادها الجازم بعدم وجود مقاومة فى مدن الجنوب بينما واصلت القوات الأمريكية تقدمها نحو مدينة صفوان دون أى مقاومة تذكر.

الجمعة 21 مارس 2003م (18محرم 1424هـ)[1]

استطاعت القوات الأمريكية والبريطانية السيطرة على المنشآت النفطية الهامة بمقاومة عراقية ضعيفة، وأثناء الهجوم تحطمت طائرة عمودية بريطانية أسفر التحطم عن مقتل 8 بريطانيين و4 أمريكيين وازداد حماس المقاومة عندما قام الأمريكيون بإنزال علم العراق ورفع العلم الأمريكى وعندما رأى الأمريكيون المقاومة تزداد شراسة اضطروا إلى إنزال العلم الأمريكى وإعادة العلم العراقى إلى مكانه، من جهة أخرى تواصل القصف الصاروخى بكثافة على العاصمة بغداد حتى بلغ 800 صاروخ، كما شمل القصف أيضاً مدينة كركوك والموصل والبصرة.

السبت 22مارس 2003 (19 محرم 1424هـ)[2]

تواصل القصف الصاروخى على مدينة البصرة وبغداد، ولكن القصف تركز هذه المرة على مدينة البصرة لأن القوات الأمريكية والبريطانية واجهت مقاومة عراقية مستبسلة تدافع عن المدينة، وتحت القصف المتواصل خرج الكثير من المدنيين يرفعون رايات الاستسلام لأن القصف صار لا يفرق بين مدنى وعسكرى وخاصة أن المقاومة العراقية

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الثالث: الحرب فى الأيام العشرة الأولى (أيام المفاجآت) صفحة 63 - 65.

(2) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الثالث: الحرب فى الأيام العشرة الأولى (أيام المفاجآت) صفحة 65 - 69.

متحصنة داخل المدينة، ومن جهة أخرى فى أم قصر وشبه جزيرة الفاو استمرت المقاومة ولم تسقط المدينتين فاضطرت القوات الأمريكية والبريطانية إلى قصف المدينتين فكبدت القوات العراقية خسائر كبيرة.

فى نفس اليوم تقدمت قوات أمريكية أخرى نحو مدينة النجف فوقعت اشتباكات بينها وبين القوات العراقية مما أسفر عن إصابة أربعة جنود أمريكيين، وفى الشمال قصفت القوات الأمريكية مواقع مجموعة أنصار الإسلام بخمسين صاروخاً من نوع كروز أسفر عن وقوع خسائر جسمية فى صفوف المجموعة.

المقاومة العراقية كانت تهاجم ببسالة ولكن أمام الحماية الجوية الأمريكية كانت تتكبد الكثير من الخسائر فى الجنود العراقيين فعندما رأى المقاومون أن مهاجمة القوات الأمريكية والبريطانية فى غاية الصعوبة، فبدءوا بتنفيذ خطة أخرى عانت منها قوات التحالف وهى مهاجمة قوافل الإمدادات العسكرية التى تحمل المؤن والذخائر إلى العناصر المقاتلة لأنها تعتبر أهدافاً سهلة.

الأحد 23 مارس 2003م (20محرم 1424هـ)[1]

الهجوم على الناصرية.

قام العراقيون فى أم قصر بهجوم مضاد بقذائف (أر بى جى) على القوات الأمريكية والبريطانية فى شمال غرب المدينة أدى إلى مقتل العديد من الجنود البريطانيين والأمريكيين مما أجبر القوات الأمريكية والبريطانية بالاستعانة بالسلاح الجوى (طائرة هاريير) وارتفعت معنويات القوات العراقية فاشتعلت المقاومة فى النجف والبصرة والناصرية واستطاعت القوات العراقية قتل الكثير من الجنود الأمريكيين وأسر البعض منهم وقد قام التلفزيون العراقى بعرض صور الجثث القتلى والأسرى الأمريكيين، وكان الأمريكيون لا يتوقعون أن يجدوا مقاومة فى الناصرية لكن الأمور تغيرت عندما قامت القوات الأمريكية بعملية

---

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الثالث: الحرب فى الأيام العشرة الأولى (أيام المفاجآت) صفحة 69-72.

إنزال جوى للجنود، وفجأة يقع الجنود المنزلين فى مرمى النيران العراقية مما أدى إلى وقوع خسائر فى الجانب الأمريكى بعدها توقفت عمليات الإنزال الجوى وتمكن الأمريكيون من إجلاء قتلاهم.

أما فى العاصمة بغداد فقد قامت القوات العراقية بإشعال النار فى خنادق النفط المحيطة بالمدينة ليحجب الدخان المتصاعد الرؤية، بينما تعرضت مدينة تكريت وشمال الموصل لقصف جوى.

الاثنين 24مارس 2003م (21 محرم 1424هـ)[1]

لم تهاجم القوات الأمريكية والبريطانية أم قصر لأنها لم تكن تتوقع أن هناك مقاومة بهذه البسالة وبات همها الأكبر هو حماية خطوط الإمدادات التى تتعرض للهجوم من قبل المقاومة وفى بغداد تواصل القصف، وهبطت طائرة أباتشى بسبب عطل ميكانيكى وزعم العراقيون أنها أسقطت بنيران بندقية عبيد منقاش، وفى البصرة استمرت المقاومة وكان المقاومون يرتدون الملابس المدنية، وفى الناصرية حاولت القوات الأمريكية تفريق وكسر خط المقاومة بالهجوم البرى المدعوم بالحماية الجوية لكن المقاومين كانوا يتركون الأماكن المعرضة للقصف الجوى ويهاجمون من أماكن أخرى وبالتالى استطاعوا إعاقة تقدم القوات الأمريكية فاضطرت فرقة المشاة الثالثة إلى ترك الناصرية والتقدم شمالاً نحو النجف وأثناء تقدمها لقيت مقاومة عنيفة من العراقيين بالمدفعية ثم بقذائف الـ (أر بى جى) والرشاشات ودارت المعارك الطاحنة حول المدينة، بينما استمر القصف الجوى لمدينة كركوك وتوابعها ومدينة الموصل مخلفة خسائر جسمية ومادية.

الثلاثاء 25 مارس 2003م (22 محرم 1424هـ)[2]

شهد هذا اليوم عواصف رملية أعاقت الرؤية وشلت الطيران الأمريكى وأعطت الفرصة للقوات العراقية بالتحرك وتغيير أماكنهم، ومع ذلك استمر القصف الجوى على بغداد.

---

(1)) حرب العراق الحقائق والأوهام لعميد ركن مهندس ركن سبأ عبدالله باهبري
الفصل الثالث: الحرب فى الأيام العشرة الأولى (أيام المفاجآت) صفحة 73- 76

(2) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الثالث: الحرب فى الأيام العشرة الأولى (أيام المفاجآت) صفحة 76 -78.

فى الجنوب فى شبه جزيرة الفاو قام عراقى بتفجير نفسه فى دبابة أمريكية، وفى أم قصر قال البريطانيون أنهم أحكموا السيطرة عليها، وفى البصرة لم تستطع القوات البريطانية دخولها واكتفت بقصفها بالمدافع الصاروخية لأن القوات العراقية تحصنت داخل المدينة وتمكن العراقيون من إسقاط طائرة استطلاع بريطانية، أما فى الناصرية فقد استمرت المعارك الشرسة بين القوات الأمريكية والقوات العراقية وتمكن العراقيون من إسقاط طائرتين عموديتين (بلاك هوك وأباتشى) وبالرغم من ضراوة المقاومة إلا أن القوات الأمريكية استطاعت أن تعبر نهر الفرات وأن تواصل سيرها من الجنوب إلى الشمال على الطريق السريع وسط رماديات مدفعية ومقاومة بالقذائف الصاروخية والرشاشات وقد شوهدت جثث الكثير من القتلى العراقيين فى المدينة.

فى النجف كانت قوات المشاة الثالثة لازالت تواجه مقاومة شرسة وذلك بعد أن توزع المدافعون العراقيون إلى مجموعات صغيرة حول مداخل المدينة والجسور وكمنوا للقوات الأمريكية ودارت معارك طاحنة وكثر القتل والجرح فى الطرفين ودمر المقاومون دبابتين أمريكيتين فى أسوأ معارك تواجهها القوات الأمريكية، وفى الشمال استمر قصف مدينة كركوك بكثافة.

الأربعاء 26مارس 2003(23محرم 1424هـ)

الهجوم على جبهتين، شرقاً نحو الكوت وغرباً نحو النجف.[1]

تم السيطرة على مدينة الناصرية من الخارج من قبل القوات الأمريكية لكن المدينة نفسها لم تسقط بعد، وتمّ أسر 170 من المدافعين العراقيين، بينما الذين لم يقعوا فى الأسر انتقلوا شمالاً إلى منطقة الشطرة (40 كلم شمال الناصرية)

لماذا تحاول القوات الأمريكية السيطرة على الناصرية بالرغم من أن معركتها الحقيقية هى مع بغداد؟

1 - لأن الناصرية تحتل موقعًا استراتيجيًا يسيطر على جميع طرق الإمدادات التى كانت عرضة لمهاجمة المقاومة العراقية.

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الثالث: الحرب فى الأيام العشرة الأولى (أيام المفاجآت)صفحة 79 - 81.

2 - إمكانية فتح جبهتين على بغداد:

الأول: شرقاً عن طريق الكوت.

الثانى: غرباً عن طريق النجف ثم كربلاء.

بعد إعلان السيطرة على الناصرية، اتجهت قوات مشاة البحرية الأمريكية شرقاً فى مواجهة الكوت بينما فرقة المشاة الثالثة قد اتجهت غرباً من يوم الاثنين السابق كما ذكرنا وأنها لا تزال تواجه مقاومة عنيفة فى النجف نظمها الحرس الجمهورى، وما إن جنّ الليل حتى تجددت المقاومة واستطاع العراقيون إسقاط طائرة أباتشى وطائرة استطلاع بدون طيار، وتمّ قصف 3 شاحنات و3 ناقلات جنود أمريكية بنيران مدفعية صديقة أمريكية أدت إلى مقتل 37 جندياً من المشاة البحرية، بينما فى الشمال استمر القصف على كركوك والموصل، وتمّ إنزال ألف مظلى لمساندة القوات الكردية (البشمركة).

الخميس 27 مارس 2003م (24محرم 1424هـ)[1]

بعد أسبوع من مرور الحرب، ورأت القوات الأمريكية أنها تواجه مقاومة صارمة غير متوقعة وبالأخص فى الجنوب بعكس ما توقعوا وبعكس ما قاله لهم المعارضون العراقيون فى الخارج بأن الشيعة فى الجنوب سيستقبلونهم بالورود، فرأت أنه لا بد من استخدام القنابل العنقودية المحرمة دولياً.

تواصل القصف على بغداد من ليلة الأربعاء_الخميس حتى اليوم التالى الخميس 27 مارس، إذ سُمع دوى 12 انفجاراً قوياً وسط بغداد، وفى البصرة حاولت القوات العراقية أن تشن هجوماً مضاداً على القوات البريطانية من البصرة على الفاو وأم قصر ولكن المحاولة باءت بالفشل ودمر الطيران الأمريكى والبريطانى حوالى سبعين إلى مائة دبابة أو أكثر، وأيضاً واصلت القوات الأمريكية قصفها لمدينتى النجف وكربلاء لتشل حركة المقاومة العراقية.

---

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الثالث: الحرب فى الأيام العشرة الأولى (أيام المفاجآت) صفحة 82 -84.

وفى الشمال تم إنزال حوالى ألف مظلى من اللواء (173) لمساندة الأكراد وبالتالى بدأت فتح جبهات قتالية عديدة على بغداد، جبهة شرقية من جهة نهر دجلة من الكوت، وجبهة غربية من جهة نهر الفرات من الهندية وجسر المسيب وجبهة شمالية من جهة الأكراد وقوات البشمركة.

الجمعة 28 مارس 2003م (25 محرم 1424هـ)(1)

الهجوم على النجف

تواصل القصف الصاروخى على بغداد طوال ليلة الخميس ـ الجمعة وفى الصباح أصابت قنبلتان أحد الأسواق الشعبية فى حى الشعلة قتلت 55 وجرحت أكثر من 60 عراقياً، واستمر القصف أيضاً حتى شمل مدينة النجف وكربلاء وتركز على الطريق بين النجف وكربلاء حتى تتمكن قوات المشاة الثالثة من الوصول إلى كربلاء بينما بدأ الهجوم على النجف وخاضت القوات الأمريكية معارك شرسة فى النجف مع القوات العراقية والحرس الجمهورى قدرت بـ 1500 جندى عراقى، استمرت المعركة لمدة 6 ساعات متواصلة، كانت الخسائر الأمريكية فيها كبيرة مما اضطر القوات الأمريكية إلى الانسحاب واعتمادها على القصف العشوائى وأثناء الانسحاب تكبدت القوات الأمريكية خسائر مما اضطرهم إلى استخدام طائرات التورنيدو لإسقاط قنابل موجهة بالليزر، وأثناء القصف العشوائى تساقط الضحايا من المدنيين والنساء والأطفال، وهذه قصة أب فقد جميع أفراد أسرته وعندما طلب الجنود منه الخروج من البيت لم يستطع الكلام وإنما أشار إلى الضابط بأنه يقتله ليلحق بأسرته وأمام هذا الموقف انهار الضابط الأمريكى بالبكاء وطالب بالرحيل والفصل من الخدمة العسكرية، تم ترحيله استعداداً لمحاكمته عسكرياً فى الولايات المتحدة.

استمر القصف الجوى بقنابل زنة 2000 رطل على مدينة الناصرية، وفى البصرة قامت مجموعات صغيرة بإسقاط طائرتى استطلاع بريطانيتين وفى الشمال انسحبت القوات العراقية إلى كركوك بعد أن زرعت الطريق الشمالى بالألغام.

---

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الثالث: الحرب فى الأيام العشرة الأولى (أيام المفاجآت) صفحة 84 - 86.
قصة الخيانة والسقوط، ماذا حدث فى بغداد؟ خفايا الانهيار لنظام صدام لفريد الفلوجى، الفصل الثانى: معركة النجف صفحة 173.

السبت 29 مارس 2003م (26محرم 1424هـ).[1]

الهجوم على كربلاء

ساد الصمت هذا اليوم وتوقفت القوات الأمريكية عن التقدم نحو بغداد وذلك بسبب انقطاع الإمدادات التى لم يتركها المقاومون العراقيون، بل تطور الأمر حيث قام على حمادى النعمانى بتنفيذ هجوم استشهادى على أحد حواجز القوات الأمريكية فى النجف أدى إلى مقتل أربعة من المشاة الثالثة، وفى بغداد تعرضت وزارة الإعلام العراقية لهجوم صاروخى دمر الطابق العلوى (الحادى عشر).

بدأ الهجوم على كربلاء، لكن القوات العراقية أعاقت تقدم القوات الأمريكية، فعندها قامت القوات الأمريكية بقصف مكثف على المدرعات العراقية التابعة للحرس الجمهورى فدمرت أربعين دبابة وقتلت حوالى 50جندياً عراقياً، واستخدم فى القصف أشد أنواع الصواريخ والقنابل المدمرة للتحصينات مما سبب زعزعة للقوات العراقية.

فى الشمال انسحبت فرقة نبوخذ نصر التابعة للحرس الجمهورى إلى بغداد لتعزيز الدفاعات عن العاصمة.

الأحد 30 مارس 2003م (27 محرم 1424هـ)[2]

الهجوم على الهندية وكشف الخونة.

كان يوم هدنة لم يصحبه أحداث فى العاصمة سوى القصف الجوى، وصارت القوات الأمريكية بانتظار المدرعة الأولى التى سبق وأن تحركت من أمريكا (تكساس) والفرقة المدرعة الثانية من ألمانيا وفرقة المشاة الجبلية من أفغانستان.

---

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الثالث: الحرب فى الأيام العشرة الأولى (أيام المفاجآت) صفحة 87 - 89.

(2) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الرابع: الحرب فى الأيام العشرة الثانية (أيام الصراع الدموى)صفحة 93 - 97.
قصة الخيانة والسقوط، ماذا حدث فى بغداد؟! خفايا الانهيار لنظام صدام لفريد الفلوجى، الفصل الثانى: إعدام الجواسيس الأربعة صفحة 206- 210.

بدأ الآلاف من المتطوعين العرب يتوجهون من سوريا إلى العراق للجهاد فى العراق، وبدأت القوات الأمريكية فى الجبهة الغربية بالتحرك من كربلاء نحو منطقة الهندية، بينما وصلت القوات الأمريكية التى سبق وأن تحركت شرقاً من الناصرية نحو الكوت، واشتبكت مع قوات عراقية تبادل فيها الطرفان القصف بالمدفعية.

وفى صباح هذا اليوم نفذ رجل عملية استشهادية فى النجف أدت إلى مقتل خمسة جنود أمريكيين.

فى هذا اليوم تم القبض على ضابط فى الحرس الجمهورى برتبة مقدم بتهمة الخيانة والتعاون مع القوات الأمريكية عن طريق جوال الثريا تم رصد مكالماته مع ثلاثة أشخاص غيره منذ أيام الحرب الأولى، وتم التعرف على صوته عندما كان يخبر القوات الأمريكية بمعلومات هامة عن تحركات القوات العراقية، بعد القبض عليه تم التعامل معه بشده متناهية حيث قام المحققون بنزع أظافر قدميه ووُضع الملح على جروحه النازفة وبسرعة اعترف بأنه على اتصال مع الأمريكيين الذين وعدوه بمركز قيادى مهم بعد إسقاط نظام صدام واعترف بوجود ثلاثة آخرين خونة على اتصال بالأمريكيين، بعدها تم اعتقال الثلاثة ونالهم من التعذيب ما نالهم ليخبروهم هل هناك خونة آخرين معهم، اعترف احدهم أن هناك الكثير من الخونة لكنه أقسم أنه لا يعرف من هم؟ حاول قصى النجل الأصغر لصدام حسين استنطاق الخونة الأربعة بجميع وسائل الإغراءات المالية والتعذيب الشديد ولكنه فشل، وفى الثانى من أبريل تم إعدام الأربعة الخونة بعد أن تم تصويرهم وعرض اعترافات على شاشة التلفزيون العراقى.

الاثنين 31 مارس 2003م (28 محرم 1424هـ)[1]

معركة جسر الهندية

أمر تومى فرانكس قائد القوات المركزية الأمريكية فرقة المشاة الثالثة فى الجبهة الغربية بالتقدم عبر الهندية من الجهة الغربية إلى الشرقية والسيطرة على جسرها المهم واستكمال

(1) قصة الخيانة والسقوط، ماذا حدث فى بغداد؟! خفايا الانهيار لنظام صدام لفريد الفلوجى، الفصل الثانى: معركة جسر الهندية صفحة 179 - 181.
حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى. الفصل الرابع: الحرب فى الأيام العشرة الثانية (أيام الصراع الدموى) صفحة 98 - 103.

المسير حتى يصلوا إلى بغداد، تحركت فرقة المشاة الثالثة وقبل جسر الهندية بحوالى 5 كلم تعرضت فرقة المشاة الثالثة لطلقات نيران متفرقة أجبرتها على التقدم سريعاً نحو الجسر للسيطرة عليه، وما إن اقتربت من الجسر حتى فوجئت بكمين عراقى نصبه لهم قوات الحرس الجمهورى بدأ بانهمار طلقات نارية كثيفة لم يتوقعها الجنود الأمريكيون، ردّ الجنود الأمريكيون على الطلقات بطلقات ولكنهم كانوا محاصرين، فعمد الجنود الأمريكيين إلى الهرب والاختباء فى المنازل والمخابئ القريبة من الجسور، ولم يكن حالهم أفضل حيث تتبعهم الحرس الجمهورى وأوقع فيهم مقتلة، قُتل فيها حوالى 25 جندياً أمريكياً.

فى البصرة انخفضت المقاومة وقامت طائرة أمريكية من طراز (آى 10) بمهاجمة قافلة بريطانية مدرعة خطأً وأوقعت بها خسائر وقتلت جندى بريطانى وجرحت خمسة آخرين.

فى العاصمة بغداد استمر القصف الجوى العشوائى الذى أدى إلى مقتل 20عراقياً و 11طفلاً، وفى الكوت فى الجبهة الشرقية استمرت المعارك الطاحنة بين القوات الأمريكية والبريطانية وقوات الحرس الجمهورى.

فى الشمال تقدمت قوات البشمركة الكردية مع القوات الأمريكية جنوباً متجهة نحو كركوك.

الثلاثاء 1 ابريل 2003م (29محرم 1424هـ)[1]

معركة الإمام أيوب

بعد ما لقيه الجنود الأمريكيون فى معركة جسر الهندية فى الجبهة الغربية تقدمت بعض القوات الأمريكية شرقاً وكانت الجهة الشرقية للهندية تغطيها البساتين والأشجار التى كان يكمن فيها قوات الحرس الجمهورى، فهنا حاولت القوات الأمريكية مدعومة

(1) قصة الخيانة والسقوط، ماذا حدث فى بغداد؟! خفايا الانهيار نظام صدام لفريد الفلوجى الفصل الثانى: معركة الأمام أيوب صفحة 177 - 178 .حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الرابع: الحرب فى الأيام العشرة الثانية (أيام الصراع الدموى) صفحة 103 - 108.

بطائرات الأباتشى استدراج قوات الحرس الجمهورى إلى أماكن مكشوفة لتتولى طائرات الأباتشى مهمة القصف، لكن الحرس الجمهورى كان قد قام بإشعال النار فى عيدان القصب الطويلة، فتعالت أعمدة الدخان وحجبت الرؤية وتمكنوا من إسقاط طائرتين من نوع أباتشى ثم ساد الصمت وتوقفت طلقات النيران العراقية، فظن الجنود الأمريكيون أن طائرات الأباتشى قد قصفت مواقع الحرس الجمهورى وغادرت فاطمأن الجنود الأمريكيون وصاروا يتقدمون بثقة زائدة وما هى إلا لحظات حتى فاجأت قوات الحرس الجمهورى القوات الأمريكية بطلقات نيران كثيفة أدت إلى مقتل ثلاثة من القادة الأمريكيين وهروب العناصر الأخرى وبدأ تتبعهم من قبل قوات الحرس الجمهورى فتمكنوا من قتل 7 جنود أمريكيين وجرح ستة عشر والبقية تمّ إنقاذهم بواسطة الطيران الأمريكى بعدما فروا إلى الصحراء، فعندها لجأت القوات الأمريكية إلى استخدام القنابل العنقودية التى لم يكن يتوقعها العراقيون فأصابت فيهم مقتلة وأنزلت بهم خسائر فادحة وقلبت الانتصار العراقى إلى هزيمة.

استمر القصف الجوى الصاروخى على بغداد وكربلاء والنجف والبصرة والكوت وصار القصف لا يفرق بين المواقع المدنية من العسكرية، فارتفع القتل فى صفوف المدنيين ويرجع السبب هو أن القوات الأمريكية والبريطانية تريد أن تجبر المدنيين على مغادرة المدن وترك صدام ورجاله يواجهون مصيرهم، وفى نفس الوقت كان هناك معارك شرسة بين قوات الحرس الجمهورى والقوات الأمريكية حول الحلة والهندية وكربلاء والنجف، وأيضاً لجأ العراقيون إلى إقامة العديد من المواقع الهيكلية ووضعت بها دبابات قديمة متعطلة لاجتذاب نيران المهاجمين وجعلهم يستخدمون ذخائر وجهدهم ضد أهداف لا قيمة لها.

فى الشمال استمر القصف الجوى على كركوك والموصل واستمر أيضاً نزول القوات الأمريكية والبريطانية هناك، واستطاع العراقيون أسر جيب عسكرى أمريكى وفى المقابل استسلم الكثير من الجنود العراقيين للقوات الأمريكية والكردية بعد نفاذ مؤونتهم وذخائرهم.

الأربعاء 2 أبريل 2003م (1424هـ)[1]

الهجوم على الحلة

بدأت القوات الأمريكية فى الجبهة الغربية هجومها على مدينة الحلة وكان هدفها الرئيسى هو تأمين خطوط الإمدادات العسكرية التى لا زال المقاومون يجدونها فريسة سهلة فى متناول اليد، لكن مدينة الحلة الصغيرة واجهت القوات الأمريكية بمقاومة لم يتوقعها الجنود الأمريكيين، فعمدت القوات الأمريكية إلى القصف المكثف لمدينة الحلة مستخدمة القنابل العنقودية المحرمة دولياً مما أسفر عن مقتل 33 مدنياً أغلبهم من النساء والأطفال وجرح 302 مدنياً، بعدها انسبحت القوات العراقية لتخفف قبضة القوات الغازية على المدنيين إنقاذاً لهم.

فى الجبهة الغربية تمكنت القوات الأمريكية من السيطرة على جسر هام جداً يقع على بعد 30 كلم جنوب بغداد على نهر الفرات وهو جسر المسيب بعد التحام بسيط مع قوات الحرس الجمهورى.

فى الجهة الشرقية تمكنت أيضاً القوات الأمريكية والبريطانية من السيطرة على جسر رئيسى فى الكوت يعتبر من أهم الجسور على نهر دجلة وبدأت بالتقدم شمالاً نحو بغداد وصارت القوات الأمريكية والبريطانية تفرض سيطرتها الآن على الطريق بين الكوت وبغداد، وبدأ القصف يتركز على قوات الحرس الجمهورى فى بغداد، وما إن ارتدت القوات الأمريكية والبريطانية أنفاسها فى الكوت حتى تفاجأت بهجوم عنيف من قبل القوات العراقية التى لم تستسلم بعد واستمرت المعارك الشرسة طوال الليل واستطاعت القوات العراقية إسقاط طائرة عمودية (بلاك هوك) لكن فى النهاية انتهت المعركة بتفوق أمريكى وبريطانى وبدءوا بالسيطرة على الجسور المهمة.

---

(1) قصة الخيانة والسقوط، ماذا حدث فى بغداد؟! خفايا الانهيار لنظام صدام لفريد الفلوجى، الفصل الثانى: معركة الحلة صفحة 175 - 176.

حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الرابع: الحرب فى الأيام العشرة الثانية (أيام الصراع الدموى) صفحة 109 - 112.

وفى نفس اليوم تم إنقاذ الجندية الأمريكية (جيسكالينش) فى مستشفى صدام فى الناصرية بعد أن سرب المعلومات محامى عراقى تشتغل زوجته ممرضة فى المستشفى إلى القوات الأمريكية، فكان سبب نجاح العملية خيانة هذا الرجل وزوجته الممرضة وكوفئا بالحماية والجنسية الأمريكية.

فى الشمال تواصل القصف الجوى على شمال الموصل ودهوك مما اضطر القوات العراقية إلى الانسحاب داخل المدينة وبالتالى تقدمت قوات البشمركة الكردية فاحتلت المواقع العراقية بدون قتال.

فى غرب العراق اعتقلت القوات البريطانية أعداداً كبيرة من المتطوعين العرب، وفى نفس اليوم نفذ رجل عملية استشهادية بعد تسلله خلف خط العدو وأدت العملية إلى تدمير دبابة أمريكية.

الخميس 3 أبريل 2003م (1 صفر 1424هـ)[1]

سقوط مدينة الناصرية وأنباء عن سقوط المطار (مطار صدام الدولى)

سقطت مدينة الناصرية بعد أسبوعين من بدء الحرب وعشرة أيام من الهجوم على المدينة، وفى المقابل أحكمت القوات البريطانية الحصار على مدينة البصرة وسيطرت على جميع منافذها، وفى النجف حاولت القوات الأمريكية دخول مسجد الإمام على رضى الله عنه، ولكن سكان البلدة منعوها من ذلك، وفى الكوت أحكمت القوات الأمريكية والبريطانية السيطرة عليها، وبدأت بالتحرك نحو بغداد وبالضبط نحو مطار صدام الدولى الذى يقع على بعد أقل من 20كلم جنوب بغداد وأثناء تقدم القوات الأمريكية والبريطانية اشتبكت مع قوات الحرس الجمهورى بفضل القصف الجوى وأيضاً قام الحرس الجمهورى بثلاث هجمات فى الغرب لاستعادة جسر المسيب ولكن كل الهجمات الثلاثة صُدت من

(1) قصة الخيانة والسقوط، ماذا حدث فى بغداد؟! الانهيار لنظام صدام لفريد الفلوجى، الفصل الثانى: معركة الناصرية صفحة 171 - 172.
حرب العراق، الحقائق والأوهام، لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الخامس: الحرب فى الأيام العشرة الثانية (أيام الصراع الدموى) صفحة 112 - 118.

قبل القوات الأمريكية وقتل حوالى 500 جندى عراقى وبقى جسر المسيب تحت السيطرة الأمريكية.

فى نفس اليوم نفذت ميسون حميد عبدالله المرأة التى لا يزيد عمرها عن 24 سنة عملية استشهادية فى منطقة سوق الشيخ أدت إلى تدمير ناقلة جنود أمريكية وقتل من فيها.

وفجأة يعلن الخبر المفاجئ وهو استيلاء القوات الأمريكية على بعض أجزاء المطار (مطار صدام الدولى) الذى سبب صدمة لسكان بغداد فسارعوا إلى مغادرة العاصمة خوفاً من المعركة القادمة والبعض من السكان لم يغادر بل حمل السلاح الخفيف لمواجهة ما قد سيحدث، ومع غروب الشمس انقطعت الكهرباء عن العاصمة التى يسكنها 5 ملايين نسمة.

الجمعة 4 ابريل 2003م (2صفر 1424هـ)[1]

سقوط النجف

قضت القوات الأمريكية والبريطانية تعزيز وجودها فى المطار، بينما تدهورت الروح المعنوية لدى القوات العراقية وهذا مؤشر أن الحرب قد اقتربت من نهايتها، لكن فجأة يفجر الرئيس العراقى صدام حسين مفاجأة عندما خرج بعد ظهر الجمعة متجولاً فى شارع المنصور ببغداد وقام التلفزيون العراقى بعرض الصور، وكان خروجه يعتبر كدفعة لمعنويات القوات العراقية التى أصيبت بالإحباط بعد فشلها فى الدفاع عن المطار، وأيضاً قامت امرأتان هما وداد جميل ونور الشمهرى بعملية استشهادية فى الحديثة 200كلم غرب بغداد أدت إلى مصرع جنديين أمريكيين وبعض الآليات. إذن صارت بغداد محاصرة من الجنوب والشمال.

صارت البصرة تحت السيطرة الكاملة من قبل القوات البريطانية وبقية المدن فى الجنوب أيضاً تحت السيطرة شبه الكاملة، أما فى الشمال فكانت قوات البشمركة الكردية والقوات الأمريكية تحرز تقدماً نحو العاصمة بغداد يوماً بعد يوم.

(1) حرب العراق الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الخامس: الحرب فى الأيام العشرة الثانية (أيام الصراع الدموى) صفحة 118 - 122.
قصة الخيانة والسقوط، ماذا حدث فى بغداد؟! خفايا الانهيار لنظام صدام لفريد الفلوجى، الفصل الثانى: معركة النجف صفحة 173.

مع ما تواجه بغداد من أزمات فجأة يصدر المرجع الشيعى أية الله على السيستانى فتوى فى النجف بعدم التصدى للقوات الأمريكية والبريطانية.

السبت 5ابريل 2003م (3 صفر 1424هـ)[1]

معركة بغداد

بدأت معركة بغداد بعد أن سيطرت القوات الأمريكية والبريطانية على المطار الواقع جنوب بغداد، وواصلت القوات الأمريكية والبريطانية تقدمها نحو بغداد التى لم يتوقف عنها القصف ولا للحظه واحدة، لكن القوات الأمريكية والبريطانية أثناء تقدمها ووجهت بمقاومة شرسة مستبسلة غير مبالية بالموت سقط فيها العديد من القتلى العراقيين ودُمرت العشرات من المدرعات العراقية، ومع هذا الاستبسال تراجعت القوات الأمريكية والبريطانية بعد أن استطاع المقاومون إسقاط طائرة عمودية من نوع كوبرا، وأيضاً قام جندى عراقى بعملية استشهادية أدت إلى مقتل العديد من الأمريكيين.

فى كربلاء استمرت الهجمات الفدائية ضد القوات الأمريكية، فصارت القوات الأمريكية تقوم بضرب أى سيارة يشتبه بها، وفى الشمال قام الأكراد المدعوم بالطيران الأمريكى بتضييق الخناق على مدينة كركوك بينما قامت القوات العراقية بالانسحاب إلى داخل المدينة.

بدأ العديد من العراقيين الذين جندهم الأمريكيين بالدخول إلى بغداد بالملابس المدنية وبدءوا يباشرون الاتصال بقيادات القوات العسكرية المعسكرة فى بغداد بإقناعهم بالتخلى عن القتال وبإغرائهم بالمال وإعطائهم الأمان من قبل القوات الأمريكية وتهديدهم بالفناء إذا صمدوا فى المقاومة، وبدأ العملاء العراقيون لدى القوات الأمريكية يقنعون القيادات العسكرية العراقية ألا فائدة من المقاومة وأن سقوط بغداد بات وشيكاً، فلماذا يعرضون أنفسهم وأهليهم للخطر؟! بعد التفكير جاء الرد بقبول العروض الأمريكية من قبل قيادات قوات الحرس الجمهورى وفدائيى صدام ومجاهدى خلق وغيرهم من عناصر الجيش العراقى، وبدأ هؤلاء القادة يسلمون مفاتيح بغداد للقوات الأمريكية.

---

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الخامس: الحرب فى الأيام العشرة الثانية (أيام الصراع الدموى) صفحة 123-131.

الأحد 6 ابريل 2003م (4 صفر 1424هـ)[1]

سقوط كربلاء ومعركة الليلة السوداء

بسطت القوات الأمريكية والبريطانية سيطرتها على المطار بعد سلسلة من الخيانات قام بها قيادات الصف الأول للحرس الجمهورى وجماعة مجاهدى خلق الإيرانية المعارضة بقيادة مسعود رجوى التى احتضنتها العراق لسنوات عديدة، وبدأت القوات الأمريكية والبريطانية بعمل إصلاحات فى المطار لاستخدامه فى المعركة الفاصلة ولتوفير المؤونات العسكرية.

فى البصرة بدأت القوات البريطانية بعمليات مداهمات للمنازل وفى هذا اليوم سقطت مدينة كربلاء بيد القوات الأمريكية بعد مقاومة استمرت لمدة 8 أيام، وفى الشمال بعد محاصرة كركوك اتجهت أيضاً قوات كردية مدعومة بالقوات الأمريكية وبريطانية وقامت بمحاصرة الموصل واحتلال البلدان المحيطة بها.

بعد الخيانة التى قام بها قيادات الصف الأول للحرس الجمهورى وجماعة مجاهدو خلق من توفير معلومات خطيرة لقيادات القوات الأمريكية حيث قام قادات الحرس الجمهورى بتوجيه أمر للجنود بإلقاء الأسلحة والانسحاب وإفساح المجال للقوات الأمريكية بالسيطرة على المطار وأيضاً قام القادة بإعطاء معلومات مهمة عن الممرات السرية بين المطار والقصور الرئاسية، أحسّ اللواء محمد مصطفى عزيز- آمر اللواء الأول- بالخيانة التى قامت بها جماعة مجاهدى خلق، وقام بالإتصال فوراً بالقيادات إلا أن محاولته باءت بالفشل فزاد ارتيابه بوجود خيانة بين قيادات الحرس الجمهورى، فعندما قام بكتابة برقية تحمل توقيع صدام حسين يأمر فيها آمر اللواء الثانى بالهجوم الكاسح على القوات الأمريكية فى المطار الساعة 7،35 مساءً، بدأ الهجوم فى الساعة 7،45 مساءً فى معركة عنيفة ضد القوات الأمريكية، تكبد فيها الأمريكان نحو 400 قتيل، وفى المقابل قُتل نحو 1500 من الضباط والجنود العراقيين، وقيل أن اللواء محمد مصطفى عزيز قد تمّ أسره وأطلق على هذه المعركة (معركة الليلة السوداء).

---

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الخامس: الحرب فى الأيام العشرة الثانية (أيام الصراع الدموى) صفحة 131 - 136.
الصحاف وأسرار سقوط بغداد، الفصل السادس: أسرار سقوط بغداد صفحة 136 - 137.

بعد الهزيمة النكراء التى تعرضت لها القوات العراقية فى الليلة السوداء، صار الطريق مكشوفاً إلى بغداد وتوالت الخيانات الواحدة بعد الأخرى.

الاثنين 7 أبريل 2003م (5 صفر 1424هـ)(1)

فى صباح هذا اليوم تقدمت دبابات أمريكية وعربات مدرعة ناقلة جنود فى اتجاه وسط العاصمة بغداد ولم تواجه أى مقاومة حتى وصلت إلى المنطقة التى تقع فيها القصور الرئاسية وفندق الرشيد ووزارة الإعلام وتمكنت القوات الأمريكية من الدخول إلى أحد قصور صدام حسين وقاموا بالتقاط الصور التذكارية، لكنهم فوجئوا بهجوم عراقى مضاد مستخدمين الصواريخ فسارعت القوات الأمريكية بالانسحاب وأسفر الهجوم عن مقتل اثنين وإصابة ستة وستة آخرين فى عداد المفقودين، وقامت القوات العراقية فى شرق بغداد بقصف صاروخى لأحد الجسور الذى تستخدمه المشاة البحرية لتأمين دخول المدرعات إلى بغداد مما أدى إلى تدمير الجسر ومقتل اثنين من جنود المارينز، طبعاً تدمير الجسور يعطل حركة وتقدم الجنود الأمريكيين والبريطانيين.

وصلت أخبار للرئيس صدام أن النقيب عدنان يوسف حسن الذى يتولى حماية بعض الأماكن الخاصة والبديلة لصدام خائن ويتعامل مع الأمريكيين، فطلب منه صدام الاجتماع فى مطعم الساعة فى حى المنصور، دخل الرئيس صدام ونجله وبعض الحرس الخاص من الباب الأمامى للمطعم وأثناء دخولهم لم يجدوا عدنان يوسف فأحسوا بالخيانة بعدها خرجوا من الباب الخلفى، وما هى إلا لحظات حتى كان المطعم والمنطقة المحيطة به عرضة للقصف بقنابل زنة 1000رطل، بعدها تمّ اعتقال النقيب عدنان يوسف حسن، ووجُد معه جهاز التليفون المحمول الثريا فى البداية أنكر بشدة ولكن فى النهاية ومع التعذيب المميت اعترف بتفاصيل الخيانة والاتصال مع الأمريكيين، فتم إعدامه فى الحال رمياً بالرصاص. فى البصرة أعلنت القوات البريطانية عن انتهاء معركة البصرة ومع دخول

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الخامس: الحرب فى الأيام العشرة الثانية (أيام الصراع الدموى)صفحة 136 -143.
الصحاف وأسرار سقوط بغداد، الفصل السادس: أسرار سقوط بغداد، كشف خائن وإعدامه صفحة137 - 138.

القوات البريطانية داخل المدينة وانتشرت أعمال السلب والنهب فى المبانى الحكومية بل انتقلت عمليات السلب إلى منازل وممتلكات أهالى المدينة دون تدخل من القوات البريطانية لمنعهم.

الثلاثاء 8 أبريل 2003م (1424هـ)[1]

مقبرة الصحافيين ومعركة المطار

بدأ هذا اليوم بقصف ضد الصحافيين والمراكز الإخبارية التى كانت تقوم بتغطية الحرب تغطية كاملة حيث قامت القوات الأمريكية بقصف مكتب الجزيرة مما أدى إلى مقتل مراسل الجزيرة طارق أيوب وجرح باقى العاملين ولما سمع مراسلو محطة تلفزيون أبو ظبى الخبر هرعوا لنجدة زملائهم لأن مكتب قناة أبو ظبى يقع بالقرب من مكتب قناة الجزيرة وما هى إلا لحظات ويتعرض مكتب أبو ظبى لقصف مماثل أدى إلى إصابة بعض العاملين، وبعد ساعات توجهت دبابات أمريكية إلى فندق فلسطين الذى يسكنه معظم الصحفيين وقامت بضرب الطابق الخامس عشر، فقتلت مصور الوكالة الأوكرانى (ناراس بروسينوك) ومصور قناة يليسنكو الأسبانية (خوسيه كوسو) وأدى القصف أيضاً إلى جرح خمسة إعلاميين وذلك حتى تغيب التغطية الإعلامية عما سيدور فى معركة بغداد وبالفعل غابت.

واصلت القوات الأمريكية المعسكرة فى الجنوب تقدمها نحو بغداد وكانت تتعرض لمقاومات متواضعة يتم إخمادها بسهولة وبدأ يتركز القصف على المناطق التى تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وبدأ بعض الجنود العراقيين يواجهون مشكلة نقص فى الذخائر فبدءوا بالانسحاب وتنكروا بالملابس المدنية وعادوا إلى منازلهم، وقام الكثير من سكان بغداد بمغادرة العاصمة خوفاً مما قد سيحدث.

بعد هذه الانهيارات والخيانات، اضطر الرئيس صدام حسين إلى عقد اجتماع طارئ ببعض القادة وقال لهم: كيف تصمد مدن الشيعة ولا تصمد بغداد وطلب من القادة بأن

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الخامس: الحرب فى الأيام العشرة الثانية (أيام الصراع الدموى) صفحة 143 -151.
قصة سقوط بغداد الحقيقة بالوثائق لأحمد منصور، قصة استشهاد طارق أيوب صفحة 116- 120.

يخرجوا بقوات لاستعادة المطار، تحمس بعض القادة والبعض الأخر ذهبوا إلى منازلهم، قام القادة المتحمسون وبعض القوات العراقية من الحرس الجمهورى وفدائيو صدام والبعثيون بالهجوم على القوات الأمريكية فى المطار وتبدأ معركة المطار التى استمرت من الساعة 10:30م إلى 6:30 صباحاً حققت القوات العراقية انتصاراً وأجبرت القوات الأمريكية على الانسحاب غرباً باتجاه الفرات الأوسط، ولكن القوات العراقية المهاجمة دخلت منتصرة ولم تُر بعد ذلك، أين اختفت وبأى سلاح أُبيدت؟ هل استخدمت القوات الأمريكية أسلحة فتاكة محظورة دولياً؟.

وفى الشمال تواصل القصف الجوى على مدينتى كركوك والموصل وقامت البشمركة بمساندة من القوات الأمريكية بقطع الطريق بين كركوك والموصل.

فجأة تهبط طائرة حربية أمريكية فى مطار بغداد لتقوم بنقل الخونة وهم ماهر سفيان التكريتي_ ابن خالة صدام حسين وقائد قوات الحرس الجمهورى الخاص وأمين سر صدام، وحسين رشيد التكريتى سكرتير القيادة العامة للقوات المسلحة العراقية، وابنه على حسين رشيد السكرتير الأول لقصى صدام حسين، وغيرهم كثير من قيادات الحرس الجمهورى (حوالى 200 ضابط عراقى) والمفاجأة الكبرى هى خيانة أكبر رأس فى قوة فدائيى صدام الذى يلى ابن الرئيس مباشرة، وبالتالى ضمنت القوات الأمريكية سقوط ورقة رابحة وهى قوات فدائيى صدام.

الأربعاء 9 أبريل 2003م (7 صفر 1424هـ)[1]

سقوط بغداد

كان الخبر أشبه بالخيال عندما انهارت الدفاعات فى بغداد وهرب النظام وتوقف عن إدارة الحرب واختفى كبار الضباط والقادة وهرب الجنود تاركين معداتهم سليمة دون استخدام ليتركوا العاصمة بغداد_ عاصمة أم الحضارات_ تواجه مصيرها.

---

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الخامس: الحرب فى الأيام العشرة الثالثة (الانهيار الخاطف والهزيمة) صفحة 155 - 170.

سقطت بغداد وانتهت أسطورة صدام حسين بعد حكمه للعراق مدة تقارب ربع قرن قادها بالحديد والنار والقمع والتنكيل والترويع، وصارت الدبابات والمدرعات الأمريكية والبريطانية تتجول فى شوارع بغداد دون أى مقاومة وخرجت الحشود العراقية الغاضبة إلى الشوارع تحيى الجنود الأمريكيين المخلّصين لهم من نظام صدام القامع، وبدأت أعمال السلب والنهب تجتاح المراكز الحكومية بل ووصلت إلى الممتلكات الخاصة وانعدم الأمن فى العاصمة وقام اللصوص أيضاً بأعمال سلب ونهب للمستشفيات فكان المريض يُحمل من على سريره ويوضع على الأرض ويأخذ سريره وغيره من الأدوات الطبية، وتقدمت الدبابات والمدرعات الأمريكية حتى وصلت إلى ميدان الفردوس دون مقاومة إلا من قبل شبان غير عراقيين من جنسيات عربية مختلفة تركهم العراقيون يواجهون مصيرهم، تكلم أحد المقاومين وقال: (لقد تركنا زوجاتنا وأطفالنا وجئنا إلى هنا لنموت من أجل هؤلاء الناس، وبعد ذلك قالوا لنا أن نذهب).

ثم بعد كل هذا بدأ الهجوم على صور الرئيس صدام وتماثيله فقامت الحشود الغاضبة بتمزيق صورة وإحراقها والبعض نزل عليها بالضرب بأحذيته أمام عدسات الكاميرات، وقاموا بإسقاط تماثيل صدام وسحبها فى الشوارع ولطمها بالأحذية، وفى ميدان الفردوس ساعدت ناقلة جنود أمريكية الجماهير فى إسقاط تمثال صدام حسين البرونزى الذى كان ينتصب فى قلب الميدان وجميع القنوات تنقل ذلك مباشرة.

أسباب سقوط بغداد المفاجئ[1]

1. السبب الأول: الخيانة وتسليم مفاتيح بغداد للقوات الأمريكية بعد الصفقة التى أبرمها قائد قوات الحرس الجمهورى العقيد ماهر سفيان ابن خالة صدام حسين والمسئول عن أمنه الشخصى وأمين سره، فكان الشخص الثانى بعد قصى الذى يأمنه الرئيس

(1) الصحاف وأسرار سقوط بغداد، الفصل السادس: أسرار سقوط بغداد صفحة 125 -126
- حرب العراق الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبري
الفصل الثامن: أسباب الانهيار المفاجئ للجيش العراقى.
- قصة الخيانة والسقوط، ماذا حدث فى بغداد؟! خفايا الانهيار لنظام صدام لفريد الفلوجى.
- قصة سقوط بغداد الحقيقة بالوثائق لأحمد منصور، قصة سقوط بغداد صفحة 92- 95.

ويعطيه أسراره الخاصة، فكانت نهاية الرئيس صدام حسين بخيانة من أحد أقربائه والمقربين لديه، حيث أصدر ماهر سفيان أوامره فى ليلة 9-8 أبريل لكل قوات الحرس الجمهورى بإلقاء السلاح والعودة إلى بيوتهم ثم قامت طائرة أباتشى بنقله وأفراد عائلته ومعه الكثير من الخونة إلى جهة آمنة.

2. **السبب الثاني**: العرض الأمريكى الذى قدمته القيادة الأمريكية إلى قيادات الحرس الجمهورى وفدائيى صدام وخاصة بعد احتلال المطار، فرغبتهم ورهبتهم فى نفس الوقت، رغبتهم بمناصب مرموقة بعد سقوط النظام وبرشاوى باهظة، ورهبتهم بأنها لن تتهاون عن ضرب أى مقاومة وسيكون العقاب أشد لو وقعوا فى الأسر، فماذا فعلوا؟ أذاعوا مقتل صدام حسين ثم أمروا قواتهم بترك الأسلحة والتنكر بالملابس المدنية والرجوع إلى منازلهم لحماية أهاليهم وأطفالهم،رُميت الأسلحة وتركت المواقع الدفاعية لغياب القيادات عنها وتُرك العاصمة بدون دفاعات إلا شبه مقاومة من المتطوعين العرب.

3. **السبب الثالث**: الدروع البشرية، فمع بدء التهديد بالحرب على العراق تدفق الكثير من نشطاء السلام فى أمريكا إلى العراق وأبدوا احتجاجهم على الحرب، انطوت الخطة على صدام ونظامه لأن الدروع البشرية كانت مهمتها هى كشف المواقع الحساسة وأماكن تخزين السلاح والذخيرة وإرسال المعلومات إلى القوات الأمريكية التى لم تتوان فى ضربها أثناء الحرب.

4. **السبب الرابع**: غياب الدفاع الجوى لدى القوات العراقية وتنصيب قادة ذوى خبرات قتالية ضئيلة وبدون مؤهلات علمية سوى أنهم أقارب للرئيس صدام، فها هو قصى النجل الأصغر لصدام حسين القائد الأول للحرس الجمهورى يجبر قواته فى الخروج للاشتباك مع القوات الأمريكية المدعومة بالسلاح الجوى ليلقى معظم أفراد الحرس الجمهورى حتفهم من قبل السلاح الجوى الأمريكى بالرغم من أن قادة الحرس الجمهورى نصحوا قصى بعدم إقحام القوات العراقية فى معارك مفتوحة وإنما الأفضل هو التحصن داخل المدن ومع قرارات صدام ونجله قصى التخبطية، بدأ القادة يفكرون

فى الخيانة ولما جاء العرض الأمريكى بعد احتلال المطار كان لهم كطوق النجاة، فماذا فعلوا؟ قبلوا العرض الأمريكى.

5. السبب الخامس: التفوق العسكرى الأمريكى المزود بالأقمار الصناعية وبأحدث معدات الحرب بينما السلاح العراقى يعود تاريخه إلى حرب الخليج الأولى ضد إيران وحرب الخليج الثانية فى احتلال الكويت وما أعقبه من حصار وتدمير للبنى التحتية للعراق.

6. أسباب أخرى:

- فشل القيادة العسكرية فى نسف الجسور واستخدامها كعوائق مائية، بل أبقوا عليها سليمة مما سهل حركة انتقال القوات الأمريكية البرية.
- الشعب العراقى كان كارهاً لصدام ونظامه ورأوا أن مجئ القوات الأمريكية المحررة ستخلصهم من هذا النظام الدكتاتورى الذى طالما حلموا بإسقاطه.
- انشغال صدام ونجليه وأعضاء حزبه بأنفسهم فبينما الشعب العراقى يواجه مرارة الحصار ويموت الأطفال من سوء التغذية، كان صدام يتفنن فى جمع الأموال وبناء القصور التى لو أنفقها على شعبه لما خذلوه هذا الخذلان أمام شاشات العالم، فهذا يذكرنا بالخليفة العباسى الأخير المستعصم بالله عند سقوط بغداد على يد القائد المغولى هولاكو عندما أسره المغول وأثناء أسره طلب من هولاكو ماءً، فأعطاه هولاكو الأموال التى كان شغوفاً بجمعها، فرد المستعصم بالله: أنا طلبت ماءً ولم أطلب ذهباً، فرد عليه هولاكو قائلاً: هذه أموالك التى جمعتها لو أنفقتها على جيشك لتحمى مدينتك وتحمى شعبك كان أفضل لك من أن تتركها مخزونة داخل قصرك (لاشك أنها كلمة بليغة من فم ذلك السفاح).

لماذا أبقت القيادة العراقية الجسور سليمة ولم تقدم على نسفها لتعيق حركة القوات الأمريكية؟

لأن هناك خطة نظمتها القيادة العسكرية العراقية وكان تصريحات الرئيس صدام على لسان وزير الإعلام محمد سعيد الصحاف واضحة عندما صّرح:

(سنجعل مغول العصر ينتحر على أسوار بغداد) طبعاً هذه الكلمات لم تأت من فراغ وإنما تدل على أن هناك خطة معدة بإحكام لاستقبال القوات الأمريكية واستدراجها حتى تصل وتحاصر العاصمة بغداد ثم يبدأ تنفيذ الخطة.

ما هذه الخطة التى ربما ستؤدى إلى قتل 25 الف جندى امريكى؟

اعتمدت الخطة على الدفاع عن بغداد بمسافة 25 كيلومتر عن مركز المدينة حيث قام النظام العراقى بتشييد سبعة خطوط دفاعية فى مناطق لا تتوقعها القوات الأمريكية فى مناطق الحقول الزراعية المحيطة ببغداد والفاصل بين كل خط دفاعى وآخر نحو 2500 متر، ويتكون خط الدفاع من براميل من النفط الخام ومادة (TNT) ومتفجرات أخرى، وضعت كألغام تحت الأرض بعمق خمسة أمتار، وتحيط ببغداد من كل الجهات، ويرتبط كل خط دفاع مع خط دفاع آخر بتحكم مركزى يتم تفجيرها فى لحظة واحدة، وهذه اللحظة هى عندما تقوم القوات الأمريكية بمحاصرة بغداد، هذه الخطة كانت كافية لقتل 25 ألف جندى أمريكى مع معداتهم الحربية.

طارت هذه الخطة إلى أمين سر صدام حسين ماهر سفيان الذى بدوره نقلها للإدارة الأمريكية، فعندما رأت الإدارة الأمريكية أن فى ماهر سفيان مايمكن الاستفادة منه، وبطريقة الترغيب بالمال والمنصب بعد سقوط نظام صدام وربما تكون رئاسة العراق له، واصل ماهر سفيان تنفيذ مخططه بإدلال الإدارة الأمريكية على خارطة الخطوط الدفاعية السبعة حول بغداد، والعمل على إبطال مفعولها وتخريب التحكم المركزى وأن يقوم بإقناع النظام العراقى بزج القوات الحرس الجمهورى (فرقة نبوخذ نصر وفرقة المدينة المنورة) فى معركة يعرف قادتها أنها طريق للهلاك.[1]

بعدها وكما ذكرنا سابقاً توالت الخيانات من قبل قادة الحرس الجمهورى وفدائيى صدام ومجاهدى خلق عندما أمر القادة الجنود بإلقاء السلاح والعودة إلى منازلهم بعد إعلانهم الكاذب عن مقتل الرئيس صدام حسين وأن بغداد ستسقط لا محاله، فالأفضل البقاء فى البيوت بدلاً من الانتحار لأن استمرار مقاومة القوات العراقية يعنى هلاكها، نفذ الكثير من الجنود العراقيين الأمر وألقوا أسلحتهم وتركوا العاصمة تواجه مصيرها المحتوم.

(1) الصحاف وأسرار سقوط بغداد، الفصل السدس: كيف جندوا ماهر سفيان؟ صفحة 134 -135.

فى يوم الخميس 10 ابريل 2003م (8 صفر 1424هـ) دارت بعض المعارك الضارية ضد القوات الأمريكية والبريطانية من قبل بعض المقاومين العراقيين من الحزب الجمهورى وفدائيى صدام ومعهم العرب، واستمرت أعمال السلب والنهب وطالت منازل كبار المسئولين وامتدت إلى الممتلكات الخاصة، فقام أصحاب المتاجر بحماية ممتلكاتهم باستخدام العيارات النارية على كل من يقترب من ممتلكاتهم، وفى نفس اليوم سقطت مدينة كركوك بيد قوات البشمركة الكردية والقوات الأمريكية وأغتالت مجموعة مسلحة عبد المجيد الخوئى بسبب تصريحاته المؤيدة للتدخل العسكرى الأمريكى وكان الاغتيال مدبر من قبل مقتدى الصدر المرجع الشيعى وجماعته[1]

فى يوم الجمعة 11أبريل 2003م (9 صفر 1424هـ) ناشد أئمة المساجد عبر المآذن عن التوقف عن السرقة وإعادة ما نهبوه، فلقيت هذه المناشدة استجابة من قبل معظم الناس، لكن عمليات السلب والنهب لم تتوقف بل امتدت حتى وصلت إلى متحف بغداد الوطنى الذى يحوى على قطع تراثية من العهود السومرية والبابلية والإسلامية، وفى نفس هذا اليوم سقطت أهم مدينة فى الشمال، مدينة الموصل بعد اتفاق بين القوات الأمريكية وقادة الفيلق الخامس للجيش العراق حيث قام قادة الفيلق الخامس بالانسحاب من المدينة وتركها للقوات الكردية والقوات الأمريكية، ولم يكن مصير الموصل أفضل من مصير العاصمة حيث تعرضت هى الأخرى لعمليات السلب والنهب.[2]

وفى يوم السبت 12 ابريل 2003م (10 صفر 1424هـ) تبينت آثار السلب والنهب فى متحف بغداد عندما بكت نائبة المتحف، نبيهة الأمين، عندما فقدت منزلها الثانى وقالت: (نهبوا ودمروا 170 ألف قطعة من معروضات الآثار التى تعود إلى آلاف السنين وتقدر ببلايين الدولارات، وواصلت حديثها بتحميل القوات الأمريكية مسئولية ما

(1) حرب العراق الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبد الله باهبرى، الفصل الخامس: الحرب فى الأيام العشرة الثالثة (الانهيار الخاطف والهزيمة)صفحة 170 - 180.

(2) حرب العراق الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبد الله باهبرى الفصل الخامس: الحرب فى الأيام العشرة الثالثة (الانهيار الخاطف والهزيمة).صفحة 180 - 186.

حدث وقالت: (لو كانت هناك دبابة واحدة وجنديان لما حدث ذلك، وأحمل الأمريكيين المسئولية).

فى الموصل اندلعت اشتباكات بين بعض السكان العرب وقوات البشمركة الكردية التى طالبها السكان بالرحيل عن المدينة وسقط فى هذه الاشتباكات 15 قتيلاً و200 جريحاً، وفى نفس اليوم سلّم المستشار الرئاسى اللواء عامر السعدى نفسه ليكون أول مسئول عراقى يقدم على هذه الخطوة.[1]

فى يوم الأحد 13أبريل 2003م (11 صفر 1424هـ) اتجهت القوات الأمريكية إلى تكريت مسقط رأس صدام حسين، عندها خرج زعماء العشائر بتكريت مطالبين القوات الأمريكية بإيقاف القصف وإمهالهم ثمان وأربعين ساعة لإقناع فدائيى صدام وبقايا الحرس الجمهورى بالاستسلام شريطة ألا يُسمح للمسلحين الأكراد بدخول المدينة، وافقت القوات الأمريكية واكتفت بالسيطرة على المداخل الرئيسية لمدينة تكريت، وفى نفس اليوم تلقت القوات الأمريكية بلاغاً بوجود سبعة أسرى أمريكيين فى منطقة سامراء تركهم حراسهم وقام الأهالى بمساعدتهم حتى استلمتهم القوات الأمريكية ومن بينهم الأسرى الذين عُرضوا على التلفزيون العراقى أيام الحرب يوم الأحد 23 مارس 2003م (20 محرم 1424هـ)، وصحب استلام الأسرى استسلام مدينة سامراء دون مقاومة، ومن جهة أخرى قام اللصوص فى بغداد بإحراق المكتبة الوطنية ببغداد بعد أن نهبوا محتوياتها التى تحوى على وثائق أصلية فريدة، وفى النجف قامت جماعة الصدر التى يرأسها المرجع الشيعى مقتدى الصدر (22 عاماً) بمحاصرة منزل المرجع الشيعى آية الله على السيستانى وآية الله الشيخ على فياض وأمهلوهما مدة قصيرة لمغادرة المدينة، وهذه بوادر فتنة خاصة بعد اغتيال السيد عبد المجيد الخوئى، وأيضاً تسلمت القوات الأمريكية وطبان إبراهيم التكريتى، الأخ غير الشقيق لصدام حسين، بعد أن ألقت القبض عليه مجموعات محلية من شمال غرب الموصل.[2]

---

(1) نفس المرجع السابق، صفحة 186 - 192.

(2) نفس المرجع السابق، صفحة 192 - 198.

فى يوم الاثنين 14أبريل 2003م (12صفر 1424هـ) سقطت مدينة تكريت بعد قصف ليلى عنيف ومقاومة ضعيفة من مؤيدى الرئيس صدام حسين، وبقى معظم الناس فى بيوتهم وخلت الشوارع من السيارات والمارة وأسلم الله المدينة من التخريب والسلب والنهب، وفى هذا اليوم أعلن عن تسليم جعفر الجعفر نفسه للقوات الأمريكية.[1]

فى يوم الثلاثاء 15 أبريل 2003م (13 صفر 1424هـ) اجتمع أفراد المعارضة العراقية بالقرب من الناصرية وأعلنوا أن الحكم فى العراق سيكون فيدرالياً ديمقراطياً ويستند على سيادة القانون، وفى الموصل خرج مشعان الجبورى معلناً نفسه حاكماً جديداً على الموصل ممتدحاً الأمريكيين، فردت الجماهير بكلمات (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وقاموا برجمه بالحجارة وقلبوا سيارته وقاموا بإحراقها فسارع مشعان إلى الهرب إلى داخل المدينة، فأطلقت القوات الأمريكية النار على المتظاهرين وقتلت عشرة منهم وجرحت الكثير، طبعاً هذه الحادثة أثبتت للأمريكيين أن المدينة يجب أن يحكمها رجل من نفس المدينة وليس بتركيبة أمريكية.[2]

فى يوم الاربعاء 16 أبريل 2003م (14 صفر 1424هـ) دخل بغداد 120 من جنود جيش العراق الحر الذى دربتهم القوات الأمريكية الخاصة مرتدى الزى العسكرى وقوبلوا ببرود شديد من قبل السكان المحليين، كما شهدت العاصمة مظاهرة شارك فيها 200 متظاهراً يتقدمها رجال دين شيعة أمام قيادة المارينز فى فندق فلسطين معربين عن رفضهم للوجود الأمريكى فى العراق وحملوا الافتات باللغة الإنجليزية تقول (تسقط أمريكا).[3]

فى يوم الخميس 17 أبريل (15 صفر 1424هـ) وقعت معركة فى شمال بغداد فى منطقة التاجى بين مقاومين عراقيين من النظام السابق والقوات الأمريكية، وانتهت المعركة بهزيمة القوات العراقية وتكبد الطرفان خسائر لم تعلن عنها القوات الأمريكية، وفى المدن الأخرى كان هناك بعض الهجمات من قبل العراقيين مما يوحى أن القوات الأمريكية لم تحكم السيطرة بعد على البلاد.[4]

---

(1) نفس المرجع السابق، صفحة 199 - 206.

(2) نفس المرجع السابق، صفحة 206 - 209.

(3) نفس المرجع السابق، صفحة 210 - 213.

(4) نفس المرجع السابق،صفحة 213 - 217.

فى يوم الجمعة 18 أبريل 2003م (16 صفر 1424هـ) توجه عشرات الآلاف من السنة والشيعة إلى جامع أبى حنيفة لحضور خطبة الجمعة التى سيلقيها الشيخ أحمد الكبيسي_ الذى عاد من دولة الإمارات_ ودعا فى الخطبة إلى نبذ الخلافات الطائفية والتمسك بالوحدة الوطنية كما دعا القوات الأمريكية إلى الخروج من العراق، وبعد الصلاة خرج الآلاف فى مظاهرة ورددوا هتافات معادية للولايات المتحدة (لا أمريكا ولا صدام نعم نعم للإسلام)، (لا سنية ولا شيعة.. إسلامية..إسلامية)، (إخوة سنة وشيعة هذا الوطن ما نبيعه) من جهة أخرى ألقى القبض على سمير عبد العزيز نجم عضو القيادة القطرية لحزب البعث العراقى.[1]

بعد مضى شهر كامل من بداية الحرب على العراق نذكر باختصار المدن العراقية التى سقطت:

أم قصر، البصرة، الناصرية، النجف، كربلاء، الكوت، بغداد، كركوك، الموصل، تكريت، سامراء، لكن محافظة الأنبار أكبر محافظات العراق ومعظم أهلها إن يكن كلهم من السنة، ويسودها التدين الإسلامى، وتكثر فيها المساجد ذات المآذن العالية، ولا يوجد بها مراكز اللهو والمجون وشرب الخمر ويتميز أهلها بالكرم والطباع العشائرية، من أهم مدنها الفلوجة والرمادى والمدائن.

بعد ذلك شنت القوات الأمريكية والبريطانية حملات تفتيش ومداهمات المنازل العراقية، وكل من يُشك فيه فإن القوات الأمريكية أو البريطانية تقوم باعتقاله أمام أفراد عائلته ويُغطى رأسه بالكامل بكيس حتى لا يتمكن من الرؤية ويتم إرساله إلى المعتقلين العراقيين فى أحد السجون.

فى يوم الاثنين 21 أبريل 2003م (19 صفر 1424هـ) وصل الجنرال الأمريكى المتقاعد جاى جارنر مع تسعة عشر من معاونيه إلى بغداد، وأول ما قام به هو طمأنة القوى السياسة العراقية بأن الولايات المتحدة ترغب فى إقامة حكومة ديمقراطية فى العراق.

(1) نفس المرجع السابق، صفحة 217 -221.

رأى الشعب العراقى أن القوات الأمريكية جاءت لاحتلال العراق لا لتحريره فعندها سادت الشوارع العراقية مظاهرات غاضبة تندد بالاحتلال وبالمعارضة العراقية ووصفوا المعارضة العراقية بأنها جاءت بصحبة القوات الأمريكية، ومما زاد الطين بلة عندما انتشرت أخبار أحمد الجلبى زعيم المؤتمر الوطنى العراقى بأنه زار إسرائيل سراً وأنه ينوى الاعتراف بإسرائيل وإقامة علاقة معها إذا وصل إلى تولى الحكم فى العراق.[1]

فى يوم السبت 26 أبريل 2003م (24صفر 1424هـ) وقع انفجار فى مستودع ذخيرة فى حى الزعفرانية ببغداد أثناء محاولة الجنود الأمريكيين، مما أسفر عن مقتل العشرات من العراقيين بينهم سيدات وأطفال وإصابة بعض الجنود الأمريكيين مع وقوع هذه الحادثة تفجر الغضب لدى سكان الحى مما اضطرهم إلى إطلاق النار على الجنود الأمريكيين فسارعت القوات الأمريكية بالمغادرة.

فى يوم الأحد 27 أبريل 2003م (25 صفر 1424هـ) تعرضت القوات الأمريكية لكمين فى بغداد أسفر عن إصابة أربعة منهم إصابات بليغة، وفى تكريت قُتل جندى أمريكى وجُرح آخر من المشاة البحرية بعد أن تعرضا لإطلاق نار من جهة مجهولة، من جهة أخرى ما إن أسدل الليل ظلامه إلا ويتعرض مطار بغداد لحريق مفاجئ لم يتم إخماده إلا فى صباح اليوم التالى.[2]

فى يوم الاثنين 28 أبريل 2003م (26 صفر 1424هـ) تعرضت القوات الأمريكية فى الموصل لإطلاق نيران كثيفة مما تطلب استدعاء طائرات الأباتشى، وفى بغداد قامت القوات الأمريكية باعتقال محمد حسن الزبيدى بعد أن أعلن نفسه رئيساً للبلدية مدعياً أنه أحد أعضاء المؤتمر الوطنى العراقى الذى يرأسه أحمد الجلبى، بعدها قام جميع أتباعه ومناصريه فى يوم السبت 3 مايو 2003م بالتظاهر أمام مقر القوات الأمريكية فى فندق فلسطين فى بغداد مطالبين بإطلاق صراح محمد الزبيدى.[3]

---

(1) حرب العراق الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل السابع: أيام الحرب الأخيرة (الاضطرابات الأمنية والصراع على مستقبل العراق)صفحة 249 -254.

(2) حرب العراق الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل السابع: أيام الحرب الأخيرة (الاضطرابات الأمنية والصراع على مستقبل العراق)صفحة 266.

(3) حرب العراق الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل السابع: أيام الحرب الأخيرة (الاضطرابات الأمنية والصراع على مستقبل العراق)صفحة 266.

فى يوم الثلاثاء 29 أبريل 2003م (27صفر 1424هـ) شهد هذا اليوم حادثاً مأسوياً عندما أطلق الجنود الأمريكيون فى بلدة الفلوجة النار على مجموعة من المتظاهرين المطالبين برحيل القوات الأمريكية رافعين صور الرئيس المخلوع صدام حسين وأسفر هذا الحادث عن مقتل 15 متظاهراً وجرح نحو 75، وفى اليوم التالى الأربعاء 30 أبريل 2003م (28صفر 1424هـ) عاودت القوات الأمريكية فى الفلوجة إطلاق النار على المتظاهرين المحتجين على أحداث أمس وقتلت 8 عراقيين مما زاد من حدة التوتر ودفع العراقيين إلى مهاجمة مقر قيادة القوات الأمريكية بقنبلتين يدويتين تسبب فى إصابة سبعة من الجنود الأمريكيين الأمر الذى عجل بتدخل عمدة المدينة وقائد القوات الأمريكية لتهدئة النفوس.[1]

فى يوم الجمعة 2 مايو 2003م (1 ربيع الأول) تعرض مطار بغداد لثلاثة انفجارات متتالية، وفى تكريت قامت القوات الأمريكية بمداهمة واعتقال لمجموعة من أعضاء حزب البعث كانوا يخططون للقيام بمقاومة وتم العثور على كمية كبيرة من الأسلحة معهم، وفى نفس اليوم وصل الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش إلى حاملة الطائرات (إبراهام لنكولن) مرتدياً ملابس الطيران البحرى وألقى خطاباً ذكر فيه: (لقد حققنا الكثير من التقدم، وأنا سعيد بهذا التقدم الذى حققناه). ثم تابع خطابه:

(لدينا عمل صعب يتعين إنجازه فى العراق، أو الانتقال من الدكتاتورية إلى الديمقراطية سيستغرق وقتاً،...إننا نطارد ونعثر على قادة النظام السابق الذين سيكونون جميعاً مسئولين عن جرائمهم، بدأنا البحث عن أسلحة كيميائية وبيولوجية ونعرف حتى الآن حوالى مائة موقع ستخضع للتفتيش.... تحرير العراق إنجاز هام جداً فى الحملة ضد الإرهاب لقد قضينا على حليف القاعدة وقطعنا مصدر تمويل إرهابى وبات مؤكداً أنه لن تحصل شبكة إرهابية على أسلحة دمار شامل من النظام العراقى لأن النظام العراقى لم يعد موجوداً)..... واعتبر الرئيس الأمريكى أن معركة العراق مجرد نصر واحد فى الحرب على الإرهاب التى بدأت فى 11 سبتمبر 2001م وما زالت دائرة.[2]

---

(1) نفس المرجع السابق،صفحة 266 - 267.

(2) حرب العراق الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل السابع: أيام الحرب الأخيرة (الاضطرابات الأمنية والصراع على مستقبل العراق)صفحة 274 - 278.

فى يوم السبت 10 مايو 2003م (9ربيع الأول 1424هـ) عاد إلى العراق أبرز رموز المعارضة الشيعية العراقية أية الله محمد باقر الحكيم، رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق، إلى بلده بعد 23 عاماً قضاها فى المنفى (إيران)، توجه إلى البصرة وسط حشد هائل من أنصاره ثم ألقى كلمة: (نريد الاستقلال ولا نريد حكومة مفروضة) وتابع كلامه (نريد حكومة تمثل المسلمين جميعاً شيعة وسنة، وتمثل المسيحيين أيضاً وجميع الطوائف فى العراق ليتمثل جميع أبناء الشعب، وفى نفس اليوم تقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار إلى مجلس الأمن الدولى يهدف إلى رفع العقوبات الاقتصادية عن العراق وإعطاء القوات الأمريكية والبريطانية سلطة الإشراف على الاقتصاد العراقى لمدة عام، واجه مشروع القرار معارضة شديدة من قبل الأوربيين والروس.

المقاومة العراقية وأهم أحداثها

انطلقت المقاومة الشعبية بعد شهرين من سقوط بغداد فى 13 يونيو 2003م وتصاعدت المقاومة مع ازدياد العمليات العسكرية التى يقوم بها الأمريكيون والبريطانيون لتشمل قصفاً عشوائياً طال المدنيين والأطفال والنساء والشيوخ والمساجد والكنائس والمتاحف ومحطات توليد الكهرباء وتحلية المياه والصرف الصحى فنتج عن ذلك ازدياد المقاومة العراقية فى منطقة وسط العراق لتشمل بعقوبة والخالدية وبنى سعد والرمادى والفلوجة وبغداد والإسكندرية والمحمودية والحلة، وفى الجنوب حيث كربلاء والنجف والبصرة وأم القصر.

مع استمرار المقاومة العراقية وارتفاع المعنويات لدى المقاومين، ظهرت جماعات لأول مرة يُسمع بها كانت تتبنى كل عملية ضد القوات الأمريكية والبريطانية وظهر اسم تنظيم القاعدة ببلاد الرافدين وظهر نوع جديد من الأزمات وهى أزمة الرهائن التى كانت تستخدم للضغط على القوات المشاركة ضمن التحالف الدولى، ولا يكاد يمر يوم واحد إلا وتتعرض القوات الأمريكية لعدة عمليات استشهادية إما بسيارات مفخخة أو زرع قنابل موقوتة مما يعنى أن الوضع الأمنى فى العراق غير مسيطر عليه، سنذكر باختصار أماكن المقاومة وأهم أحداثها:

أماكن المقاومة:

- مدينة الفلوجة والرمادى بمحافظة الأنبار ذات الطباع الدينى والعشائرى، أظهرت المقاومة علناً وافتخرت بها ومن أشهر المقاومين نور الدين الزوبعى.
- مدينة سامراء مدينة الخليفة العباسى المعتصم بالله بمحافظة صلاح الدين.
- مدينة بعقوبة (مدينة البرتقال) ومدينة المقدادية (مدينة الرمان) بمحافظة ديالى، وجد المقاومون فيها متعة لسهولة التخفى وسط الأشجار العالية التى لا تستطيع أن تكتشفهم الطائرات الأمريكية.
- فى الجنوب حيث كربلاء والنجف والبصرة وأم القصر.[1]

أهم أحداث المقاومة:

- فى 10 يونيو (حزيران) 2003م حدث تفجير فى مركز الشرطة بالفلوجة أسفر عن مقتل الكثير من الأمريكيين والعراقيين، وساد هذا الشهر مقاومة عراقية لم تتوقف ولا ليوم واحد تنوعت فيها سبل المقاومة إما بإطلاق نار أو هجوم فدائى بسيارة مفخخة أو كمية أو زرع قنابل موقوتة.
- فى شهر يوليو (تموز) 2003م، ساد مدينة كربلاء أعمال شغب قام بها أنصار الصدر بتأنيب من المرجع الشيعى مقتدى الصدر من مدينة الصدر فى بغداد ضد جنود البحرية الأمريكية، ومع انتفاضة كربلاء انتفضت مدينة النجف أيضاً، فصارت القوات الأمريكية تواجه مقاومة سنية فى الفلوجة وانتفاضة شيعية فى كربلاء والنجف.[2]
- فى شهر أغسطس (آب) 2003م.

---

(1) قصة سقوط بغداد، الحقيقة بالوثائق لأحمد منصور، فصل: المقاومة جحيم القوات الأمريكية فى العراق، المقاومة جحيم القوات الأمريكية فى العراق صفحة 137 - 140.

(2) عراق المستقبل لـ: ليام أندرس وغاريث ستانسفيلد، الفصل الثامن: أزمة الديمقراطية صفحة 343.

- فى الأول كانت معركة الفلوجة التى استمرت 90 دقيقة أسفر عنها تدمير الكثير من الآليات العسكرية وسقوط القتلى من الأمريكيين والشهداء من المقاومين.[1]

- فى منتصف أغسطس امتدت أعمال الشغب التى كان يقف المرجع الشيعى مقتدى الصدر وراءها إلى البصرة وشرق بغداد والكوفة وسامراء.[2]

- فى خريف 2003م، أعلن مقتدى الصدر عن تشكيل ميلشياته الخاصة التى سمها جيش المهدى التى تقدر بعشرات الآلاف.[3]

- اشتدت المقاومة من المثلث السنى ضد القوات الأمريكية طوال شهرى أكتوبر (تشرين الأول) ونوفمبر (تشرين الثانى) 2003م وارتفع العنف ضد القوات الأمريكية حيث أعلن عن مقتل أكثر من أربعين جندى أمريكى فى الأيام العشرة الأولى من نوفمبر، مع استمرار المقاومة العراقية واصلت القوات الأمريكية قمع المقاومة بالقصف العشوائى ولكن المقاومة لم تتوقف.[4]

- بعدها رأت المقاومة أن الهدف من شن الحرب هو السيطرة على النفط العراقى، فبدأت تركز هجماتها على أنابيب النفط التى ما إن تنتهى الشركات المساهمة من إمداد أنابيب النفط من وسط وشمال العراق إلا وتفاجأ بأن هذه الأنابيب قد تمّ تفجيرها وإضرام النيران فيها، عمد المقاومون إلى أنابيب النفط لأنها تعتبر أهداف سهلة جداً ولأن النفط هو سبب مجئ القوات الأمريكية وهو ما تصبو إليه الإدارة الأمريكية، فرأت المقاومة أنها إذا منعت الإدارة الأمريكية من الاستفادة من النفط، فإنها ستحقق انتصاراً بتدمير الأنابيب وإحراق آبار النفط.

---

(1) قصة سقوط بغداد، الحقيقة بالوثائق لأحمد منصور، فصل: المقاومة جحيم القوات الأمريكية فى العراق، المقاومة جحيم القوات الأمريكية فى العراق صفحة 136.

(2) عراق المستقبل لـ: ليام أندرس وغاريث ستانسفيلد، الفصل الثامن: أزمة الديمقراطية صفحة 343.

(3) عراق المستقبل لـ: ليام أندرس وغاريث ستانسفيلد، الفصل الثامن: أزمة الديمقراطية صفحة 343.

(4) نفس المرجع السابق.

مصرع عدى وقصى نجلى الرئيس السابق صدام حسين

استمرت القوات الأمريكية فى البحث عن الرئيس المخلوع صدام حسين ونجليه عدى وقصى، حتى كانت المفاجأة فى يوم الثلاثاء 22 يوليو 2003م (22جمادى الأولى 1424هـ) عندما قامت القوات الأمريكية بمحاصرة منزل نواف محمد الزيدان فى الموصل لوجود عدى وقصى نجلى الرئيس السابق صدام حسين داخل المنزل، وقامت القوات الأمريكية بمطالبة عدى وقصى عن طريق مكبرات الصوت بتسليم نفسيهما ولكنهما أبيا الاستسلام وأصرا على المقاومة ودارت المعركة التى استغرقت ست ساعات مما أجبر القوات الأمريكية على استخدام الأسلحة الثقيلة وتدمير المنزل مما أدى إلى مقتل عدى وقصى ومصطفى ابن قصى بعد مقاومة شرسة أحرجت القوات الأمريكية.[1]

* من أوشى بعدى وقصى ودلّ القوات الأمريكية عليهما ليقبض الجائزة 30 مليون دولار أمريكى؟

هناك قولان:

1. نواف محمد الزيدان صاحب المنزل هو من أوشى بعدى وقصى طمعاً فى المكافأة، حيث ضمن حياته وحياة عائلته.[2]

2. أن الواشى لم يكن صاحب المنزل نواف محمد الزيدان، وإنما الواشى كان أحد الجيران الذى لاحظ تغير عادات نواف محمد الزيدان وطلبه الكثير من الطعام فقام بإخبار القوات الأمريكية، بعدها قامت القوات الأمريكية باعتقال نواف محمد الزيدان وابنه الصغير فى منزل مجاور حيث قام أحد الضباط الأمريكيين بضرب ابنه بكعب المسدس بعنف وآخر يصوب فوهة رشاشه نحو الطفل، عندها انهار الأب نواف الزيدان وأخبر الأمريكيين بوجود عدى وقصى فى منزله ومعهما ابن قصى مصطفى وأحد رجال

---

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ باهبرى الفصل الثانى عشر: نهاية صدام حسين وابنيه، صفحة 357 – 358.

(2) نفس المرجع السابق.

الحماية الخاصة، سيطرت الدهشة على الأمريكيين الذين لم يصدقوا وجود هذا الصيد الثمين.[1]

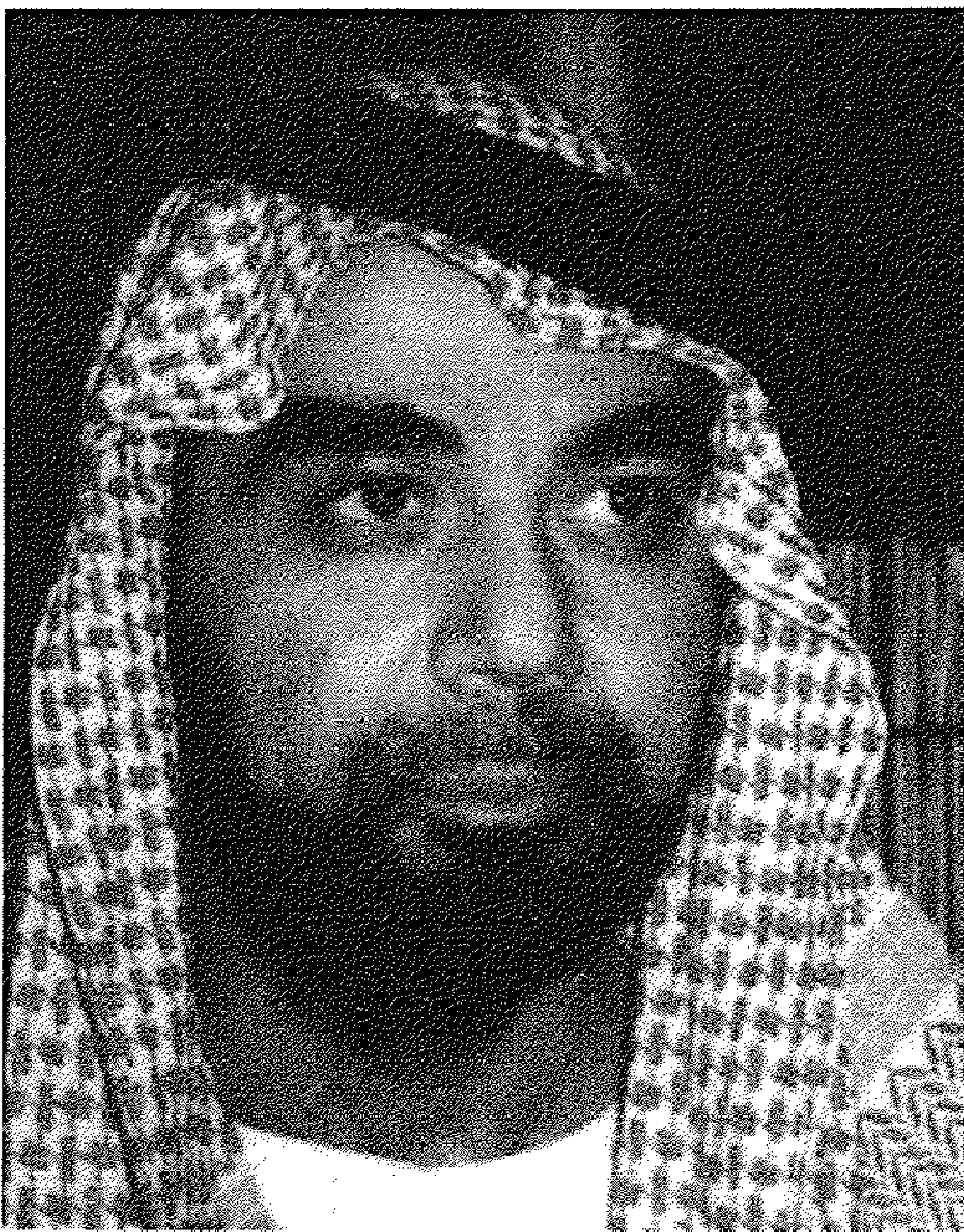
لقي نجلا صدام حسين الرئيس السابق للعراق مصرعهما فى يوم الثلاثاء 22 يوليو 2003م (22جمادى الأولى 1424هـ)

_ قصى صدام حسين: النجل الأصغر لصدام حسين وقائد الحرس الجمهورى وجهاز الأمن الخاص المكلف بحماية الرئيس صدام.

_ عدى صدام حسين: النجل الأكبر لصدام حسين ورئيس اللجنة الأولمبية العراقية ونقيب الصحفيين ورئيس تحرير أربعة من الصحف المحلية وصحيفة بابل اليومية ومدير تلفزيون الشباب.

بعد مقتل نجلى الرئيس السابق ساد الشارع العراقى موجة غضب والكثير منهم امتدح موقف المقاومة البطولى الذى قاما به والقليل فرح بهذا الخبر والكثير ساده الصمت، ولنا أن نعجب كل العجب بالرغم من أن سيرة عدى وقصى مع الشعب العراقى كانت سيرة سيئة للغاية لكن الشعب العراقى لم يكن راضياً بمقتلهما وطالبوا القوات الأمريكية بتسليم جثتيهما لتدفن الدفن الذى يليق بهما.

(1) قصة سقوط بغداد، الحقيقة بالوثائق لأحمد منصور، فصل: بغداد، ليلة مقتل عدى وقصى.






عدي وقصي نجلي صدام حسين

من سيرة عدى السيئة أنه كان مولعاً بالمجون وشرب الخمر فى مراكز اللهو وكان يتفاخر بعلاقاته الجنسية المحرمة واغتصابه للنساء البكارى، سأذكر قصتين لعدى من أغرب القصص:

بائعة الورد

كان هناك فتاة وأمها عند مدخل فندق الرشيد تبيعان الورد لزائرى الفندق، وكان عدي يقف فى شرفة الفندق وهو فى غاية السكر فرأى الفتاة وأمها، فأمر حراسه بالقبض على الفتاة وأمها وقام بإدخال الفتاة إلى غرفته الخاصة وهناك قام باغتصابها ثم تركها لحراسه ليكملوا فعلتهم الشنيعة وأمام هذا المنظر كانت نهاية الأم، وبعد أسبوع وُجدت جثة الفتاة على قارعة طريق من طرق بغداد.[1]

مأساة زوجين

بعد رجوع عدى من رحلة صيد فى طريقه بسيارته رأى رجل يمشى فى الشارع مع زوجته، فأشار إلى حراسه بإشارته المعروفة لديهم بأنه يريد زوجة الرجل فقام الحراس باعتقال المرأة أمام زوجها، حاول زوجها منعهم وقاومهم ولكنهم ردوا عليه بالضرب والركل، تمنعت المرأة من ركوب السيارة ولكن لا فائدة. فعندما أمر عدى حراسه سحب الرجل وزوجته إلى صالة الفندق، وهناك قام الحراس بضرب زوجها حتى فارق الحياة، ثم أكمل عدى مسلسله فقام باغتصاب المرأة رغماً عنها ثم بعد أن انتهى أمر حراسه بقتلها فقاموا بقتلها فى الحال، هذه مجرد قصتين وإلا فهناك المزيد من القصص التى يشيب لها الرأس.[2]

اعتقال الرئيس المخلوع صدام حسين

واصلت القوات الأمريكية البحث للقبض على الرئيس المخلوع صدام حسين الذى كان يرسل رسائل صوتية عبر القنوات العربية الفضائية وفجأة فى يوم الأحد 14 ديسمبر

(1) صدام حسين الحياة السرية له وفضائحه لشادى فقيه، تقديم د. حسن سلمان، صفحة 173 -174.

(2) صدام حسين الحياة السرية له وفضائحه لشادى فقيه، تقديم د. حسن سلمان، صفحة 171 -172.

2003م (20 شوال 1424هـ) أعلنت القيادة الأمريكية فى العراق خبر اعتقال صدام حسين فى منطقة تكريت، مسقط رأسه، بالقرب من منطقة الدور مختبئاً فى حفرة بالقرب من منزل طينى فى إحدى المزارع، ونقلت جميع القنوات الفضائية خبر اعتقال صدام حسين فى خبر مفاجئ لم يتوقعه أحد.[1]

قصة اعتقال الرئيس السابق صدام حسين:

كثرت وترددت الروايات عن كيفية اعتقال صدام حسين وسأذكر القصة التى هى أقرب للحقيقة ومعها البراهين على صحتها.. كانت القوات الأمريكية تراقب المخابئ السرية لصدام فى القصور الرئاسية لأنها توقعت أن صدام حسين سيضطر للعودة إليها، ولكن صدام لم يفكر فى العودة إليها، فعندها بحث الجنرال (آروس بيكومان) ضرورة البحث عن المخابئ داخل وحول تكريت لأن تكريت يسكنها أقارب صدام والذين يثق فى الاختفاء عندهم، فعندها بدأت القوات الأمريكية فى تنفيذ خطة اعتقال أقارب صدام والحرس المنتمين إلى تكريت، وكانت تمارس مع المقبوض جميع وسائل الضغوط النفسية والتعذيب من أجل الاعتراف بمكان صدام ومن آثار التعذيب أبدى خمسة أشخاص التعاون مع القوات الأمريكية وكان من بين هؤلاء الأشخاص رجل من أقارب صدام، ابن خاله، وكان والده، خال صدام حسين، مريضاً فأتى صدام لزيارته وقام بإعطاء ابن خاله 5000 دولار لاستكمال علاج أبيه، وتحت التعذيب النفسى والبدنى اعترف ابن خال صدام بالمكان الذى تقابلا فيه وأعطاه الخمسة ألاف دولار، بعدها قامت القوات الأمريكية بتطويق المكان وبالتفتيش الدقيق الذى استمر لمدة أسبوع دون أن يسفر عن شيء، وفى اليوم الثامن تم القبض على رجل فى المنطقة المشتبه بها وتحت الضغط والتعذيب اعترف الرجل أنه أحد الحرس الخاص لصدام وأخبرهم بمكان مخبأ صدام حسين الذى جلست تراقبه القوات الأمريكية، وفجأة رأت القوات الأمريكية ثلاثة أشخاص يدخلون إلى مخبأ سرى قرب أحد المنازل فى إحدى المزارع، كان الرجل المقبوض عليه مكلف من قبل صدام بإحضار طعام له، فقامت القوات الأمريكية بإحضار طعام وحقنت داخله مواد

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ باهبرى الفصل الثانى عشر: نهاية صدام حسين وابنيه صفحة 358 -362.

مخدرة تسبب النوم العميق وأجبرت الرجل على تقديمه لصدام وحراسه، ذهب الرجل وأعطى الطعام للثلاثة الأشخاص المختبئين وتأتى بعد ذلك القوات الأمريكية لتبحث فى المخبأ السرى وهى عبارة عن حفرة فى الأرض تؤدى إلى غرفة تحت الأرض، لتجد الرئيس العراقى المخلوع صدام حسين ومعه اثنين من حراسه فى سبات عميق جرى التكتم عن الخبر وأخبر بول بريمر بالأمر، كانت هذه الحادثة فى أكتوبر 2003م وليس فى سبتمبر كما أعلنت القيادة الأمريكية.(1)



الرئيس المخلوع صدام حسين اثناء لحظة اعتقاله

بعد اعتقال صدام تم إبلاغ رامسفيلد الذى أبلغ الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش على الفور، كان الخبر مذهلاً للغاية، بعدها تم الاتفاق على أن يقوم بريمر وبعض

(1) الحياة السرية لصدام حسين من القصور إلى الجحور لأنيس الدغيدى فصل: مفاجأة خطيرة تكشف القصة الحقيقية لاعتقال صدام حسين، صفحة 305 - 312.

القادة العسكريين باصطحاب صدام إلى واشنطن وعدم الإعلان نهائياً عن عملية القبض، بل إن التصريحات أعلنت أن القبض على صدام فى غاية الصعوبة وصرحوا أن البحث عن صدام كالبحث عن إبره وسط كومة من القش.

وصلت الطائرة التى تنقل بريمر وصدام إلى واشنطن ثم تم اصطحاب صدام بسرية بالغة إلى مكان ما فى العاصمة الأمريكية وهناك اقترح رمسفيلد أن يعرض صدام حسين أمام وسائل الإعلام فى حديقة البيت الأبيض فى قفص حديدى وأيدت ذلك مستشارة الأمن القومى كوندليزا رايز، لكن وزير الخارجية، كولون باول، ومعه باول بريمر عارضا هذا الاقتراح بشدة وأعرب أن هذا المشهد لن يقبله العراقيون أنفسهم بل حتى أعداء صدام سيرفضونه وستعتبره الدول العربية إهانة لها.

أثناء بقاء صدام فى واشنطن حاول المحققون إقناعه بأن يقر بأنه كان يملك أسلحة دمار شامل وأنه تخلص منها قبل الحملة الأمريكية على العراق، وستوفر له الإدارة الأمريكية ما يريد، لكن صدام كان يسخر كثيراً من هذه الادعاءات ويقول: لن أجعل بوش يهنأ بانتصار وهمى، لن أبيع بلدى العراق حتى ولو وقفت وحيداً، وحتى لو خاننى كل الرفاق والأصدقاء، بل وحتى لو أعلن الشعب العراقى كله التبرئة منى.(1)

بعد حوالى شهر تقريباً أعادوا صدام إلى العراق مجدداً، وقبل يومين من إعلان الاعتقال فى 12 ديسمبر 2003م (18 شوال 1424هـ) تحدث أحد المسئولين الكبار لرامسفيلد أن القوات الأمريكية بدأت تضيق الخناق على صدام حسين، وأنهم بدءوا باعتقال المصادر التى كانت قريبة من صدام نفسه، بعدها بيومين فى 14 ديسمبر 2003م (20 شوال 1424هـ) أعلنت القيادة الأمريكية على لسان باول بريمر نبأ اعتقال صدام حسين ليظهر على الشاشة مطيل لحيته ويقوم طبيب بفحص شعره ويأخذ عينه من فمه لفحص الحمض النووى.

- براهين تثبت مدى صحة هذه القصة:

* البلح الأصفر فى الصورة التى التقطتها القوات الأمريكية للمنزل والحديقة والأماكن المجاورة حيث إن البلح الأصفر لا يظهر إلا فى الفترة من يوليو إلى أكتوبر، والقيادة الأمريكية

(1) الحياة السرية لصدام حسين من القصور إلى الحجور لأنيس الدغيدى فصل: مفاجأة خطيرة تكشف القصة الحقيقية لاعتقال صدام حسين، صفحة 313 - 316.

أعلنت الاعتقال فى 14 ديسمبر حيث لا يكون هناك بلح أصفر فى شهر ديسمبر فهذا يدل على أن اعتقال صدام كان على الأرجح فى شهر أكتوبر.

* انتشار الشعر الأبيض فى لحية صدام واختفائه فى شعر رأسه، فهذا يدل على قيام الأمريكيون بصبغ شعر رأسه باللون الأسود، فهنا تساءل الناس عن معنى وجود شعر رأسه بلا شيب بينما شعر لحيته يبدو الشيب فيه واضحاً.

* تصريحات أحد كبار مسئولين رامسفيلد قبل يومين من اعتقال صدام بأن القوات الأمريكية ضيقت الخناق على صدام وأنها على وشك القبض عليه.(1)

القصة الأخرى التى عُرفت بخطة الفجر الأحمر:

فى يوم السبت 13 ديسمبر 2003م (19 شوال 1424هـ) الساعة10،50صباحاً بتوقيت بغداد حصلت الاستخبارات الأمريكية على معلومات عن صدام أنه مختفى فى إحدى مزرعتين فى قرية الدورة، بعدها وبسرعة قامت فرقة المشاة الرابعة بتنفيذ خطة الفجر الأحمر لاقتحام المزرعتين، وحسب قول المسئولين الأمريكيين فإنها كانت بصحبة أحد أقرباء صدام، وفى الساعة 8،26 مساءً بتوقيت بغداد عثر الجنود على شق فى الأرض أوصلهم إلى باب والباب يوصل إلى غرفة تحت الأرض وعندما قام الجنود الأمريكيون بفتح الباب وجدوا رجلاً كثيف اللحية، مستلقياً على ظهره هتف قائلاً: (لا تطلق النار، إننى صدام حسين، رئيس جمهورية العراق)، ووصفوه بأنه كان مستسلماً لمصيره خنوعاً، حائراً ومذهولاً، وقد تم اعتقال رجلين معه كانا يقومان بحراسته، وعثرت القوات الأمريكية على بندقية ومسدس ومبلغ 750 ألف دولار أمريكى، بعدها نُقل صدام بطائرة مروحية إلى مكان غير معلوم حيث أجريت له الفحوصات الطبية، وفى اليوم التالى الأحد 14 ديسمبر 2003م (20شوال 1424هـ) الساعة الثالثة مساءً بتوقيت بغداد عقد الجنرال باول بريمر مؤتمر صحفياً أعلن فيه نبأ اعتقال صدام حسين وقامت شاشة الفيديو بعرض صور صدام أثناء قيام الطبيب بفحصه وعرض لصور المكان الذى تم القبض عليه والمنزل الطينى الذى كان بجوار الحفرة.(2)

(1) الحياة السرية لصدام حسين من القصور إلى الحجور لأنيس الدغيدى فصل: مفاجأة خطيرة تكشف القصة الحقيقية لاعتقال صدام حسين صفحة 316 - 318.

(2) الحياة السرية لصدام حسين من القصور إلى الحجور لأنيس الدغيدى فصل: كيف قبضنا على صدام؟ رواية جديدة لاعتقاله..... وماذا بعد؟ صفحة 290 - 296.

رواية أخرى:

أن الاستخبارات الأمريكية عمدت إلى الاستعانة بتاجر كردى قام ببيع الجهاز المحمول بأسعار رخيصة فى تكريت وسامراء وبيجى والدور، وأن معظم هذه الأجهزة اشتراها أقارب صدام ووصل هذا الجهاز إلى يد صدام وهو لا يعلم أن كل الأجهزة مزودة بكود سرى يتيح للاستخبارات الأمريكية التصنت، وعن طريق التصنت المستمر تم استكشاف مخبأ صدام حسين من قبل الاستخبارات الأمريكية التى بادرت إلى تطويقه واعتقال صدام بسرعة.(1)

هذه هى نهاية هذا الرئيس المخلوع الذى حكم لمدة حوالى ربع قرن أرهب شعبه وحكم دولته بالحديد والنار، شرّد جيرانه وجّوع شعبه وتفنن فى بناء قصوره ومأكله ومشربه وترك شعبه يموت جوعاً، جمع الأموال الطائلة التى لو أنفقها على شعبه وجنده لما كانت نهايته بهذه الطريقة المخزية، سمع بمصرع نجليه فكاد أن يموت كمداً وحزناً ولم يفكر فى الأمهات اللاتى فقدن أبناءهن بسبب محكمته الجائرة ومحاكمه السريعة التى تنفذ حكم الإعدام فى الرجل أو المرأة بسبب شك بسيط أو معلومات غير دقيقة وصلت للنظام عن طريق أشخاص يودون التقرب للنظام أو التخلص من منافسيهم، كانت هذه عقوبته التى عجل الله له بها الدنيا قبل الآخرة ليراه الشعب العراقى ذليلاً أمام شاشات التلفزيون، هذا الحاكم الذى أرهبهم ونغَّص معيشتهم طوال تلك الفترة تكون نهايته بهذا الشكل، وهذه بعضٌ من أغرب قصصه.

اعترف حتى ولو كنت مظلوماً

إذا اتهم شخص بقضية فإنه يخضع لجميع وسائل التعذيب ليعترف وإذا أصّر على عدم الاعتراف، فإن النظام يلجأ إلى اعتقال أسرته ويبدأ بتعذيب أسرته أمام عينيه، وإذا أكمل إصراره على عدم الاعتراف فإن المحققين يبدءون بتنفيذ أشد عقوبة وهى اغتصاب زوجته وبناته أمام عينى الرجل، فعندما ينهار الرجل ويعترف ولو كان مظلوماً ليلقى عقوبة الإعدام أمامه.

(1) حرب العراق، الحقائق والأوهام لعميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبرى الفصل الثانى عشر: نهاية صدام حسين وابنيه، صفحة 360.

سجن أم تنكيل أم ارتكاب للجرائم؟!

كان للرئيس صدام زيارات لسجن النساء وإذا رأى امرأة أعجبته فإنه يأمر حراسه بجلبها إلى غرفة خاصة فى السجن وهناك يقوم باغتصابها وغالباً ما يحملن النساء منه أو من حرسه الخاص وبعد ولادتها إذا أنجبت ولداً أمر السجانين بصب الماء الحار على الطفل حتى يموت أمام عينى أمه، أما إذا كان المولود أنثى، فتؤمر الأم بتربية الطفلة.(1)

المعلمة المظلومة

هذه المعلمة تبلغ من العمر عشرين سنة وتعمل فى إحدى المدارس بالبصرة، وخلال زيارة لصدام للبصرة رأها فأعجب بها، فطلب حضورها فى المرة الأولى فرفضت لأنها عرفت ماذا ينوى فعله؟ فاتهمها صدام وجنوده بالخيانة ورفض أوامر الرئيس فقاموا باعتقالها لتلقى عقابها، أدخلوها القصر فقام الرئيس صدام باغتصابها ثم أمر جنوده بقتلها فقاموا بقتلها وبرروا سبب قتلها هى خيانة الرئيس وعدم إطاعة أوامره.(2)

استمرار الاعتقالات فى صفوف أعضاء النظام السابق

قائمة الخمسة والخمسين مطلوباً:

1. صدام حسين المجيد التكريتى، الرئيس السابق للعراق، اعتقل فى 13 ديسمبر 2003م.
2. قصى صدام حسين، النجل الأصغر لصدام وقائد الحرس الجمهورى وجهاز الأمن الخاص المكلف بحماية الرئيس، قتل فى 22يوليو 2003م.
3. عدى صدام حسين، النجل الأكبر لصدام حسين ورئيس اللجنة الأولمبية العراقية ونقيب الصحفيين ورئيس تحرير أربعة من الصحف الأسبوعية وصحيفة بابل اليومية ومدير تلفزيون الشباب، قتل فى 22 يوليو 2003م.
4. عبد الحميد حمود التكريتى (عبد حمود)، سكرتير صدام حسين، اعتقل فى 16 يونيو 2003م.

---

(1) صدام حسين، الحياة السرية وفضائحه لشادى فقيه، تقديم د. حسن سلمان، صفحة 121 -122.
(2) نفس المرجع السابق، صفحة 116 -117.

5. علی حسن المجید (علی الکیماوی)، مستشار صدام وابن عمه، اعتقل فی 21أغسطس 2003م.

6. عزت إبراهیم الدوری، نائب رئیس مجلس قیادة الثورة.

7. هانی عبد اللطیف طلفاح، مدیر القوات الخاصة وابن خال صدام

8. عزت صالح النعمان، مسئول مکتب الحزب لغرب بغداد (الکرخ) اعتقل فی 22مایو 2003م.

9. محمد حمزة قیطان الزبیدی، عضو سابق فی مجلس قیادة الثورة والنائب السابق لرئیس الوزراء، اعتقل فی 20 أبریل 2003م.

10. کمال مصطفی عبدالله سلطان التکریتی، أمین عام الحرس الجمهوری، اعتقل فی 17 مایو 2003م.

11. برزان عبد الغفور سلیمان مجید، قائد القوات الخاصة للحرس الجمهوری، اعتقل فی 23 مایو 2003م.

12. مزاحم صعب حسن التکریتی، قائد الدفاع الجوی، اعتقل فی 23أبریل 2003م.

13. إبراهیم أحمد عبد الستار محمد، رئیس هیئة أرکان الجیش، اعتقل فی 15 مایو 2003م.

14. سیف الدین فلیح حسن طه الراوی، رئیس هیئة أرکان قوات الحرس الجمهوری.

15. رفیق عبد اللطیف طلفاح، مدیر جهاز الأمن العام وابن خال صدام.

16. طاهر جلیل حبوش التکریتی، مدیر جهاز المخابرات العامة،

17. حامد رجا شلاح التکریتی، قائد سلاح الجو، اعتقل فی 14 یونیو 2003م.

18. لطیف نصیف جاسم، نائب رئیس المکتب العسکری لحزب البعث ووزیر الثقافة والأعلام السابق، اعتقل فی 9 یونیو 2003م.

19. عبد التواب الملا حويش، نائب رئيس الوزراء ووزير التصنع العسكرى، اعتقل فى2 مايو 2003م.

20. طه ياسين رمضان الجزراوى، نائب رئيس الجمهورية، اعتقله مقاتلون أكراد فى الموصل فى 18 أغسطس 2003م.

21. روكان أرزقى عبد العفار سليمان المجيد، رئيس مكتب الشئون العشائرية،

22. جمال مصطفى عبدالله سلطان التكريتى، مسئول مساعد فى مكتب الأعمال العشائرى وصهر صدام حسين (زوج ابنة صدام الصغرى حلا)، اعتقل فى 20أبريل 2003م.

23. مزبان خضر هادى، عضو مجلس قيادة الثورة، اعتقل فى 9 يوليو 2003م.

24. طه محى الدين معروف، نائب رئيس الجمهورية، اعتقل فى 2 مايو 2003م.

25. طارق حنا مخائيل عزيز، نائب رئيس الوزراء وعضو مجلس قيادة الثورة، استسلم فى 24 أبريل 2003م.

26. وليد حميد توفيق التكريتى، محافظ البصرة، استسلم فى 29 أبريل 2003م.

27. سلطان هاشم أحمد، وزير الدفاع، استسلم فى 19 سبتمبر 2003م.

28. حكمت مزبان إبراهيم العزاوى، نائب رئيس الوزراء ووزير المالية، اعتقل فى 18 أبريل 2003م.

29. محمود دياب الأحمد، وزير الداخلية ووزير الرى سابقاً، استسلم فى 8 أغسطس 2003م.

30. إياد فتيح خليفة الراوى، رئيس أركان قوات القدس، اعتقل فى 4 يونيو 2003م.

31. زهير طالب عبد الستار النقيب، مدير الاستخبارات العسكرية، اعتقل فى 23 أبريل 2003م.

32. عامر حمودي حسن السعدي، مستشار ديوان الرئاسة للشئون العلمية، استسلم في 12 أبريل 2003م.

33. عامر محمد رشيد العبيدي، وزير النفط، اعتقل في 28أبريل 2003م.

34. حسام محمد أمين الياسين، مدير دائرة الرقابة الوطنية، اعتقل في 27 أبريل 2003م.

35. محمد مهدي الصالح، وزير التجارة، اعتقل في 23 أبريل 2003م.

36. سبعاوي إبراهيم الحسن، مستشار في ديوان الرئاسة، الأخ غير الشقيق لصدام.

37. وطبان إبراهيم الحسن، مستشار في ديوان الرئاسة، الأخ غير الشقيق لصدام، اعتقل في 13 أبريل 2003م.

38. برزان إبراهيم الحسن، مستشار في ديوان الرئاسة، الأخ غير الشقيق لصدام، اعتقل في 19أبريل 2003م.

39. هدى صالح مهدي عماش، عالمه خبيرة في أسلحة الدمار الشامل وعضو في القيادة القطرية لحزب البعث، اعتقلت في 9مايو 2003م، عُرفت باسم الدكتورة أنثراكس (الجمرة الخبيثة) أو باسم سالي الكيماوية، وكان أبوها صالح مهدي عماش عضو في مجلس قيادة الثورة إلى أن تخلص منه صدام حسين.

40. عبد الباقي عبد الكريم عبدالله سعدون، مسئول مكتب حزب البعث الحاكم في محافظة ديالي.

41. محمد زمام عبد الرزاق السعدون، مسئول مكتب حزب البعث الحاكم في محافظة التأميم، اعتقل في بواسطة الشرطة العراقية في 15 فبراير 2004م.

42. سمير عبد العزيز النجم، مسئول عن قيادة حزب البعث في شرق بغداد (الرصافة)، اعتقل في 17 أبريل 2003م.

43. همام عبد الخالق عبد الغفور، وزير التعليم العالي والبحث العلمي، اعتقل في 19 أبريل 2003م.

44. يحيى عبدالله العبيدى، مسئول مكتب حزب البعث فى محافظة البصرة.

45. سعيد عبد المجيد الفيصل، مسئول مكتب حزب البعث فى محافظة صلاح الدين (تكريت)، اعتقل فى 24 مايو 2003م.

46. سيف الدين المشهدانى، مسئول مكتب الحزب فى محافظة المثنى (السماوة)، اعتقل فى 24 مايو 2003م.

47. فاضل محمود غريب: مسئول مكتب حزب البعث فى محافظة بابل (الحلة) اعتقل فى مايو 2003م.

48. محسن خضر الخفاجى، مسئول حزب البعث فى محافظة القيادسية، اعتقل فى 10 فبراير 2004م.

49. رشيد طعان كاظم، مسئول حزب البعث فى محافظة الأنبار (الرمادى).

50. عقلة عابد صقر الكبيسى، مسئول مكتب الحزب فى محافظة ميسان (العمارة)، اعتقل فى 20 مايو 2003م.

51. غازى حمود العبيدى، مسئول مكتب حزب البعث فى محافظة الكوت، اعتقل فى 7 مايو 2003م.

52. عادل عبدالله مهدى، مسئول مكتب حزب البعث فى محافظة ذى قار (الناصرية)، اعتقل فى 15 مايو 2003م.

53. حسين العوادى، مسئول مكتب حزب البعث فى نينوى، اعتقل فى 9يونيو 2003م.

54. خميس سرحان المحمد، مسئول حزب البعث فى كربلاء، اعتقل فى 14يناير 2004م.

55. نايف شنداخ ثامر، المسئول السابق لحزب البعث فى محافظة صلاح الدين (تكريت).

هؤلاء هم الخمسة والخمسين مطلوباً، قُتل منهم اثنان وهم نجلا صدام حسين عدى وقصى، واعتقل ثلاثة وأربعين، وعشرة لا يزالون مختفين عن الأنظار.

نلاحظ أن جميع المعتقلين من الذكور ما عدا هدى صالح مهدى عماش ومعها امرأة أخرى ليست من قائمة الخمسة والخمسين ولكنها معتقلة معهم إنها رحاب رشيد طه، العالمة العراقية المعروفة باسم الدكتورة جرثومة، اعتقلت فى 12 مايو 2003م. وتحتجز القوات الأمريكية حالياً حوالى أكثر من 10،600 سجين فى ثلاثة منشآت دائمة وهى سجن أبو غريب، ومعسكر بوكا الواقع جنوب البصرة، وغيرها من السجون الميدانية المؤقتة، ولا يزال عدد المعتقلين فى ازدياد بشكل ملحوظ.

كل هؤلاء المعتقلين هل كانت تطبق عليهم اتفاقية جنيف؟

هل كانوا يلقون معاملة حسنة تليق بالأسرى؟

وهل التحقيق معهم كان جارياً حسب ما تنص عليه اتفاقية جنيف؟ أم كانت معاملتهم شبيهة بمعاملة الأسرى فى معتقل غوانتانامو فى جزيرة كوبا؟!

نختم هذا الكتاب بـ:

أولاً: ماذا تنص عليه اتفاقية جنيف فيما يتعلق بالأسرى أثناء الحروب؟

تنص اتفاقية جنيف الثالثة المتعلقة بأسرى الحرب على عدة حقوق معنوية ومادية أبرمت فى 12 أغسطس 1949هـ ملخصها فيما يلى:[1]

1. يعتبر أسرى الحرب تحت سلطة الدولة المعادية، لا تحت سلطة الأفراد أو الوحدات العسكرية وتكون الدولة الحاجزة مسئولة عن المعاملة التى يلقاها الأسير.

2. يجب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية فى جميع الأوقات ولا يجوز تعريض أى أسير حرب للتشويه البدنى أو التجارب الطبية.

3. للأسرى فى جميع الأحوال الحق فى احترام أشخاصهم وشرفهم والاحتفاظ بكامل أهليتهم المدنية كما يجب على الدولة الحاجزة إعاشة الأسرى دون مقابل وتقديم الرعاية الصحية مجاناً.

4. لا يجوز ممارسة أى تعذيب بدنى أو معنوى أو إكراه أسرى الحرب لاستخلاص معلومات منهم ولا يجوز تهديد أسرى الحرب الذين يرفضون الإجابة أو سبهم أو تعريضهم للإيذاء، وتحفظ الأشياء التى أخذت منهم عند وقوعهم فى الأسر ما عدا السلاح فهو غنيمة حرب.

5. يجب أن يتم إجلاء الأسرى بأسرع ما يمكن وينقلون إلى معسكرات آمنة تكون بعيدة بقدر كافٍ عن منطقة القتال ويكون إجلاؤهم بطريقة إنسانية ومزودين بكميات كافية من الطعام والشراب.

6. بالنسبة لأماكن احتجاز الأسرى، فلا يجوز اعتقالهم إلا فى مبان مقامة فوق الأرض تتوفر فيها كل ضمانات الصحة والسلامة وتكون مزودة بكميات كافية من الطعام

(1) العار الأمريكى من غوانتانامو إلى (أبو غريب) لمحمد بسيونى الفصل الثانى: القوانين الدولية تحدد أسلوب الاحتلال وشروطه وتحرم انتهاك الحقوق الإنسانية، صفحة 42 - 45.

والماء والشراب، ويجب تزويدهم بكميات كافية من الملابس المناسبة لهم ولمناخ المنطقة.

7. يجب على الدولة الحاجزة للأسرى اتخاذ جميع التدابير الصحية لتأمين نظافة المعسكرات وتوفير الماء والصابون للأسرى لنظافة أجسامهم وغسل ملابسهم.

8. يجب أن يكون فى كل معسكر عيادة طبية مناسبة يحصل فيها الأسرى على ما يحتاجون إليه من رعاية صحية، والأسرى المصابون بأمراض خطيرة أو تستدعى حالتهم إجراء عملية جراحية يجب نقلهم إلى وحدة صحية عسكرية أو مدنية لمعالجتهم، وإذا أمكن علاجهم من طبيب من نفس جنسيتهم فلا مانع وتتحمل الدولة الحاجزة تكاليف العلاج.

9. تترك لأسرى الحرب حرية كاملة لممارسة شعائرهم الدينية وأن تقوم الدولة الحاجزة بتشجيع الأسرى على ممارسة الأنشطة الذهنية والتعليمية والرياضية والترفيهية.

10. للدولة الحاجزة تشغيل أسرى الحرب من غير الضباط فى الأعمال المدينة أما الضباط فيمكنهم العمل باختيارهم، ولا يجوز تشغيل الأسير فى عمل غير صحى أو عمل مهنى خطير.

11. يسمح للأسير بمجرد وقوعه فى الأسر أو خلال مدة لا تتجاوز أسبوعاً واحداً من تاريخ وصوله لمعسكرات الأسر بأن يرسل خطاباً مباشرة إلى أسرته وإلى الوكالة المركزية لأسرى الحرب لإبلاغهم بوقوعه فى الأسر وبعنوانه وحالته الصحية كما يسمح للأسير بإرسال وتسلم الرسائل من أسرته وأقاربه.

نلاحظ أن هذه الاتفاقية المبرمة فى 12 أغسطس 1949هـ، مستمدة من تعاليم ديننا الإسلامى الذى أتى به معلم البشرية عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، لم يعرفها ولم يعمل بها أهل الديانات الأخرى، بينما المسلمون كانوا يتعاملون بها لأنها تعتبر رمز من رموز الدين الإسلامى ويضاف حق للأسير فى الدين الإسلامى وهو طلب الفدية (أى من حقه أن يفتدى نفسه بمبلغ معين من المال).

ثانياً: فضيحة سجن أبو غريب.

فى مطلع شهر مايو 2004م بعد عام تقريباً من اجتياح بغداد عرضت الصحف ووسائل الإعلام صوراً تنشر جرائم بشعة لا يتصورها الإنسان أحدثت ضجة فى العالم أجمع فها هى الصور تعرض جندى أمريكى يغتصب النساء البريئات، وآخر يتلذذ بممارسة الشذوذ الجنسى مع المعتقلين، واثنان من الجنود الأمريكيين يتقاذفون بالأيدى والأرجل جسد طفل عراقى لم يتجاوز السادسة من عمره أمام والده، وامرأه أمريكية تتلذذ بمشاهدة السجناء العراقيين عراة، وأخرى تعذب سجيناً بالكهرباء صعقاً حتى الموت، وأخرى تسحب أسيراً ملطخاً بدمائه كالكلب بواسطة طوق حول عنقه، ثم توالت بعدها الفضائح التى بدأ يتحدث عنها المُفرجين عنهم فكلهم أعربوا عن مدى استيائهم للمعاملة التى تلقوها فى السجون والمعتقلات، فأحدهم يقول أنه تعرض للتعذيب والضرب والحرمان من قضاء الحاجة والأخر يتحدث عن الحرمان من النوم وآخر يتحدث عن الصعق بالكهرباء والضرب فى مناطق حساسة من الجسم، وآخر يتحدث عن التعذيب والتخويف وإطلاق الكلاب المسعورة على الأسرى العراقيين.[1]

نشرت الصحف العديد من الصور لفضيحة سجن أبو غريب:

* صورة للمجندة الأمريكية أمام أجساد الأسرى وهم عراة، وصورة أخرى لها وهى تسحب الأسير العراقى كالكلب.
* صورة لتشالزجرينر السجان الأمريكى وهو يعذب امرأة عارية.
* صورة للشاونس إيفان خويدرك وهو جالس على أسير عارى.
* صورة لسابريناهيرمان وهى تضحك أمام قتيل مات من التعذيب.
* صورة لجندى بريطانى يتبول على أسير مقيد.

---

(1) العار الأمريكى من غوانتانامو إلى أبو غريب لمحمد بسيونى، الفصل الرابع: العار فى أبو غريب، صفحة 95 - 152.

* وغيرها من الصور، كومة من الأسرى العراة، التعذيب والتعذيب بالكلاب المسعورة، أسير واقف موصل بأسلاك المصعق بالكهرباء.

محاكمة صدام

ابتدأت محاكمة صدام فى 19 اكتوبر 2005م فى قضية الدجيل هو وسبعة عناصر من نظامه السابق وجهت لهم تهم جرائم ضد الإنسانية فى بلدة الدجيل الشيعية إثر تعرض موكب الرئيس السابق صدام لعملية اغتيال فاشلة عام 1982م، فرد نظام صدام السابق عليها بقوة راح ضحيتها حوالى 148شخصاً عن سكان البلدة وتم اعتقال حوالى 1500 شخص نقلوا إلى السجون وهناك تعرضوا لكافة أنواع التعذيب.

ابتدأت المحاكمة فى يوم الأربعاء 19 اكتوبر 2005م فى المنطقة الخضراء ببغداد.

القاضى: رزكار محمد أمين.

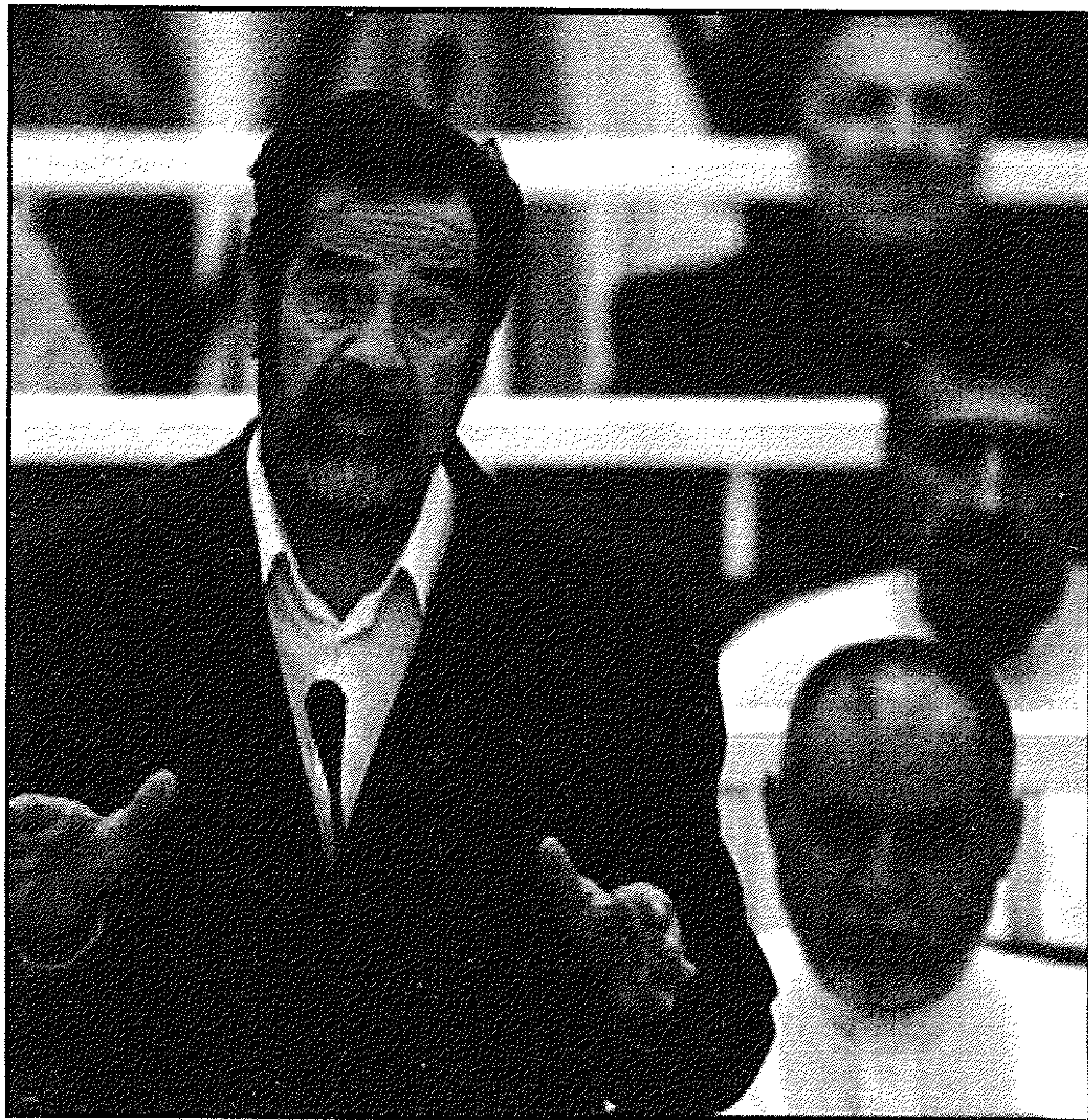
المتهمون:

* صدام حسين. الرئيس السابق للعراق.
* برزان التكريتى الأخ غير الشقيق لصدام وكان رئيس المخابرات العراقية فى تلك الفترة.
* طه ياسين رمضان: كان رئيساً للجمهورية فى تلك الفترة.
* عواد البندر: كان رئيساً لمحكمة الثورة فى تلك الفترة.
* آخرون: عبدالله كاظم وابنه مزهر
* على دايح
* محمد عزام

استمرت المحاكمة فى تلك القضية حتى وصلت إلى 41 جلسة، ساد معظم الجلسات أخذ ورد، اتهام لصدام وشركائه من قبل أقارب الضحايا، ودفاع من صدام وأعيانه ومحاميه وكانت تمر جلسات يسودها غياب صدام حسين أو أحد من أعيانه.

بعد سبع جلسات من المحاكمة قدم القاضى رزكار محمد أمين استقالته فى 15 يناير 2006م بعد تعرضه لانتقادات بسبب تساهله فى المحاكمة، ثم عُين القاضى سعيد الهاشمى ولكن سرعان ماتم تنحيته بسبب شكوك حول انتمائه إلى حزب البعث السابق.

ثم عُين القاضى الكردى رءوف رشيد عبدالرحمن رئيساً للجنة فى 23 يناير 2006م الذى استمر حتى نهاية المحاكمة.



صدام حسين أثناء محاكمة قضية الدجيل[1]

(1) صدام حسين رحلة النهاية أم الخلود من الاعتقال إلى الإعدام لمحمود عبده ص 61-94.

الحكم فى قضية الدجيل

أصدرت المحكمة الجنائية العراقية فى 5 نوفمبر 2006م حكماً بالإعدام شنقاً حتى الموت على كل من:

* ❊ الرئيس السابق صدام حسين
* ❊ برزان التكريتي
* ❊ عواد البندر

والحكم بالسجن مدى الحياة على طه ياسين رمضان كما أصدرت ثلاثة أحكام بالسجن 15 عاماً ضد ثلاثة من معاونى الرئيس السابق لدورهم فى قضية الدجيل وهم:

عبدالله كاظم وابنه مزهر و على دايح.

قضية الأنفال

ابتدأت محاكمة أخرى لصدام وسته من معاونيه بتهم ارتكاب جرائم إبادة استهدفت الأكراد فى الحملة العسكرية التى أطلق عليها (الأنفال) عام 1988م، التى راح ضحيتها الكثير من جراء الغاز السام بالإضافة إلى تدمير الكثير من القرى الكردية

ابتدأت المحاكمة فى 12 أغسطس 2006م واستمرت حتى تم تنفيذ حكم الإعدام[1].

الإعدام

فى صباح يوم عيد الأضحى المبارك 1427هـ (30ديسمبر 2006م) اقتيد الرئيس السابق صدام حسين إلى صالة الإعدام جُلب بواسطة رجال مقنعين بالسواد (يُشك أنهم من جماعة مقتدى الصدر).

طلب أحد الأشخاص المقنعين أن يربط على عينى صدام حسين ولكن صدام حسين رفض ذلك وبعد وضع حبل المشنقة حول رقبته نطق بالشهادتين، بينما تعالت هتفات الرجال الذين حوله بكلمة (مقتدى، مقتدى).

---

(1) صدام حسين رحلة النهاية أم الخلود من الاعتقال إلى الإعدام لمحمود عبده ص 97.

أُعدم الرئيس السابق صدام حسين فى يوم عيد الأضحى المبارك لتنتهى حقبة من تاريخ صدام حسين تزيد عن عقدين من الزمن، تلاها انتقادات من قبل الدول الإسلامية لعدم مراعاتهم لمشاعر المسلمين فى ذلك اليوم المبارك وانتقادات أخرى من قبل دول أجنبية لينتهى تاريخ صدام حسين عند هذه النقطة.[1]

(1) صدام حسين رحلة النهاية أم الخلود من الاعتقال إلى الإعدام لمحمود عبده ص 157-177.

المراجع

- تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539ق.م، تأليف/ الدكتور عيد مرعي-الطبعة الأولى 1991م

- دراسات فى العصر الهلنستى، تأليف/ دكتور لطفى عبد الوهاب

- تاريخ الأدب العربى العصر الجاهلى، تأليف/ الدكتور شوقى ضيف الطبعة-الأولى عام1961م

- أيام العرب فى الجاهلية، تأليف/ محمد أحمد جاد المولى بك،على محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم-الطبعة الأولى عام 1422هـ - 2001م

- مجموع أيام العرب فى الجاهلية والإسلام،تأليف/ إبراهيم شمس الدين-الطبعة الأولى 1422هـ -2002م

- البداية والنهاية للإمام الحافظ أبى الفداء إسماعيل ابن كثير،الطبعة الخامسة 1420هـ - 1999م،من المجلد الثالث إلى المجلد السابع.

- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الثانى، تأليف/ أستاذ دكتور عبد العزيز محمد الشناوى.

- لورنس والقضية العربية 1888-1935م، تأليف/ حسام على محسن المدامغة،الطبعة الأولى 2004م

- الحرب العالمية الأولى، تأليف/ عمر الديراوى،الطبعة الثامنة عشرة 2003م

- العراق من الانتداب إلى الإستقلال 1914 - 1932م، تأليف/ اللورد لويد دولبران،الطبعة الأولى 2002م -1423هـ

- الملك فيصل آخر ملوك العراق،تأليف/ الدكتور لطفى جعفر فرج،الطبعة الأولى 2001م - 1422هـ

- العراق، الكتاب الأول: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثمانى حتى قيام الجمهورية،تأليف/ حنا بطاطو،الطبعة العربية الثالثة 2003م
- العراق، الكتاب الثانى: الحزب الشيوعى، تأليف/ حنا بطاطو،الطبعة العربية الثانية 1996م
- العراق، الكتاب الثالث: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار،تأليف/ حنا بطاطو،الطبعة العربية الثانية 1999م
- الحرب العالمية الثانية، تأليف/ رمضان لاوند،الطبعة العشرون 2004م
- بعث العراق سلطة صدام قياماً وحطاماً، تأليف/ حازم صاغية،الطبعة الأولى 2003م
- مقاتل من الصحراء، حقائق وذكريات ورؤية مستقبلية لقائد القوات المشتركة ومسرح العمليات، تأليف/ صاحب السمو الملكى الفريق أول ركن خالد بن سلطان بن عبد العزيز، الطبعة السادسة 1996م
- العراقيون والمغول، تأليف/ أستاذ دكتور سعد حذيفة الغامدى،الطبعة الأولى 1412هـ-1991م
- أسرار الحروب (حروب قرن كامل وأولى حروب القرن الحادى والعشرين) أيلول 2001م مسرحية أمريكية لحروب مقبلة، تأليف/ نيل غرانت، الطبعة الأولى 2003م
- الأيدى الخفية، من وراء أشرطة تنظيم القاعدة، تأليف/ سهيلة زين العابدين حمّاد الطبعة الأولى 1424هـ-2003م
- أوكار الشر، دراسة حول آل بوش ووكالة المخابرات المركزية والشكوك حول هجمات 11/ 9/ 2001م،تأليف/ كينيون غيبسون،الطبعة الأولى 1424هـ -2004م

- حرب العراق، الحقائق والأوهام، تأليف/ عميد مهندس ركن سبأ عبدالله باهبري الطبعة الأولى 1424هـ

- قصة الخيانة والسقوط، ماذا حدث في بغداد...؟! خفايا الانهيار المفاجئ لنظام صدام، تأليف/ فريد الفلوجي،الطبعة الأولى 2003م

- الصحاف وأسرار سقوط بغداد من النكتة إلى الخيانة ثم.... الحقيقة، إعداد/ قسم التوثيق في دار الأمير، قدم له: الأستاذ نجيب زبيب،الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م

- قصة سقوط بغداد، الحقيقة بالوثائق، تأليف/ أحمد منصور،الطبعة السادسة- بيروت 1425هـ -2004م

- الحياة السرية لصدام حسين من القصور إلى الجحور،تأليف/ أنيس الدغيدي ،الطبعة الأولى 2004م

- صدام حسين، الحياة السرية، تأليف/ شادي فقيه ،الطبعة الأولى- بيروت 2003م

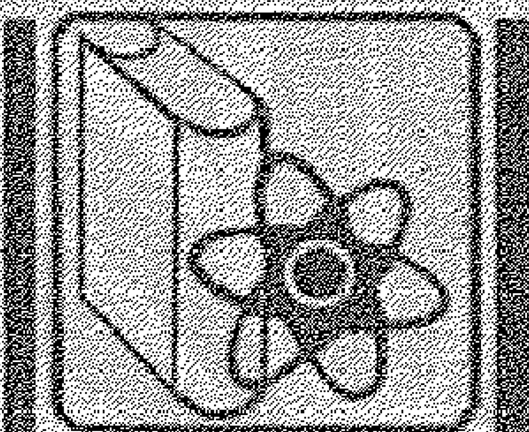
- عراق المستقبل دكتاتورية، ديمقراطية أم تقسيم؟، تأليف/ ليام أندرسن و غاريث ستانسفيلد الطبعة العربية الأولى- لندن 2005م

- العار الأمريكي من غوانتانامو إلى أبو غريب، تأليف/ محمد بسيوني ،الطبعة الأولى 2005م

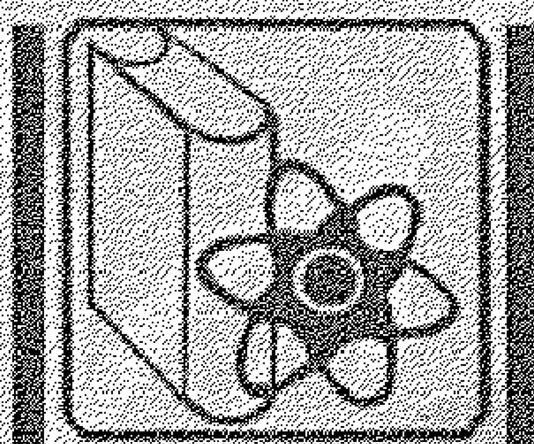
- أهم الأحداث التاريخية 1680 ق.م - 1993م،تأليف/ حمدو طماس،الطبعة الأولى 1423هـ -2003م

- صدام حسين رحلة النهاية أم الخلود؟ من الاعتقال إلى الإعدام لمحمود عبده الطبعة الأولى 2007م

الفهرس



دار الكتاب الحديث



دار الكتاب الحديث



السيرة الذاتية للمؤلف

د. حمزة بن سالم بن أحمد آل دبج الشهري طبيب بمستشفى أبها العام تخصص أمراض الجلدية من مواليد 28/ 4/ 1399هـ

بدأت التعليم في مدرسة ابتدائية ومتوسطة الشعلة بقرية آل صميد بمحافظة المجاردة (منطقة عسير) عام 1405هـ وأكملت تعليمي بمدرسة ثانوية المجاردة عام 1414هـ وتخرجت من الثانوية عام 1417هـ ثم التحقت بكلية الطب بجامعة الملك خالد بمدينة أبها عام 1417هـ ثم تخرجت من كلية الطب بجامعة الملك خالد بمدينة أبها عام 1424هـ .

قمت بأخذ دورات متعددة معظمها في المجال الطبي. أهمها : الإنعاش القلبي البدائي والإنعاش القلبي الحديث ، وأيضا أحرص على حضور المؤتمرات واللقاءات العلمية سواء داخل المملكة أو خارجها.

لدي هوايات متعددة أهمها : القراءة والاطلاع ، الرياضة البدنية ، التصوير المتحرك والفوتوغرافي ، المشاركة في المسرح في الحفلات الشعبية ، تصفح شبكة الإنترنت.

أشتغل الآن طبيبا بتخصص أمراض الجلدية بمستشفى أبها العام .

هذا الكتاب

العراق أرض الحضارات ما بين الماضي والحاضر أرض الفتن التي لا انقطاع لها دراسة تاريخية منذ أقدم العصور منذ 6500 ق م - إلى ما بعد الغزو الأمريكي

- **الحضارات القديمة**
- السومارية
- البابلية
- الكنعانية
- الكلدانية
- الأشورية
- **العصور الوسطى**
- بغداد والخلافة العباسية
- **العصر الحديث والمعاصر**
- الحكم الملكي
- حزب البعث
- **عصر صدام حسين والصراع مع إيران**
- **مشكلة الكويت**